عُدَّةُ الصَّابِرِينَ وَذَخِيرَةُ الشَّاكِرِينَ

تأليف

الإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الحنبلي الدمشقي

المعروف بـ "ابن قيم الجوزية"

ولد سنة ٦٩١ هـ - وتوفي سنة ٧٥١ هـ

تحقيق

أبي إسحاق السمنودي

مجدي عطية حمودة

دار ابن عباس

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى

١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م

رقم الإيداع : ١١٢٤٨ / ٢٠٠٣

دار ابن عباس

سمنود - جمهورية مصر العربية

هاتف : ٠٤٠/٢٩١٧٤٣٣

محمول : ٠١٢٢٣٤٦١٨٩٧

مقدمة التحقيق

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده ولا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

وبعـــد ..

فإن مما لا خلاف فيه بين المسلمين أن رسولنا محمدًا ﷺ خاتم النبيين وإمام المرسلين ومحجة الله على عباده أجمعين ، وأرسله الله بالدين القويم والصراط المستقيم ، وجعل رسالته للناس أجمعين إلى يوم الدين ، وأقام به الملة العوجاء ، وفتح بهديه أعيناً عمياء ، وآذاناً صماً ، وقلوباً غلفاً ، وهدى به البشرية الضائعة إلى أقوم طريق وأوضح سبيل وأفضل منهج .

أما بعد .. **فإن الإيمان نصفان :**

نصف شكر ، ونصف صبر ؛ وذلك أن ما يلقى العبد لا يخلو من نوعين :

الأول : النعم التى أسبغها الله على عبده ظاهرًا وباطناً فهو محتاج إلى ذكرها وشكرها ، والتحدث بنعمة الله عليه فيها ، فلا يركن إليها ولا ينهمك فيها ، ويراعى الحقوق ، فيعطى كل ذى حق حقه ، فهذا مقام الشكر .

الثانى : المصائب التى تحيق بالعبد ، فتأخذ الأحبة ، وتهلك الأموال وتضعف البدن ، وتهذم اللذات والشهوات التى زُينت للناس ، فهو محتاج إلى تلقيها بالرضى فلا يجذع ولا يسخط ، ولا يشتكى ، وينتظر الفرج والعوض من الله ، وهذا مقام الصبر ، ولمّا كان الأمر كذلك كان حقيقاً على من نصح نفسه ، وأحب نجاتها ، وآثر سعادتها أن لا يهمل هذين الأصلين العظيمين ، ولا يعدل عن هذين الطريقين القاصدين ، وأن يجعل سيره إلى الله بين هذين الطريقين ، ليجعله الله يوم لقائه مع خير الفريقين (١).

فوقفت على كتاب " **عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين** " فوجدته قد استوفى هاتين المسألتين ، ولم أجده فى كلام عالم مثله ، فجاء كتابًا نافعاً مشتملاً على أشياء طيبة من تفسير القرآن ، وأحاديث نبوية ، وآثار للسلف الصالح ، ومسائل فقهية ، إلى غير ذلك من الفوائد الحسان .

فاستعنت بالله وقمت بتحقيقه ، وكان عملي فى الكتاب ..

١) اعتمدت على نسخة خطية موجودة فى دار الكتب المصرية برقم [٢١٥٩] أخلاق دينية ، تقع في [١٥٣] ورقة ، كل صفحة فيها [٢٥] سطر تقريباً ، وكل سطر [١٠] كلمات ، وهى مكتوبة بخط النسخ الواضح .

جاء فى آخرها : " علقه أفقر الورى وأسير ذنوبه وأحوج عباد الله إلى مغفرته ورحمته ولطفه ورضاه وعفوه : عبد الرحمن بن عبد العزيز آل عويد ضحوة السبت فى شهر الله ذى القعدة سنة ١٣١٣من هجرة نبينا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .

---

(١) راجع مقدمة المؤلف .

ثم وقفت بعد ذلك على نسخة مطبوعة محققة على نسختين منها النسخة التى ذكرتها آنفاً ، وهى بتحقيق الشيخ سليم الهلالى حفظه الله فاعتمدت عليها واستفدت منها فجزاه الله خيراً ، فهى أفضل النسخ المطبوعة فيما علمت .

ثم وقفت على عدة نسخ مطبوعة غير مضبوطة ، وبها أخطاء كثيرة ويجب الحذر منها .

٢) عزو الآيات إلى موضعها فى كتاب الله مع ذكر اسم السورة ورقمها .

٣) تخريج الأحاديث والآثار الواردة فى الكتاب والحكم عليها حسب ما تقتضيه قواعد علوم الحديث والنظر فى كتب العلل والرجال ، ومستأنساً بأقوال أهل العلم فى الحكم على الأحاديث .

٤) عمل فهرس للآيات التى أوردها المصنف مرتبة على اسم السورة .

٥) عمل فهارس للأحاديث والآثار مرتبة على حروف المعجم .

٦) عمل ترجمة مختصرة للمؤلف .

٦) عمل فهرس للموضوعات .

❁ ❁ ❁

ترجمة مختصرة

هو الفقيه الإمام المفتى العالم الربانى أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزُرعى ثم الدمشقى الشهير بابن قيم الجوزية .

ولد رحمه الله فى السابع من شهر صفر سنة ٦٩١ هـ ، ونشأ ابن القيم فى جو علمي فى بيت والده ، وأخذ عنه الفرائض .

ومن مشايخه :

١) قيم الجوزية وهو والده رحمه الله .

٢) شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ، وقد أخذ منه الكثير .

٣) الحافظ الشهير أبو الحجاج يوسف بن زكى المعروف بالمزى .

ومن تلامذته :

١) ابن رجب الحنبلى .

٢) الحافظ ابن كثير صاحب التفسير .

٣) الحافظ الذهبى صاحب كتاب السير .

٤) الفيروز أبادى صاحب القاموس المحيط .

ثناء العلماء عليه :

١) قال ابن كثير رحمه الله : سمع الحديث وبرع فى علوم متعددة .

٢) وقال ابن ناصر الدين الدمشقى : وكان ذا فنون فى العلوم وخاصة التفسير ، والأصول ، والمنطق ، والمفهوم .

٣) وقال السيوطى رحمه الله : قد صنف وناظر واجتهد ، وصار من الأئمة الكبار فى التفسير ، والحديث ، والفروع .

ومن مؤلفاته :

وله مؤلفات كثيرة جداً فى علوم شتى ، وسنذكر منها على سبيل المثال لا الحصر :

١) زاد المعاد فى هدى خير العباد .

٢) حكم تارك الصلاة .

٣) كتاب الروح .

٤) الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة .

٥) إعلام الموقعين عن رب العالمين .

٦) تهذيب مختصر سنن أبي داود .

٧) الفوائد .

٨) حادى الأرواح إلى بلاد الأفراح .

٩) أحكام أهل الذمة .

١٠) روضة المحبين ونزهة المشتاقين .

وقد امتُحن وأُوذى مرات كما قال ابن رجب الحنبلى فى طبقات الحنابلة .

وكانت وفاته رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جنانه في الثالث والعشرين من رجب سنة إحدى وخمسين وسبعمائة من هجرة النبي ﷺ فاللهم ارحمه رحمة واسعة ووسع له في قبره .

وكتبه

أبو إسحاق السمنودي

سمنود - الغربية - مصر

هاتف : ٢٩٦١٢٧٦ / ٠٤٠

مقدمة المصنف

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

الحمدُ لله الصَّبورُ الشَّكور ، العليُّ الكبيرُ ، السميعُ البصيرُ ، العليمُ القديرُ الذى شملت قدرته كل مقدور ، وجرت مشيئته فى خلقه بتصاريف الأمور ، وأسمعت دعوته لليوم الموعود أصحاب القبور ، قدَّر مقادير الخلائق وآجالهم ، وكتب آثارهم وأعمالهم ، وقسَّم بينهم معايشهم وأموالهم ، وخلق الموت والحياة ، ليبلوهم أيُّهم أحسن عملا وهو العزيز الغفور ، القاهر القادر فكل عسير عليه يسير ، وهو المولى النصير فنعم المولى ونعم النصير ، يسبح له ما فى السموات وما فى الأرض ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، هو الذى خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن ، والله بما تعملون بصير ، خلق السموات والأرض بالحق ، وصوركم فأحسن صوركم ، وإليه المصير يعلم ما تسرون وما تعلنون ، والله عليم بذات الصدور .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، إله جل عن الشَّبيه والنظير ، وتعالى عن الشريك والظَّهير ، وتقدس عن تعطيل الملحدين كما تنزه عن شَبَهِ المخلوقين ، فليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، وخيرتُه فى بريته ، وصفوته من خليقته ، وأمينه على وحيه ، وسفيره بينه وبين عباده ، أعرف الخلق به ، وأقومهم بخشيته ، وأنصحهم لأمته ، وأصبرهم لحكمه ، وأشكرهم لنعمه ، وأقربهم إليه وسيله ، وأعلاهم عنده منزله ، وأعظمهم عنده جاهاً ، وأوسعهم عنده شفاعة ، بعثه إلى الجَنَّة داعياً ، وللإيمان منادياً

وفى مرضاته ساعياً ، وبالمعروف آمراً ، وعن المنكر ناهياً ، فبلغ رسالات ربه ، وصدع بأمره ، وتحمل فى مرضاته ما لا يتحمله بشرٌ سواه ، وقام لله بالصبر والشكر حق القيام حتى بلَغ رضاه ؛ فثبت فى مقام الصبر حتى لم يلحقه أحد من الصابرين ، وترقى فى درجة الشكر حتى علا فوق جميع الشاكرين ، فَحمده الله وملائكته ورسله وجميع المؤمنين ، ولذلك خُصَّ بلواء الحمد دون جميع العالمين ؛ فآدم تحت لوائه وكذلك من دونه من الأنبياء والمرسلين ، وجعل الحمد فاتحة كتابه الذى أنزله عليه فيما بلغنا وفى التوراة والإنجيل ، وجعله آخر دعوى أهل ثوابه الذى هداهم على يديه ، وسمّى أمته الحمّادين قبل أن يخرجهم إلى الوجود ، لحمدهم له على السراء والضراء ، والشدة والرخاء ، وجعلهم أسبق الأمم إلى دار الثواب والجزاء ، فأقرب الخلق إلى لوائه أكثرهم حمداً لله وذكراً ، كما أن أعلاهم منزله أكثرهم صبراً وشكراً ، فصلى الله وملائكته وأنبياؤه ورسله وجميع المؤمنين عليه كما وحد الله ، وعرّف به ، ودعا إليه ، وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد : فإن الله سبحانه جعل الصبر جواداً لا يكبو ، وصارماً لا ينبو ، وجنداً غالباً لا يُهزم ، وحصناً حصيناً لا يُهدم ولا يُثلم ، فهو والنصر أخوان شقيقان .

رضيعىْ لبانِ ثَدْي أمّ تقاسما ... بأسحم داجٍ عَوْضُ لا نَتَفرَّقُ

فالنصر مع الصبر ، والفرج مع الكرب ، والعسر مع اليسر ، وهو أنصر لصاحبه من الرجال بلا عُدَّة ولا عدد ، ومحلُّه من الظفر كمحل الرأس من الجسد .

ولقد ضمن الوفى الصادق لأهله فى محكم الكتاب أنه يوفيهم أجرهم بغير حساب ، وأخبرهم أنه معهم بهدايته ونصره العزيز وفتحه المبين ؛ فقال تعالى ﴿ **وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ** ﴾ [الأنفال : ٤٦] فظفر الصابرون بهذه المعية بخير الدنيا والآخرة ، وفازوا بها بنعمه الباطنة والظاهرة .

وجعل سبحانه الإمامة فى الدين منوطة بالصبر واليقين ؛ فقال تعالى – وبقوله اهتدى المهتدون – ﴿ **وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ** ﴾ [السجدة : ٢٤].

وأخبر أن الصبر خير لأهله مؤكداً باليمين ، فقال تعالى ﴿ **وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ** ﴾ [النحل : ١٢٦] .

وأخبر أن مع الصبر والتقوى لا يضر كيد العدو ولو كان ذا تسليط فقال تعالى ﴿ **وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ** ﴾ [آل عمران : ١٢٠] .

وأخبر عن نبيه يوسف الصديق أن صبره وتقواه وصَّلاه إلى محل العز والتمكين ؛ فقال ﴿ **إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ** ﴾ [يوسف : ٩٠] .

وعلق الفلاح بالصبر والتقوى ، فعقل عنه ذلك المؤمنون ؛ فقال تعالى ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾ [آل عمران : ٢٠٠] .

وأخبر عن محبته لأهله وذى ذلك أعظم ترغيب للراغبين ؛ فقال تعالى ﴿ **وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ** ﴾ [آل عمران : ١٤٦] .

ولقد بشر الصابرين بثلاث ، كل منها خير مما عليه أهل الدنيا يتحاسدون ؛ فقال تعالى ﴿ **وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ . أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ** ﴾ [البقرة : ١٥٥ – ١٥٧] .

وأوصى عباده بالاستعانة بالصبر والصلاة على نوائب الدنيا والدين ؛ فقال تعالى ﴿ **وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ** ﴾ [البقرة : ٤٥] .

وجعل الفوز بالجنة والنجاة من النار لا يحظى به إلا الصابرون ؛ فقال تعالى ﴿ **إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ** ﴾ [المؤمنون : ١١١] .

وأخبر أن الرغبة فى ثوابه والإعراض عن الدنيا وزينتها لا ينالها إلا أولوا الصبر المؤمنون ؛ فقال تعالى ﴿ **وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً وَلا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ** ﴾ [القصص : ٨٠] .

وأخبر تعالى أن دفع السيئة بالتى هى أحسن تجعل المسيء كأنه وليٌّ حميم فقال ﴿ **وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ** ﴾ [فصلت : ٣٤] .

وإن هذه الخصلة ما يلقاها إلا الذين صبروا ، وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم .

وأخبر سبحانه خبراً مؤكداً بالقسم ﴿ **إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ . إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ** ﴾ [العصر : ٢ – ٣]

وقَسَّم خلقه قسمين : أصحاب ميمنة وأصحاب مشأمة ، وخصَّ أصحاب الميمنة أهل التواصي بالصبر والمرحمة ، وخصَّ بالانتفاع بآياته أهل الصبر وأهل الشُكر تمييزاً لهم بهذا الحظ الموفور ، فقال في أربع آيات من كتابه ﴿ **إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ** ﴾ [لقمان: ٣١]

وعلَّق المغفرة والأجر بالعمل الصالح والصبر وذلك على من يسّره عليه يسير فقال ﴿ **إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ** ﴾ [هود : ١١] .

وأخبر أن الصبر والمغفرة من العزائم التي تجارةُ أربابها لا تبورُ فقال ﴿ **وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ** ﴾ [الشورى : ٤٣] .

وأمر رسوله بالصبر لحكمه ، وأخبر أن صبره إنما هو به ، وبذلك جميع المصائب تهون ؛ فقال ﴿ **وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا** ﴾ [الطور : ٤٨] ، وقال ﴿ **وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ . إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ** ﴾ [النحل : ١٢٧ - ١٢٨] .

والصبرُ آخِيةُ المؤمن التي يجول ثم يرجع إليها ، وساقُ إيمانه الذي لا اعتماد له إلا عليها ؛ فلا إيمان لمن لا صبر له ، وإن كان فإيمان قليل في غاية الضعف ، وصاحبه ممن يعبد الله على حرف ؛ فإن أصابه خير اطمأن به ، وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ، ولم يحظ منهما إلا بالصفقة الخاسرة .

فخير عيش أدركه السعداء بصبرهم ، وترقوا إلى أعلى المنازل بشكرهم ، فساروا بين جناحي الصبر والشكر إلى جنات النعيم ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم .

سبب تأليف الكتاب وأهميته

ولما كان الإيمانُ نصفين : نصفَ صبر ونصفَ شُكر ، كان حقيقاً على من نصح نفسه ، وأحبَّ نجاتها ، وآثر سعادتها : أن لا يهمل هذين الأصلين العظيمين ، ولا يعدل عن هذين الطريقين القاصدين ، ليجعله الله يوم لقائه مع خير الفريقين .

فكذلك وُضع هذا الكتابُ للتعريف بشدة الحاجة ، والضرورة إليهما وبيان توقف سعادة الدنيا والآخرة عليهما ، فجاء كتاباً جامعاً حاويا نافعا ، فيه من الفوائد ما هو حقيق على أن يعض عليه بالنواجذ ، وتُثنى عليه الخناصر ممتعاً لقارئه ، صريحاً للناظر فيه ، مسلياً للحزين ، مُنَهِّضاً للمقصِّرين ، مُحْرِضاً للمشمِّرين .

مشتملاً على نكات حسان من تفسير القرآن ، وعلى أحاديث نبوية معزوة إلى مظانها ، وآثار سلفية منسوبة إلى قائلها ، ومسائل فقهية حسان مقررة بالدليل ، ودقائق سلوكية على سواء السبيل ، لا تخفى معرفة ذلك على من فَكَّر وأحضر ذهنه .

فإن فيه ذكر أقسام الصبر ووجوه الشكر وأنواعه ، وفصل النزاع في التفضيل بين الغنيِّ الشّاكر والفقير الصّابر ، وذكْر حقيقة الدنيا وما مثَّلها الله ورسوله والسلف الصالح به ، والكلام على سير هذه الأمثال ومطابقتها لحقيقة الحال ، وذكر ما يُذَمُّ من الدنيا ويُحمد ، وما يُقرِّب منها إلى الله ويُبعدُ ، وكيف يشقى بها من يشقى ، ويسَعدُ بها من يسعد وغير ذلك من الفوائد التي لا تكادُ تظفرُ بها في كتاب سواه .

وذلك مَحْضُ مِنَّةٍ من الله على عبده وعطية من بعض عطاياه ، فهو كتاب يصلُحُ للملوك والأمراء ، والأغنياء والفقراء ، والصوفية والفقهاء ، ينهَضُ بالقاعِدِ إلى المَسير ، ويُؤنسُ السائر فى الطريق ، وينبِّه السالك على المقصود .

ومع هذا فهو جهد المقل وقدرة المفلس ، حذَّر فيه من الداء وإن كان من أهله ، ووصف فيه الدواء وإن لم يصبر على تناوله لظلمه وجهله ، وهو يرجو أكرم الأكرمين وأرحم الراحمين أن يغفر له غيَّه لنفسه بنصيحته لعباده المؤمنين .

فما كان فى الكتاب من صواب فمن الله وحده ، فهو المحمود والمستعان ، وما كان فيه من خطإٍ فمن مُصنِّفه ومن الشيطان ، والله بريءٌ منه ورسوله .

وهذه بضاعة مؤلفه المزجاة تساق إليك ، وسلعته تعرض عليك ، فلقارئه غُنْمُه ، وعلى مؤلفه غُرْمُه ، وبناتُ أفكاره تُزَفُّ إليك ، فإن وجدت حُرًّا كريماً كان بها أسعد ، وإلا فهى خَوْدٌ [١] تُزَفُّ إلى عنّين[٢] مُقعد .

وقد جعلته ستة وعشرين باباً وخاتمة ..

الباب الأول : فى معنى الصّبرِ لغةً ، واشتقاق هذه اللفظة وتصريفها .

الباب الثانى : فى حقيقة الصبر وكلام الناس فيه .

الباب الثالث : فى بيان أسماء الصّبرِ بالإضافة إلى متعلِّقِه .

---

١ الفتاة الجميلة .

٢ الذى لا يستطيع أن يأتى النساء .

سميته " عِدّةُ الصَّابِرينَ وَذخيرَةُ الشّاكِرين " ، واللهُ المسؤولُ أن يجعله خالصاً مُدنياً من رضاه ، وأن ينفع به مؤلّفه وكاتِبه ، وقارئَه إنه سميع الدّعاءِ وأهلُ الرّجاءِ وهو حسبُنا ونِعمَ الوكيل .

❋❋❋

الباب الأول

فى معنى الصّبرِ لغةً ، واشتقاق هذه اللفظة وتصريفها

أصل هذه الكلمة هو المنْعُ والحبْسُ فالصبرُ : حبس النَّفس عن الجزع واللِّسان عن التَّشكى ، والجوارح عن لطم الخدود ، وشقِّ الثِّياب ، ونحوهما .

ويقال : صبر يصبرُ صبراً ، وصبر نفسه ، قال تعالى ﴿ **وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ** ﴾ [الكهف : ٢٨] .

وقال عنترة :

فصبرت عارفةً لذلك حُرة ترسو إذا نَفْسُ الجبانِ تَطلَّعُ

يقول : حبست نفساً عارفة ، وهى نفس حُرٌّ يأنفُ لا نفس عبد لا أنفة له .

وقوله : ترسو ؛ أى : تثبت وتسكُن إذا خفت نفسُ الجبان واضطربت .

ويقال : صبرتُ فلاناً إذا حبستهُ ، وصبَّرتهُ - بالتشديد - إذا حملته على الصّبر .

وفى حديث الذى أمسك رجلاً وقتله آخر : " **يُقتلُ القاتلُ ، ويُصبرُ الصابرُ** " [١] أى : يُحبس للموت كما حبس من أمسكه للموت ،

---

(١) **مرسل .**

أخرجه عبد الرزاق فى " مصنفه " (١٧٨٩٢) ، والدارقطنى فى " سننه " =

وصبرتُ الرَّجل إذا قتلته صبراً ؛ أى أمسكته للقتل ، وصبرته أيضاً وأصبرته إذا حبسته للحلف .

ومنه الحديث الصحيح : " **من حَلَفَ على يمينٍ صبْر** [٢] ؛ **ليقْتَطع بها من مال امرئٍ مسلم لقى الله وهو عنه مُعْرِضٌ** " . [٣]

= (١٠٣/٣) من طريق معمر بن راشد ، وابن جريج عن إسماعيل بن أميه رفع الحديث .

وأخرجه الدارقطنى (١٠٣/٣) من طريق إسماعيل بن أمية عن سعيد ابن المسيب قال : أتى النبي ﷺ .

وأخرجه البيهقى فى " السنن الكبير " (٥٠/٨) من طريق أبى عبيد ثنا سلم ابن جناده ثنا وكيع عن سفيان عن إسماعيل قال : قضى رسول الله ﷺ .

ثم قال : وكذلك رواه معمر عن إسماعيل بن أميه يرفعه ، وأسنده من طريق ابن المبارك .

وكل هذه الطرق تدور على إسماعيل بن أمية ، وقد أرسل الحديث ، وقد رجح البيهقى الإرسال فقال : هذا غير محفوظ .

وأخرجه الدارقطنى فى " سننه " (١٠٣/٣) ، والبيهقى فى " السنن الكبير " (٥٠/٨) كلاهما من طريق عبده بن عبد الله الصفار ثنا أبو داود الحضرى ، عن سفيان الثورى عن إسماعيل بن أمية عن نافع بن عمر مرفوعاً بلفظ : " **إذا أمسك الرجل الرجل ، وقتله الآخر ، يُقتل الذى قتل ، ويُحبس الذى أمسك** " .

قلت : وصححه ابن القطان الفاسى ، وابن التركمانى ، والحافظ بن حجر .

(٢) هي اليمين الغموس .

(٣) أخرجه البخارى فى " صحيحه " كتاب " الإيمان والنذور " (٦٦٧٦) ، ومسلم فى " صحيحه " كتاب " الإيمان " (١٣٨) من حديث عبد الله بن مسعود ، واللفظ المذكور من حديث وائل بن حجر كما عند مسلم (١٣٩) .

ومنه الحديث الذى فى القسامة : " **ولا تُصْبِرْ يمينه حيث يُصْبر الأيمانُ** " [٤] .

والمصبورةُ : اليمينُ المحلوفُ عليها .

وفى الحديث : " **نهى عن المصبورةِ** " [٥] ؛ وهى الشاة ، والدجاجة ونحوهما تصبر للموت ؛ فتربط ؛ فترمى حتى تموت .

وفعلُ هذا الباب : صبرتُ أصبر بالفتح فى الماضى والكسر فى المستقبل ، وأما صبرت أصبرُ بالضم فى المستقبل ؛ فهو بمعنى : الكفالة ، والصَّبيرُ : الكفيل كأنه حبس نفسه للغُرم ، ومنه قولهم : أصبرنى ؛ أى : اجعلنى كفيلاً .

وقيل : أصل الكلمة من الشِّدة والقوَّة ، ومنه الصبر للدواء المعروف ، لشدَّة مرارته وكراهته .

قال الأصمعى : إذا لقى الرجل الشِّدَّةَ بكمالها ، قيل : لشدَّتها لقيها بأصبارها .

ومنه الصُبر بضم الصاد للأرض ذات الخصب لشدَّتها وصلابتها .

ومنه سميت الحَرَّةُ أم صبّار .

ومنه قولهم : وقع القوم فى أمر صبّور بتشديد الباء أى أمر شديد .

ومنه صُبارّة الشتاء بتخفيف الباء وتشديد الراء لشدة برده .

---

(٤) قطعة من حديث طويل أخرجه البخارى فى " صحيحه " كتاب " مناقب الصحابة " (٣٨٤٥) من حديث عبد الله بن عباس .

(٥) أخرجه البخارى فى " صحيحه " كتاب " الذبائح والصيد " (٥٥١٣) ومسلم فى " صحيحه " كتاب " الصيد والذبائح " (١٩٥٦) من حديث أنس بن مالك ﷺ .

وقيل : هو مأخوذ من الجمع والضمّ ، فالصابرُ يجمع نفسه ويضمُّها عن الهلع والجزع ، ومنه صُبْرة الطعام ، وصبارة الحجارة .

والتحقيق : أن فى الصبر المعانى الثلاثة : المنع ، والشِّدَّةَ ، والضَّمّ

ويقال : صبر إذا أتى بالصبر ، وتصبَّر إذا تكلَّفه واستدعاه ، واصطبر إذا اكتسبه وتعلمه ، وصابر إذا وقف خصمه فى مقام الصبر وصبَّر نفسه وغيره بالتشديد إذا حملها على الصبر .

واسم الفاعل : صابر ، وصبَّار ، وصبُور ، ومُصابِر ، ومصطبِر فمُصابر من صابر ، ومصطَبِر من اصطَبر ، وصابر من صبر ، وأما صبّار وصبُور فمن أوزان المبالغة من الثُلاثي كضرّاب وضروب ، والله أعلم .



الباب الثاني

في حقيقة الصبر وكلام الناس فيه

قد تقدم بيان معناه لغة .

وأما حقيقته فهو : خُلُق فاضل من أخلاق النفس يمتنع به من فعل ما لا يحسن ولا يجمل ، وهو قوة من قوى النفس التي بها صلاح شأنها ، وقوام أمرها .

وسئل عنه الجنيد بن محمد [١] فقال : " تجرُّع المرارة من غير تَعبُّس " .

وقال ذو النون [٢] : " هو : التباعد عن المخالفات ، والسكون عند تجرع غصص البلية وإظهارُ الغنى مع حلول الفقر بساحات المعيشة ".

وقيل : " الصّبر : هو الوقوف مع البلاء بحسن الأدب " [٣] .

وقيل : " هو : الفناء في البلوى بلا ظهور شكوى " .

---

(١) هو أبو القاسم النهاوندي البغدادي القواريري الخزاز تفقه على مذهب أبو ثور شيخ الطائفة الصوفية وله كلام كثير في التصوف . انظر" تاريخ بغداد " (٢٤١/٧) ، " سير أعلام النبلاء " (٦٦/١٤) .

(٢) هو أبو الفيض ثوبان بن إبراهيم النوبي المصري كان من رؤوس المتصوفة انظر " سير أعلام النبلاء " (٥٣٢/١١) .

(٣) الرسالة القشيرية (صـ ١٨٤) .

وقال أبو عثمان [٤] : " الصبّار : هو الذى عوّد نفسه الهجوم على المكاره " .

وقيل : " الصبر : المقامُ على البلاء بحُسن الصحبة كالمقام مع العافية " .

ومعنى هذا : أن لله على العبد عبوديته فى عافيته وفى بلائه ، فعليه أن يحسن صحبة العافية بالشكر ، وصحبة البلاء بالصبر .

وقال عمرو بن عثمان المكي [٥] : " الصبرُ : هو الثباتُ مع الله ، وتلقى بلاءه بالرّحبِ والدّعةِ " .

ومعنى هذا : أنه يتلقى البلاء بصدر واسع لا يتعلق بالضيق والسخط والشكوى .

وقال الخواص [٦] : " الصبرُ : الثباتُ على أحكام الكتاب والسُّنَّة ".

وقال رويم [٧] : " الصبرُ : ترك الشكوى " . فَسّره بلازمه [٨] .

---

(٤) هو سعيد بن إسماعيل بن سعيد بن منصور الحيرى . راجع " السير" (٦٢/١٤) .

(٥) هو أبو عبد الله الزاهد المكي شيخ الصوفية . انظر " حلية الأولياء " (٢٩١/١٠) .

(٦) هو سليمان الخواص من كبار عباد الشام راجع "حلية الأولياء" (٢٧٦/٨) .

(٧) هو أبو الحسن رويم بن أحمد الصوفى من فقهاء أهل الظاهر تفقه بداود . راجع ترجمته فى " سير أعلام النبلاء " (٢٣٤/١٤) .

(٨) أخرجه البيهقى فى " شعب الإيمان " (٢٢٠/٧) : سمعت أبا عبد الرحمن السلمى يقول : سمعت أبا الحسن الفارسى يقول : سمعت إبراهيم بن فاتك يقول : قال رويم : " الصبر ترك الشكوى " ، قال : وقال رويم : الرضا استلذاذ البلوى.

وقال غيره : " الصبر : هو الإستعانة بالله " [٩] .

وقال أبو علي [١٠] : " الصبر كاسمه " [١١] .

وقال علي بن أبي طالب رضى الله عنـــه : " الصـــبر مطيـــة لا تكبو " [١٢] .

وقال أبو محمد الجريري [١٣] : " الصبرُ أن لا يفرق بين حال النعمة والمحنة مع سكون الخاطر فيهما " [١٤] .

---

(٩) الرسالة القشيرية (صـــ ١٨٤) .

(١٠) هو الشيخ الإمام العلامة ، مقرئ الآفاق ، أبو علي الحسن بن علي بن إبراهيم بن يزداد بن هرمز الأهوازى ، نزيل دمشق . انظر " السير " (١٣/١٨)

(١١) الرسالة القشيرية (صـــ١٨٥) .

(١٢) الرسالة القشيرية (صـــ١٨٥) .

(١٣) هو أحمد بن محمد بن حسين . راجع ترجمته فى " حلية الأولياء " (٣٤٧/١٠)

(١٤) **إسناده ضعيف .**

أخرجه الطبراني فى " الكبير " (٧٣/١٣) الجزء المفقود ، وفى " الدعاء " (١٢٨٠/٢) من طريق محمد بن إسحاق عن هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن جعفر قال .

وهذا إسناد حسن ، لولا عنعنه محمد بن إسحاق فهو مدلس ، ولم يصرح بالتحديث .

وأورده الهيثمي فى " مجمع الزوائد " (٣٥/٦) وقال : رواه الطبرانى ، وفيه ابن إسحاق وهو مدلس ليس بثقة ، وبقية رجاله ثقات .

قلت : وهذا غير مقدور ولا مأمور به ؛ فقد ركّبَ الله الطباع على التفريق بين الحالتين ، وإنما المقدور حبسُ النفس عن الجزع لا استواء الحالتين عند العبد ، وساحة العافية أوسع للعبد من ساحة الصَّبر ، كما قال النبي ﷺ في الدُّعاء المشهور : " **إن لم يكن بك غَضبٌ عليَّ فلا أبالي غير أن عافيتك أوسعُ لي** " .

ولا يناقضُ هذه قوله ﷺ : " **وما أعطي أحدٌ عطاءً خيراً وأوسع من الصَّبرِ** " (١٥) ؛ فإن هذا بعد نزول البلاء للعبد ليس للعبد أوسعُ من الصبر ، وأما قبله فالعافيةُ أوسعُ له .

وقال أبو علي الدقاق : " حدُّ الصبرِ ألاّ تعترض على التقدير ، فأما إظهارُ البلاء على غير وجه الشكوى فلا ينافي الصبر ، قال الله تعالى في قصة أيوب : ﴿ **إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِراً** ﴾ [ص : ٤٤] مع قوله تعالى : ﴿ **مَسَّنِيَ الضُّرُّ** ﴾ [الأنبياء : ٨٣] (١٦).

قلت : فسر اللفظة بلازمها .

وأما قوله : " على غير وجه الشكوى " **فالشكوى نوعان :**

أحدهما : الشكوى إلى الله ، فهذا لا ينافي الصبر ، كما قال يعقوب ﴿ **قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي**﴾ [يوسف : ٨٦] مع قوله ﴿ **فَصَبْرٌ جَمِيلٌ** ﴾ [يوسف : ١٨ و ٨٣] ، وقال أيوب : ﴿ **مَسَّنِيَ الضُّرُّ** ﴾ [الأنبياء : ٨٣] مع وصف الله له بالصبر .

---

(١٥) قطعة من حديث أخرجه البخارى فى" صحيحه " كتاب" الزكاة " (١٤٦٩) ومسلم فى كتاب " الزكاة " (١٠٥٣) من حديث أبي سعيد الخدرى .

(١٦) الرسالة القشيرية (صـــ ١٨٨) .

وقال سيد الصابرين صلوات الله وسلامه عليه : " **اللهم أشكو إليك ضعف قوتى وقلة حيلتى** ... إلخ " [١٧].

وقال موسى صلوات الله وسلامه عليه : " **اللهم له الحمد ، وإليك المشتكى ، وأنت المستعان ، وبك المستغاث ، وعليك التكلان ، ولا حول ولا قوة إلا بك** " .

والنوع الثانى : شكوى المبتلى بلسان الحال أو المقال ؛ فهذه لا تجامع الصبر بل تضاده ، وتبطله .

فالفرق بين شكواه والشكوى إليه ، وسنعود لهذه المسألة فى باب : " اجتماع الشكوى والصبر وافتراقهما " إن شاء الله تعالى .

وقيل : " الصبرُ : شجاعةُ النفْسِ " .

ومن هاهنا أخذ القائل قوله : " الشجاعةُ صَبْرُ ساعة " .

وقيل : " الصبرُ : ثباتُ القلبِ عند مواردِ الاضطراب " .

والصبرُ والجزعُ ضدان ، ولهذا يقابل أحدهما بالآخر ، قال تعالى عن أهل النار﴿ **سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ** ﴾ [إبراهيم : ٢١] .

والجزعُ قرين العجز وشقيقه ، والصبر قرين الكَيْس ومادتُه ؛ فلو سُئل الجزعُ : من أبوك ؟ لقال : العجز ، ولو سُئل الكيس من أبوك ؟ لقال : الصبرُ .

---

(١٧) انظر رقم (٨) فى نفس الباب .

والنفسُ مطيةُ العبد التى يسيرُ عليها إلىالجنة أو النار ، والصبرُ لها بمنزلة الخطام والزّمام للمطية ، فإن لم يكن للمطية خطامٌ ولا زمامٌ شردت فى كل مذهب .

وحُفِظَ من خُطَبِ الحجاج [١٨]: " اقدعوا [١٩] هذه النفوس ؛ فإنّها طلعة إلى كل سوء ، فرحم الله امرءًا جعل لنفسه خطاماً وزماماً ؛ فقادها بخطامها إلى طاعة الله ، وصرفها بزمامها عن معاصى الله ، فإن الصبر عن محارم الله أيسرُ من الصبرْ على عذابه " .

قلت : والنفسُ فيها قوتان : قوة الإقدام ، وقوة الإحجام ، فحقيقة الصبر أن يجعل قوة الإقدام مصروفة إلى ما ينفعه ، وقوة الإحجام إمساكاً عما يضره .

ومن الناس من تكون قوة صبره على فعل ما ينتفع به وثباته عليه أقوى من صبره عما يضره ، فيصبر على مشقةالطاعة ولا صبر له عن داعى هواه إلى ارتكاب ما نُهي عنه .

ومنهم من تكون قوة صبره عن المخالفات أقوى من صبره على مشقة الطاعات .

ومنهم من لا صبر له على هذا ولا على ذاك .

---

(١٨) هو الحجاج بن يوسف الثقفي الأمير ، وكان أمير المدينة ، ثم العراق ، وكان سفاكاً للدماء أهلكه الله فى رمضان ، وكان ظلوماً جباراً . انظر ترجمته فى " سير أعلام النبلاء " (٣٤٣/٤) .

(١٩) أي كفوها إلى ما تنظر إليه من الشهوات .

وأفضل الناس أصبرهم على النوعين ؛ فكثير من الناس يصبر على مكابدة قيام الليل فى الحر والبرد ، وعلى مشقة الصيام ، ولا يصبر عن نظرة محرمة . وكثير من الناس يصبر عن النظر ، وعن الالتفات إلى الصور ، ولا صبر له على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وجهاد الكفار والمنافقين ، بل هو أضعف شيء عن هذا وأعجزه ، وأكثرهم لا صبر له على واحدٍ من الأمرين ، وأقلهم أصبرهم فى الموضعين .

وقيل : " الصبرُ : ثباتُ باعثِ العقل والدين فى مقابلة باعث الهوى والشَّهوة " .

ومعنى هذا : أن الطبع يتقاضى ما يُحبُّ ، وباعث العقل والدين يمنعُ منه ، والحربُ قائمة بينهما وهو سِجالٌ ، ، ومعركُ هذا الحرب قلبُ العبد والصَّبرُ والشَّجاعةُ والثَّباتُ .



الباب الثالث

فى بيان أسماء الصبر بالإضافة إلى متعلقه

لما كان الصبرُ المحمودُ هو : الصبرُ النفساني الاختياري عن إجابة داعى الهوى المذموم ، كانت مراتبُه وأسماؤه بحسب متعلقه :

فإنه إن كان صبراً عن شهوة الفرج المحرمة سمى عِفّة ، وضدُها الفجورُ والزِنى والعُهْرُ .

وإن كان عن شهوة البطن وعدم التسرُع إلى الطعام أو تناول ما لا يجملُ منه سمى شَرَف نَفْسٍ وشِبعَ نَفس ، وسمى ضده شرهاً ودناءة ووضاعةَ نفسٍ .

وإن كان عن إظهار ما لا يحسنُ إظهاره من الكلام سُمِّى كتمان سرٍّ وضده إذاعة وإفشاء أو تهمة أو فحشاء أو سباً أو كذباً أو قذفاً .

وإن كان عن فضول العيش سمى زهداً ، وضده حرصاً .

وإن كان على قدر يكفى من الدنيا سمى قناعة ، وضدها الحرص أيضاً .

وإن كان عن إجابة داعى الغضب سمى حلماً ، وضده تسرعاً .

وإن كان عن إجابة داعى العجلة سمى وقاراً وثباتاً ، وضده طيشاً وخفّة .

وإن كان عن إجابة داعى الفرار والهرب سمى شجاعة ، وضده جبناً وخَوراً .

وإن كان عن إجابة داعي الانتقام سمي عفواً وصَفْحاً ، وضده انتقاماً وعقوبة .

وإن كان عن إجابة داعي الإمساك والبُخل سمي جوداً ، وضده بخلاً .

وإن كان عن داعى الطعام والشراب فى وقت مخصوص سمى صوماً .

وإن كان عن إجابة داعى العجز والكسل سمى كَيْساً .

وإن كان عن إجابة داعى إلقاء الكَلِّ على الناس وعدم حمل كَلِّهم سمى مروءة .

فله عند كل فعل وترك اسمٌ يخصه بحسب متعلقه ، والاسم الجامع لذلك كله الصبر .

وهذا يدُلُّك على ارتباط مقامات الدِّين كلِّها بالصبرِ من أولها إلى آخرها ، ويُسمَّى سماحة إذا تعلق ببذل الواجب والمستحب بالرضا والاختيار ، وعلى هذا جميع منازل الدين .



الباب الرابع

الفرق بين الصَّبر والتَّصَبُّر والاصطبار والمُصابرة

الفرق بين هذه الأسماء بحسب حال العبد فى نفسه وحاله مع غيره فإن حبس نفسه ومنعها عن إجابة داعى ما لا يحسنُ إن كان خُلُقاً له وملكة سمى صبراً . وإن كان بتكلف وتمرن وتجرع لمرارته سمى تصبراً ، كما يدل عليه هذا البناء لغة ، فإنه موضوع للتكلف ؛ كالتحلم والتشجع ، والتكرم ، والتحمل ، ونحوها .

وإذا تكلفه العبد واستدعاه صار سجية له ، كما فى الحديث عن النبي ﷺ أنه قال : " **ومن يتَصبَّر يُصبره الله** " [1]، وكذلك العبد يتكلف التَّعفف حتى يصير التَّعفف له سجية ، كذلك سائر الأخلاق ، وهى مسألة اختلف فيها الناس هل يمكن اكتساب واحدٍ منها أم التَّخلُّق لا يصير خلقاً أبداً ، كما قال الشاعر :

يراد من القلبِ نسيانُكم ... وتأبى الطباعُ على النَّاقِل

وقال آخر :

يا أيُّها المُتَحلّي غير شيمتِه ... إن التَّخَلُّقَ يأتى دونَه الخُلُقُ

وقال آخر [2] : فقبح التطبع شيمة المطبوع .

---

(١) قطعة من حديث أخرجه البخاري ، ومسلم . وانظره فى الباب الثاني .

(٢) هو سالم بن وابصه . وانظر كتاب " المستطرف " (١/١٣٣) .

وقالوا : وقد فرغ الله سبحانه وتعالى من الخُلُق والخَلْقِ ، والرزق والأجل .

وقالت طائفة أخرى : بل يمكن اكتساب الخُلُق كما يُكتسب العقل والحلم والجود والسخاء والشجاعة ، والوجود شاهد بذلك .

قالوا : والمزاولات تعطى الملكات .

ومعنى هذا : أن من زاول شيئاً واعتاده وتمرن عليه صار ملَكةً وسجيةً وطبيعةً .

قالوا : والعوائد تنقل الطبائع ، فلا يزال العبد يتكلف التصبر حتى يصير الصبرُ له سجية ، كما أنه لا يزال يتكلف الحلم والوقار والسكينة والثبات حتى تصير له أخلاقاً بمنزلة الطبائع .

قالوا : وقد جعل الله سبحانه وتعالى فى الإنسان قوة القبول والتعلم فنقل الطبائع عن مقتضياتها غير مستحيل ، غير أن هذا الانتقال قد يكون ضعيفاً فيعود العبد إلى طبعه بأدنى باعث ، وقد يكون قوياً ولكن لم ينقل الطبع فقد يعود إلى طبعه إذا قوى الباعث واشتد ، وقد يستحكم الانتقال بحيث يستحدث صاحبه طبعاً ثانيً ، فهذا لا يكاد يعود إلى طبعه الذى انتقل عنه .

وأما الاصطبارُ فهو أبلغُ من التَّصبُر ، فإنه افتعالٌ للصبرِ بمنزلة الاكتساب ، فلا يزالُ التَّصبرُ حتى يصير اصطباراً .

وأما المصابرة فهى مقاومة الخصم فى ميدان الصبر ؛ فإنها مفاعلة تستدعي وقوعها بين اثنين كالمشاتمة والمضاربة ، قال الله تعالى ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾ [آل عمران : ٢٠٠] ؛ فأمرهم بالصبر وهو على حال

الصابر في نفسه ، والمصابرة وهي حالة في الصبر مع خصمه ، والمرابطة وهي الثباتُ واللزوم والإقامة على الصبر والمصابرة ، فقد يصبر العبد ولا يصابرُ ولا يرابطُ ، وقد يصبرُ ويصابرُ ويرابطُ من غير تَعبُّد بالتقوى ، فأخبر سبحانه أنّ ملاكَ ذلك كلّه التقوى ، وأن الفلاح موقوفٌ عليها فقال : ﴿ **وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾ [آل عمران : ٢٠٠] ؛ فالمرابطة كما أنها لزوم الثّغر الذي يخاف هجوم منه في الظاهر فهي لزوم ثغرِ القلب ؛ لئلا يدخل منه الهوى والشيطان ؛ فيزيله عن مملكته .



الباب الخامس

فى أقسام الصَّبر باعتبار محلِّه

الصبرُ ضربان : ضربٌ بدني ، وضربٌ نفساني ، وكلٌّ منهما نوعان : اختياري ، واضطراري ، فهذه أربعة أقسام :

الأول : البدنى الاختياري ، كتعاطى الأعمال الشاقة على البدن اختياراً وإرادة .

الثانى : البدنى الاضطراري ، كالصبر على ألم الضرب والمرض والجراحات والبرد والحر وغير ذلك .

الثالث : النفسانى الاختياري ، كصبر النفس عن فعل ما لا يحسن فعله شرعاً ولا عقلاً .

الرابع : النفساني الاضطراري ، كصبر النفس عن محبوبها قهراً إذا حيل بينها وبينه .

فإذا عرفت هذه الأقسام فهى مختصة بنوع الإنسان دون البهائم ، ومشاركة البهائم فى نوعين منها وهما : صبر البدن والنفس الاضطراريين ، وقد يكون بعضُهما أقوى صبراً من الإنسان ، وإنما يتميز الإنسانُ عنها بالنوعين الاختياريين . وكثير من الناس تكون قوةُ صبره فى النوع الذى يشارك فيه البهائم لا فى النوع الذى يخصُّ الإنسان فيعدُّ صابراً وليس من الصابرين .

الصابر فى نفسه ، والمصابرة وهى حالة فى الصبر مع خصمه ، والمرابطة وهى الثباتُ واللزوم والإقامة على الصبر والمصابرة ، فقد يصبر العبد ولا يصابرُ ولا يرابطُ ، وقد يصبرُ ويصابرُ ويرابطُ من غير تَعبُّد بالتقوى ، فأخبر سبحانه أنّ ملاكَ ذلك كلّه التقوى ، وأن الفلاح موقوفٌ عليها فقال : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران : ٢٠٠] ؛ فالمرابطة كما أنها لزوم الثغر الذى يخاف هجوم منه فى الظاهر فهى لزوم ثغرِ القلب ؛ لئلا يدخل منه الهوى والشيطان ؛ فيزيله عن مملكته .



قال قتادة [١]: " خلق الله سبحانه الملائكة عقولاً بلا شهوات ، وخلق البهائم شهوات بلا عقول ، وخلق الإنسان وجعل له عقلاً وشهوة فمن تغلب عقله شهوته فهو مع الملائكة ، ومن غلبت شهوته عقله فهو كالبهائم " .

ولما خُلق الإنسانُ فى ابتداء أمره ناقصاً لم يُخلق فيه إلا شهوة الغذاء الذى هو محتاج إليه فصبره فى هذه الحال بمنزلة صبر البهائم وليس له قبل تمييزه قوة صبر الاختيار . فإذا ظهرت فيه شهوة اللعب استعد لقوة الصبر الاختياري على ضعفها فيه . فإذا تعلقت فيه شهوة النكاح ظهرت فيه قوة الصبر . وإذا تحرك سلطان العقل وقوي استعان بجيش الصبر ، ولكن هذا السلطان وجنده لا يستقلان بمقاومة سلطان الهوى وجنده ؛ فإن إشراق نور الهداية يلوح عليه عند أول سن التمييز وينمو على التدريج إلى سن البلوغ ، كما يبدو خيط الفجر ثم يتزايد ظهوره ، وكلها هداية قاصرة غير مستقلة بإدراك مصالح الآخرة ومضارها ، بل غايتها تعلقها ببعض مصالح الدنيا ومفاسدها ، فإذا طلعت عليه شمس النُبوّة والرسالة وأشرق عليه نورها رأى فى ضوئها تفصيل مصالح الدارين ومفاسدها فتلمّح العواقب ، ولبس لأمة الحرب وأخذ أنواع الأسلحة ، ووقع فى حومة الحرب بين داعى الطبع

---

(١) هو قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز بن عمرو بن ربيعة أبو الخطاب السدوسي البصرى ولد أكمه ، وكان إماماً فى الحديث ، وروى عنه عدد من الصحابة .

روى عن أنس بن مالك وعبد الله بن سرجس وأبي الطفيل وغيرهما ، وكان يلقب بالمصحف لشدة حفظه رحمه الله رحمة واسعة .

والهوى وداعى العقل والهدى ، والمنصور من نصره الله ، والمخذول من خذله ، ولا تضع الحربُ أوزارها حتى ينزل فى إحدى المنزلتين ، ويصير إلى ما خُلق له من الدّارين .



الباب السادس

فى أقسامه بحسب اختلاف قوته وضعفه ومقاومته لجيش الهوى وعجزه عنه

وباعث الدين بالإضافة إلى باعث الهوى له ثلاثة أحوال :

إحداها : أن يكون القهر والغلبة لداعي الدين فَيُردُّ جيشُ الهوى مغلولاً ، وهذا إنما يصلُ إليه بدوام الصبر ، والواصلون إلى هذه الرتبة هم المنصورون فى الدنيا والآخرة ، وهم الذين قالوا : ﴿ **رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا** ﴾ [فصلت : ٣٠] ، وهم الذين تقول لهم الملائكة عند الموت : ﴿ **أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (٣٠) نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ** ﴾ [فصلت : ٣٠ ، ٣١] ، وهم الذين نالوا معية الله مع الصابرين ، وهم الذين جاهدوا فى الله حق جهادة ، وخصَّهم بهدايته دون عداهم .

الحالة الثانية : أن تكون القوة والغلبة لداعى الهوى فيسقط منازعه باعث الدين بالكلية ، فيستسلم البائسُ للشيطان وجنده فيقودونه حيث شاءوا ، **وله معهم حالتان :**

إحداهما : إن يكون من جندهم وأتباعهم ، .وهذه حالُ العاجز الضعيف .

الثانية : أن يصير الشيطانُ من جنده ، وهذه حالُ الفاجرِ القوي المتسلط والمبتدع الداعية المتبوع ؛ كما قال قائل :

وكنتُ امرءًا من جندِ إبليس فارتقى بي الحالُ حتى صارَ إبليسُ من جُندي

فيصير إبليسُ وجندُه من أعوانه وأتباعه ، وهؤلاء الذين غلبت عليهم شقوتهم ، واشتروا الحياة الدنيا بالآخرة ، وإنما صاروا إلى هذه الحال لما أفلسوا من الصبر ، وهذه الحالة هى حالة جهد البلاء ، ودركِ الشقاء ، وسوء القضاء ، وشماتة الاعداء ، وجندُ أصحابها : المكرُ ، الخداعُ ، والأمانى الباطلة ، والغرورُ ، والتسويفُ بالعمل ، وطولُ الأمـل ، وإيثار العاجـل على الآجـل . وهى التى قـال في صاحبها النبي ﷺ : " **العاجزُ من أتبع نفسه هواها ، وتمنّى على الله الأماني** " [(١)] .

---

(١) **ضعيف** .

أخرجه أحمد (٤/١٢٤) ، الترمذى (٢٤٥٩) ، وقال هذا حديث حسن ، ابن ماجة (٤٢٦٠) ، الطيالسي فى " مسنده " (١٢١٨) ، الحاكم (١/٥٧ ، ٤/٢٥١) وقال صحيح على شرط البخارى ، وتعقبه الذهبي بقوله : لا والله أبو بكر واه ، ابن المبارك فى " الزهد " (١٧١) ، البغوى فى " شرح السنة " (٤١١٦ ، ٤١١٧) الطبرانى فى " الكبير " (٧١٤٣) ، وفى مسند " الشاميين " (١٤٨٥) أبو نعيم فى " الحلية " (١/٢٦٧ ، ٨/١٧٤) ، البيهقى فى " السنن الكبير " (٣/٣٦٩) ، وفى الأدب (٩٩١) كلهم من طرق عن أبي بكر ابن مريم عن حمزة بن حبيب عن شداد بن أوس مرفوعاً .

ومدار الحديث على أبي بكر بن أبي مريم وهو ضعيف .

وحفظه فى نفسه وماله وأهله بما نحفظ به نفوسنا وأهلينا وأموالنا ، وأن نصل ما بيننا وبين الرفيق فى السفر والحضر ، وأن نصل ما بيننا وبين عموم الناس بأن نُأتي إليهم ما نُحب أن يأتوه إلينا وأن نصل ما بيننا وبين الحفظة الكرام الكاتبين بان نكرمهم ونستحي منهم كما يستحي الرجل من جليسه ومن هو معه ممن يجلُّه ويكرمه ، فهذا كله مما أمر الله به أن يوصل .

ثم وصفهم بالحامل لهم على هذه الصلة وهو خشية وخوف سوء الحساب يوم المآب ، ولا يمكن لأحد قط أن يصل ما أمر الله بوصله إلا بخشيته ، ومتى ترحلت الخشية من القلب انقطعت هذه الصلة .

ثم جمع لهم سبحانه ذلك كله فى أصل واحد ، هو آخيةُ ذلك وقاعدته ومدارُه الذى يدور عليه وهو الصبر ؛ فقال : ﴿ **وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ** ﴾ [الرعد : ٢٢] ، فلم يكتف منهم بمجرد الصبر حتى يكون خالصاً لوجهه . ثم ذكر لهم ما يعينهم على الصبر وهى الصلاة فقال : ﴿ **وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ** ﴾ [الرعد : ٢٢] .

وهذان هما العونان على مصالح الدنيا والآخرة وهما الصبر والصلاة ، فقال : ﴿ **وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ** ﴾ [البقرة : ٤٥] ، وقال : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ** ﴾ [البقرة : ١٥٣] .

ثم ذكر سبحانه إحسانهم إلى غيرهم بالإنفاق عليهم سراً وعلانية ، فأحسنوا إلى أنفسهم بالصبر والصلاة ، وإلى غيرهم بالإنفاق عليهم .

ثم ذكر حالهم إذا جهل عليهم وأوذوا أنهم لا يقابلون ذلك بمثله بل يدرأون بالحسنة السيئة ، فيحسنون إلى من يسيء إليهم ، فقال :

يستعمله في رعاية الخنازير ، وعصر الخمر ، وحمل الصليب ، وهو بقهره عقله وتسليمه إلى أعدائه عند الله بمنزلة رجل قهر مسلماً ، وباعه للكفار ، وسلَّمه إليهم ، وجعله أسيراً عندهم .

فصل

وها هنا نكتةٌ يجبُ التَّفَطُّنُ لها ، وينبغي إخلاءُ القلبِ لتأملها ، وهو : أن هذا المغرور لما أذلَّ سلطان الله الذي أعزَّه به وشرَّفه ورفع به قدره وسلَّمه في يد أبغض أعدائه إليه ، وجعله أسيراً له تحت قهره وتصرفه وسلطانه ، سلَّط الله عليه من كان حقه هو أن يتسلط عليه فجعله تحت قهره وتصرفه وسلطانه ، يسخِّره حيث يشاء ويسْخَرُ منه جُنْدُه وحزبُه ، فكما أذلَّ سلطان الله وسلَّمه إلى عدُوه الذي أمره أن يتسلَّط هو عليه ويُذلَّه ويقهره ، فصار بمنزلة من سلَّم نفسه إلى أعدى عدوٍ له يسومُه سوء العذاب ، وقد كان بصدد أن يستأسره ويقهره ويشفي غيظه منه ، فلما ترك مقاومته ومحاربته واستسلم له سُلِّط عليه عقوبةً له ، قال الله تعالى : ﴿ **فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (٩٨) إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٩٩) إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ (١٠٠)** ﴾ [النحل : ٩٨ - ١٠٠] .

فإن قيل : فقد أثبت له على أوليائه ها هنا سلطاناً ، فكيف نفاه بقوله تعالى حاكياً عنه مقرراً له : ﴿ **وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي** ﴾ [إبراهيم : ٢٢] ، وقال تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ صَدَّقَ**

عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقاً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٣٠) وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ ﴾ [سبأ : ٢٠ ، ٢١] .

قيل : **السلطانُ الذى أثبته له عليهم غيرُ الذى نفاه من وجهين :**

أحدهما : أن السلطان الثابت هو سلطانُ التَّمكُّن منهم وتلاعبه بهم وسوقه إيّاهم كيف أراد بتمكينهم إيّاه من ذلك بطاعته وموالاته ، والسلطانُ الذى نفاه سلطان الحُجَّة فلم يكن لإبليس عليهم من حُجّة يتسلط بها غير أنه دعاهم فأجابوه بلا حُجَّة ولا برهان .

الثانى : أن الله لم يجعل له عليهم سلطاناً ابتداءً ألبتة ، ولكن هم سلَّطوه على أنفسهم بطاعته ، ودخولهم فى جملة جنده وحزبه ، فلم يتسلطن عليهم بقوته فإنّ كيده ضعيف ، وإنما تسلطن عليهم بإرادتهم واختيارهم .

والمقصود : أن من قصد أعظم أوليائه وأحبابه ونُصحائه فأخذه وأخذ أولاده وحاشيته وسلّمهم إلى عدّوه كان من عقوبته أن يُسلط عليه ذلك العدو نفسه .

الحالة الثالثة : فى أن يكون الحرب سجالاً ودُولاً بين الجندين ، فتارة له وتارة عليه ، وتكثر نوبات الانتصار وتقلُّ ، وهذه حالُ أكثر المؤمنين الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيّئاً .

وتكون الحالُ يوم القيامة موازنة لهذه الأحوال الثلاث سواء بسواء فمن الناس من يدخل الجنة ولا يدخل النار ، ومنهم من يدخل النار ولا يدخل الجنة ، ومنهم من يدخل النار ثم يدخل الجنة .

وهذه الأحوال الثلاث هى أحوال الناس فى الصحة والمرض ، فمن تقاوم قوته داءه فتقهره ويكون السلطان للقوة ، ومنهم من يقهر داؤه قوته ويكون السلطان للداء ، ومنهم من الحرب بيد دائه وقوته نوباً ، فهو متردد بين الصحة والمرض .

فصل

ومن الناس من يصبر بجهد ومشقة ، ومنهم من يصبر بأدنى حمل على النفس ، ومثال **الأول** : كرجل صارع رجلاً شديداً فلا يقهره إلا بتعب ومشقة .

والثانى : كمن صارع رجلاً ضعيفاً فإنه يصرعه بغير مشقة . فهكذا تكون المصارعة بين جنود الرحمن وجنود الشيطان ، ومن صرع جند الشيطان صرع الشيطان .

قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه : " لقى رجل من الإنس رجلاً من الجن ، فصارعه ، فصرعه الإنسى ، فقال : ما لي أراك ضئيلاً ، فقال : إنى من بينهم لضليع " فقالوا : أهو عمر بن الخطاب ؟ فقال : " من ترونه غير عمر " ؟ (٢) .

---

(٢) إسناده حسن .

أخرجه ابن أبي الدنيـا فى " مكائـد الشيطان " (٦٣) ، البيهقى فى " دلائل النبوة " (١٢٣/٧) كلاهما من طريق عاصم بن أبي النجود عن زر بن حبيش عن ابن مسعود .

وقال بعض الصحابة : " إن المؤمن ينضى [٣] شيطانه كما ينضى أحدهم بعيره في السفر " [٤] .

وذكر ابن أبي الدنيا عن بعض السلف : " أن شيطاناً لقى شيطاناً فقال : ما لى أراك شحباً ؟ فقال : إنى مع رجل إن أكل ذكر اسم لله

= وهذا إسناد حسن من أجل عاصم بن أبي النجود وهو حسن الحديث ، وأخرجه الطبرانى فى " الكبير " (١٨٣/٩) من طريق المسعودى ثنا عاصم عن شقيق قال : قال عبد الله .

ومن طريق الشعبي عن عبد الله بن مسعود وإسناده منقطع ، الشعبي لم يسمع من ابن مسعود .

وأورده الهيثمي فى " مجمع الزوائد " (٧٠/٩ - ٧١) وقال رواهما الطبراني بإسنادين ورجاله الرواية الثانية رجال الصحيح ، إلا أن الشعبي لم يسمع من ابن مسعود ولكنه أدركه ورواه ، الطريق الأولى فيهم المسعودى وهو ثقة ولكنه اختلط ، فبان صحة رواية المسعودى برواية الشعبي . والله أعلم .

(٣) ينضى : أي يتعبه ويذله .

(٤) **إسناده حسن .**

أخرجه أحمد (٣٨٠/٢) ، ابن أبي الدنيا فى " مكائد الشيطان " (٢٠) من طريق قتيبه بن سعيد عن عبد الله بن لهيعة عن موسى بن وردان عن أبي هريرة مرفوعاً ، وأورده الهيثمي فى " مجمع الزوائد " (١١٦/١) وقال رواه أحمد وفيه ابن لهيعة .

قلت : وهذا إسناد حسن فرواية قتيبه بن سعيد عن ابن لهيعة قال الإمام أحمد كما نقل عنه الإمام المزى فى تهذيب الكمال رواية قتيبه عن ابن لهيعه فى الصحاح .

وأورده السيوطى فى " الجامع الصحيح " ونسبه إلى الحكيم الترمذى .

فلا آكل معه ، وإن شرب ذكر اسم الله فلا أشرب معه ، وإن دخل بيته ذكر اسم الله فأبيت خارج الدار ، فقال الآخر : لكننى مع رجل إن أكل لم يسم الله فآكل أنا وهو جميعاً ، وإن شرب لم يسم الله فأشرب معه ، وإن دخل داره لم يسم الله فأدخل معه ، وإن جامع امرأته لم يسم الله فأجامعها " (٥) .

فمن اعتاد الصـــبر هابه عدوُّه ، ومن عز عليه الصـــبرُ طمع فيه عدوُّه ، وأوشك أن ينال منه غرضه .



---

(٥) **إسناده ضعيف .**

أخرجه عبد الرزاق فى مصنفه (١٩٥٦٠) ، البيهقي فى " شعب الإيمان " (٧٥/٥) كلاهما من طريق معمر عن أبي إسحاق الهمدانى عن أبي الأحوص عن عبد الله بن مسعود .

قلت : وهذا إسناد رجاله ثقات ، إلا أن يعكر على الإسناد عنعنة أبي إسحاق السبيعى فهو مدلس ولم يصرح بالتحديث .

الباب السابع

بيان أقسامه باعتبار متعلقه

الصبرُ باعتبار متعلقه ثلاثة أقسام :

صبرٌ على الأوامر والطاعات حتى يؤديها . وصبرٌ على المناهي والمخالفات حتى لا يقع فيها . وصبرٌ على الأقدار والأقضية حتى لا يتسخطها .

وهذه الأنـــواع الثلاثـــة هى التى قال فيها الشيخ عبد القادر (١) فى " فتوح الغيب " : " لا بدّ من أمر يفعله ، ونهي يجتنبه ، وقدر يصبرُ عليه " .

وهذا الكلام يتعلق بطرفين : طرف من جهة الربِّ تعالى ، وطرف من جهة العبد .

فأمّا الطرفُ الذى من جهة الربِّ ؛ فهو : أنَّ الله تعالى له على عبده حُكمان : حكمٌ شرعيٌ دينيٌ ، وحكمٌ كونيٌ قدريٌ ؛ فالشرعي متعلق بأمره ، والكونى متعلق بخلقه ، وهو سبحانه له الخلقُ والأمرُ .

وحكمه الدينى الطلبي نوعان بحسب المطلوب ؛ فإن المطلوب إن كان محبوباً له فالمطلوب فعلُه واجباً وإما مستحباً ، ولا يتمُّ ذلك

---

(١) هو الشيخ العالم الزاهد العارف القدوة شيخ الإسلام ، علم الأولياء محيي الدين أبو حمد عبد القاهر بن أبي صالح عبد الله بن جنكى دوست الحنبلي شيخ بغداد . انظر ترجمته فى " سير أعلام النبلاء " (٢٠/٤٣٩) .

إلا بالصَّبر ، وإن كان مبغوضاً له فالمطلوب تركه إما تحريماً وإما كراهة وذلك أيضاً موقوفاً على الصبر . فهذا حكمه الديني الشرعي .

وأما حكمه الكوني فهو ما يقضيه ويقدره على العبد من المصائب التي لا صنع له فيها ، ففرضُه الصبر عليها ، وفي وجوب الرضا بها قولان للعلماء وهما وجهان في مذهب أحمد ، أصحهما : أنه مستحب . فمرجع الدين كله إلى هذه القواعد الثلاث : فعل المأمور ، وترك المحظور ، والصبر على المقدور .

وأما الذي من جهة العبد فإنه لا ينفك عن هذه الثلاث حتى يسقط عنه التكليف ، فقيام عبودية الأمر والنهي والقدر على ساق الصبر لا تستوي إلا عليه ، كما لا تستوي السنبلة إلا على ساقها .

فالصبر متعلق بالمأمور والمحظور والمقدور بالخلق والأمر ، والشَّيْخُ دائماً يحوم حول هذه الأصول الثلاثة ، كقوله : يا بُني افعل المأمور ، واجتنب المحظور ، واصبر على المقدور ، وهذه الثلاثة هي التي أوصى بها لقمان لابنه في قوله : ﴿ **يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ** ﴾ [لقمان : ١٧] فأمره بالمعروف يتناول فعله بنفسه وأمر غيره به ، وكذلك نهيه عن المنكر أما من حيث إطلاق اللفظ فتدخل نفسه وغيره فيه ، وأما من حيث اللزوم الشرعي فإن الآمر الناهي لا يستقيم له أمره ونهيه حتى يكون أول مأمور ومنهي ، وذكر سبحانه هذه الأصول الثلاثة في قوله : ﴿ **أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ (١٩) الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ (٢٠) وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ (٢١)**

﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد : ١٩ – ٢٢] .

فجمع لهم مقامات الإسلام والإيمان في هذه الأوصاف فوصفهم بالوفاء بعهده الذي عاهدهم عليه ، وذلك يعمُّ أمره ونهيه الذي عهده إليهم بينهم وبينه وبينهم وبين خلقه ، ثم أخبر عن استمرارهم بالوفاء به بأنهم لا يقع منهم نقضُه ، ثم وصفهم بأنهم يصلون ما أمر الله به أن يوصل ، ويدخل في هذا ظاهر الدين وباطنه وحقُّ الله وخلقه ، فيصلون ما بينهم وبين ربهم بعبوديته وحده لا شريك له ، والقيام بطاعته والإنابة إليه والتوكل عليه وحبه وخوفه ورجائه والتوبة إليه والاستكانة له والخضوع والذّلة له والاعتراف له بنعمته وشكره عليها والإقرار بالخطيئة والاستغفار منها ، فهذه هي الوصلةُ بين الرَّبِّ والعبدِ ، وقد أمر اللهُ بهذه الأسبابِ التي بينه وبين عبده أن توصلَ .

وأمر أن نوصل ما بيننا وبين رسوله بالإيمان به ، وتصديقه وتحكيمه في كل شيء ، والرضا لحكمه والتسليم له ، وتقديم محبته على محبة النفس والولد والناس أجمعين صلوات الله وسلامه عليه ، فدخل في ذلك القيام بحقه وحق رسوله ، وأمر أن نصل ما بيننا وبين الوالدين والأقربين بالبر والصلة ، فإنه أمر ببر الوالدين وصلة الأرحام وذلك مما أمر به أن يوصل ، وأمر أن نصل ما بيننا وبين الزوجات بالقيام بحقوقهن ومعاشرتهم بالمعروف ، وأمر ان نصل بيننا وبين الأرقاء بأن نطعمهم مما نأكل ، ونكسوهم مما نكتسي ولا نكلفهم فوق طاقتهم ، وأن نصل ما بيننا وبين الجار القريب والبعيد بمراعاة حقه

وحفظه فى نفسه وماله وأهله بما نحفظ به نفوسنا وأهلينا وأموالنا ، وأن نصل ما بيننا وبين الرفيق فى السفر والحضر ، وأن نصل ما بيننا وبين عموم الناس بأن نُأتي إليهم ما نُحب أن يأتوه إلينا وأن نصل ما بيننا وبين الحفظة الكرام الكاتبين بان نكرمهم ونستحي منهم كما يستحي الرجل من جليسه ومن هو معه ممن يجلُه ويكرمه ، فهذا كله مما أمر الله به أن يوصل .

ثم وصفهم بالحامل لهم على هذه الصلة وهو خشية وخوف سوء الحساب يوم المآب ، ولا يمكن لأحد قط أن يصل ما أمر الله بوصله إلا بخشيته ، ومتى ترحلت الخشية من القلب انقطعت هذه الصلة .

ثم جمع لهم سبحانه ذلك كله فى أصل واحد ، هو آخيةُ ذلك وقاعدته ومدارُه الذى يدور عليه وهو الصبر ؛ فقال : ﴿ **وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ** ﴾ [الرعد : ٢٢] ، فلم يكتف منهم بمجرد الصبر حتى يكون خالصاً لوجهه . ثم ذكر لهم ما يعينهم على الصبر وهى الصلاة فقال : ﴿ **وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ** ﴾ [الرعد : ٢٢] .

وهذان هما العونان على مصالح الدنيا والآخرة وهما الصبر والصلاة ، فقال : ﴿ **وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ** ﴾ [البقرة : ٤٥] ، وقال : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ** ﴾ [البقرة : ١٥٣] .

ثم ذكر سبحانه إحسانهم إلى غيرهم بالإنفاق عليهم سراً وعلانية ، فأحسنوا إلى أنفسهم بالصبر والصلاة ، وإلى غيرهم بالإنفاق عليهم .

ثم ذكر حالهم إذا جهل عليهم وأوذوا أنهم لا يقابلون ذلك بمثله بل يدرأون بالحسنة السيئة ، فيحسنون إلى من يسىء إليهم ، فقال :

﴿ **وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ** ﴾ [الرعد : ٢٢] وقد فُسِّر هذا الدرءُ بأنهم يدفعون بالذنب الحسنة بعده ، كما قال تعالى : ﴿ **إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ** ﴾ [هود : ١١٤] ، وقال النبي ﷺ : " **أتبع السَّيئة الحسنة تمحها** " (٢) .

---

(٢) **صحيح بمجموع طرقه .**

أخرجه أحمد (٢٢٨/٥) ، الترمذى (١٩٨٧) هذا حديث حسن صحيح ، وابن أبى شيبة فى " مصنفه " (٥١٦/٨ – ٥١٧) ، وهناد بن السرى فى" الزهد " (١٠٧٣) ، الطبراني فى " الكبير " (٢٩٦/٢٠) ، الأوسط (٣٧٧٩) ، " الصغير " (٥٣٠) ، ووكيع فى " الزهد " (٣١٨/١ – ٣١٩) ، أبو نعيم فى " الحلية " (٣٧٦/٤) ، الحاكم (٥٤/١) وقال هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، والبيهقى فى " شعب الإيمان " والخطيب البغدادى فى " الفقيه والتفقه " (٤٧/٢) كلهم من طرق عن حبيب ابن أبي ثابت عن ميمون بن أبي شبيب عن معاذ بن جبل .

قلت : وهذا إسناد معل بعلتين :

١- ميمون بن أبي شبيب لم يسمع من معاذ بن جبل .

٢- حبيب بن أبي ثابت مدلس ولم يصرح بالتحديث .

وأخرجه أحمد (١٨٥/٥) ، والدارمى فى "سننه " (٢٧٩٤) ، وأبو نعيم فى " الحلية " (٣٧٨/٤) ، والطبراني فى " مكارم الأخلاق " (١٣) ، الخرائطى فى " مكارم الأخلاق " (رقم ٥) ، البيهقى فى " الزهد " (٨٦٩) كلهم من طرق عن حبيب عن ميمون بن شبيب عن أبي ذر بدلاً من معاذ .

وسواء كان من حديث معاذ ، أو حديث أبي ذر فالإسناد منقطع ، لأن ميمون ابن أبي شبيب لم يسمع من أبي ذر ولا من معاذ . وبالجملة فالحديث صحيح بمجموع طرقه . والله أعلم .

والتحقيق : أن الآية تعمُّ النوعين .

والمقصود : أن هذه الآيات تناولت مقامات الإسلام ، واشتملت على فعل المأمور وترك المحظور والصبر على المقدور ، وقد ذكر تعالى هذه الأصول في قوله : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾ [آل عمران : ٢٠٠] ، فكل موضع قُرِن فيه التقوى بالصَّبر اشتمل على الأمور الثلاثة ، فإن حقيقة التقوى فعلُ المأمور وترك المحظور .



= وللحديث شواهد من حديث جابر بن عبد الله كما عند ابن أبي شيبة فى " مصنفه " (٥١٧/٨) من طريق وكيع عن إسماعيل عن حكيم عن جابر .

ومن حديث أنس بن مالك كما عند ابن الأبار فى معجمه (صـــ ٥٠ –٥١) من طريق حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس بن مالك .

الباب الثامن

فى انقسامه باعتبار تعلق الأحكام الخمسة به

وهو ينقسم بهذا الاعتبار إلى واجبٍ ، ومندوبٍ ، ومحظورٍ ، ومكروهٍ ، ومباحٍ .

فالصبر الواجب ثلاثة أنواع :

أحدهـــا : الصبرُ على المحرمات .

والثانـــى : الصبرُ على أداء الواجبات .

والثالث : الصبرُ على المصائب التى لا صنع للعبد فيها كالأمراض ، والفقر ، وغيرها .

وأما الصبر المندوب ، **فهو :** الصبر على المكروهات ، والصبر على المستحبات ، والصبر على مقابلة الجاني بمثل ما فعل .

وأما المحظور فأنواع :

احدها : الصبر على الطعام والشراب حتى يموت ، وكذلك الصبر على الميتة والدم ولحم الخنزير عند المخمصة [١] ، حرام إذا خاف بتركه الموت .

قال طاووس وبعده الإمام أحمد : " من اضطر إلى أكل الميتة والدم فلم يأكل فمات دخل النار " .

---

(١) أى الجوع الشديد .

فإن قيل : فما تقولون فى الصبر على المسألـة فى هذه الحـال ؟ قيل : اختلف فى حكمه هل هو حـرام أم مبـاح ؟ على قولين هما لأصحاب أحمد . وظاهر نصهما : أن الصبر على المسألة جائز ، فإنه قيل له : إذا خاف إن لم يسأل أن يموت ، فقال : لا يموت ، يأتيه الله برزقه ، أو كما قال . فأحمد منع وقوع المسألة ، متى علم الله ضرورته وصدقه فى ترك المسألة قيض الله له رزقاً .

وقال كثير من أصحاب أحمد والشافعي : يجب عليه المسألة ، وإن لم يسأل كان عاصياً ، لأن المسألة تتضمن نجاته من التلف .

فصل

من صبر المحظور صبر الإنسان على ما يقصد هلاكه من سبع أو حيات أو حريق أو ماء أو كافر يريد قتله ، بخلاف استسلامه وصبره فى الفتنة وقتال المسلمين ، فإنه مباح له بل يستحب كما دلت عليه النصوص الكثيرة .

وقد سُئل النبي ﷺ عن هذه المسألة بعينها ؛ فقال : " **كن خير ابني آدم** " (٢) .

---

(٢) **صحيح .**

أخرجه أحمد (١/١٨٥ ، ١٦٨ - ١٦٩) ، أبو داود (٤٢٥٧) ، الترمذى (٢١٩٤) وقال هذا حديث حسن ، وروى بعضهم هذا الحديث عن ليث بن سعد ، وزاد فى الإسناد رجلاً ، وقد روى هذا الحديث عن سعد عن النبي ﷺ من غير هذا الوجه ، أبو يعلي فى " مسنده " (٧٥٠) ، والهيثم بن كليب فى " مسنده " (١٢٦) ، والحاكم (٤/٤٤١) وقال : وهذا الحديث صحيح على شرط مسلم ، ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي .

وفى لفظ : " **كن عبد الله المقتول ، ولا تكن عبد الله القاتل** " (٣) وفى لفظ : " **دعه يبوء بإثمه وإثمك** " (٤) ، وفى لفظ آخر : " **فإن بهرك شعاع السيف فضع يدك على وجهك** " (٥) .

= وله شاهد من حديث أبي هريرة كما عند البخارى فى " صحيحه " (٣٦٠١) مسلم (٢٨٨٦) .

وعند مسلم من حديث أبي بكرة (٢٨٨٧) ، وأحمد (٤٨/٥) وعبد الرزاق فى " مصنفه " (٨٥٧٨) .

(٣) **صحيح لشواهده .**

أخرجه أحمد (١١٠/٥) ، وابن أبي شيبة فى " مصنفه " (٣٠٨/١٥ -٣٠٩) وابن سعد فى طبقاته (٢٤٥/٥) ، الدارقطنى فى " سننه " (١٣٢/٣) ، أبو يعلي فى " مسنده " (٧٢١٥) ، الطبراني فى " الكبير " (٣٦٣٠) كلهم من طرق عن حميد بن هلال عن رجل من بنى عبد القيس كان مع الخورج ثم فارقهم قال : دخلوا قرية فخرج عبد الله بن خباب الحديث .

وأخرجه الحاكم (٢٨١/٣) من طريق على بن زيد عن أبي عثمان النهدى عن خالد بن عرفطه قال : قال رسول الله ﷺ .

وفى إسناده على بن زيد بن جدعان سيء الحفظ .

وشهد له حديث سعد بن أبي وقاص الذى قبله ، وحديث أبي هريرة الذى أخرجه البخارى ومسلم وتقدم الكلام عليه .

(٤) قطعة من حديث أخرجه مسلم فى كتاب " الفتن وأشراط الساعة " (٢٨٨٧) من حديث أبي بكرة .

(٥) **صحيح .**

أخرجه أحمد ١٦٣/٠٥) أبو داود (٤٢٦١) ، ابن ماجة (٣٩٥٨) ، ابن أبي شيبة فى " مصنفه " (١٢/١٥-١٣) ، عبد الرزاق فى " مصنفه " (٢٠٧٢٩) ، أبو داود الطيالسي فى " مسنده " (٤٦١) ، البزاركما فى " الأستار"(٣٩٢٨) =

وقد حكى الله استسلام خير ابنى آدم وأثنى عليه بذلك ، وهذا بخلاف قتل الكافر ، فإنه يجب عليه الدفع عن نفسه لأن من مقصود الجهاد أن يدفع عن نفسه وعن المسلمين .

وأما قتال اللصوص فهل يجب فيه الدفع أو يجوز فيه الاستسلام ؟ فإن كان عن معصوم غيره وجب ، وإن كان عن نفسه فظاهر نصوصه أنه لا يجب الدفع ، وأوجبه بعضهم ، ولا يجوز الصبر على من قصده أو حرمته بالفاحشة .

وأما الصبر المكروه : فله أمثلة :

أحدها : أن يصبر عن الطعام والشراب واللبس وجماع أهله حتى يتضرر بذلك بدنه .

الثانى : صبره عن جماع زوجته إذا احتاجت إلى ذلك ولم يتضرر به .

الثالث : صبره على المكروه .

الرابع : صبره عن فعل المستحب .

وأما صبر المباح ، فهو : الصبر عن كل فعل مستوى الطرفين خُيِّر بين فعله وتركه والصبر عليه .

= ابن حبان كما فى " الإحسان " (٥٩٦٠ ، ٦٦٨٥) ، الحاكم (١٥٦/٢) ، (٤٢٤/٤) ، والبيهقى فى " السنن الكبير" (١٦٩/٨ - ١٩١) ، أبو نعيم فى " الحلية " (٢٥١/٨) كلهم من طرق عبد الله بن الصامت عن أبي ذر .

وهذا إسناد على شرط مسلم .

وبالجملة ؛ فالصبر على الواجب واجب ، وعن الواجب حرام ، والصبر عن الحرام واجب وعليه حرام ، والصبر على المستحب مستحب وعنه مكروه ، والصبر عن المكروه مستحب وعليه مكروه ، والصبر على المباح مباح ، والله أعلم .



الباب التاسع

في بيان تفاوت درجات الصبر

الصبر كما تقدم نوعان : اختياري ، واضطراري .

والاختيارى أكمل من الاضطرارى ؛ فإن الاضطراري يشترك فيه الناس ، ويتأتى ممن لا يتأتى من الصبر الاختيارى ، ولذلك كان صبر يوسف الصّديق ﷺ عن مطاوعة امرأة العزيز وصبره على ما ناله في ذلك من الحبس والمكروه أعظم من صبره على ما ناله من إخوته لمّا ألقوه في الجب (١) وفرّقوا بينه وبين أبيه وباعوه بيع العبد . ومن الصبر الثاني إنشاءُ الله له ما أنشـأه من العـزة والرّفعـة والمُلك والتمكين في الأرض .

وكذلك صبر الخليل ﷺ والكليم وصبرُ نوح وصبرُ المسيح وصبر خاتم الأنبياء وسيّد ولد آدم عليهم الصلاة والسلام ، كان صبراً على الدعوة على الله ومجاهدة أعداء الله ؛ ولهذا سمّاهم الله أولي العزم ، وأمر رسوله أن يصبر صبرهم فقال : ﴿ **اصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ** ﴾ [الأحقاف : ٣٥] وأولوا العزم هم المذكورون في قوله تعالى : ﴿ **شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى** ﴾ [الشورى: ١٣] وفي قوله : ﴿ **وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ** ﴾ [الأحزاب : ٧] كذلك قال ابن عباس وغيره من السلف .

---

(١) البئر .

ونهاه سبحانه أن يتشبه بصاحب الحوت حيث لم يصبر صبر أولي العزم فقال : ﴿ **فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ** ﴾ [القلم : ٤٨] .

وههنا سؤال نافع وهو أن يقال : ما العامل في الظرف وهو قوله : ﴿ **إِذْ نَادَى** ﴾ ولا يمكن أن يكون الفعل المنهي عنه ، إذ يصير المعنى لا تكن مثله في ندائه ، وقد أثنى الله سبحانه عليه في هذا النداء ، فأخبر أنّه نجاه به ، فقال : ﴿ **وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (٨٧) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ (٨٨)** ﴾ [الأنبياء : ٨٧ ، ٨٨] .

وفي الترمذي وغيره عن النبي ﷺ أنه قال : " **دعوةُ اخي ذي النّون إذ دعا بها في بطن الحوت ، ما دعا بها مكروبٌ إلا فرّج الله عنه : لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين** " (٢)

---

(٢) **إسناده صحيح .**

أخرجه أحمد (١/١٧٠) ، الترمذي (٣٥٠٥) ، النسائي في " عمل اليوم والليلة " (٦٥٥ ،٦٥٦) ، أبو يعلي في " مسنده " (٧٠٧) ، الحاكم (١/٥٠٥ ، ٢/ ٣٨٢) ، البزار كما في " كشف الأستار " (٣١٤٩ ، ٣١٥٠) ، الطبراني في " الدعاء " (٦٢٤) والبيهقي في " شعب الإيمان " (٦٢٠) كلهم من طرق عن إسماعيل بن عمر عن يونس ابن أبي إسحاق الهمداني حدثنا إبراهيم بن محمد ابن سعد حدثني والدي محمد عن أبيه .

فلا يمكن أن يُنهى عن التشبه به فى الدعوة ، وهى النداء الذى نادى به ربه ، وإنما نهى عن التشبه به فى السبب الذى أفضى به إلى هذه المناداة وهى مغاضبته التى أفضت به إلى حبسه فى بطن الحوت وشدة ذلك عليه حتى نادى ربه وهو مكظوم . والكظيم والكاظم : الذى قد امتلأ غيظاً وغضباً وهماً وحزناً ، وكظم عليه فلم يخرجه .

فإن قيل : وعلى ذلك ، فما العامل فى الظرف ؟ قيل : ما فى صاحب الحوت من معنى الفعل .

فإن قيل : فالسؤال بعد قائم ، فإنه إذا قيد المنهي بقيد أو زمن كان داخلاً فى حيز النهي ، فإن كان المعنى : لا تكن مثل صاحب الحوت فى هذه الحال أو هذا الوقت كان نهياً عن تلك الحالة . قيل : لما كان نداؤه مسبباً عن كونه صاحب الحوت ، فنهى أن يشبه به فى تلك الحالة التى أفضت به إلى صحبته الحوت والنداء وهى ضعف العزيمة والصبر لحكمه تعالى . ولم يقل تعالى : ولا تكن كصاحب الحوت إذا ذهب مغاضباً ، فالتقمه الحوت ؛ فنادى . بل طوى القصة واختصرها وأحال بها على ذكرها فى الموضع الآخر ، واكتفى بغايتها وما انتهت إليه .

فإن قيل : فما منعك بتعويض الظرف بنفس الفعل المنهى عنه ، أى : لا تكن مثله فى ندائه وهو ممتلئ غيظاً وهماً وغماً بل يكون نداؤك نداء راض بما قضى عليه ، قد تلقاه بالرضا والتسليم وسعة الصدر ، لا نداء كظيم ؟ . قيل : هذا المعنى وإن كان صحيحاً إلا أن النهي لم يقع عن التشبه به فى مجرده وإنما نُهي عن التشبه به فى الحال التى حملته على ذهابه مغاضباً حتى سُجن فى بطن الحوت ،

ويدل عليه قوله تعالى : ﴿ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ ﴾ [القلم : ٤٨] ، ثم قال : ﴿ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ ﴾ [القلم : ٤٨] ، أى فى ضعف صبره لحكم ربه ، فإن الحال التى نُهى عنها ضد الحالة التى أُمر بها .

فإن قيل : فما منعك أن تصبر حيث أمر بالصبر لحكمه الكوني القدري الذى يقدره عليه ، ولا تكن كصاحب الحوت الذى لم يصبر عليه بل نادى وهو كظيم لكشفه ، فلم يصبر على احتماله والسكون تحته ؟ . قيل : منع من ذلك أن الله سبحانه أثنى على يونس وغيره من أنبيائه بسؤالهم إيّاه كشف ما بهم من الضُر ، وقد أثنى عليه سبحانه بذلك فى قوله : ﴿ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِباً فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (٨٧) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنبياء : ٨٧ – ٨٨] . فكيف يُنهى عن التشبه به فيما يثنى عليه ويمدحه به ، وكذلك أثنى على أيوب بقوله : ﴿ مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ [الأنبياء : ٨٣] وعلى يعقوب فى قوله : ﴿ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ ﴾ [يوسف : ٨٦] ، وعلى موسى : ﴿ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ [القصص : ٢٤] ، وقد شكا إليه خاتم أنبيائه ورسله فقال : " **اللهم أشكو إليك ضعف قوتي وقلة حيلتي** " الحديث [٣] .

فالشكوى إليه سبحانه لا تنافى الصبر الجميل بل إعراض عبده عن الشكوى إلى غيره جملة وجعل الشكوى إليه وحده هو الصبر ، والله تعالى يبتلي عبده ليسمع شكواه وتضرعه ودعاءه ، وقد ذم سبحانه من لم يتضرع إليه ولم يستكن إليه وقت البلاء ؛ كما قال تعالى :

---

(٣) تقدم الكلام عليه فى الباب الثاني .

﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴾ [المؤمنون : ٧٦] .

والعبد أضعف من أن يتجلد على ربه ، والرب تعالى لم يُرد من عبده أن يتجلد عليه ، بل أراد منه أن يستكين له ويتضرع إليه ، وهو تعالى يمقت من يشكوه إلى خلقه ، ويحب من يشكو ما به إليه .

وقيل لبعضهم : كيف تشتكى إليه ما ليس يخفى عليه ؟ فقال : ربي يرضى ذُل العبد إليه .

والمقصود : أنه سبحانه أمر أن يصبر صبر أولي العزم الذين صبروا لحكمه اخياراً وهذا أكمل الصبر ، ولهذا دارت قصة الشفاعة يوم القيامة على هؤلاء حتى ردها إلى أفضلهم وخيرهم وأصبرهم لحكم الله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

فإن قيل : أى أنواع الصبر الثلاثة أكمل : الصبر على المأمور ، أم الصبر على المحظور ، أم الصبر على المقدور ؟ قيل : الصبر المتعلق بالتكليف ، وهو : الأمر والنهى أفضل من الصبر على مجرد القدر ؛ فإن هذا الصبر يأتى به البرُّ والفاجر ، والمؤمن والكافر ، فلا بد لكل أحد من الصبر على القدر اختياراً واضطراراً ، وأما الصبر على الأوامر والنواهي فصبر أتباع الرسل ، وأعظمهم إتباعاً أصبرهم فى ذلك ، وكل صبر فى محله وموضعه أفضل ، فالصبر عن الحرام فى محله أفضل ، وعلى الطاعة فى محلها أفضل .

فإن قيل : أى الصبرين أحب إلى الله : صبر من يصبر على أوامره أم صبر من يصبر عن محارمه ؟ قيل : هذا موضع تنازع فيه الناس .

فقالت طائفة : الصبر عن المخالفات أفضل ، لأنه أشق وأصعب ، فإن أعمال البر يفعلها البَرُّ والفاجر ، ولا يصبر عن المخالفات إلا الصديقون .

قالوا : ولأن الصبر عن المحرمات صبر على مخالفة هوى النفس وهو أشق شيء وأفضله .

قالوا : ولأن ترك المحبوب الذى تحبه النفوس دليل على أن من ترك لأجله أحب إليه من نفسه وهواه ، بخلاف فعل ما يحبه المحبوب فإنه لا يستلزم ذلك .

قالوا : وأيضاً ، فالمروءة والفتوة كلها فى هذا الصبر .

قال الإمام أحمد : " الفتوة ترك ما تهوى لما تخشى " [٤] فمروءة العبد وفتوته بحسب هذا الصبر .

قالوا : وليس العجب ممن يصبر على الأوامر ، فإن أكثرها محبوبات للنفوس السليمة لما فيها من العدل والإحسان والإخلاص والبر ، وهذه محاب للنفوس الفاضلة الزكية ، بل العجب ممن يصبر عن المناهي التى أكثرها محاب النفوس ، فيترك المحبوب العاجل فى هذه الدار للمحبوب الآجل فى دار أخرى ، والنفس موكلة بحب العاجل فصبرها عنه مخالف لطبعها .

قالوا : ولأن المناهى لها أربعة دواع تدعو إليها : نفس الإنسان ، وشيطانه ، وهواه ، ودنياه ؛ فلا يتركها حتى يجاهد هذه الأربعة ، وذلك أشق على النفوس وأمرّه .

---

(٤) الرسالة القشيرية (صـ ٢٢٧) .

قالوا : فالمناهي من باب حمية النفوس عن مشتهياتها ولذاتها ، والحمية مع قيام داعي التناول وقوته من أصعب شيء وأشقه .

قالوا : ولذلك كان قربان باب النهي مسدوداً كله ، وباب الأمر إنما يُفعل منه المستطاع ، كما قال النبي ﷺ : " **إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم وما نهيتكم عنه فاجتنبوه** " (٥) فدل على أن باب المنهيات أضيق من باب المأمورات ، وإنه لم يرخص في ارتكاب شيء منه كما رخص في ترك بعض المأمورات للعجز والعذر .

قالوا : ولهذا كانت عامة العقوبات من الحدود وغيرها على ارتكاب المنهيات ، بخلاف ترك المأمور فإن الله سبحانه لم يرتب عليه حداً معيناً ، فأعظم المأمورات الصلاة وقد اختلف العلماء ، هل على تاركها حدٌّ أم لا ؟

فهذا بعض ما احتجت به هذه الطائفة .

وقالت طائفة أخرى : بل الصبر على فعل المأمور أفضل وأجل من الصبر على ترك المحظور ، لأن فعل المأمور أحب إلى الله من ترك المحظور ، والصبر على أحب الامرين أفضل وأعلى ، وبيان ذلك من وجوه :

أحدها : إن فعل المأمور مقصود لذاته ، فهو مشروع شرع المقاصد ، فإن معرفة الله وتوحيده وعبوديته وحده والإنابة إليه ، والتوكل عليه وإخلاص العمل له ومحبته والرضا به والقيام في خدمته

---

(٥) أخرجه البخاري في كتاب " الاعتصام بالكتاب والسنة " (٧٢٨٨) ، مسلم في كتاب " الحج " (١٣٣٧) .

هو الغاية التى خَلق لها الخلق ، وثبت بها الأمر ، وذلك أمر مقصود لنفسه .

والمنهيات إنما نهى عنها ، لأنها صادرة عن ذلك أو شاغلة عنه أو مُفَوِّتَةٌ لكماله ، ولذلك كانت درجاتها فى النهي بحسب صدها عن المأمور وتعويقها عنه وتفويتها لكماله ، فهى مقصودة لغيرها والمأمور مقصود لنفسه ، فلو لم يصد الخمر والميسر عن ذكر الله وعن الصلاة وعن التَّوادّ والتَّحابّ الذى وضعه الله بين عباده لما حرمه ، وكذلك لو لم يحُل بين العبد وبين عقله الذى يعرف به الله ويعبده ويحمده ويمجده ويُصلى له ويسجدُ لما حرمه ، وكذلك سائر ما حرمه إنما حرمه ، لأنه يصد عما يحبه ويرضاه ، ويحول بين العبد وبين كماله .

الثانى : إن المأمورات متعلقة بمعرفة الله وتوحيده وعبادته وذكره وشكره ومحبته والتوكل عليه والإنابة إليه ، فمتعلقها ذات الرب تعالى وأسماؤه وصفاته ومتعلق المنهيات ذوات الأشياء المنهي عنها والفرق من أعظم ما يكون .

الثالث : إن ضرورة العبد وحاجته إلى فعل المأمور أعظم من ضرورته إلى ترك المحظور ، فإنه ليس إلى شيء أضر وأحوج وأشد فاقة منه إلى معرفة ربه وتوحيده وإخلاص العمل له وإفراده بالعبودية والمحبة والطاعة ، وضرورته إلى ذلك أعظم من ضرورته إلى نفسه ونفسه وحياته أعظم من ضرورته إلى غذائه الذى به قوام بدنه ، بل هذا لقلبه وروحه كالحياة والغذاء لبدنه ، وهو إنما هو إنسان بروحه وقلبه لا ببدنه وقالبه ؛ كما قيل :

يا خادمَ الجسمِ كم تشقى بخدمته   فأنت بالقلبِ لا بالجسمِ إنسان

وترك المنهى إنما شُرع له تحصيلاً لهذا الأمر الذى هو ضرورى له وما أحوجه وأفقره إليه .

الرابع : إن ترك المنهى من باب الحمية ، وفعل المأمور من باب حفظ القوة والغذاء الذى لا تقوم البُنية بدونه ، ولا تحصل الحياة إلا به فقد يعيش الإنسان مع تركه الحمية وإن كان بدنه عليلاً أشد ما يكون علة ولا يعيش بدون القوة والغذاء الذى يحفظها ، فهذا مثل المأمورات والمنهيات .

الخامس : إن الذنوب كلها ترجع إلى هذين الأصلين : ترك المأمور وفعل المحظور ، ولو فعل العبد المحظور كله من أوله إلى آخره حتى أتى من مأمور الإيمان بأدنى أدنى مثقال ذرة منه نجا بذلك من الخلود فى النار ، ولو ترك كل محظور ولم يأت بمأمور الإيمان لكان مُخلداً فى السعير .

فأين شيء مثاقيل الذر منه تُخرج من النار إلى شيء وزن الجبال منه أضعافاً مضاعفة لا تقتضى الخلود فى النار مع وجود ذلك المأمور أو أدنى شيء منه ؟

السادس : إن جميع المحظورات من أولها إلى آخرها تسقط بمأمور التوبة ، ولا تُسقط المأمورات كلها معصية المخالفة إلا بالشرك أو الوفاة عليه ، ولا خلاف بين الأمة أن كل محظور يسقط بالتوبة منه واختلفوا هل تسقط الطاعة بالمعصية ؟ وفى المسألة نزاع ، وتفاصيل ليس هذا موضعه .

السابع : إن ذنب الأب [٦] كان بفعل المحظور ، فكان عاقبته : أن اجتباه ربُّه ؛ فتاب عليه وهدى ، وذنب إبليس كان بترك المأمور ؛ فكان عاقبته ما ذكر الله سبحانه وجعل هذا عبرة للذرية إلى يوم القيامة

الثامن : إن المأمور محبوب إلى الرب ، والمنهي مكروه له وهو سبحانه إنما قدَّره وقضاه ، لأنه ذريعة إلى حصول محبوبه من عبده ومن نفسه تعالى : أما من عبده فالتوبة والاستغفار والخضوع والذل والانكسار وغير ذلك ، وأما من نفسه فبالمغفرة والتوبة علىالعبد والعفو عنه والصفح والحلم والتجاوز عن حقه وغير ذلك مما هو أحب إليه تعالى من فواته بعدم تقدير ما يكرهه ، وإذا كان إنما قدر ما يكرهه لأنه يكون وسيلة إلى ما يحبه ، علم أن محبوبه هو الغاية ، ففوات محبوبه أبغض إليه وأكره له من حصول مبغوضه ، بل إذا ترتب على حصول مبغوضه ما يحبه من وجه آخر كان المبغوض مراداً له إرادة الوسائل كما كان النهي عنه وكراهته لذلك .

وأما المحبوب فمراده إرادة المقاصد كما تقدم ، فهو سبحانه إنما خلق الخلق لأجل محبوبه ومأموره ، وهو : عبادته وحده ؛ كما قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات : ٥٦] .

وقدر مكروهه ومبغوضه تكميلاً لهذه الغاية التى خلق الخلق لأجلها فإنه ترتب عليه من المأمورات ما لم يكن يحصل بدون تقديره ، كالجهاد الذى هو أحب العمل إليه ، والموالاة فيه والمعاداة فيه ، ولولا محبتُه لهذه المأمورات لما قدَّر من المكروه له ما يكون سبباً لحصولها.

---

(٦) هو آدم عليه السلام .

التاسع : إن ترك المحظور لا يكون قربة ما لم يقارنه فعل المأمور ، فلو ترك العبد كل محظور لم يثبه الله عليه حتى يقارنه مأمور النية بحيث يكون تركه لله ، فافتقر ترك المنهيات بكونه قربَة يثاب عليها إلى فعل المأمور ولا يفتقر فعل المأمور فى كونه قربة وطاعة إلى ترك المحظور ، ولو افتقر إليه لم يقبل لله طاعة من عصاه أبداً ، وهذا من أبطل الباطل .

العاشر : إن المنهي عنه مطلوب إعدامُه ، والمأمور مطلوبٌ إيجاده ، والمراد : إيجاد هذا ، وإعدام ذاك ، فإذا قُدِّر عدم الأمرين أو وجودهما كان وجودهماخيراً من عدمهما ، فإنه إذا عُدم المأمور لم ينفع عدم المحظور ، وإذا وجد المأمور فقد يستعان به على دفع المحظور أو دفع أثره ، فوجود القوة والمرض خيرٌ من عدم الحياة والمرض .

الحادي عشر : إن باب المأمور الحسنة فيه بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة ، وباب المحظور السيئة فيه بمثلها وهى بصدد الزوال بالتوبة ، والاستغفار ، والحسنة الماحية ، والمصيبة المكفرة ، واستغفار الملائكة للمؤمنين ، واستغفار بعضهم لبعض وغير ذلك ، وهذا يدل على أنه أحبُّ إلى الله من عدم المنهي .

الثاني عشر : إن باب المنهيات يمحوه الله سبحانه ويُبطل أثره بأمور عديدة من فعل العبد وغيره : فإنه يبطله بالتوبة النصوح ، وبالاستغفار ، وبالحسنات الماحية ، وبالمصائب المكفرة ، وباستغفار الملائكة ، وبدعاء المؤمنين ، فهذه ستة فى حال حياته ، وبتشديد الموت وكرْبه وسياقه عليه ، فهذا عند مفارقته الدنيا .

وبهول المطلع ، وورعة الملكين في القبر ، وضغطته ، وعصرته له ، وشدة الموقف وعنائه وصعوبته ، وبشفاعة الشافعين فيه ، وبرحمة أرحم الراحمين له ، فإن عجزت عنه هذه الأمور فلابد له من دخول النار ، ويكون لبثه فيها على قدر بقاء خبثه ودرنه ، فإن الله حرّم الجنة إلاَّ على كل طيب ، فما دام درنُه ووسخُه وخبثُه فيه فهو فى كير التطهير حتى يتصفى من ذلك الوسخ والخبث .

وأما باب المأمورات فلا يبطله إلا الشرك .

الثالث عشر : إن جزاء المأمورات الثواب ، وهو من باب الإحسان والفضل والرحمة ، وجزاء المنهيات العقوبة وهى من باب الغضب والعدل ، ورحمته سبحانه تغلب غضبه ، فما تعلق بالرحمة والفضل أحب إليه مما تعلق بالغضب والعدل ، وتعطيل ما تعلق بالرحمة أكره إليه من فعل ما تعلق بالغضب .

الرابع عشر : إن باب المنهيات تُسقط الآلاف المؤلفة منه الواحدة من المأمورات ، وباب المأمورات لا يُسقط الواحدة منه الآلاف المؤلفة من المنهيات .

الخامس عشر : إن متعلق المأمورات الفعل وهو صفة كمال ، بل كمال المخلوق من فعاله ، فإنه فعل فكمُل ، ومتعلق النهى الترك ، والترك عدم ، ومن حيث هو كذلك لا يكون كمالاً ، فإن العدم المحض ليس بكمال ، وإنما يكون كمالاً لما يتضمنه أو يستلزمه من الفعل الوجودى الذى هو سبب الكمال، وأما أن يكون مجرد الترك الذى هو عدم محض كمالاً أو سبباً للكمال فلا .

مثال ذلك : لو ترك السجود للصنم لم يكن كماله فى مجرد هذا الترك ما لم يسجد لله ، وإلا فلو ترك السجود لله وللصنم لم يكن ذلك كمالاً . وكذلك لو ترك تكذيب الرسول ومعاداته لم يكن بذلك مؤمناً ما لم لم يفعل ضدَّ ذلك من التصديق والحب وموالاته وطاعته .

فَعُلم أن الكمال كله فى المأمور ، وأن المنهي ما لم يتصل به فعل المأمور لم يفد شيئاً ولم يكن كمالاً ، فإن الرجل لو قال للرسول لا أكذبك ولا أصدقك ولا أواليك ولا أعاديك ولا أحاربك ولا أحارب من يحاربك لكان كافراً ، ولم يكن مؤمناً بترك معاداته وتكذيبه ومحاربته ما لم يأت بالفعل الوجودى الذى أُمر به .

السادس عشر : إن العبد إذا أتى بالمأمور به على وجه ترك المنهى عنه ولا بد ، فالمقصود إنما هو فعل المأمور ، ومع فعله على وجهه يتعذر فعل المنهي . فالمنهي عنه فى الحقيقة هو تعريض المأمور للإضاعة ؛ فإن العبد إذا فعل ما أُمر به من العدل والعفَّة وامتنع من صدور الظلم والفواحش منه ، فنفس العدل يتضمن ترك الظلم ، ونفس العفة تتضمن ترك الفواحش ، فدخل ترك المنهي عنه فى المأمور ضمناً وتبعاً ، وليس كذلك فى عكسه ،فإن ترك المحظور لا يتضمن فعل المأمور ، فإنه قد يتركهما معاً كما تقدم ، فعُلم أن المقصود هو إقامة الأمر على وجهه ، ومع ذلك لا يمكن ارتكاب النهي ألبتة ، وأما ترك المنهي عنه فإنه لا يستلزم إقامة الأمر .

السابع عشر : إن الرب تعالى إذا أمر عبده بأمر ونهاه عن أمر ففعلهما جميعاً كان قد حصّل محبوب الرب وبغيضه ، فقد تقدم له من محبوبه ما يدفع عنه شر بغيضه ومقاومته ، ولاسيما إذا كان فعل ذلك

المحبوب أحبَّ إليه من ترك ذلك البغيض ، فيهب له من جنايته ما فعل من هذا بطاعته ويتجاوز له عما فعل من الآخر .

ونظير هذا في الشاهد : أن يقتل الرجل عدواً للملك هو حريص على قتله ، وشرب مسكرا نهاه عن شربه ، فإنه يتجاوز له عن هذه الزلة بل عن أمثالها في جنب ما أتى به من محبوبه ، وأما إذا ترك محبوبه وبغيضه فإنه لا يقوم ترك بغيضه بمصلحة فعل محبوبه أبداً ، كما إذا أمر الملكُ عبده بقتل عدوه ، ونهاه عن شرب مسكر ، فعصاه في قتل عدوه مع قدرته عليه ، وترك شرب المسكر ، فإن الملك لا يهبُ له جُرْمه بترك أمره في جنب ترك ما نهاه عنه ، وقد فطر الله عباده على هذا ، فهكذا السادات مع عبيدهم والآباء مع أولادهم والملوك مع جندهم والزوجات مع أزواجهم ليس التاركُ منهم محبوب الأمر ومكروهه بمنزلة الفاعل منهم محبوب الأمر ومكروهه .

الثامن عشر : إن فاعل محبوب الرَّب يستحيل أن يفعل جميع مكروهه ، بل يترك من مكروهه بقدر ما أتى من محبوبه ، فيستحيل الإتيانُ بجميع مكروهه وهو يفعل ما أحبه وأبغضه ، فغايته أنه اجتمع الأمران فيحبه الربُّ تعالى من وجه ، ويبغضه من وجه ، أما إذا ترك المأمور به جملة فإنه لم يقم بما يحبه الربُّ عليه ، فإنه مجرد ترك المنهي لا يكون طاعة إلا باقترانه بالمأمور كما تقدم ، فلا يحبه على مجرد الترك وهو سبحانه يكرهه ويُبغضه على مخالفة الأمر ، فصار مبغوضاً للرب تعالى من كل وجه ، إذ ليس فيه ما يحبُه الربُّ عليه فتأمله .

٥

التاسع عشر : وهو أن الله سبحانه لم يعلق محبته إلا بأمر وجودى أمر به إيجاباً أو استحباباً ، ولم يعلقها بالترك من حيث هو ترك ولا فى موضع واحد ، فإنه يُحبُّ التَّوابين ، ويحبُّ المحسنين ، ويحبُّ الشاكرين ، ويحب الصابرين ، ويحبُّ المتطهررين ، ويحبُّ الذين يقاتلون فى سبيله صفاً كأنهم بنيانٌ مرصوص ، ويحبُّ المتقين ، ويحبُّ الذاكرين ، ويحبُّ المتصدقين ، فهو سبحانه إنما علق محبته بأوامره ، إذ هى المقصـــود من الخلـــق والأمـــر ، كما قال تعالى : ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ** ﴾ [الذاريات : ٥٦] ، فما خلق الخلق إلا لقيام أوامره ، وما نهاهم إلا عمّا يصدهم عن قيام أوامره ويعوقهم عنها .

العشرون : إن المنهيات لو لم تصدَّ عن المأمورات وتمنع وقوعها على الوجه الذى أمر الله بها لم يكن للنهى عنها بمعنى ، وإنما نهى عنها لمضادتها لأوامرها وتعويقها لها وصدها عنها ، فالنهي عنها من باب التكميل والتتمة للمأمور ، فهو بمنزلة تنظيف طرق الماء ليجرى فى مجاريه غير معوق . فالأمر بمنزلة الماء الذى أرسل فى نهر لحياة البلاد والعباد ، والنهي بمنزلة الحمية الحافظة للقوة والداء والخادم لها .

قالوا : وإذا تبين أن فعل المأمور أفضل فالصبر عليه أفضل أنواع الصبر ، وبه يسهل عليه الصبر من المحظور والصبر على المقدور ، فإن الصبر الأعلى يتضمن الصبر الأدنى دون العكس .

وقد ظهر لك من هذا : أن الأنواع الثلاثة متلازمة ، وكل نوع منها يعين على النوعين الآخرين ، وإن كان من الناس من قوة صبره

على المقدور فإذا جاء الأمر والنهي فقوة صبره هناك ضعيفة ، ومنهم من هو بالعكس من ذلك ، ومنهم من قوة صبره فى جانب الأمر أقوى ومنهم من هو بالعكس ، والله أعلم .



الباب العاشر

انقسام الصبر إلى محمود ومذموم

الصبر ينقسم إلى قسمين : قسم مذموم ، وقسم ممدوح .

فالمذمومُ الصبرُ عن الله وإرادته ومحبته وسير القلب إليه ، فإن هذا الصبر يتضمن تعطيل كمال العبد بالكلية وتقوية ما خُلق له ، وهذا كما أنه أقبحُ الصبر فهو أعظمه وأبلغه ، فإنه لا صبر أبلغ من صبر من صبر عن محبوبه الذى لا حياة له بدونه ألبتة ، كما أنه لا زهد أبلغ من زهد الزاهد فيما أعدَّ الله لأوليائه من كرامته مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، فالزهد فى هذا أعظم أنواع الزهد ، كما قال رجل لبعض الزاهدين وقد تعجب لزهده : ما رأيت أزهد منك ! فقال : أنت أزهد منى ، أنا زهدت فى الدنيا وهى لا بقاء لها ولا وفاء ، وأنت زهدت فى الآخرة فمن أزهد منا ؟

قال يحيى بن معاذ الرازى [1] : " صبر المحبين أعجب من صبر الزاهدين ، واعجباً كيف يصبرون ؟ " .

وفى هذا قيل :

الصبرُ يُحْمَدُ فى المواطنِ كلها إلا عليك فإنه لا يُحْمَدُ

ووقف رجلٌ على الشِّبلي [2] فقال: أى الصبر أشدُّ على الصابرين ؟

---

(١) هو أبو زكريا الواعظ من كبار الشيوخ ، له كلام جيد ، ومواعظ مشهورة انظر ترجمته فى " السير " (١٣/١٥) .

(٢) هو شيخ الطائفة أبو بكر الشبلي البغدادى : قيل اسمه دُلف بن جحدر =

فقال : الصبر فى الله ؟ قال : لا . فقال : الصبر لله ؟ فقال : لا . قال : الصبر مع الله ؟ قال : لا . فأيش هو ؟ قال : الصبرُ عن الله . فصرخ الشبلي صرخة كادت روحه تزهق (٣) .

وقيل : الصبر مع الله وفاء ، والصبر عن الله جفاء .

وقد أجمع الناس على أن الصبر عن المحبوب غير محمود ، فكيف إذا كان كمال العبد وفلاحه فى محبته . ولم تزل الأحباب تعيب المحبين بالصبر عنهم كما قيل : (٤)

والصبرُ عنك مذموم عواقبُه والصبر فى سائر الأشياء محمود

وقال آخر فى الصبر عن محبوبه : (٥)

إذا لعب الرجالُ بكل شيء رأيت الحبَّ يلعبُ بالرجال

وكيف الصبرُ عمن حلَّ مني بمنزلة اليمين من الشمال

وشكا آخر على محبوبه ما يقاسي من حبه فقال : لو كنت صادقاً لما صبرت عنى .

ولما شكوتُ الحبَّ قالت : كذبتنى

ترى الصَّبَّ عن محبوبه كيف يصبرُ

= وقيل جعفر بن يونس ، وقيل جعفر بن دُلف أصله من الشبيلة قرية ، ومولده سامراء . راجع ترجمته فى" سير أعلام النبلاء " (١٥/٣٦٧) .

(٣) الرسالة القشيرية (صـ١٨٥) .

(٤) انظر ماقبله .

(٥) راجع رقم (٢) .

فصل

وأما الصبر المحمودُ فنوعان : صبرٌ لله وصبرٌ بالله ، قال الله تعالى : ﴿ **وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ** ﴾ [النحل : ١٢٧] ، وقال : ﴿ **وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا** ﴾ [الطور : ٤٨] .

وقد تنازع الناسُ أى الصبرين أكمل ؟

فقالت طائفة : الصبرُ له أكمل ؛ فإن ما كان لله أكمل مما كان بالله فإن ما كان له غاية وماكان به فهو وسيلة ، والغايات أشرف من الوسائل ، ولذلك وجب الوفاء بالنذر إذا كان تبرراً وتقرباً إلى الله ؛ لأنه نذر له ، ولم يجب الوفاء به إذا خرج مخرج اليمين لأنه حلف به فما كان له سبحانه فهو متعلق بألوهيته ، وما كان به فهو متعلق بربوبيته ، وما تعلق بألوهيته أشرف مما تعلق بربوبيته ، ولذلك كان توحيد الألوهية هو المنجى من الشرك دون توحيد الربوبية بمجرده ، فإن عُبّاد الأصنام كانوا مقرين بأن الله وحده خالقُ كل شيء وربُّه ومليكه ، ولكن لما لم يأتوا بتوحيد الألوهية ، وهو : عبادتُه وحده لا شريك له لم ينفعهم توحيد ربوبيته .

وقالت طائفة : الصبر بالله أكمل بل لا يمكن الصبر له إلا بالصبر به ، كما قال تعالى : ﴿ **وَاصْبِرْ** ﴾ فأمره بالصبر ، والمأمور به هو الذى يُفعل لأجله ، ثم قال : ﴿ **وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ** ﴾ [النحل : ١٢٧] ؛ فهذه جملة خبرية غير الجملة الطلبية التى تقدَّمتها ، أخبر فيها أنه لا يمكنه الصبر إلابه .

وذلـــك يتضمن أمرين : الاستعانة به ، والمعية الخاصة التى تدل علـــيها بـــاء المصـــاحبة ؛ كقوله : " **فبي يسمع ، وبي يُبصر ، وبي**

يبطشُ ، وبي يمشي " (٦) وليس المرادُ بهذه الباء الاستعانة ، فإن هذا أمرٌ مشتركٌ بين المطيع والعاصى ، فإن ما لا يكون بالله لا يكون ، بل هى باءُ المصاحبة والمعية التى صرَّح بمضمونها فى قوله : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ** ﴾ [الأنفال : ٤٦] ، وهى المعية الحاصلة لعبده الذى تقرَّب إليه بالنوافل حتى صار محبوباً له ، فبه يسمع وبه يبصر ، وكذلك به يصبر ، فلا يتحرك ولايسكن ولا يدرك إلا والله معه ، ومن كان كذلك أمكنه الصبر له وتحمل الاثقال لأجله ، كما فى الأثر الإلهي : " **بعيني ما يتحَّل المتحملون من أجلي** " (٧) فدل قوله : ﴿ **وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ** ﴾ [النحل : ١٢٧] ، على أنه لم يكن الله معه لم يمكنه الصبر ، وكيف يصبر على الحكم الأمري امتثالاً وتنفيذاً وتبليغاً ، وعلى الحكم القدري احتمالاً له واضطلاعاً به من لم يكن الله معه ؟ فلا يطمع فى درجة الصبر المحمودة عواقبُه من لم يكن صبره بالله ، كما لا يطمع فى التقريب المحبوب من لم يكن سمعه وبصره وبطشه ومشيه بالله .

وهذا هو المراد من قوله : " **كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يُبصر به ويده التى يبطش بها** " ليس المراد : أننى كنت نفس هذه الأعضاء والقوى ، كما يظنه أعداء الله أهل الوحدة ، وأن ذات العبد هى ذات الرب تعالى عن قول إخوان النصارى علواً كبيراً .

---

(٦) قطعة من حديث أخرجه البخارى فى " صحيحه " كتاب " الرقاق " (٦٥٠٢) من حديث أبي هريرة .

(٧) الرسالة القشيرية (صـ١٨٦) .

ولو كان كما يظنون لم يكن فرق بين هذا العبد وغيره ، ولا بين حالتى تقربه إلى ربه بالنوافل وتمقته إليه بالمعاصى ، بل لم يكن هناك مُتقَربٌ ومتَقَرَّبٌ إليه ، ولا عبد ولا معبود ، ولا محب ولا محبوب ؛ فالحديث كله مُكذِّب لدعواهم الباطلة من نحو ثلاثين وجهاً تعرف بالتأمل الظاهر .

وقد فُسِّر المراد من قوله : " **كنت سمعه ، وبصره ، ويده ، ورجله** " بقوله : " **فبي يسمع ، وبي يبصر ، وبي يمشي** " فعبر عن هذه المصاحبة التى حصلت بالتَّقرُب إليه بمحابه بألطف عبارة وأحسنها تدل على تأكيد المصاحبة ولزومها حتى صار بمنزلة سمعه ، وبصره ، ويده ، ورجله .

ونظير هذا قوله : " **الحجرُ الأسودُ يمينُ الله فى الأرض ، فمن صافحه وقبَّله ، فكأنما صافح الله ، وقبل يمينه** " [٨].

ومثل هذا سائغ فى الاستعمال أن ينزل إلى منزلة ما يصاحبه ويقارنه حتى يقول المحب للمحبوب : أنت روحي ، وسمعي ،

---

(٨) **منكر** .

أخرجه ابن عدى فى " الكامل " (٣٤٢/١) ، والخطيب فى " تاريخ بغداد" (٣٢٨/٦) ، وابن خزيمة فى " صحيحه " (٢٧٣٧) ، والطبراني فى " الأوسط " (٥٦٧) من طريق إسحاق بن بشر فى الكاهلى حدثنا أبو معشر المدائنى عن محمد بن المنكرد عن جابر .

وفى إسناده إسحاق بن بشر قال ابن عدي كذاب .

وأورده ابن الجوزى فى " العلل المتناهية " (٥٧٥/٢) ، وانظر " الضعيفة " (١٢٣) .

وبصري ، **وفى ذلك معنيان :**

أحدهما : صار منه بمنزلة روحه وقلبه وسمعه وبصره .

والثاني : أن محبته وذكره لما استولى على قلبه وروحه صار معه وجليسه ، كما فى الحديث :" **يقول الله تعالى أنا جليس من ذكرني**" (٩) وفى الحديث الآخر:" **أنا مع عبدى ما ذكرني وتحركت بي شفتاه**" (١٠)

---

(٩) **لا أصل له .**

أخرجه البيهقى فى " شعب الإيمان " (٤٥١/١) قال : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ وأبو سعيد بن أبي عمرو قالا : ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، ثنا أسيد بن عاصم ، ثنا الحسين بن حفص ، عن سفيان ، عن عطء بن أبي مروان .
أبي مصعب الأسلمى قال : حدثنى أبي عن كعب قال : وساق الكلام .
وأورده الديلمي فى " مسند الفردوس " من حديث ثوبان بدون إسناد .
(١٠) **صحيح .**

أخرجه البخارى فى صحيحه معلقاً (٥٠٠/١٣) ووصله فى خلق أفعال العباد (٤٣٥) ، وأحمد (٥٤٠/٢) ، وابن ماجة (٣٧٩) ، والبغوى فى " شرح السنة " (١٢٤٢) .

قال الحافظ ابن حجر فى " تغليق التعليق " (٣٦٣/٥) ، وروى عن عبد الحميد بن أبي العشرين ، عن الأوزاعى ، عن إسماعيل عن أم الدرداء ، عن أبي الدرداء وهو محفوظ عن الأوزاعى ، وأنه كان يهم بذكر أبي الدرداء فيه ، والصواب قول معن قال : عن إسماعيل عن كريمه عن أبي هريرة وسبب الاشتباه على من رواه عن إسماعيل ، عن أم الدرداء كون أبي هريرة حدث به كريمه ، وهو فى بيت أم الدرداء ، ويحتمل مع ذلك أن تكون أم الدرداء حدثت به إسماعيل أيضاً كما حدثت به كريمه فلا يكون هناك وهم والأول أقعد بطريقة المحدثين . والله أعلم .

وفى الحديث الإلهي : " **فإذا أحببت عبدي كنت له سمعاً وبصراً ويداً ومؤيداً** " [١١] ، ولا يعبر عن هذا المعنى بأتم من هذه العبارة ولا أحسن ولا ألطف منها ، وإيضاح هذه العبارة مما يزيدها جفاءً وخفاءً .

والمقصود : إنما هو ذكر الصبر بالله ، وإن العبد بحسب نصيبه من معية الله له يكون صبره ، وإذا كان الله معه أمكن أن يأتى من الصبر بما لايأتى به غيره .

قال أبو علي : " فاز الصابرون بعزّ الدارين ؛ لأنهم نالوا من الله معيته ، قال تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ** ﴾ [الأنفال : ٤٦] . [١٢]

وهاهنا سر بديع وهو : أن من تعلق بصفة من صفات الرب تعالى أدخلته تلك الصفة عليه وأوصلته إليه ، والرب تعالى هو الصَّبور بل لا أحد أصبر على أذى سمعه منه ، وقد قيل : إن الله سبحانه وتعالى أوحى إلى داود: " **تخلّق بأخلاقي فإن من أخلاقي إني أنا الصبور** " [١٣] والرب تعالى جميل يحب أسماءه وصفاته ، ويحب مقتضى صفاته وظهور آثارها فى العبد ، فإنه جميل يحب الجمال ، عفوٌ يحب أهل العفو ، كريم يحبُّ أهل الكرم ، عليم يحّب أهل العلم ، وتر يحب أهل الوتر ، قوى والمؤمن القوي أحبُّ إليه من المؤمن الضعيف ، صبور يحب الصابرين ، شكور يحب الشاكرين ، وإذا كان سبحانه يحب المتصفين بآثار صفاته فهو معهم بحسب نصيبهم من هذا الاتصاف ،

---

(١١) تقدم الكلام عليه برقم ٣ فى الباب العاشر .

(١٢) الرسالة القشيرية (صـــ ١٨٦) .

(١٣) الرسالة القشيرية (صـــ ١٨٥) .

فهذه المعية الخاصة عبّر عنها بقوله : " **كنت له سمعاً ، وبصراً ، ويداً ومؤيداً** " .

وزاد بعضُهم قسماً ثالث من أقسام الصبر : وهو الصبرُ مع الله ، وجعلوه أعلى أنواع الصبر ، وقالوا : هو الوفاء . ولو سُئل هذا عن حقيقة الصبر مع الله لما أمكنه أن يفسره بغير الأنواع الثلاثة التى ذُكرت ، وهى : الصبر على أقضيته ، والصبر على أوامره ، والصبر على نواهيه ، فإن زعم أن الصبر مع الله هو الثبات معه على أحكامه يدور معها حيث دارت ، فيكون دائماً مع الله لا مع نفسه فهو مع الله بالمحبة والموافقة ، فهذا المعنى حق ولكن مداره على الصبر على الأنواع المتقدمة وإن زعم أن الصبر مع الله هو الجامع لأنواع الصبر ولكن جعله قسماً رابعاً من أقسام الصبر غير مستقيم .

واعلم أن حقيقة الصبر مع الله هو ثبات القلب بالاستقامة معه ، وهو أن لا يروغ عنه روغان الثعالب هاهنا وها هنا ، فحقيقة هذا هو الاستقامة إليه وعكوف القلب عليه .

وزاد بعضهم قسماً آخر من أقسامه ، وسمّاه : الصبر فيه . وهذا أيضاً غير خارج عن أقسام الصبر المذكورة ولا يعقل من الصبر فيه معنى غير معنى الصبر له ، وهذا كما يقال : فعلت هذا فى الله وله ، كما قال خبيب (١٤) :

وذلك فى ذات الإله وإن يشأ يبارك على أوصال شِلْوٍ مُمزّعِ

---

(١٤) هو خبيب بن عدي بن مالك الأنصاري وهو أول من سن الصلاة قبل الموت ، وأقر فعله رسول الله ﷺ . انظر ترجمته فى " حلية الأولياء " (١/١١٢)

وقد قال تعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا** ﴾ [العنكبوت : ٦٩] ، وقال : ﴿ **وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ** ﴾ [الحج : ٧٨] . وفى حديث جابر : " **إن الله تعالى لّما أحيا أباه وقال تمنَّ ، قال : يا رب أن ترجعنى إلى الدنيا حتى أقتل فيك مرة ثانية** " [١٥] وقال ﷺ : " **ولقد أوذيت فى الله وما يُؤذى أحد** " [١٦] .

---

(١٥) **صحيح .**

أخرجه أحمد (٣/٣٦١) ، الترمذى (٣٠١٠) وقال : هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه ، ابن ماجة (١٩٠ ، ٢٨٠٠) ، الحميدى فى " مسنده " (١٢٦٥) ، الدارمى فى " الرد على الجهمية " (صـ ٩٠) ، عبد بن حميد فى " المنتخب " (١٠٣٩) ، ابن أبي عاصم فى " السنة " (٦٠٢ ، ٦٠٣) ، أبو يعلي فى " مسنده " (٢٠٠٢) ، ابن خزيمة فى " التوحيد " (٢/٨٩١) ، وابن حبان كما فى " الإحسان " (٧٠٢٢) ، الحاكم (٣/٢٠٣ - ٢٠٤) ، الواحدى فى" أسباب النزول " (صـ ٨٧) كلهم من ثلاثة طرق طلحة بن خراش ، عياض بن عبد الله ، عبد الله بن محمد بن عقيل ثلاثتهم عن جابر مرفوعاً .

قلت : عبد الله بن محمد بن عقيل يصلح فى الشواهد والمتابعات إلا أنه توبع فالحديث صحيح .

(١٦) **إسناده صحيح .**

أخرجه أحمد (٣/١٢٠) ، الترمذى (٢٤٧٢) ، وقال : هذا حديث حسن غريب وابن ماجة (١٥١) ، ابن أبي شيبة فى " مصنفه " (١١/٤٦٤ ، ١٤/٣٠٠) ، عبد ابن حميد فى " المنتخب " (١٣١٧) ، ابن حبان كما فى " الإحسان " (٦٥٦٠) ، وأبو يعلي فى " مسنده " (٣٤٢٣) ، وأبو نعيم فى " حلية الأولياء " (١/١٥٠) ، البيهقى فى " شعب الإيمان " (١٦٣٢) كلهم من طرق عن حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس بن مالك .

وهذا يفهم معه معنيان :

أحدهما : أن ذلك فى مرضاته وطاعته وسبيله ، وهذا فيما يفعله الإنسان باختياره ، كما فى الحديث " **تعلمت فيك العلم** " (١٧) .

والثاني : أن بسببه وبجهته حصل ذلك ، وهذا فيما يصيبه بعد اختياره ، وغالباً ما يأتى قولهم ذلك فى الله فى هذا المعنى فتأمل قوله ﷺ : " **ولقد أوذيت فى الله** " ، وقول خبيب : " وذلك فى ذات الإله " ، و قول عبد الله بن حرام : " حتى أقتل فيك " وكذلك قوله : ﴿ **وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا** ﴾ [العنكبوت : ٦٩] ، فإنه يترتب عليه الأذى فيه سبحانه . وليست فى ها هنا للظرفية ولا لمجرد السببية وإن كانت السببية هى أصلها فانظر إلى قوله : " **فى نفس المؤمن مائة من الإبل** " (١٨) ، وقوله : " **دخلت امرأة النار فى هرة** " (١٩) ، كيف تجد فيه معنى زائداً على السببية . وليست " فى " للوعاء فى جميع معانيها ، فقولك : فعلت هذا فى مرضاتك ، فيه معنى زائد على قولك : فعلته لمرضاتك ،

---

(١٧) قطعة من حديث أخرجه مسلم فى صحيحه كتاب " الإمارة " برقم (١٩٠٥) من حديث أبي هريرة ﷺ .

(١٨) **مرسل صحيح** .

أخرجه مالك فى "موطأه " (٢/٢٢١) ، النسائى فى " الصغرى " (٨/٦٠) كلاهما من طريق عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن أبيه وساق الكلام .

(١٩) أخرجه البخارى فى " صحيحه " كتاب "بدء الخلق " (٣٣١٨) ، مسلم فى كتاب " السلام " (٢٢٤٢) .

وأنت إذا قلت : أوذيتُ فى الله ، لا يقوم مقام هذا اللفظ كقولك : أويت لله ، ولا بسبب الله ، وإذا فهم المعنى طوى حكم العبارة .

والمقصود : أن الصبر فى الله إن أريد به هذا المعنى فهو حق ، وإن أريد به معنى خارج عن الصبر على أقضيته ، وعلى أوامره ، وعن نواهيه وله وبه لم يحصل ، فالصابرُ فى الله كالمجاهد فى الله ، والجهادُ فيه لا يخرج عن معنى الجهاد به وله ، والله الموفق .

وأما قول بعضهم : " **الصبرُ لله عناءٌ ، والصبرُ بالله بقاءٌ والصبرُ فى الله بلاءٌ ، والصبر مع الله وفاء ، والصبر على الله جفاءٌ** " [٢٠] ، فكلام لا يجب التسليم لقائله ، لأنه ذكر ما سنح له وتصوره ، وإنما يجب التسليم للنقل المصدَّق عن القائل المعصوم .

ونحن نشرح هذه الكلمات :

أما قوله : " **الصبر لله غناء** " فإن الصبر لله بترك حظوظ النّفس ومرادها لمراد الله ، وهذا أشق شيء على النفس وأصعبه ، فإن قطع المفازة التى بين النفس وبين الله بحيث يسير منها إلى الله شديداً جداً على النفس ، بخلاف السفر إلى الآخرة فإنه سهلٌ كما قال الجنيد : " السير من الدنيا إلى الآخرة سهل – يعنى على المؤمن – وهُجرانُ الخلق فى جنب الحق شديد ، والسير من النفس إلى الله صعب شديد ، والصبر مع الله أشد " [٢١] .

---

(٢٠) الرسالة القشيرية (صـ١٨٦) .

(٢١) الرسالة القشيرية (صـ١٨٣) .

وأما قوله : " **والصبر بالله بقاء** " ؛ فلأن العبد إذا كان بالله هان عليه كل شيء ، ويتحمل الأثقال ولم يجد لها ثقلاً ، فإنه إذا كان بالله لا بالخلق ولا بنفسه كان لقلبه وروحه وجود آخر وشأن غير شأنه إذا كان بنفسه وبالخلق ، وبهذا الحال لا يجد عناء الصبر ولا مرارته ، وتنقلب مشاق التكليف له نعيماً وقرة عين ، كما قال بعض الزهاد : عالجت قيام الليل سنة وتنعَّمت به عشرين سنة " ، ومن كانت قرة عينه فى الصلاة لم يجد لها مشقة وكلفة .

وأما قوله : " **والصبر فى الله بلاء** " ؛ فالبلاء فوق العناء ، والصبر فوق الصبر له وأخص منه ؛ كما تقدم ، فإن الصبر فيه بمنزلة الجهاد فيه وهو أشق من الجهاد له ، لكل مجاهد فى الله وصابر فى الله مجاهد له وصابر له من غير عكس ، فإن الرجل قد يجاهد ويصبر لله مرة فيقع عليه اسم من فعل ذلك لله ، ولا يقع عليه اسم من فعل ذلك فى الله ، وإنما يقع على من انغمس فى الجهاد والصبر ودخل الجنة .

وأما قوله : " **الصبرُ مع الله وفاء** " فلأن الصبر معه هو الثباتُ معه على أحكامه ، ولا يزيغُ القلب عن الإنابة ، ولا الجوارح عن الطاعة ، فتعطى المعية حقها من التوفية ؛ كما قال تعالى ﴿ **وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى** ﴾ [النجم : ٣٧] ، أى : وفَّى ما أُمر به بصبره مع الله على أوامره .

وأما قوله : " **والصبر عن الله جفاء** " ؛ فلا جفاء أعظم ممن صبر عن معبوده وإلهه ومولاه الذى لا مولى له سواه ، ولا حياة له ولا

صلاح ولا نعيم إلا بمحبته والقرب منه وإيثار مرضاته على كل شيء فأى جفاء أعظم من الصبر عنه .

وهذا معنى قول من قال : " الصبرُ على ضربين : صبر العابدين وصبر المحبين ، فصبر العابدين أحسنه أن يكون محفوظاً ، وصبر المحبين أحسنه أن يكون مرفوضاً " كما قيل :

يبينُ يوم البَيْنِ أن أعتزامه على الصبر

إحـــدى الظُّنـــون الكَـــواذبِ (٢٢)

وقال الآخر :

ولما دعوتُ الصبرَ بعـدكَ والبُكـــا

أجاب البُكا طَوْعاً ولم يُجب الصبرُ

قالوا : ويدل عليه أن يعقوب صلوات الله وسلامه عليه قال ﴿ **فَصَبْرٌ جَمِيلٌ** ﴾ [يوسف : ١٨ ، ٨٣] ثم حمله الوجد على يوسف والشوق إليه أن قال : ﴿ **يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ** ﴾ [يوسف : ٨٤] ، فلم يكن عدم صبره منافياً لقوله﴿ **فَصَبْرٌ جَمِيلٌ** ﴾ ، فإن الصبر الجميل هو الذى لا شكوى معه ، ولا تنافيه الشكوى إلى الله سبحانه وتعالى ، فإنه قد قال : ﴿ **قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ** ﴾ [يوسف : ٨٦] ، والله تعالى أمر رسوله بالصبر الجميل ، لأن من فقده فقد الصبر الجميل ، وقد امتثل ما أمره به وقال : " **اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي** " (٢٣) الحديث .

---

(٢٢) الرسالة القشيرية (صـ١٨٨) .

(٢٣) تقدم الكلام عليه فى الباب الثانى ، وهو ضعيف .

وأما قول بعضهم : " إن الصبر الجميل أن يكون صاحب المصيبة في القوم لا يُدرى من هو " فهذا من الصبر الجميل ، لأن من فقده فقد الصبر الجميل ، فإن ظهور أثر المصيبة على العبد مما لا يمكن دفعه ألبتة ، وبالله التوفيق .

وزاد بعضهم في الصبر قسماً آخر وسمّاه الصبر على الصبر ، وقال : هو أن يستغرق في الصبر حتى يعجز الصبرُ عن الصبر ؛ كما قيل :

صابر الصبر فاستغاث به الصبرُ

فصاح المحــبُّ بالصبْرِ صبْراَ

وليس هذا خارجاً عن أقسام الصبر ، وإنما هو المرابطة على الصبر والثبات عليه ، والله أعلم .



الباب الحادي عشر

فى الفرق بين صبر الكرام وصبر اللئام

كلُّ أحد لا بد أن يصبر على بعض ما يكره إما اختياراً وإما اضطراراً ، فالكريمُ يصبر اختياراً لعلمه بحُسن عاقبة لاصبر ، وأنه يُحمدُ عليه ويذم على الجزع ، وأنه إن لم يصبر لم يرُد الجزعُ عليه فائتاً ، ولم ينزع عنه مكروهاً ، وأن المقدور لا حيلة فى دفعه ، وما لم يُقدَّر لا حيلة فى تحصيلة ، فالجزعُ ضرُّه أقربُ من نفعه ، قال بعض العقلاء : " العاقلُ عند نزول المصيبة يفعلُ ما يفعله الأحمق بعد شهر " كما قيل :

وأن الأمر يُفضـــي إلى آخـــر

فيصـــــيرُ آخـــــرُه أولا

فإذا كان آخر الأمر الصبر ، والعبد غير محمود ، فما أحسن أن يستقبل الأمر فى أوله بما يستدبره الأحمق فى آخره .

وقال بعض العقلاء : " من لم يصبر صبر الكرام سلا سلو البهائم "

فالكريم ينظر إلى المصيبة ، فإن رأى الجزع يردُّها ويدفعُها فهذا قد ينفعه الجزع ، وإن كان الجزعُ لا ينفعه فإنه يجعل المصيبة مصيبتين . وأم اللئيم فإنه يصبرُ اضطراراً ، فإنه يحوم حول ساحة الجزع فلا يراها تجدىعليه شيئاً فيصبر صبر الموثق للضرب . وأيضاً فالكريم يصبر فى طاعة الرحمن ، واللئيم يصبر فى طاعة الشيطان ؛ فاللئام أصبر الناس فى طاعة أهوائهم وشهواتهم وأقل الناس

فى طاعة ربهم . فاللئيم يصبر على البذل فى طاعة الشيطان أتمَّ صبر ولا يصبر فى طاعة الله فى أيسر شيء ، ويصبر على تحمل المشاق لهوى نفسه فى مرضاة عدوه ، ولا يصبر فى أدنى المشاق فى مرضاة ربه ، ويصبر على ما يقال فى عرْضِه فى المعصية ، ولا يصبرُ على ما يقال فى عرضِه إذا أوذي فى الله ، بل يفرُّ من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خشية أن يتكلم فى عرضه فى ذات الله ، ويبذل عرضه فى هوى نفسه وهوى مرضاته صابراً على ما يقال فيه ، وكذلك يصبر على التبذُّل بنفسه وجاهه فى هوى نفسه ومراده ولا يصبر على التبذُّل لله فى مرضاته وطاعته ، فهو أصبر شيء على التبذل فى طاعة الشيطان ومراد نفسه وأعجز شيء عن الصبر على ذلك فى الله ، وهذا أعظم اللؤم ، ولا يكون صاحبه كريماً عند الله ، ولا يقوم مع أهل الكرم إذا نودي بهم يوم القيامة على رؤوس الأشهاد ، ليعلم أهل الجمع من أولى بالكرم اليوم .. أين المتقون ؟ .



الباب الثاني عشر

فى الأسباب التى تعين على الصبر

لما كان الصبرُ مأموراً به جعل الله سبحانه له أسباباً تُعينُ عليه وتوصل إليه ، وكذلك ما أمر الله سبحانه بالأمر إلا أعان عليه ونصب له أسباباً تمدُّه وتعينُ عليه ، كما أنه ما قدَّر داءًا إلا وقدَّر له دواءًا أو ضمن الشفاء باستعماله . (١)

فالصبر وإن كان شاقاً كريهاً على النفوس فتحصيله ممكن ، وهو يتركب من مُفردين : العلم والعمل ، فمنهما تُركَّب جميع الأدوية التى تداوى بها القلوب والأبدان ، فلا بد من جزء علمي وجزء عملي ، فمنهما يُركَّب هذا الدواء الذى هو أنفعُ الأدوية .

فأما الجزءُ العلمي فهو إدراك ما فى المأمور من الخير والنفع واللذة والكمال ، وإدراك ما فى المحظور من الشر والضر والنقص ، فإذا أدرك هذين العلمين كما ينبغي أضاف إليهما العزيمة الصادقة والهمة العالية والنخوة والمروءة الإنسانية وضم هذا الجزء إلى هذا الجزء ، فمتى فعل ذلك حصل له الصبر وهانت عليه مشاقُّه وحلت له مرارته وانقلب ألمه لذة ، وقد تقدم : " أن الصبر مصارعة باعث العقل والدين باعث الهوى والنفس " وكل متصارعين أراد أن يتغلب أحدهما على الآخر ، فالطريق فيه تقويه من أراد أن تكون الغلبة له

---

(١) أخرجه البخارى فى " صحيحه " كتاب " الطب " (٥٦٧٨) ، وابن ماجة (٣٤٣٩) من حديث أبي هريرة .

ويضعف الآخر كالحال مع القوة والمرض سواء ، فإذا قوى باعث شهوة الوقاع المحرم وغلب بحيث لا يملك معها فرجة ، أو يملكه ولكن لا يملك طرفه ، أو يملكه ولكن لا يملك قلبه ، بل لا يزال يحدثه بما هناك ويعده ويمينه ويصرفه عن حقائق الذّكر والتفكر فيما ينفعه فى دنياه وآخرته .

فإذا عزم على التداوى ومقاومة هذا الداء فليضعفه أولاً بأمور :

أحدها : أن ينظر إلى مادة قوة الشهوة فيجدها من الأغذية المحركة للشهوة إما بنوعها أو بكميتها وكثرتها ليحسم هذه المادة بتقليلها ، فإن لم تنحسم ، فليبادر إلى الصوم فإنه يضعف مجارى الشهوة ويكسر حدتها (٢) ، ولا سيما إذا كان أكله وقت الفطر معتدلاً .

والثاني : أن يجتنب محرك الطلب وهو النظر ، فليقصر لجام طرفه ما أمكنه ، فإن داعى الإرادة والشهوة إنما يهيج بالنظر ، والنظر يحرك القلب بالشهوة ، وفى " المسند " عنه ﷺ : " **النَّظرُ سهم مسموم من سهام إبليس** " (٣) .

---

(٢) أخرجه البخارى فى " صحيحه " كتاب " الصوم " (١٩٠٥) ، مسلم فى كتاب " النكاح " (١٤٠٠) من حديث عبد الله بن مسعود .

(٣) **ضعيف جداً .**

أخرجه الحاكم (٤/٣٠٣ – ٣١٤) ، القضاعى فى " مسند الشهاب" (٢٩٢) ، ابن الجوزى فى " ذم الهوى " (صـ١٣٩) كلهم من طريق عبد الرحمن ابن إسحاق الواسطى عن محارب بن دثار عن صله بن زفر عن حذيفه .

قلت : وفى إسناده عبد الرحمن بن إسحاق متروك الحديث . =

وهذا السهم يشرده إبليس نحو القلب ولا يصادف جُنَّة [٤] دونه ، وليست الجنة إلا غض الطرف أو التحيز والانحراف عن جهة الرَّمي فإنه إنما يرمى هذا السهم عن قوس الصُّور ، فإذا لم تقف على طريقها أخطأ السهم ، وإن نصبت قلبك غرضا فيوشك أن يقتله سهم من تلك السهام المسمومة .

الثالث : تسلية النفس بالمباح المعوض عن الحرام ، فإن كل ما يشتهيه الطبع ففيما أباحه الله سبحانه غنية عنه ، وهذا هو الدواء النافع فى حق أكثر الناس ؛ كما أرشد النبي ﷺ .

فالدواء الأول : يشبه قطع العلف عن الدابة الجموح ، وعن الكلب الضارى ، لإضعاف قوتهما .

والدواء الثانى : يشبه تغييب اللحم عن الكلب والشعير عن البهيمة لئلا تتحرك قوتهما له عند المشاهدة .

= وأخرجه القضاعي فى " مسند الشهاب " (٢٩٣) من طريق عبد الرحمن ابن إسحاق عن محارب بن دثار عن ابن عمر .

وأخرجه الطبرانى فى " الكبير " (١٠٣٦٢) من حديث عبد الله بن مسعود ، وفى إسناده عبد الرحمن بن إسحاق ، وللحديث طرق كثيرة من حديث أبي أمامة على بن أبي طالب ، وعائشة ، ولكنها لا تخلو من ضعف .

وأورده المنذرى فى " الترغيب والترهيب " (٦٣/٣) وقال : خرجه الطبرانى والحاكم من رواية عبد الرحمن بن إسحاق الواسطى وهو واه .

(٤) أى الوقاية .

والدواء الثالث : يشبه إعطاءهما من الغذاء ما يميل إليه طبعهما بحسب الحاجة ، لتبقى معه القوة ، فتطبع صاحبهما ، ولا تغلب بإعطائهما الزيادة على ذلك .

الرابع : التفكير فى المفاسد الدنيوية المتوقعة من قضاء هذا الوطر [٥] ، فإنه لو لم يكن جنة ولا نار لكان فى المفاسد الدنيوية ما ينهى عن إجابة هذا الداعى ، ولو تكلفنا عدها لفاقت الحصر ، ولكن عين الهوى عمياء . [٦]

الخامس : فى مقابح الصورة الى تدعوه نفسه إليها إن كانت معروفة بالإجابة له ولغيره ، فيعز نفسه أن يشرب من حوض ترده الكلاب والذئاب ، كما قيل :

سأتركُ وصْلَكم شرَفاً وعِـزّاً
لِخِسَّةِ سائرِ الشُركاء فيه

وقال آخر :

إذا كثُر الذبابُ على طعامٍ
رفعتُ يدي ونفسي تَشْتَهيه

وتجتنبُ الأسودُ ورود ماءٍ
إذا كان الكلابُ يلَغْن فيه

---

(٥) الحاجة والرغبة .

(٦) انظر " الداء والدواء " للمصنف (صـ ٣٠٤ - ٣٠٦) .

وليذكر مخالطة ريقه كل خبيث ريقه الداء الدَّوي ، فإن ريق الفاسق داءٌ ، كما قيل :

تسل يا قلبُ عن سمح بمهجة
مـــبذل كل ما يلقـــاهُ يُقرفُـــه

كالماء أى صيد ياتيـــه ينهلُه
والغُصْن أي نسيم من يعطفُه

وإن حلا ريقٌ فاذكر مرارتَه
فى فم أبخَرٍ يحفيه ويرشفُـــه

ومن له أدنى مروءة ونخوة يأنف لنفسه من مواصلة من هذا شأنه فإن لم تجبه نفسه إلى الإعراض ورضى بالمشاركة فلينظر إلى ما وراء هذا اللون والجمال الظاهر من القبائح الباطنة ، فإن من مكن نفسه من فعل القبائح فنفسه أقبح من نفوس البهائم ، فإنه لا يرضى لنفسه بذلك حيوان من الحيوانات أصلاً إلا ما يحكى عن الخنزير ، وإنه ليس فى البهائم لوطي سواه ، فقد رضي هذا الممكن من نفسه أنه يكون بمنزلة الخنزير ، وهذا القبح يغطي كل جمال وملاحة فى الوجه والبدن ،غير أن حبُّك الشيء يُعمي ويُصِم .

وإن كانت الصورة أنثى فقد خانت الله ورسوله وأهلها وبعلها ونفسها وأورثت ذلك لمن بعدها من ذريتها ، فلها نصيب من وزرهم وعارهم ، ولا نسبة لجمال صورتها إلى هذا القبح ألبتة .

وإذا أردت معرفة ذلك فانظر إلى القبح الذى يعلو وجه أحدهما فى كبره ، وكيف يقلب الله سبحانه تلك المحاسن مقابح حتى تعلو الوحشة والقبح وجهه ، كما قيل شعراً :

لو فَكَّرَ العاشــقُ فى منتهى

حُسنِ الذي يَسبيه لم يَسبِـــه

وتفصيل هذه الوجوه يطول جداً ، فيكفى ذكرُ أصولها .

فصل

وأما تقوية باعث الدين ، فإنه يكون بأمور :

أحدها : إجلال الله تبارك وتعالى أن يُعصى وهو يرى ويسمع ، ومن قام بقلبه مشهدُ إجلاله لم يطاوعه قلبه لذلك ألبتة .

الثاني : مشهد محبته سبحانه ، فيترك معصيته محبة له ، فإن المحب لمن يحب مطيع ، وأفضل الترك ترك المحبين ، كما أن أفضل الطاعة طاعة المحبين ، فبين ترك المحب وطاعته وترك من يخاف العذاب وطاعته بون بعيد .

الثالث : مشهد النعمة والإحسان ، فإن الكريم لا يقابل بالإساءة من أحسن إليه ، وإنما يفعل هذا لئام الناس ، فليمنعه مشهد إحسان الله تعالى ونعمته عن معصيته حياءً منه أن يكون خير الله وإنعامه نازلاً إليه ومخالفته ومعاصيه وقبائحه صاعدة إلى ربه ، فملكٌ ينزل بهذا وملك يعرجُ بذاك فأقبح بهامن مقابلة .

الرابع : مشهد الغضب والانتقام ، فإن الرب تعالى إذا تمادى العبد فى معصيته غضب ، وإذا غضب لم يقم لغضبه شيء فضلاً عن هذا العبد الضعيف .

الخامس : مشهد الفوات ، وهو : ما يفوته بالمعصية من خير الدنيا والآخرة ، وما يحدث له بها من كل اسم مذموم عقلاً وشرعاً وعُرفاً ويزول عنه من الأسماء الممدوحة شرعاً وعقلاً وعُرفا ، ويكفى هذا المشهد مشهد فوات الإيمان الذى أدنى مثقال ذرة منه خير من الدنيا وما فيها أضعافاً مضاعفة ، فكيف أن يبيعه بشهوة تذهب لذاتها وتبقى تبعتُها ، تذهب الشهوة وتبقى الشقوة ، وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال : " **لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن** " (٧) .

قال بعض الصحابة : " يُنزع الإيمانُ حتى يبقى على رأسه مثل الظلة ، فإن تاب رجع إليه " (٨) . وقال بعض التابعين : " ينزع عنه

---

(٧) أخرجه البخارى فى " صحيحه " كتاب " المظالم " (٢٤٧٥) ، مسلم كتاب " الإيمان " (٥٧) .

(٨) **إسناده صحيح .**

أخرجه أبو داود (٤٦٩٠) ، الحاكم (٢٢/١) ، ابن منده فى " الإيمان " (٥١٩) البيهقى فى " شعب الإيمان " (٥٣٦٤) من طريق إسحاق بن سويد الرملى حدثنا ابن أبي مرين أخبرنا نافع يعنى ابن زيد قال : حدثنى ابن الهاد أن سعيد بن أبي سعيد المقبرى حدثه أنه سمع أبا هريرة مرفوعاً .

قلت : وهذا إسناد صحيح ، وابن أبي مريم هو سعيد بن الحكم المصرى وهو ثقة .

وأخرجه ابن أبي شيبة فى " الإيمان " (١٦) ، عبد الله بن أحمد فى كتاب " السنة " (٥٧٣) ، الأجرى فى كتاب " الشريعة " (٢٥٣) ، اللالكائى فى " شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة " (١٨٧٠) من طريق يزيد بن هارون . قال : أنا العوام قال : حدثنى على بن مدرك عن أبي زرعة عن أبي هريرة قوله . =

الإيمان كما ينقص القميص فإن تاب لبسه " . ولهذا روي عن النبي ﷺ في الحديث الذى رواه البخارى : الزُناة فى التنور عراة ، لأنهم تعروا من لباس الإيمان ، وعاد تنور الشهوة الذى كان فى قلوبهم تنوراً ظاهراً يُحمى عليه فى النار [٩] .

السادس : مشهدُ القهر والظفر ، فإن قهر الشهوة والظفر بالشيطان له حلاوة ومسرَّة وفرحة عند من ذاق ذلك أعظم من الظفر بعدوه من الآدميين وأحلى موقعاً وأتم فرحة ، وأما عاقبته فأحمد عاقبة ، وهو كعاقبة شرب الدواء النافع الذى أزال داء الجسد ، وأعاده إلى صحته واعتداله .

السابع : مشهد العِوضِ ، وهو : ما وعد الله سبحانه من تعويض من ترك المحارم لأجله ، ونهى نفسه عن هواها ، وليوازنه بين العوض والمعوض ، فأيهما كان أولى بالإيثار اختاره وارتضاه لنفسه .

الثامن : مشهد المعية ، وهو نوعان : معية عامة . ومعية خاصة.

فالعامة إطلاع الرب عليه ، وكونه بعينه لا تخفى عليه حاله ، وقد تقدم هذا .

والمقصود هنا : المعية الخاصة ، كقوله تعالى ﴿ **إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ** ﴾ [الأنفال : ٤٦] ، وقوله : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ** ﴾ [النحل : ١٢٨] ، وقوله : ﴿ **وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ**

= **قلت** : لا تعارض فى الوصل والوقف فالذين رفعوه ثقات والذين وقفوه ثقات أيضاً .

(٩) أخرجه البخارى فى " صحيحه " كتاب " التعبير" (٧٠٤٧) ، أحمد (٥/٨، ٩)

الْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت : ٦٩] فهذه المعية الخاصة خير وأنفعُ فى دنياه وآخرته ممن قضى وطره ونال شهوته على التمام من أول عمره إلى آخره ، فكيف يؤثر عليها لذة منغصة منكدة فى مدة يسيرة من العمر إنما هى كأحلام نائم أو كظل زائل .

التاسع : مشهد المغافصة (١٠) والمعالجة ، وهو : أن يخاف أن يغافصه الأجل ، فيأخذه الله غِرّة ، فيُحال بينه وبين ما يشتهى من لذات الآخرة ، فيا لها من حسرة ما أمرّها وما أصعبها ، لكن لا يعرفُها إلا من جرَّبها . وفى بعض الكتب القديمة : " يا من لا يأمن على نفسه طرفة عين ولا يتمُّ له سرور يوم الحذر الحذر " .

العاشر : مشهد البلاء والعافية ، فإن البلاء فى الحقيقة ليس إلا الذنوب وعواقبها ، والعافية المطلقة هى الطاعات وعواقبها ، فأهل البلاء هم أهل المعصية وإن عوفيت أبدانهم ، وأهل العافية هم أهل الطاعة وإن مرضت أبدانهم .

وقال بعض أهل العلم فى الأثر المروي : " إذا رأيتم أهل البلاء فاسألوا الله العافية " (١١) ، فإن أهل البلاء المبتلون بمعاصى الله والإعراض والغفلة عنها وهذا وإن كان أعظم البلاء فاللفظ يتناول أنواع المبتلين فى أبدانهم وأديانهم ، والله أعلم .

---

(١٠) هو الأخذ بغتة .

(١١) لم أقف عليه بهذا اللفظ وفى معناه ما أخرجه الترمذى ، الطبرانى فى " الدعاء " (٧٩٩) من حديث أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : " **الحمد لله الذى عافانى مما ابتلاه وفضلني على كثير** ... " الحديث .

الحادي عشر : أن يُعوِّد باعث الدين ودواعيه مصارعة داعي الهوى ومقاومته على التدريج قليلاً قليلاً حتى يدرك لذة الظفر ، فتقوى حينئذ همته ، فإن من ذاق لذة شيء قويت همته فى تحصيله ، والاعتياد لممارسة الأعمال الشاقة تزيد القوى التى تصدر عنها تلك الأعمال ، ولذلك تجد قوى الحمّالين وأرباب الصنائع الشاقة تتزايد بخلاف البزاز والخياط ونحوهما ، ومن ترك المجاهدة بالكلية ضعف فيه باعث الدين وقوى فيه باعث الشهوة ، ومتى عود نفسه مخالفة الهوى غلبه متى أراد .

الثانى عشر : كف الباطل عن حديث النفس ، وإذا مرت به الخواطر نفاها ولا يؤويهاويساكنها ، فإنها تصير منى ، وهو رؤوس أموال المفاليس ، ومتى سكنت الخواطر صارت أمانى ، ثم تقوى فتصير هموماً ، ثم تقوى فتصير إرادات ، ثم تقوى فتصير عزماً يقترن به المراد ، فدفع الخاطر الأول أسهل وأيسر من دفع أثر المقدور بعد وقوعه وترك معاودته .

الثالث عشر : قطع العلائق والأسباب التى تدعوه إلى موافقة الهوى ، وليس المراد أن لا يكون له هوى ، بل المراد أن يصرف هواه إلى ما ينفعه ويستعمله فى تنفيذ مراد الرب تعالى ، فإن ذلك يدفع عنه شر استعماله فى معاصيه ، فإن كل شيء من الإنسان لله يقيه شرَّ استعماله لنفسه وللشيطان ، وما لا يستعمله لله استعمله لنفسه وهواه ولا بد .

فالعلم إن لم يكن لله كان للنفس والهوى . والعمل إن لم يكن لله كان للرّياء والنّفاق . والمال إن لم ينفق فى طاعة الله أُنفق فى طاعة

الشيطان والهوى . والجاه إن لم يستعمله صاحبه فى أمر الله استعمله فى هواه وحظوظه . والقوة إن لم يستعملها فى أمر الله استعملته فى معصيته .

فمن عوَّد نفسه العمل لله لم يكن عليه أشق من العمل لغيره ، ومن عوَّد نفسه العمل لهواه وحظه لم يكن عليه أشق من إخلاص العمل لله وهذا فى جميع أبواب الأعمال ، فليس شيء أشق على المنفق لله من الإنفاق لغيره ، وكذا بالعكس .

الرابع عشر : صرف الفكر إلى عجائب آيات الله التى ندب عباده إلى التفكير فيها ، وهى : آياته المتلوة وآياته المجلوة ، فإذا استولى ذلك على قلبه دفع عنه محاضرة الشيطان ومحادثته ووسواسه ، وما أعظم غبن من أمكنه أن لا يزال محاضراً للرحمن وكتابه ورسوله والصحابة ، فرغب عن ذلك إلى محاضرة الشيطان من الإنس والجن فلا غبن بعد ذلك الغبن ، والله المستعان .

الخامس عشر : التفكر فى الدنيا وسرعة زوالها وقرب انقضائها ، فلا يرضى لنفسه أن يتزود منها إلى دار بقائه وخلوده أخسّ ما فيها وأقله نفعاً إلا ساقط الهمة دنيء المروءة ميت القلب ، فإن حسرته تشتد إذا عاين حقيقة ما تزوده وتبين له عدم نفعه له ، فكيف إذا كان ترك تزود ما ينفعه إلى زاد يعذب به ويناله بسببه غاية الألم ، بل إذا زاد ما ينفعه وترك ما هو أنفع منه له كان ذلك حسرة عليه وغبناً .

السادس عشر : تعرضه إلى من القلوب بين إصبعيه ، وأزمّة الأمور بيديه ، وانتهاء كل شيء إليه على الدوام ، فلعله أن يصادف

أوقات النفحات [١٢] ، كما فى الأثر المعروف : " إن لله فى أيام دهره نفحات ، فتعرضوا لنفحاته ، واسألوا الله أن يستر عوراتكم ، ويؤمن روعاتكم " [١٣] .

ولعله فى كثرة تعرضه أن يصادف ساعة من الساعات التى لا يُسأل الله فيها شيئاً إلا أعطاه ، فمن أُعطى الدعاء أُعطى الإجابة ، فإنه لو لم يُرد إجابته لما ألهمه الدعاء ، كما قيل :

لو لم ترد نيل ما أرجو وأطلبه   من جود كفِّك ما عودتنى الطَّلبا

ولا يستوحش من ظاهر الحال ، فإن الله سبحانه يعامل عبده معاملة من ليس كمثله شيء فى صفاته ، فإنه ما حرمه إلا ليعطيه ،

---

(١٢) هى أوقات الاستجابة .

(١٣) **إسناده ضعيف .**

أخرجه ابن أبي الدنيا فى " الفرج بعد الشدة " (٢٧) ، الطبرانى فى" الكبير " (٢٢٣/١ – ٢٣٣/١٩) ، وفى " الدعاء " (٢٦) ، البغوى فى " شرح السنة " (١٣٧٨) وقال : هذا حديث غريب ، أبو نعيم فى " الحلية " (١٦٢/٣) ، البيهقى فى " الأسماء والصفات " (٣٧٨/١ – ٣٧٩) ، وفى " شعب الإيمان " (١٠٨٣ ، ١٠٨٤، ١٠٨٥) وقال : وهذا هو المحفوظ دون الأول ، والقضاعي فى " مسند الشهاب " (٧٠١) كلهم من طريق يحيى بن أيوب الغافقى عن عيسى بن موسى عن صفوان بن سليم عن أنس بن مالك .

قلت : وهذا إسناد معل بعلتين :

١- عيسى بن موسى ضعيف كما فى التقريب .

٢- صفوان بن سليم لم يدرك أنس بن مالك كما نقل الحافظ ابن حجر فى " التهذيب " (٣٧٤/٤) عن أبي حاتم الرازى قال : لم يرى أنساً ولا يصح روايته عنه .

ولا أمرضه إلا ليشفيه ، ولا أفقره إلاليغنيه ، ولا أماته إلا ليحيه ، وما أخرج أبويه من الجنة إلا ليعيدهما إليها على أكمل حال ، كما قيل : يا آدم لا تجزع من قولي لك اخرج منها ، فلك خلقتها وسأعيدك إليها.

فالرب تعالى ينعم على عبده بابتلائه ، ويعطيه بحرمانه ، ويصحبه بسقمه ، فلا يستوحش عبده من حالة تسوؤه أصلاً إلا إذا كانت تغضبه عليه ، وتبعده منه .

السابع عشر : أن يعلم العبد بأنه فيه جاذبين متضادين ، ومحنته بين الجاذبين : جاذب يجذبه إلى الرفيق الأعلى من أعلى عليين ، وجاذب يجذبه إلى أسفل سافلين .

فكلما انقاد مع الجانب الأعلى صعد درجة حتى ينتهى إلى حيث يليق به من المحل الأعلى ، وكلما انقاد إلى الجانب الأسفل نزل درجة حتى ينتهى إلى موضعه من سجين ، ومتى أراد أن يعلم هل هو مع الرفيق الأعلى أو الأسفل ، فلينظر أين روحه فى هذا العالم ، فإنها إذا فارقت البدن تكون فى الرفيق الأعلى الذى كانت تجذبه إليه فى الدنيا فهو أولى بها ، فالمرء مع من أحب طبعاً وعقلاً وجزاءًا ، وكل مهتم بشيء فهو منجذب إليه وإلى أهله بالطبع ، وكل امرء يصبو إلى ما يناسبه ، وقد قال تعالى : ﴿ **قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ** ﴾ [الإسراء : ٨٤] فالنفوس العلوية تنجذب بذاتها وهمها وأعمالها إلى أعلى ، والنفوس السافلة إلى أسفل .

الثامن عشر : أن يعلم العبد أن تفريغ المحل شرط لنزول غيث الرحمة ، وتنقيته من الدغل شرط لكمال الزرع ، فمتى لم يُفرغ المحل لم يصادف غيث الرحمة محلاً قابلاً ينزل فيه ، وإن فرغه حتى

أصابه غيث الرحمة ولكنه لم ينقه من الدغل لم يكن الزرع زرعاً كاملاً بل ربما غلب الدغل على الزرع فكان الحكم له ، وهذا كالذى يُصلح أرضه ، ويهيئها لقبول الزرع ، ويودع فيها البذور ، وينتظر نزول الغيث ، فإذا طهّر العبدُ قلبه وفرَّغه من إرادة السوء وخواطره ، وبذر فيه بذر الذِّكر والفكر والمحبة والإخلاص ، وعرَّضه لمهاب الريح والرحمة ، وانتظر نزول غيث الرحمة فى أوانه ، كان جديراً بحصول المقل ، وكما يقوى الرجاء لنزول الغيث فى وقته ، كذلك يقوى الرجاء لإصابة نفحات الرحمن جل جلاله فى الأوقات الفاضلة والأحوال الشريفة ، ولا سيما إذا اجتمعت الهمم ، وتساعدت القلوب ، وعظم الجمع ، كجمع عرفة ، وجمع الاستسقاء ، وجمع أهل الجمعة ، فإن اجتماع الهمم والانفاس أسباب نصبها الله تعالى مقتضية لحصول الخير ونزول الرحمة ، كما نصب سائر الاسباب مقتضية إلى مسبباتها بل هذه الأسباب فى حصول الرحمة ، أقوى من الأسباب الحسية فى حصول مسبباتها ، ولكن العبد بجهله يغلب عليه الشاهد على الغائب الحسن ، وبظلمه يؤثر ما يحكم به ويقتضيه على ما يحكم به الآخر ويقتضيه ، ولو فرغ العبد المحل وهيأه وأصله لرأى العجائب ، فإن فضل الله لا يرده إلا المانع الذى فى العبد ، فلو زال ذلك المانع لسارع إليه الفضل من كل صوب ، فتأمل حال نهر عظيم يسقى كل أرض يمر عليها فحصل بينه وبين بعض الأرض المعطشة المجدبة سكر وسد كثيف ، فصاحبها يشكو الجدب والنهر إلى جانب أرضه .

التاسع عشر : أن يعلم العبد أن الله سبحانه خلقه لبقاء لا فناء له ، ولعز لا ذل معه ، وأمن لا خوف فيه ، وغناء لا فقر معه ، ولذة لا ألم

معها ، وكمال لا نقص فيه ، وامتحنه فى هذه الدار بالبقاء الذى يسرع إلى الفناء ، والعز الذى يقارنه الذل ويعقبه الذل ، والأمن الذى معه الخوف وبعده الخوف ، وكذلك الغناء واللذة والفرح والسرور والنعيم الذى هنا مشوب بضده ؛ لأنه يتعقبه ضده ، وهو سريع الزوال ، فغلط أكثر الخلق فى هذا المقام إذ طلبوا النعيم ، والبقاء والعز والملك والجاه فى غير محله ، وأكثرهم لم يظفر بما طلبه من ذلك ، والذى ظفر به إنما هو متاع قليل ، والزوال قريب ، فإنه سريع الزوال عنه .

والرسل صلوات الله وسلامه عليهم إنما جاءوا بالدعوة إلى النعيم المقيم والملك الكبير ، فمن أجابهم حصل له ألذ ما فى الدنيا وأطيبه ، فكان عيشه فيها أطيب من عيش الملوك فمن دونهم ، فإن الزهد فى الدنيا ملك حاضر ، والشيطان يحسد المؤمن عليه أعظم حسد ، ويحرص كل الحرص على أن لا يصل إليه ، فإن العبد إذا ملك شهوته وغضبه فانقاد معه لداعي الدين فهو الملك حقاً ؛ لأن صاحب هذا الملك حر ، والملك المنقاد لشهوته وغضبه عبد شهوته وغضبه ، فهو مسخر مملوك فى زى مالك ، يقوده زمام الشهوة والغضب ، كما يُقاد البعير .

فالمغرور المخدوع يقطع نظره على الملك الظاهر الذى ظاهره ملك وباطنه رق ، وعلى الشهوة التى أولها لذة وآخرها حسرة .

والبصير الموفق يغير نظره من الأوائل إلى الأواخر ، ومن المبادئ إلى العواقب ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

العشرون : أن لا يغتر العبد باعتقاده أن مجرد العلم بما ذكرنا كاف فى حصول المقصود ، بل لا بد أن يضيف إليه بذل الجهد فى استعماله واستفراغ الوسع والطاقة فيه ، وملاك ذلك الخروق من العوائد ، فإنها أعداء الكمال والفلاح ، فلا أفلح من استمر مع عوائده أبداً ، ويستعين على الخروج من العوائد بالهرب من مضان الفتنة والبعد عنها ما أمكنه ، وقد قال النبي ﷺ : " **من سمع بالدجال فلينأ عنه** " (١٤)، فما استعين على التخلص من الشر بمثل البعد عن أسبابه ومظانه .

وها هنا لطيفة للشيطان لا يتخلص منها إلا حاذق ، وهى : أن يظهر له فى مظان الشر بعض شيء من الخير ، ويدعوه إلى تحصيله فإذا قرب منه ألقاه فى الشبكة ، والله أعلم (١٥).



---

(١٤) **إسناده صحيح .**

أخرجه أحمد (٤/٤٣١ ، ٤٤١) ، أبو داود (٤٣١٩) ، ابن أبي شيبة فى " مصنفه " (١٥/١٢٩) ، البزار فى " مسنده " (٩/٧٦) ، الطبرانى فى " الكبير " (١٨/٥٥٠ ، ٥٥١) ، الحاكم (٤/٥٣١) كلهم من طرق عن حميد بن هلال عن أبي الدهماء عن عمران بن حصين .

(١٥) راجع كتاب " إغاثة اللهفان " .

الباب الثالث عشر

فى بيان أن الإنسان لا يستغنى عن الصبر فى حال من الأحوال

فإنه بين أمر يجب عليه امتثاله وتنفيذه ، ونهي يجب عليه اجتنابه وتركه ، وقدر يجرى عليه اتفاقاً ، ونعمة يجب شكر المنعم عليها ، وإذا كانت هذه الأحوال لا تفارقه ، فالصبر لازم له إلى الممات ، وكل ما يلقى العبد فى هذه الدار لا يخلو من نوعين :

أحدهما : يوافق هواه ومراده .

والآخر : يخالفه وهو محتاج إلى الصبر فى كل منهما .

وأما النوع الموافق لغرضه ، فكالصحة والسلامة والجاه والمال ، وأنواع الملاذ المباحة ، وهو أحوج شيء إلى الصبر فيها من وجوه :

أحدها : أن لا يركن إليها ، ولا يغتر بها ، ولا تحمله على البطر والأشر والفرح المذموم الذى لا يحب الله أهله .

الثانى : أن لا ينهمك فى نيلها ، ويبالغ فى استقصائها ، فإنها تنقلب إلى أضدادها ، فمن بالغ فى الأكل والشرب والجماع انقلب ذلك إلى ضده ، وحُرم الأكل والشرب والجماع .

الثالث : أن يصبر على أداء حق الله فيها ، ولا يُيعه ، فيُسلبُها .

الرابع : أن يصبر عن صرفها فى الحرام فلا يُمكِّن نفسه من كل ما تريده منها ، فإنها توقعه فى الحرام ، فإن احترز كل الاحتراز أوقعته فى المكروه ، ولا يصبر على السراء إلا الصديقون .

قال بعض السلف : " البلاء يصبر عليه المؤمن والكافر ولا يصبر على العافية إلا الصديقون " وقال عبد الرحمن بن عوف ﷺ : " ابتلينا بالضراء فصبرنا ، وابتلينا بالسراء فلم نصبر " [١] .

ولذلك حذر الله عباده من فتنة المال والأزواج والأولاد ؛ فقال تعالى ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ** ﴾ [المنافقون : ٩] ، وقال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلادِكُمْ عَدُوّاً لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ** ﴾ [التغابن : ١٤] .

وليس المراد من هذه العداوة ما يفهمه كثير من الناس أنها عداوة البغضاء والمحادة ، بل إنما هى عداوة المحبة الصادرة للآباء عن الهجرة والجهاد وتعلم العلم والصدقة ، وغير ذلك من أمور الدين وأعمال البر ، كما فى " جامع الترمذى " من حديث إسرائيل : حدثنا سماك عن كرمة عن ابن عباس وسأله رجل عن هذه الآية : : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلادِكُمْ عَدُوّاً لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ** ﴾ [التغابن : ١٤] . قال : " هؤلاء رجال أسلموا من أهل مكة ، فأرادوا أن يأتوا النبي ﷺ فأبى أزواجهم وأولادهم أن يدعوهم ان يأتوا رسول الله ﷺ فلما أتوا رسول الله ﷺ ورأوا الناس قد فقهوا فى الدين همّوا أن يعاقبوهم ؛ فأنزل الله : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلادِكُمْ**

---

(١) **إسناده حسن .**

أخرجه الترمذى (٢٤٦٤ ، ٣١٠٦) قال حدثنا قتيبة ، حدثنا أبو صفوان عن يونس عن حميد بن عبد الرحمن عن عبد الرحمن بن عوف قال : وساق الكلام ، وقال الترمذى : هذا حديث حسن .

﴿عَدُوّاً لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾ [التغابن : ١٤] [٢] قال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح .

وما أكثر ما فات العبد من الكمال والفلاح بسبب زوجته وولده ، وفى الحديث : " **الولدُ مبخلة مجبنة** " [٣] ، وقال الإمام أحمد : حدثنا

---

(٢) **صحيح لغيره .**

أخرجه أحمد (٤٤٥/٦ ، ٤٥٢) ، الترمذى (٣٣١٧) ، وقال : هذا حديث حسن صحيح ، الطحاوى فى " مشكل الآثار " (٢١٨٠) ، الطبرى فى " تفسيره " (١٧٧٣٣) كلهم من طرق عن أبي صالح عن عطاء بن يسار عن شيخ من أهل مصر عن أبي الدرداء .

قلت : وفى الإسناد مجهول ، وهو الراوي عن أبي الدرداء .

وأخرجه الطبرى فى " تفسيره " (١٧٧٣٥ ، ١٧٧٣٦ ، ١٧٧٤١) من طريق الحجاج بن المنهال قال : حدثنا حماد بن زيد عن عاصم بن بهدلة عن أبي صالح قال : سمعت أبا الدرداء ، وسئل عن .... وهذا سند حسن .

وفى الباب من حديث عبادة بن الصامت كما عند أحمد (٣١٥/٥) ، أبو داود الطيالسي فى " مسنده " (٥٨٣) ، الترمذى (٢٢٧٥) ، ابن ماجة (٣٨٩٨) ، وابن جرير فى تفسيره (١٧٧١٨ ، ١٧٧١٩ ، ١٧٧٢٠ ، ١٧٧٢١ ، ١٧٧٢٥ ، ١٧٧٣٠ ، ١٧٧٣١) ، والحاكم (٣٤٠/٢) .

وعند أحمد (١٨/٢) ، وابن جرير فى " تفسيره " (١٧٧٢٦) من حديث عبد الله بن عمرو وسنده صحيح .

(٣) **إسناده ضعيف .**

أخرجه أحمد (١٧٢/٤) ، ابن ماجة ٠٣٦٦٦) ، ابن أبي شيبة فى " مصنفه " (٩٧/١٢) ، الطبرانى فى" الكبير " (٧٠٣/٢٢ ، ٧٠٤) ، البيهقى فى " السنن الكبير " (٢٠٢/١٠) ، والقضاعي فى " مسند الشهاب " (٢٥ ، ٢٦) =

زيد بن الحباب وقال : حدثنى حسين بن واقد قال : حدثنى عبد الله بن بريدة قال : سمعت أبي يقول : كان رسول الله ﷺ يخطبنا ؛ **فجاء** الحسن والحسين عليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران ، فنزل رسول الله ﷺ عن المنبر ، فحملهما ، فوضعهما بين يديه ، ثم قال : **صدق الله ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾** [التغابن : ١٥] **نظرت إلى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثى ، ورفعتهما** " (٤) ، وهذا من كمال رحمته ﷺ ولطفه بالصغار وشفقته عليهم ، وهو تعليم منه للأمة الرحمة والشفقة واللطف بالصغار .

= كلهم من طرق عن سعيد بن أبي راشد عن يعلي العامري .

قلت : وفى إسناده سعيد بن أبي راشد مجهول لم يوثقه إلا ابن حبان ، ومن حديث أبي سعيد الخدري كما عند البزار فى " كشف الأستار " (١٨٩٢) وأبو يعلي فى " مسنده " (١٠٣٢) وإسناده ضعيف .

وأورده الهيثمي فى " مجمع الزوائد " (١٥٥/٨) وقال : رواه البزار وأبو يعلي وفيه عطية العوفى وهو ضعيف .

(٤) **إسناده صحيح .**

أخرجه احمد (٣٥٤/٥) ، أبو داود (١١٠٩) ، الترمذى (٣٧٧٤) ، ابن ماجة (٣٦٠٠) ، النسائى فى " الصغرى " (١٠٨/٣ ، ١٩٢) ، ابن أبي شيبة فى " مصنفه " (٣٦٨/٨ ، ٩٩/١٢) ، ابن أبي الدنيا فى كتاب " العيال " (١٧٩) ، وابن حبان كما فى " الإحسان " (٦٠٣٩) ، الحاكم (٢٨٧/١) ، ابن خزيمة فى " صحيحه " (١٤٥٦) ، البيهقى فى " السنن الكبير" (٢١٨/٣) ، " شعب الإيمان " (١١٠١٦) كلهم من طرق عن الحسين بن واقد حدثنى عبد الله بن بريدة قال : سمعت أبي بريدة .

قلت : وهذا إسناد رجال ثقات .

وإنما كان الصبر على السراء شديداً ، لأنه مقرون بالقدرة ، والجائع عند غيبة الطعام أقدر منه على الصبر عند حضوره ، وكذلك الشبق عند غيبة المرأة أصبر منه عند حضورها .

وأما النوع الثاني : المخالف للهوى فلا يخلو إما أن يرتبط باختيار العبد ، كالطاعات والمعاصي ، أو لا يرتبط باختياره كالمصائب ، أو يرتبط أوله باختياره ولكن لا اختيار له في إزالته بعد الدخول فيه ، فها هنا ثلاثة أقسام :

أحدها : ما يرتبط باختياره ، وهو : جميع أفعاله التي توصف بكونها طاعة أو معصية .

فأما الطاعة فالعبد محتاج إلى الصبر عليها ، لأن النفس بطبعها تنفر عن كثير من العبودية ، أما في الصلاة فلما في طبعها من الكسل وإيثار الراحة ولا سيما إذا اتفق مع ذلك قسوة القلب ورين الذنب (٥) والميل إلى الشهوات ، ومخالطة أهل الغفلة فلا يكاد العبد مع هذه الأمور وغيرها أن يفعلها ، وإن فعلها مع ذلك كان متكلفاً غائب القلب ذاهلاً عنها طالباً لفراقها كالجالس إلى الجيفة ، وأما الزكاة فلما في طبعها من الشح والبخل ، وكذلك الحج والجهاد للأمرين جميعاً وطبعاً .

ويحتاج العبد ههنا إلى الصبر في ثلاثة أحوال :

أحدها : قبل الشروع فيها بتصحيح النية والإخلاص ، وتجنب دواعي الريّة والسُّمعة ، وعقد العزم على توفية المأمورية حقَّها .

---

(٥) هو صدأ القلوب .

الحالة الثانية : الصب حالا لعمل ، فيلازم العبد الصبر عن دواعى التقصير فيه والتفريط ، ويلازم الصبر على استصحاب ذكر النية وعلى حضور القلب بين يدى المعبود ، وأن لا ينساه فى أمره ، فليس الشأن فى فعل المأمور بل الشأن كل الشأن أن لا ينسى الآمر حال الإتيان بأمره بل يكون مستصحباً لذكره فى أمره ، فهذه عبادة العبيد المخلصين لله ، فهو محتاج إلى الصبر على توفيقه العبادة حقها بالقيام بأدائها وأركانها وواجباتها وسننها ، وإلى الصبر على استصحاب ذكر المعبود فيها ولا يشتغل عنه بعبادته فلا يعطله حضوره مع الله بقلبه عن قيام جوارحه بعبوديته ، ولا يعطله قيامُ الجوارح بالعبودية عن حضور قلبه بين يديه سبحانه .

الحالة الثالثة : الصبر بعد الفراغ من العمل وذلك من وجوه :

أحدها : أن يصبر نفسه عن الإتيان بما يبطل عمله ، قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى** ﴾ [البقرة : ٢٦٤] فليس الشأن الإتيان بالطاعة إنما الشأن فى حفظها مما يبطلها .

الثانى : أن يصبر عن رؤيتها والعجب بها والتكبر والتعظم بها ، فإن هذا أضرُ عليه من كثير من المعاصى الظاهرة .

الثالث : أن يصبر عن نقلها من ديوان السر إلى ديوان العلانية ، فإن العبد يعمل العمل سراً بينه وبين الله سبحانه فيكتب فى ديوان السر فإن تحدث به نُقل إلى ديوان العلانية ، فلا يظن أن ديوان الصبر انطوى بالفراغ من العمل .

وأما الصبر عن المعاصي فأمره ظاهر ، وأعظم ما يعينُ عليه قطع المألوفات ، ومفارقة الأعوان عليها فى المجالسة والمحادثة ،

وقطع العوائد ، فإن العادة طبيعية خاصة ، فإذا انضافت الشهوة إلى العادة تظاهر جندان من جند الشيطان فلا يقوى باعثُ الدين على قهرهما .

القسم الثانى : ما لا يدخل تحت الاختيار ، وليس للعبد حيلة فى دفعه ، كالمصائب التى لا صنع للعبد فيها ، كموت من يعزُّ عليه ، وسرقة ماله ، ومرضه ، ونحو ذلك ، وهذا نوعان :

أحدهما : ما لا صنع للعبد الآدمي فيه .

الثاني : ما أصابه من جهة الآدمي مثله ، كالسب ، والضرب ، وغيرهما .

فالنوع الأول للعبد فيه أربعة مقامات :

أحدها : مقام العجز ، وهو مقام الجزع والشكوى والسخط ، وهذا ما لا يفعله إلا أقل الناس عقلاً وجديناً ومروءة ، وهو أعظم المصيبتين

المقام الثاني : مقام الصبر إما لله وإما للمروءة الإنسانية .

المقام الثالث : مقام الرضى وهو : أعلى من مقام الصبر ، وفى وجوبه نزاع ، والصبر متفق على وجوبه .

المقام الرابع : مقام الشكر ، وهو : أعلى من مقام الرضى ، فإنه يشهد البلية نعمه ، فيشكر المُبتلى عليها .

وأما النوع الثاني : وهو ما أصابه من قِبَلِ الناس فله فيه هذه المقامات ، ويُضاف إليها أربعة أخر :

أحدها : مقام العفو والصفح .

والثاني : مقام سلامة القلب من إرادة التشفي والانتقام وفراغه من ألم مطالعة الجناية كل وقت ، وضيقه بها .

والثالث : مقام شهود القدر ، وأنه وإن كان ظالماً بإيصال هذا الأذى إليك ، فالذى قدَّره عليك وأجراه على يد هذا الظالم ليس بظالم ، وأذى الناس مثل الحرِّ والبردِ لا حيلة فى دفعه ، فالمتسخط من أذى الحرِّ والبرد غير حازم ، والكل جار بالقدر ، وإن اختلفت طرقُه وأسبابُه .

المقام الرابع : مقام الإحسان إلى المسيء ومقابلة إساءته بإحسانك وفى هذا المقام من الفوائد والمصالح ما لا يعلمه إلا الله ، فإن فات العبد هذا المقام العالي فلا يرضى لنفسه بأخسِّ المقامات وأسفلها .

فصل

القسم الثالث : ما يكون وروده باختياره ، فإذا تمكن لم يكن له اختيار ولا حيلة فى دفعه ؛ وهذا كالعشق أوله اختيار وآخره اضطرار وكالتعرض لأسباب الأمراض والآلام التى لا حيلة فى دفعها بعد مباشرة أسبابها ، كما لا حيلة فى دفع السُكْرِ بعد تناول المُسْكِرِ ، فهذا كان فرضُه الصبر عنه فى أوله ، فلما فاته بقي فرضُه الصبر عليه فى آخره وأن لا يطيع داعى هواه ونفسه .

وللشيطان ههنا دسيسة عجيبة ، وهى : أن يُخيِّل إليه أن نيل بعض ما منع قد يتعين عليه ويباحُ له على سبيل التَّداوى ، وغايته أن يكون التداوى بالخمر والنجاسة ، وقد أجازه كثير من الفقهاء ، وهذا من أعظم الجهل ، فإن هذا التداوى لا يزيل الداء بل يزيده ويقويه ،

وكم ممن تداوى بذلك ، فكان هلاك دينه ودنياه فى هذا الدواء ، بل الدواء النافع لهذا الداء الصبرُ والتّقوى ، كما قال تعالى : ﴿ **وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ** ﴾ [آل عمران : ١٨٦] . وقال : ﴿ **إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ** ﴾ [يوسف : ٩٠] فالصبر والتقوى دواء كل داء من أدواء الدين لايستغنى أحدهما عن صاحبه .

فإن قيل : فهل يثاب على الصبر فى هذا القسم إذا كان عاصيا مُفرطاً يتعاطى أسبابه ؟ وهل يكون مُعاقباً على ما تولد له وهو غير اختيارى له ؟

قيل : نعم ؛ إذا صبر لله تعالى وندم على ما تعاطاه من السبب المحظور أثيب على صبره ، لأنه جهاد منه لنفسه وهو عمل صالح والله لا يُضيع أجر من أحسن عملاً . وأما عقوبته على ما تولد منه فإنه يستحقُ العقوبة على السبب وما تولد منه ، كما يعاقبُ السكرانُ على ما جناه فى حال سُكره ، فإذا كان السبب محظوراً لم يكن السكران معذوراً ، فإن الله سبحانه يعاقب على الأسباب المُحرمة وعلى ما تولد منها كما يثيب على الأسباب المأمور بها وعلى ما يتولد منها ، ولذا كان من دعا إلى بدعة وضلالة فعليه من الوزر مثل أوزار من اتبعه [٦] ، لأن اتباعهم له تولّد عن فعله ، ولذلك كان على ابن آدم القاتل لأخيه كفل من ذنب كل قاتل إلى يوم القيامة ، وقد قال تعالى : ﴿ **لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ** ﴾ [النحل : ٢٥] .

---

(٦) يشير إلى حديث أبر هريرة ﷺ الذى أخرجه مسلم فى " صحيحه " برقم (٢٦٧٤) .

و قال تعالى : ﴿ **وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالاً مَعَ أَثْقَالِهِمْ** ﴾ [العنكبوت : ١٣] .

فإن قيل : فكيف التوبة من هذا المتولد وليس من فعله ، والإنسان إنما يتوب عما يتعلق باختياره ؟

قيل : التوبة منه بالندم عليه ، وعدم إجابة دواعيه وموجباته ، وحبس النفس عن ذلك ، فإن كان المتولد متعلقاً بالغير فتوبتة مع ذلك برفعه عن الغير بحسب الإمكان ، ولهذا كان من توبة الداعي إلى البدعة أن يُبيِّن أن ما كان يدعو إليه بدعة وضلالة ، وأن الهدى فى ضده كما شرط تعالى فى توبة أهل الكتاب الذين كان ذنبُهم كتمان ما أنزل الله من البيّنات والهدى لُضلوا الناس بذلك : أن يحصلوا العمل فى نفوسهم ، ويبينوا للناس ما كانوا يكتمونهم إياه ، فقال : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ (١٥٩) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١٦٠)** ﴾ [البقرة : ١٥٩ ، ١٦٠] .

وهذا ما شرط فى توبة المنافقين الذين كان ذنبُهم إفساد قلوب ضعفاء المؤمنين ، وتحيُّزهم واعتصامهم باليهود والمشركين أعداء الرسول ﷺ ، وإظهارهم الإسلام رياءً وسمعة : أن يُصلحوا بدل إفسادهم ، وأن يعتصموا بالله بدل اعتصامهم بالكفار من أهل الكتاب والمشركين ، وأن يخلصوا دينهم لله بدل إظهارهم له رياءً وسمعة . فهكذا تُفهم شرائط التوبة وحقيقتها ، والله المستعان .



الباب الرابع عشر

فى بيان أشق الصبر على النفوس

مشقَّةُ الصبر بحسب قوة الداعي إلى الفعل وسهولته على العبد ، فإذا اجتمع فى الفعل هذان الأمران كان الصبر عنه أشق شيء على الصابر ، وإن فقدا معاً سهُل الصبر عنه ، وإن وجد أحدهما وفقد الآخر سهل الصبر من وجه وصعب من وجه ، فمن لا داعي له إلى القتل والسرقة وشرب المُسكر وأنواع الفواحش ، ولا هو سهل عليه فصبره عنه من أيسر شيء وأسهله ، ومن اشتد داعيه إلى ذلك ، وسهل عليه فعله ، فصبره عنه أشق شيء عليه ، ولهذا كان صبر السلطان عن الظلم ، وصبر الشاب عن الفاحشة ، وصبر الغنى عن تناول اللذات والشهوات عند الله بمكان ، وفى " المسند " وغيره عن النبي ﷺ : " **عَجِبَ ربُّك مِن شابٍّ ليست له صبوةٌ** " [١] .

---

(١) **إسناد حسن .**

أخرجه أحمد (١٥١/٤) ، ابن أبي عاصم فى " السنة " (٥٧١) ، الطبرانى فى " الكبير " (٢٦٦/١٧) ، أبو يعلي فى " مسنده " (١٧٤٩) ، ابن شاهين فى " الترغيب " (٢٤٣/٢) ، ابن عدي فى " الكامل " (١٤٦٥/٤ ، ١٤٦٦) ، القضاعي فى " مسند الشهاب " (٥٧٦) كلهم من طرق عن قتيبة بن سعيد عن ابن لهيعة عن أبي عشانة بن عامر مرفوعاً .

وأورده الهيثمى فى " مجمع الزوائد " (٢٧٠/١٠) ، وقال : رواه أحمد وأبو يعلي والطبرانى وإسناده حسن .

ولذلك استحق السبعة المذكورين فى الحديث [٢] الذين يظلهم الله فى ظل عرشه لكمال صبرهم ومشقته ، فإن صبر الإمام المتسلط على العدل فى قسمه وحكمه ورضاه وغضبه ، وصبر الشاب على عبادة الله ومخالفة هواه ، وصبر الرجل على ملازمة المسجد ، وصبر المتصدق على إخفاء الصدقة حتى عن بعضه ، وصبر المدعو إلى الفاحشة مع كمال جمال الداعي ومنصبه ، وصبر المتحابين فى الله على ذلك فى حال اجتماعهما وافتراقهما ، وصبر الباكي من خشية الله على كتمان ذلك وعدم إظهاره للناس من أشق الصبر .

ولهذا كانت عقوبة الشيخ الزاني والملك الكاذب والفقير المختال أشدَّ العقوبة لسهولة الصبر عن هذه الأشياء المحرمات عليهم لضعف دواعيها فى حقهم ، فكان تركهم الصبر عنها مع سهولته عليهم دليلاً على تمردهم على الله وعتوّهم عليه . [٣]

= وقتيبة بن سعيد ممن روى عن ابن لهيعة وقد صحح أهل العلم روايته عنه ، كما نقل ذلك المزى فى " تهذيبه " .

وأخرجه ابن المبارك فى " الزهد " (٣٤٩) من طريق رشدين بن سعد عن عمرو بن الحارث عن أبي عشانة عن عقبة موقوفاً ، وفى إسناده رشدين بن سعد وهو ضعيف .

قلت : وقد رجح أبو حاتم الرازى المرفوع كما فى " العلل " (١١٦/٢) .

(٢) أخرجه البخارى فى كتاب " الأذان " (٦٦٠) ، مسلم فى كتاب " الحج " (١٣٠١) .

(٣) يشير إلى حديث أبي هريرة الذى أخرجه مسلم فى كتاب " الإيمان " (١٠٧) (**ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم** ...) الحديث .

ولهذا كان الصبر عن معاصي اللسان والفرج من أصعب أنواع الصبر لشدة الداعي إليهما وسهولتهما ، فإن معاصي اللسان فاكهة الإنسان ، كالنميمة ، والغيبة ، والكذب ، والمراء ، والثناء على النفس تعريضاً وتصريحاً ، وحكاية كلام الناس ، والطعن على من يبغضه ، ومدح من يحبه ونحو ذلك ، فتتفق قوة الداعي وتيسر حركة اللسان ، فيضعف الصبر ، ولهذا قال ﷺ لمعاذ : " **أمسك عليك لسانك** " ؛ فقال : وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به ؟ فقال : " **وهل يَكُبُّ الناس فى النار على مناخرهم إلا حصائدُ ألسنتهم ؟ !** " [4] .

---

(٤) **صحيح بمجموع طرقه .**

أخرجه أحمد (٥/٢٣١) ، عبد الرزاق فى " مصنفه " (٢٠٣٠٣) ، الترمذى (٢٦١٦) وقال : هذا حديث حسن ، النسائى فى " الكبرى " (٦/٤٢٨ – ٤٢٩) عبد بن حميد (١١٢) ، محمد بن نصر فى " تعظيم قدر الصلاة " (١٩٦) ، الطبرانى فى " الكبير " (٢٠/٢٦٦) ، البغوى فى " شرح السنة " (١١) ، البيهقى فى " شعب الإيمان " (٣٣٥٠) كلهم من طرق عن أبي وائل شقيق بن سلمة عن معاذ بن جبل .

وهذا إسناد صحيح ، لكنه معل بالانقطاع بين أبي وائل ومعاذ ، وأخرجه البزار كما فى " كشف الأستار" (٢٧) ، ابن حبان كما فى " الإحسان " (٢١٤) والطبراني فى " الكبير " (٢٠/١٢٢) ، " مسند الشاميين " (٢٢٢) كلهم من طرق عن مكحول الشامى عن معاذ .

وهذا إسناد منقطع مكحول لم يسمع من معاذ بن جبل .

وأخرجه أحمد (٥/٢٣٤) ، ابو نعيم فى " الحلية " (٥/١٥٤) من أبو المغيرة ثنا أبو بكر حدثنى عطية بن قيس عن معاذ .

ولا سيما إذا صارت المعاصى اللسانية معتادة للعبد ، فإنه يعز عليه الصبر عنها ، ولهذا تجد الرجل يقوم الليل ويصوم النهار ، ويتورع من استناده إلى وسادة حرير لحظة واحدة ، ويطلق لسانه فى الغيبة ، والنميمة ، والتّفكه فى أعراض الخلق ، وربما خص أهل الصلاح والعلم بالله والدين والقول على الله ما لا يعلم ! .

وكثير ممن تجده يتورع عن الدقائق من الحرام ، والقطرة من الخمر ، ومثل رأس الإبرة من النجاسة ، ولا يبالي بارتكاب الفرج الحرام ، كما يُحكى أن رجلاً خلا بامرأة أجنبيه ، فلما أراد مواقعتها قال : يا هذه غطى وجهك ، فإن النظر إلى وجه الأجنبية حرام .

وقد سأل رجل عبد الله بن عمر عن دم البعوض ، فقال :

" انظروا إلى هؤلاء يسألون عن دم البعوض ، وقد قتلوا ابن بنت رسول الله ﷺ " (٥) . واتفق لي قريب من هذه الحكاية : كنت فى حال الإحرام ، فأتاني قوم من الأعراب المعروفين بقتل النفوس والإغارة على الأموال يسألونى عن قتل المُحرم القُمّل ، فقلت : يا عجباً لقوم لا يتورعون عن قتل النفس التى حرّم الله قتلها ، ويسألون عن قتل القَملة فى الإحرام .

= وهذا إسناد معل بعلتين :

الأولى : أبو بكر وهو عبد الله بن أبي مريم مختلط .

الثانية : الانقطاع بين عطية بن قيس ومعاذ .

وبالجملة فالحديث صحيح بمجموع طرقه . والله أعلم .

(٥) أخرجه البخارى فى " صحيحيه " كتاب " الأدب " (٥٩٩٤) .

والمقصود : أن اختلاف شدة الصبر فى أنواع المعاصى وأحادها يكون باختلاف داعيه إلى تلك المعصية فى قوتها وضعفها .

ويذكرُ عن علي ﷺ أنه قال : " الصبرُ ثلاثة : فصبرٌ على المصيبة ، وصبرٌ على الطاعة ، وصبرر علىالمصيبة . فمن صبر على المصيبة حتى يردَّها بحسن عزائها كتب الله له ثلاثمائة درجة . ومن صبر على الطاعة حتى يؤديها كما أمر الله كتب الله له ستمائة درجة . ومن صبر عن المعصية خوفاً من الله ورجاء ما عنده كتب الله له تسعمائة درجة . [٦]

وقال ميمون بن مهران : " الصبرُ صبران ، فالصبر على المصيبة حسن ، وأفضل منه الصبر عن المعصية " [٧] .

---

(٦) **ضعيف** .

أخرجه ابن أبي الدنيا فى كتاب " الصبر " (٢٤) ، والديلمي فى " مسند الفردوس " (٤١٦/٢) ، أورده صاحب " كنز العمال " (٢٧٣/٣) وعزاه إلى ابن أبي الدنيا وأبي الشيخ فى كتاب " الثواب " ، وأورده المناوي فى " فيض القدير" (٢٣٤/٤) ورمز له بالضعف .

وأخرجه ابن الجوزى فى " الموضوعات " (١٨٤/٣) بألفاظ متقاربة بإسناد آخر وقال : هذا حديث موضوع .

وفى إسناده مجهول وهو الراوى عن علي بن أبي طالب ﷺ .

(٧) **صحيح** .

أخرجه ابن أبي الدنيا فى كتاب " الصبر " (١٨) من طريق يحيى بن يوسف الزمى ، حدثنا أبو المليح عن ميمون بن مهران قوله .

وهذا إسناد صحيح .

وقال الفضيل [٨] في قوله تعالى : ﴿ سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ﴾ [الرعد : ٢٤] ، ثم قال : " صبروا على ما أُمروا به ، وصبروا عما نهوا عنه " [٩] . وكأنه جعل الصبر على المصيبة داخلاً في قسم المأمور به ، والله أعلم .



---

(٨) هو الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر الإمام القدوة الثبت شيخ الإسلام أبو علي روى عن الأعمش وبيان بن بشر وعطاء بن السائب وغيرهما ، وروى عنه ابن المبارك ويحيى بن سعيد القطان ، وابن مهدي وابن عيينه وغيرهما . انظر ترجمته في " سير أعلام النبلاء " (٤٢٢/٨) .

(٩) **إسناده حسن .**

أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب " الصبر " (٢٩) ، البيهقي في " شعب الإيمان " (١٠٠٣٩) كلاهما من طريق الحسن بن محبوب ، حدثنا أبو يزيد الرقي الفيض بن إسحاق قال : سألت الفضيل .

قلت : الحسن بن محبوب بن الحسن قال أبو حاتم في " الجرح والتعديل " (٣٨/٣) لا بأس به .

الباب الخامس عشر

في ذكر ماورد في الصبر في نصوص الكتاب العزيز

قال الإمام أحمد رحمه الله : ذكر الله سبحانه الصبر فى القرآن فى تسعين موضعاً [(١)] . انتهى

ونحن نذكر الأنواع الى سيق فيها الصبر ، وهى عدة أنواع :

أحدها : الأمر به ؛ كقوله تعالى : ﴿ **وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ** ﴾ [النحل : ١٢٧] ، ﴿ **وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ** ﴾ [الطور : ٤٨] .

الثاني : النهي عما يضاده ؛ كقوله تعالى : ﴿ **وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ** ﴾ [الأحقاف : ٣٥] ، وقوله : ﴿ **وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا** ﴾ [آل عمران : ١٣٩] وقوله : ﴿ **وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ** ﴾ [القلم : ٤٨] وبالجملة ، فكل مانهى عنة ، فإنه يضادُّ الصبر المأمور به .

الثالث : تعليق الفلاح به ؛ كقوله : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾ [آل عمران : ٢٠٠] ، فَعلَّق الفلاح بمجموع هذه الأمور .

الرابع : الإخبار عن مضاعفة أجر الصابرين على غيره ؛ كقوله : ﴿ **أُولَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا** ﴾ [القصص : ٥٤] ، وقوله :

---

(١) ذكر الصبر ومشتقاته فى القرآن الكريم فى مائة وثلاثة موضع ، فكلام الإمام أحمد تقريبي لا تحديد .

﴿ **إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ** ﴾ [الزمر : ١٠] .

قال سليمان بن القاسم : " كل عمل يعرف ثوابه إلا الصبر ، قال الله تعالى : ﴿ **إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ** ﴾ [الزمر : ١٠] . قال : " كالماء المنهمر " (٢) .

الخامس : تعليق الإمامة فى الدين به وباليقين ؛ قال الله تعالى : ﴿ **وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ** ﴾ [السجدة : ٢٤] ، فبالصبر واليقين تُنالُ الإمامةُ فى الدين .

السادس : ظفرهم بمعية الله سبحانه لهم ؛ قال تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ** ﴾ [الأنفال : ٤٦] . قال أبو علي الدقاق : " فاز الصابرون بعزّ الدارين ، لأنهم نالوا من الله معيَّته " (٣) .

السابع : أنه جمع للصابرين ثلاثة أمور لم يجمعها لغيرهم ، وهى الصلاة منه عليهم ، ورحمته لهم ، وهدايته إياهم ، قال تعالى : ﴿ **وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ (١٥٧)** ﴾ [البقرة : ١٥٥ – ١٥٧] .

---

(٢) الرسالة القشيرية (صـ ١٨٥) .

(٣) **إسناده حسن** .

أخرجه ابن أبي الدنيا فى كتاب " الصبر " من طريق محمد بن إدريس ، حدثنا محمد بن روح المصرى ، حدثنا القاسم بن كثير قال : سمعت سليمان ابن القاسم يقول .

وفى إسناده القاسم بن كثير ، قال ابن أبي حاتم فى " الجرح والتعديل " (١١٨/٧) لا بأس به .

وقال بعض السلف – وقد عُزّي على مصيبة نالته – فقال : " مالي لا أصبر وقد وعدني الله على الصبر ثلاث خصال ، كل خصلة منها خير من الدنيا وما عليها " .

الثامن : أنه سبحانه جعل الصبر عوناً وعُدَّة ، وأمر بالاستعانة به فقال : ﴿ **وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ** ﴾ [البقرة : ٤٥] ، فمن لاصبر له لا عون له .

التاسع : أنه سبحانه علق النصر بالصبر والتقوى ؛ فقال تعالى : ﴿ **بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ** ﴾ [آل عمران : ١٢٥] ، ولهذا قال النبي ﷺ : " **واعلم أن النصر مع الصبر** " (٤) .

---

(٤) جزء من حديث عبد الله بن عباس .

وله طرق بألفاظ عديدة منها ما أخرجه أحمد (١/٢٩٣) ، الترمذى (٢٦٣٥ ، ٢٥١٦) وقال : حديث حسن صحيح ، عبد بن حميد فى " مسنده " (٢٣٦) ، الطبرانى فى " الكبير " (١١٢٤٣ ، ١١٤١٦ ، ١١٥٦٠) ، والحاكم (٣/ ٥٤١ – ٥٤٢) ، ابن السنى فى " عمل اليوم والليلة " (٣١٧ ، ٣١٨) ، أبو نعيم فى " الحلية " (١/٣١٤) ، البيهقى فى " شعب الإيمان " (١٠٠٠٠ ، ١٠٠٠١) ، العقيلي فى " الضعفاء " (٣/٥٣) كلهم من طرق عن حنش الصنعانى عن عبد الله ابن عباس .

قال الحافظ بن رجب فى " جامع العلوم والحكم " (١/٤٦٠ – ٤٦١) وقد روى هذا الحديث عن ابن عباس من طرق كثيرة من رواية ابنه علي ومولاه عكرمة وعطاء بن أبي رباح ، وعمرو بن دينار ، عبيد الله بن عبد الله ، وعمر مولى غفرة ، وابن أبي مليكة وغيرهم ، وأصح الطرق كلها طريق حنش الصنعانى التى أخرجها الترمذى ، كذا قاله ابن منده وغيره .

العاشر : انه سبحانه جعل الصبر والتقوى جُنّة عظيمة من كيد العدو ومكره ، فما استجن العبد من ذلك جنة أعظم منهما ، قال تعالى: ﴿ **وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً** ﴾ [آل عمران : ١٢٠] .

الحادى عشر : أنه سبحانه أخبر أن ملائكته تسلم عليهم في الجنة ؛ كما قال : ﴿ **وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ (٢٣) سَلامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ (٢٤)** ﴾ [الرعد : ٢٣ – ٢٤] .

الثانى عشر : أنه سبحانه أباح لهم أن يعاقبوا على ما عوقبوا به ، ثم أقسم قسماً مؤكداً غاية التأكيد أن صبرهم خير لهم ؛ فقال : ﴿ **وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ** ﴾ [النحل : ١٢٦] . فتأمل هذا التأكيد بالقسم المدلول عليه بالواو ثم باللام بعده ثم باللام التى فى الجواب .

الثالث عشر : أنه سبحانه رتَّب المغفرة والأجر الكبير على الصبر والعمل الصالح ؛ فقال : ﴿ **إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ** ﴾ [هود : ١١] ، وهؤلاء ثنية الله من نوع الإنسان المذموم الموصوف باليأس والكفر عند المصيبة ، والفرح والفخر عند النعمة ، ولا خلاص من هذا الذم إلا بالصبر والعمل الصالح ، كما لا تُنال المغفرة والأجر الكبير إلا بهما .

الرابع عشر : أنه سبحانه جعل الصبر على المصائب من عزم الأمور ، أى : مما يعزم من الأمور التى إنما يعزم على أجلها وأشرفها ، فقال : ﴿ **وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ** ﴾ [الشورى : ٤٣] ، وقال لقمان لابنه : ﴿ **وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ** ﴾ [لقمان : ١٧] .

الخامس عشر : أنه سبحانه وعد المؤمنين بالنصر والظفر ، وهى كلمته التى سبقت لهم وهى الكلمة الحسنى ، وأخبر أنه إنما أنالهم ذلك بالصبر ، فقال تعالى : ﴿ **وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرائيلَ بِمَا صَبَرُوا** ﴾ [الأعراف : ١٣٧] .

السادس عشر : أنه سبحانه علق محبته بالصبر ، وجعلها لأهله ؛ فقال : ﴿ **وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ** ﴾ [آل عمران : ١٤٦] .

السابع عشر : أنه سبحانه أخبر عن خصال الخير أنه لا يُلقاها إلا الصابرون فى موضعين من كتابه : فى سورة القصص فى قصة قارون ، وأن الذين أوتوا العلم قالوا للذين تمنوا مثل ما أوتى : ﴿ **وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً وَلا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ** ﴾ [القصص : ٨٠] . وفى سورة حم السجدة ، حيث أمر العبد أن يدفع بالتى هى أحسن ، فإذا فعل ذلك صار الذى بينه وبينه عداوة كأنه حبيب قريب ثم قال : ﴿ **وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ** ﴾ [فصلت : ٣٥] .

الثامن عشر : أنه سبحانه أخبر أنه إنما ينتفع بآياته ويتعظ بها الصبار الشكور ؛ فقال تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ** ﴾ [إبراهيم : ٥] .

وقال تعالى فى لقمان : ﴿ **أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ** ﴾ [لقمان : ٣١] .

وقال في قصة سبأ : ﴿ **فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ** ﴾ [سبأ : ١٩] .

وقال تعالى : ﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ (٣٢) إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (٣٣)** ﴾ [الشورى : ٣٢ ، ٣٣] .

فهذه أربع مواضع في القرآن تدل على أن آيات الرب إنما ينتفع بها أهل الصبر والشكر .

التاسع عشر : أنه أثنى على عبده أيوب بأحسن الثناء علىصبره ؛ فقال : ﴿ **إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِراً نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ** ﴾ [ص : ٤٤] فأطلق عليه نعمَ العبدُ بكونه وجده صابراً ، وهذا يدل على أن من لم يصبر إذا ابتلي فإنه بئس العبد .

العشرون : أنه سبحانه حكم بالخسران حُكماً عاماً على كل من لم يؤمن ولم يكن من أهل الحق والصبر ، وهذا يدل على أنه لا رابح سواهم ، فقال تعالى : ﴿ **وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (٣)** ﴾ [العصر : ١ - ٣] .

ولهذا قال الشافعي : " لو فكر الناس كلهم في هذه الآية لوسعتهم " وذلك أن العبد كماله في تكميل قوتيه : قوة العلم وقوة العمل ، وهما الإيمان والعمل الصالح ، وكما هو محتاج إلى تكميل نفسه ، فهو محتاج إلى تكميل غيره ، وهو التواصي بالحق ، والتواصي بالصبر ، وآخية ذلك وقاعدته وساقه الذي يقوم عليه إنما هو الصبر .

الحادي والعشرون : أنه سبحانه خصَّ أهل الميمنة بأنهم أهل الصبر والمرحمة الذين قامت بهم هاتان الخصلتان ، ووصوا بهما غيرهم ، فقال تعالى : ﴿ **ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ (١٧) أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ** ﴾ [البلد : ١٧ ، ١٨] ، وهذا حصر لأصحاب الميمنة فيمن قام به هذان الوصفان ، والناس بالنسبة إليهما أربعة أقسام ، هؤلاء خير الأقسام ، وشرهم من لا صبر له ولا رحمة فيه ، ويليه من له صبر ولا رحمة عنده ، ويليه القسم الرابع وهو من له رحمة ورقة ولكن لا صبر له .

الثانى والعشرون : أنه سبحانه قرن الصبر بأركان الإسلام ومقامات الإيمان كلها : فقرنه بالصلاة ؛ كقوله : ﴿ **وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ** ﴾ [البقرة : ٤٥] . وقرنه بالأعمال الصالحة عموما ؛ كقوله : ﴿ **إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ** ﴾ [هود : ١١] . وجعل قرين التقوى كقوله : ﴿ **إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ** ﴾ [يوسف : ٩٠] . وجعله قرين الشكر كقوله : ﴿ **إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ** ﴾ [إبراهيم : ٥] . وجعله قرين الحق ؛ كقوله : ﴿ **وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ** ﴾ [العصر : ٣] وجعله قرين الرحمة ؛ كقوله : ﴿ **وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ** ﴾ [البلد : ١٧] . وجعله قرين اليقين ؛ كقوله : ﴿ **لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ** ﴾ [السجدة : ٢٤] . وجعله قرين الصدق ؛ كقوله : ﴿ **وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ** ﴾ [الأحزاب : ٣٥] . وجعله سبب محبته ومعيته ونصره وعونه وحسن جزائه ويكفى بعض ذلك شرفاً وفضلاً ، والله أعلم .



الباب السادس عشر

فى ذكر ما ورد فى الصبر من نصوص السنة

فى " الصحيحين " من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه : أن رسول الله ﷺ أتى على امرأة تبكي على صبي لها ، فقال لها : " **اتقِ الله واصبري** " ، فقالت : وما تبالي بمصيبتى ؟ فلما ذهب ، قيل لها : إنه رسول الله ﷺ ، فأخذها مثلُ الموت ، فأتت بابه ، فلم تجد على بابه بوّابين ، فقالت : يا رسول الله لم أعرفك . فقال : " **إنما الصبرُ عند أول صدمة** " . وفى لفظ : " **عند الصدمة الأولى** " . (١)

وقوله : " **الصبر عن عند الصدمة الأولى** " ، مثل قوله : " **ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذى يملك نفسه وقت الغضب** " (٢)؛ فإن مفاجآت المصيبة بغتة لها روعة تزعزع القلب وتزعجه بصدمها ، فإن صبر للصدمة الأولى انكسر حدها ، وضعفت قوتها ، فهان عليه استدامة الصبر .

وأيضاً : فإن المصيبة ترد على القلب وهو غير موطَّن لها فتزعجه وهى الصدمة الأولى ، وأما إذا وردت عليه بعد ذلك فقد توطن لها وعلم أنه لا بد له منها ، فيصير صبره شبيه الاضطرار ، وهذه المرأة

---

(١) أخرجه البخارى فى " صحيحه " كتاب" الجنائز " (١٢٥٢) ، مسلم فى كتاب " الجنائز " (٩٢٦) من حديث أنس بن مالك ﷺ .

(٢) أخرجه البخارى فى " صحيحه " كتاب " الأدب " (٦١١٤) ، مسلم فى كتاب " البر والصلة والأدب " (٢٦٠٩) من حديث أبي هريرة ﷺ .

لمّا علمت أن جزعها لا يجدى عليها شيئاً جاءت تعتذر إلى النبي ﷺ كأنها تقول له : قد صبرت ، فأخبرها أن الصبر إنما هو عند الصدمة الأولى .

ويدل على هذا المعنى مارواه سعيد بن زَرْبي عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة ﷺ قال : مر النبي ﷺ على امرأة جاثمة على قبر تبكي فقال لها : " **يا أمة الله اتقِ الله واصبري** " قالت : يا عبد الله ثَكلى . قال : " **يا أمة الله اتقِ الله واصبري** " قالت : يا عبد الله قد أسْمعت فانصرف عني ، فمضى رسول الله ﷺ ، واتبعه رجل من أصحابه ، فوقف على المرأة فقال لها : ما قال لك الرجلُ الذاهب ؟ قالت : قال لي كذا وكذا وأجبته بكذا وكذا. قال : هل تعرفينه ؟ قالت : لا . قال : ذلك رسول الله ﷺ . قال : فوثبت مسرعة نحوه حتى انتهت إليه وهى تقول : أنا أصبر أنا أصبر يا رسول الله . فقال : " **الصبر عند الصدمة الأولى ، الصبر عند الصدمة الأولى** " [٣] .

---

(٣) **إسناده ضعيف جداً** .

أخرجه أبو يعلي فى " مسنده " (٦٠٦٧) من طريق أبو عبيدة الناجى ، حدثنا محمد بن سيرين عن أبي هريرة .

وفى إسناده أبو عبيدة الناجى وهو بكر بن أسود ضعفه جمع من أهل العلم .

وأورده الهيثمي فى " مجمع الزوائد " (٣/٢) وقال : رواه أبو يعلي وروى البزار طرفاً منه ، وفيه بكر بن الأسود أبو عبيدة الناجى وهو ضعيف وذكره الحافظ بن حجر فى " المطالب العاليه " (٣/١١٢) .

وأخرجه البزار كما فى " كشف الأستار " (٧٩١) وإسناده ضعيف .

ويشهد له الحديث الصحيح المتقدم فى نفس الباب .

قال ابن أبي الدنيا : حدثنا بشر بن الوليد الكندي وصالح بن مالك قالا حدثنا سعيد بن زَرْبي ... فذكره . فهذا السياق يبين معنى الحديث .

قال أبو عبيد : معناه : أن كل ذي ذرية فإن قصاراه الصبر ، ولكنه إنما يحمدُ على صبره عند حدَّة المصيبة وحررتها .

قلت : **وفى الحديث أنواع من العلم :**

أحدها : وجوب الصبر على المصائب ، وأنه من التقوى التى أُمر العبدُ بها .

الثاني : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وأن سُكْرَ المصيبة وشدتها لا يسقطه عن الآمر الناهي .

الثالث : تكرار الأمر والنهي مرة بعد مرة حتى يعزو الأمر إلى ربه .

الرابع : احتج به على جواز زيارة النساء للقبوُر ، فإنه لم ينكر عليها الزيارة وإنما أمرها بالصبر ، ولو كانت الزيارة حراماً لبين لها حكمها ، وهذا كان فى آخر الأمر ، فإن أبا هريرة إنما أسلم بعد السنة السابعة .

وأجيب عن هذا بأنه ﷺ قد أمرها بتقوى الله والصبر ، وهذا إنكار منه لحالها من الزيارة والبكاء ، ويدل عليه أنها لما علمت أنه الآمر لها من تجب طاعته انصرفت مسرعة . وأيضاً ؛ فأبو هريرة لم يخبر أنه شهد هذه القصة ، فلا يدل الحديث على أنها بعد إسلامه ،

ولو شهدها فلعنته ﷺ لزائرات القبور والمتّخذين عليها المساجد والسرج كان بعد هذا فى مرض موته . (٤)

وفى عدم تعريفه لها بنفسه فى تلك الحال التى لا تملكُ فيها نفسها شفقة منه ورحمة بها إذا عرَّفها بنفسه فى تلك الحال ، فربما لم تسمع منه فتهلك ، وكانت معصيتها له وهى لا تعلم أنه رسول الله أخف من معصيتها له لو علمت ، فهذا من كمال رأفته صلوات الله وسلامه عليه .

---

(٤) **إسناده ضعيف .**

أخرجه أحمد (٢/٣٣٧ ، ٣/١٤٢) ، أبو داود (٣٢٣٦) ، الترمذى (٣٢٠) وقال : حديث حسن ، النسائى ٤/٩٥) ، ابن ماجة ١٥٧٥٠) ، ابن أبي شيبة فى " مصنفه " (٢/٣٧٦) ، الطحاوى فى " مشكل الآثار " (٤٧٤١ ، ٤٧٤٢) ، البغوى فى " الجعديات " (١٥٢١) ، الطبرانى فى " الكبير " (١٢٧٢٥) الحاكم (١/٣٧٤) وقال أبو صالح هذا ليس بالسمان المحتج به ، إنما هو باذان ، ولم يحتج به الشيخان ، لكنه حديث متناول فيما بين الأئمة ، ابن الأعرابي فى " معجمه " (٦٣٢) ، البيهقى فى " السنن الكبير " (٤/٧٨) ابن حبان كما فى " الإحسان " (٣١٧٩ ، ٣١٨٠) البغوى فى " شرح السنة " (٥١٠) كلهم من طرق عن محمد بن جحادة قال سمعت أبا صالح عن ابن عباس .

قلت : وهذا إسناد معل بعلتين :

١- أبو صالح باذان ضعيف وهو يدلس .

٢- الانقطـاع بينه وبين ابن عبـاس .

وأورده شامة الشام ومحدث العصر العلامة محمد ناصر الدين الألبانى رحمه الله فى " الضعيفة " (٢٢٥) .

وفى " صحيح مسلم " عن أم سلمة قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " **ما من مسلم تصيبه مصيبة ؛ فيقول ما أمره الله : إنا لله وإنا إليه راجعون ، اللهم إجُرني فى مصيبتي واخلف لي خيراً منها ، إلا أخلف الله له خيراً منها** " (٥) ، قالت : فلما مات أبو سلمة قلت : أي المسلمين خيرٌ من أبي سلمة ؛ أول بيت هاجر إلى رسول الله ﷺ ، ثم إني قلتُها ، فأخلف الله لي رسول الله ﷺ ، فأرسل إلي رسول الله ﷺ حاطب بن أبي بلتعة يخطبني له ، فقلت : إن لي بنتاً وأنا غيورٌ ، فقال " **أما بنتُها فأدعوا الله أن يغنيها عنها ، وأدعو الله أن يذهب بالغيرة** " فتزوجت رسول الله ﷺ .

وعند أبي داود فىهذا الحديث عنها ، قالت : قال رسول الله ﷺ : " **إذا أصابت أحدكم مصيبة فليقل : إنا لله وإناإليه راجعون ، اللهم عندك أحتسب مصيبتى ، فأجُرني فيها ، وأبدلني خيراً منها** " ؛ فلما احتضر أبو سلمة قال : اللهم اخلُفني فى أهلي خيراً مني . فلما قُبض قالت أم سلمة : إنا لله وإنا إليه راجعون ، عند الله أحتسب مصيبتى (٦)

---

(٥) أخرجه مسلم فى " صحيحه " كتاب " الجنائز " (٩١٨) من حديث أم سلمة .

(٦) **صحيح لغيره .**

أخرجه أحمد (٣١٨/٦) ، أبو داود (٣١١٩) ، الترمذى (٣٥١١) ، ابن ماجة (١٥٩٨) ، النسائى فى " الكبرى " (١٠٩٠٩ ، ١٠٩١٠) ، وفى " عمل اليوم والليلة " (١٥٧٢) ، وابن سعد فى " الطبقات " (٨٧/٨) ، ابن أبي عاصم فى " الآحاد والمثاني " (٣٠٨) ، الطبرانى فى " الكبير " (٥٠٦ ، ٥٠٧) ، وفى " الدعاء "(١٢٢٩) ، وأبو نعيم فى " الحلية " (٣/٢) كلهم من طرق عن ابن عمر ابن أبي سلمة عن أبيه عن أم سلمة . =

فانظر عاقبة الصبر والاسترجاع ومتابعة الرسول ﷺ والرضاء عن الله إلى ما آلت إليه ، وأنالت أم سلمة نكاح أكرم الخلق على الله .

وفى " جامع الترمذى " ، و " مسند أحمد " ، و " صحيح ابن حبان" عن أبي موسى الأشعرى قال : قال رسول الله ﷺ : " **إذا مات ولدُ العبد قال الله لملائكته : قبضتم ولد عبدى : فيقولون : نعم . فيقول قبضتم ثمرة فؤاده ، فيقولون : نعم . فيقول : ماذا قال عبدى ؟ فيقولون : حمدك واسترجعك . فيقول : ابنوا لعبدي بيتاً فى الجنة وسموه بيت الحمد** " (٧) .

= **قلت** : وفى إسناده ابن عمر بن أبي سلمة مجهول .

وأورده الدارقطنى فى " العلل " (٥/ ورقة ٦٠) فقال : اختلف عنه فرواه جعفر بن سليمان الضبعى وزهير بن العلاء عن ثابت عن عمر بن أبي سلمة عن أم سلمة ، وخالفه حماد بن سلمة رواه عن ثابت عن ابن عمر بن أبي سلمة عن أبيه عن أم سلمة ، وقال سليمان بن المغيرة عن ابن أم سلمة ، ولم يسمعه عن أم سلمة ، قول حماد بن سلمة أشبهما بالصواب

ويشهد له الحديث المتقدم فى (صـــ ١٢٣) .

(٧) **يحتمل تحسينه بمجموع طرقه .**

أخرجه أحمد (٤١٥/٤) ، الترمذى (١٠٢١) وقال : حسن غريب ، عبد بن حميد فى " مسنده " (٥٥١) ، الطاليسي فى " مسنده " (٥١٠) ، ونعيم فى زياداته على الزهد لابن المبارك (١٠٨) ، ابن حبان كما فى " الإحسان " (٢٩٤٨) ، البغوى فى " شرح السنة " (١٥٤٨) ، وقال : هذا حديث حسن غريب (*) ، ابن السنى فى " عمل اليوم والليلة " (٥٨١) ، البيهقى فى " السنن الكبير " (٦٨/٤) وفى " شعب الإيمان " (٩٦٩٩) ، وفى " الآداب " (٩٣٠) كلهم من طرق عن حماد بن سلمة عن أبي سنان قال : دفنت ابناً لي سناناً وأبو طلحة جالس =

وفى " صحيح البخارى " من حديث أنس أن رسول الله ﷺ قال : " **إذا ابتليتُ عبدي فى حبيبتيه ثم صبر عوَّضتُه منهما الجنة** " [٨] يريد : عينيه .

وعند " الترمذى " فى الحديث : " **أذا أخذت كريمتى عبدى فى الدنيا لم يكن له جزاءٌ عندى إلا الجنة** " [٩] .

- على شفا القبر فقال : حدثنى الضحاك بن عبد الرحمن عن أبي موسى الأشعري .

وفى إسناده أبو طلحة الخولانى مقبول كما فى التقريب .

وأخرجه البيهقى فى " شعب الإيمان " (٩٧٠٠) من طريق أبي سنان عن الضحاك بن عبد الرحمن عن أبي موسى موقوفاً .

وفى الباب من حديث معاذ بن جبل كما عند الطيالسي فى " مسنده " (٥٦٣) وابن أبي شيبة فى " مصنفه " (٣/٣٥٣) ، الطبراني (٢٠/١٤٦) ، وفى إسناده أبو رملة وهو مجهول .

ومن حديث أبي هريرة كما عند البخارى (١٢٥١) ، مسلم (٢٦٣) بلفظ " **لا يموت لمسلم ثلاثة من الولد فتمسه النار إلا تحلة القسم** " .

والذى يظهر لي والله أعلم أن الحديث يحتمل تحسينه بمجموع طرقه وشواهده .

(*) **فائدة** : الإمام البغوى كثيراً جداً ما يتبع الترمذي فى حكمه على الأحاديث .

(٨) أخرجه البخارى فى " صحيحه " كتاب " المرض " باب (فضل من ذهب بصره) (٥٦٥٣) .

(٩) **صحيح** .

أخرجه الترمذى (٢٤٠١) وقال : هذا حديث حسن صحيح من حديث أبي هريرة

وفى " الترمذى " أيضاً عن أبي هريرة ﷺ قال رسول الله ﷺ : " **يقول الله عز وجل : من أذهبت حبيبتيه ، فصبر واحتسب لم أرض له ثوابا دون الجنة** " .

وفى " سنن أبي داود " من حديث عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : " **لا يرضى الله لعبده المؤمن إذا ذهب بصفيه من أهل الأرض واحتسبه بثواب دون الجنة** " (١٠) .

وفى " صحيح البخارى " من حديث أبي هريرة : قال رسول الله ﷺ : " **يقول الله عز وجل : ما لعبدى المؤمن جزاء إذا قبضت صفيه من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة** " (١١) .

وفى " صحيحه " أيضاً عن عطاء بن أبي رباح قال : قال لي ابن عباس : ألا أريك امرأة من أهل الجنة ؟ قلت : بلى . قال : هذه المرأة السوداء أتت النبي ﷺ فقالت : يا رسول الله أنّي أصرع ، وإنى أتكشف

= وأخرجه ابن حبان كما فى " الإحسان " (٢٩٣٠) ، أبو يعلي فى " مسنده " (٢٣٦٥) الطبرانى فى " الكبير " (١٢/١٢٤٥٢)) من حديث عبد الله بن عباس وإسناده صحيح .

وأخرجه ابن حبان كما فى " الإحسان " (٢٩٣١) والبزار كما فى " كشف الأستار " (٧٧١) من حديث العرباض بن سارية وإسناده حسن ، وللحديث شواهد فى صحيح البخارى من حديث أنس (٥٦٥٣) .

(١٠) ليس من حديث عبد الله بن عمر ، إنما هو من حديث عبد الله بن عمرو ابن العاص .

(١١) انظر ما قبله .

فادعو الله لي . قال : " **إن شئت صبرت ولك الجنة ، وإن شئت دعوت الله تعالى أن يعافيك** " . فقالت : أصبر . وقالت : إني أتكشف فادع الله أن لا أتكشف ، فدعا لها (١٢) .

وفي " الموطأ " من حديث عطاء بن يسار : أن رسول الله ﷺ قال : " **إذا مرض العبد بعث إليه ملكين ، فقال : انظرا ماذا يقول لعواده ، فإن هو إذ جاؤوه حمد الله وأثنى عليه ، رفعا ذلك إلى الله وهو أعلم ، فيقول : إن لعبدي عليَّ إن توفيته أن أدخله الجنة ، وإن أنا شفيته أن أبدله لحماً خيراً من لحمه ، ودماً خيراً من دمه ، وأن أكفّر عنه سيئاته** " . (١٣)

وفي صحيفة عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله ﷺ : " **إذا جمع الله الخلائق نادى مناد : أين أهل الصبر ؟ فيقوم ناس وهم قليلون فينطلقون سراعاً على الجنة ، فتلقاهم الملائكة ،**

---

(١٢) أخرجه البخاري في " صحيحه " كتاب " المرض " (٥٦٥٢) ، ومسلم كتاب " البر والصلة " (٢٥٧٦) من حديث عبد الله بن عباس .

(١٣) **مرسل صحيح .**

أخرجه مالك في " الموطأ " (١١٨/٢) من طريق زيد بن أسلم عن عطاء ابن يسار مرسل .

ووصله ابن عبد البر في " التمهيد " (٤٧/٥) من طريق عباد بن كثير عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً .

وفي إسناده عباد بن كثير الثقفي البصري ضعيف ، وله شاهد من أبي هريرة ﷺ كما عند الحاكم (٣٤٩/١) وقال : صحيح على شرط الشيخين ، ووافقه الذهبي .

فيقولون : إنا نراكم سراعاً إلى الجنة فمن أنتم ؟ فيقولون : نحن أهل الفضل . فيقولون : ماكان فضلكم ؟ فيقولون : كنا إذا ظُلمنا صبرنا ، وإذا أسيء إلينا غفرنا ، وإذا جُهل علينا حلمنا ، فيقال لهم : ادخلوا الجنة فنعم أجرُ العاملين " . (١٤)

وفى " الصحيحين " أن رسول الله ﷺ قسّم مالاً ، فقال بعض الناس هذه قسمة ما أريد بها وجه الله ، فأخبر بذلك رسول الله ﷺ فقال : " **رحم الله موسى قد أوذي بأكثر من هذا فصبر** " . (١٥)

وفى " الصحيحين " من حديث الزهري عن عروة عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : " **ما من مصيبة تصيب المسلم إلا كفر الله بها عنه حتى الشّوكة يُشاكها** " . (١٦)

---

(١٤) **إسناده حسن .**

أخرجه النسائى فى " الصغرى " (٢٣/٤) ، ابن المبارك فى " الزهد " (٢٧/٢) من طريق عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده .

وهذه سلسلة إسنادها حسن .

(١٥) أخرجه البخارى فى " صحيحه " كتاب " الأدب " (٦٢٢٤) .

(١٦) أخرجه ابن أبي الدنيا فى كتاب " الحلم " (٥٦) من طريق خلف بن هشام نا أبو مطرف مغيرة الشامي عن العزرمى عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده مرفوعاً. وفى إسناده العزرمي ، وهو محمد بن عبيدَ الله بن ميسرة متروك الحديث . ووهم محقق كتاب " الحلم " فعزاه إلى ابن ماجة برقم (٤٢٩١) .

و " فيهما " أيضاً من حديث أبي سعيد وأبي هريرة عن النبي ﷺ قال : " **ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غمٍّ حتى الشّوكة يُشاكها إلا كَفَّر الله بها خطاياه** " . (١٧)

وفى " صحيح مسلم " من حديث عائشة عن النبي ﷺ أنه قال : " **لا يصيب المؤمن من شوكة فما فوقها إلا رفعه الله بها درجة ، وحط عنه بها خطيئة** " (١٨) .

وفى " المسند " من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : " **لا يزالُ البلاءُ بالمؤمن أو المؤمنة فى جسده وفى ماله وفى ولده حتى يلقى الله وما عليه خطيئة** " . (١٩)

---

(١٧) أخرجه البخارى فى " صحيحه " كتاب " الاستقراض " (٣٤٠٥) من حديث جابر بن عبد الله رضى الله عنهما .

(١٨) أخرجه البخارى فى " صحيحه " كتاب " المرض " (٥٦٤٠) ، مسلم كتاب " البر والصلة والآداب " (٢٥٧٢) من حديث عائشة .

(١٩) **إسناده حسن .**

أخرجه أحمد (٢٨٧/٢ ، ٤٥٠) الترمذى (٢٣٩٩) ، وقال : حسن صحيح ، وابن أبي شيبة فى " مصنفه " (٢٣١/٣) ، البخارى فى " الأدب المفرد " (٤٩٤) وهناد بن السرى فى" الزهد " (٤٠٢) ، ابن حبان كما فى " الإحسان " (٢٩١٣) البغوي فى " شرح السنة " (١٤٣٦) ، البزار كما فى " كشف الأستار " (٧٦١) ، أبو يعلي فى " مسنده " (٥٩١٢ ، ٦٠١٢) ، الحاكم (٣٤٦/١) وقال : صحيح على شرط مسلم ، ووافقه الذهبي ، أبو نعيم فى " حلية الأولياء " (٩١/٧) ، البيهقى فى " السنن الكبير " (٣٧٤/٣) ، وفى " شعب الإيمان " (٩٨٣٧) ، وفى " الآداب " (٩٠٩) كلهم من طرق عن محمد بن عمرو بن علقمة الليثى حدثنا أبو سلمة عن أبي هريرة مرفوعاً .

وفى " الصحيح " من حديث سعد بن أبي وقاص ﷺ قال : قلت : يا رسول الله أي الناس أشدُّ بلاءً ؟ قال : " **الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل يُبتلى الرجـل على حسب دينـه ، فإن كان فى دينـه صلابة زيد له فى بلائه ، وإن كان فى دينه رقة خُفِّف عنه وما يزال البلاءُ بالمؤمن حتى يمشى على الأرض وليس عليه خطيئة** " . (٢٠)

وفى " الصحيحين " عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال : دخلت على النبي ﷺ وهو يوعك وعكاً شديداً . قال : فقلت : يا رسول الله إنك لتوعك وعكاً شديداً . فقال : " **أجل ، إني لأوعك كما يوعك رجلان منكم** " . قلت : إن لك لأجرين . قال : " **نعم ، والذى نفسي بيده**

= وهذا إسناد حسن من أجل محمد بن عمرو وهو حسن الحديث .

(٢٠) **إسناده حسن .**

أخرجه أحمد (١/١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٤) ، الترمذى (٢٣٩٨) وقال : حسن صحيح ، الدارمى فى " سننه " (٢٧٨٦) ، ابن ماجة (٤٠٢٣) عبد بن حميد فى " مسنده " (١٤٦) ، الطحاوى فى " مشكل الآثار " (٢٢٠٢ ، ٢٢٠٣ ، ٢٢٠٦) ، البزار كما فى " كشف الأستار " (١١٥٠ ، ١١٥٥) ، أبو يعلي فى " مسنده " (٨٣٠) ، الطيالسي فى " مسنده " ٢١٢٠) ، أبو نعيم فى " الحلية " (١/٣٦٨) ، ابن حبان كما فى " الإحسان " (٢٩٠٠ ، ٢٩٢١) ، ابن أبي شيبة فى " مصنفه " (٣/٢٣٣) ، البيهقى فى " السنن الكبير " (٣/٣٧٢) ، وفى " شعب الإيمان " (٩٧٧٥) ، الحاكم (١/٤١) البغوى فى " شرح السنة " (١٤٣٢) كلهم من طرق عن عاصم بن أبي النجود عن مصعب بن سعد عن أبيه قال : مرفوعاً .

ما على الأرض مسلم يصيبه أذى من مرض فما سواه إلا حطّ الله عنه به خطاياه كما تحطُّ الشجرة اليابسة ورقها " . (٢١)

وفى " الصحيحين " أيضاً من حديث عائشة رضى الله عنها قالت : " **ما رأيتُ الوجع أشدَّ منه على رسول الله ﷺ** " (٢٢) .

وفى بعض" المسانيد " مرفوعاً : " **إن الرجل لتكون له الدرجة عند الله لا يبلغها بعمل حتى يُبتلى ببلاء فى جسمه فيبلغها بذلك** " (٢٣) .

ويُروى عن عائشة عنه قال : " **إذا اشتكى المؤمن أخلصه ذلك من الذنوب كما يُخلِّصُ الكيرُ الخبثَ من الحديد** " (٢٤).

وفى " صحيح البخارى " من حديث خباب بن الأرت قال : شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد ببردة له فى ظل الكعبة ، فقلنا : ألا تستنصر لنُ لنا ، ألا تدعو لنا ؟ فقال : " **قد كان من قبلكم يؤخذُ الرجلُ**

---

(٢١) أخرجه البخارى فى " صحيحه " كتاب " المرض " (٥٦٤١ ، ٥٦٤٢) ، مسلم فى كتاب " البر والصلة والآداب " (٢٥٧٣) من حديث أبي هريرة .

(٢٢) أخرجه مسلم فى كتاب " البر والصلة والآداب " (٢٥٧٢) من حديث عائشة

(٢٣) **إسناده حسن** .

أخرجه ابن حبان كما فى " الإحسان " (٢٩٠٨) ، أبو يعلي فى " مسنده " (٦٠٩٥) ، والحاكم (٣٣٤/١) كلهم من طريق يونس بن بكير حدثنا يحيى ابن أيوب البجلى حدثنا أبو زرعة قال : حدثنا أبو هريرة .

وهذا إسناد حسن ففيه يحيى بن أيوب البجلي ، قال الحافـظ فى " التقريب " لا بأس به . وأورده الهيثمي فى " مجمع الزوائد " (٢٩٢/٢) وقال : رواه أبو يعلي ورجاله ثقات .

(٢٤) انظر ما قبله .

فيحفرُ له فى الأرض فيجعل فيها ، ثم يؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين ، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه ما يصدُّه ذلك عن دينه ، والله ليُتمَّنَّ اللهُ هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضر موت لا يخافُ إلا الله والذئب على غنمه ، ولكنكم تستعجلون " . (٢٥)

وفى لفظ للبخارى : أتيت رسول الله ﷺ وهو متوسد بردة فى ظل الكعبة – وقد لقينا من المشركين شدة – فقلنا : ألا تدعو الله ؟ فقعد وهو مُحمرٌّ وجه ، فقال : " **لقد كان الرجل ليمشطُ بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه ما يصده ذلك عن دينه** " (٢٦) .

وقد حمل أهل العلم قول خباب : " شكونا إلى رسول الله ﷺ حرَّ الرمضاء فلم يشكِنا " (٢٧) على هذا المحمل . وقال : شكوا إلى حر الرمضاء الذى كان يصيب جباههم وأكفهم من تعذيب الكفار فلم يُشكهم وإنما دلهم على الصبر .

وهذا الوجه أنسب من تفسير من فسر ذلك بالسجود على الرمضاء.

واحتجاج من احتج به على وجوب مباشرة المصلي بالجبهة الأرض فمردود لثلاثة أوجه :

أحدهما : أنه لا دليل فى اللفظ على ذلك .

---

(٢٥) أخرجه البخارى فى " صحيحه " كتاب " المرض " (٥٦٤٨) ، مسلم فى كتاب " البر والصلة والأداب " (٢٥٧١) .

(٢٦) أخرجه مسلم فى كتاب " المساجد ومواضع الصلاة " (٦١٩) .

(٢٧) أخرجه البخارى فى كتاب " المناقب " (٣٦١٢) من حديث خباب ابن الأرت .

الثاني : أنهم قد أخبروا أنهم كانوا مع النبي ﷺ ، فكان أحدهم إذا لم يستطع أن يسجُد على الأرض يبسط ثوبه ويسجد عليه ، والظاهر أن هذا يبلغه ويعلم به وقد أقرَّهم عليه .

الثالث : أن شدة الحر فى الحجاز تمنع من مباشرة الجبهة والكف للأرض ، بل يكاد يشوي الوجه والكف فلا يتمكن من الطمأنينة فى السجود ، ويذهب خشوع الصلاة ، ويتضرر البدن ، ويتعرض للمرض والشريعة لا تأتى بهذا .

فتأمل رواية خباب لهذا والذى قبله واجمع بين اللفظين والمعنيين والله أعلم ، ولا تستوحش من قوله : فلم يشكِنا ، فإنه هو معنى إعراضه عن شكايتهم وإخباره لهم بصبر من قلبهم ، والله أعلم .

وفى " الصحيح " من حديث أسامة بن زيد قال : أرسلت ابنة النبي ﷺ إليه : أن ابناً لي احتضر فأتنا ، فأرسل يقريها السلام ويقول : " **إن لله ما أخذ ، وله ما أعطى وكل شيء عنده بأجل مسمى ، فلتصبر ولتحتسب** " . فأرسلت إليه تقسم عليه ليأتينها ؛ فقام ومعه سعد بن عبادة ومعاذ بن جبل وأبي بن كعب وزيد بن ثابت ورجال ، فرُفع الصبي إلى رسول الله ﷺ ، فأقعده فى حجره ونفسه تقعقع كأنها فى شن ففاضت عيناه ، فقال سعد : يا رسول الله ما هذا ؟ قال : " **هذه رحمة جعلها الله فى قلوب من يشاء من عباده ، وإنما يرحم الله من عباده الرُّحماء** " (٢٨).

---

(٢٨) أخرجه البخارى فى كتاب " مناقب الأنصار " (٣٨٥٢) من حديث خباب ابن الأرت .

وفى " سنن النسائى " عن ابن عباس قال : احتضرت ابنةٌ لرسول الله ﷺ صغيرة ، فأخذها رسول الله ﷺ وضمها إلى صدره ثم وضع يده عليها وهى بين يدي رسول الله ﷺ ، فبكت أم أيمن ، فقلت لها : أتبكين ورسول الله عندك ؟ فقالت : ما لي لا أبكي ورسول الله ﷺ يبكي ، فقال رسول الله ﷺ : " **إني لست أبكي ولكنها رحمة** " ، ثم قال رسول الله ﷺ : " **المؤمن بخير على كل حال تُنزعُ نفسه من بين جنبيه وهو يحمد الله عز وجل** " . (٢٩)

وفى " صحيح البخارى "من حديث أنس ﷺ قال : اشتكى ابنٌ لأبي طلحة فمات وأبو طلحة خارجٌ ، فلما رأت امرأته أنه قد مات هيَّأت شيئا وسجَّته فى جانب البيت ، فلما جاء أبو طلحة قال : كيف الغلام ؟ قالت : قد هدأت نفسه ، وأرجو أن يكون قد استراح ، فظن أبو طلحة أنها صادقة . قال : فبات معها ، فلما أصبح اغتسل ، فلما أراد أن يخرج أعلمته أنه قد مات ، فصلى مع رسول الله ﷺ ثم أخبره ما كان منهما ، فقال رسول الله ﷺ : " **لعل الله أن يبارك لكما فى ليلتكما** " (٣٠)

---

(٢٩) **إسناده صحيح .**

أخرجه البخارى فى " الأدب المفرد " (٤٩٧) ، عبد بن حميد فى " مسنده " (١٤٧٨) ، وابن أبي الدنيا فى " المرض والكفارات " (٩٠) ، ابن حبان كما فى " الإحسان " (٢٩٣٦) ، الطبراني فى " الأوسط " (٤١٢٣) ، القضاعي فى " مسند الشهاب " (١٤٠٦ ، ١٤٠٧) كلهم من طريقين عن عروة عن عائشة .

(٣٠) أخرجه البخارى فى" صحيحه " كتاب" المرض " (٥٦٥٥) ، مسلم فى كتاب " الجنائز " (٩٢٣) .

قال ابن عيينة : فقال رجل من الأنصار : فرأيت له تسعة أولاد كلهم قد قرأوا القرآن .

وفى " موطأ مالك " عن القاسم بن محمد قال : هلكت امرأة لي فأتاني محمد بن كعب القُرظى يعزيني فيها ، فقال : إنه كان فى بنى إسرائيل رجل فقيه عابد مجتهد ، وكانت له امرأة وكان بها معجبا ، فماتت فَوجد [٣١] عليها وجداً شديداً حتى خلى فى بيت وأغلق على نفسه واحتجب عن الناس ، فلم يكن يدخل عليه أحد ، ثم أن امرأة من بنى إسرائيل سمعت به فجاءته فقالت : إني لي إليه حاجة أستفتيه فيها ليس يجزيني إلا أن أشافهه بها ، فذهب الناسُ ولزمت الباب فأخبر ، فأذن لها ، فقالت أستفتيك فى أمر . قال : وما هو ؟ قالت : إنى استعرتُ من جارة حُلياً فكنت ألبسه وأعيرُه زماناً ، ثم إنها أرسلت إليَّ فيه أفأرده إليها ؟ قال : نعم . قالت : والله إنه مكث عندى زماناً . فقال : ذلك أحق لردك إياه . فقالت له : يرحمُك الله أفتأسف على ما أعارك الله ثم أخذه منك وهو أحق به منك ؟ فأبصر ما كان فيه ، ونفعه الله بقولها [٣٢].

---

(٣١) أى حزن عليهاحزناً شديداً .

(٣٢) **إسناده حسن .**

أخرجه أحمد (١/٢٦٨ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٧٩) ، النسائى فى " الصغرى " (٤/١٢) ، عبد بن حميد فى " المنتخب " (٥٩٣) ، ابن أبي شيبة فى " مصنفه " (٣/٣٩٤) ، الترمذى فى " الشمائل المحمدية " (٣٢٦) ، البزار كما فى " كشف الأستار " (٨٠٨) ، ابن حبان كما فى " الإحسان " (٢٩٠٣) كلهم من طرق عن سفيان الثوري عن عطاء بن السائب عن عكرمة عن ابن عباس .

وفي " جامع الترمذي " عن شيخ من بني مُرّة قال : قدمت الكوفة فأخبرت عن بلال بن أبي بردة فقلت : إن فيه لمعتبراً ؟ فأتيته وهو محبوس في داره التي كان بنى ، وإذا كل شيء منه قد تغير من العذاب والضرب ، وإذا هو في قشاش ، فقلت له : الحمد لله يا بلال ، لقد رأيتك تمر بنا وأنت تمسك أنفك من غير غبار وأنت في حالتك هذه فكيف صبرُك اليوم ؟ فقال : ممن أنت ؟ قلت : من بني مرة بن عباد . قال : ألا أحدثك حديثاً عسى أن ينفعك الله به ؟ قلت : هات . قال : حدثني أبو بردة عن أبي موسى أن رسول الله ﷺ قال : " **لا يصيب عبداً نكبة** [٣٣] [٣٤] **فما فوقها أو دونها إلا بذنب ، وما يعفو الله عنه أكثر** " قال : وقرأ : ﴿ **وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ** ﴾ [الشورى : ٣٠] . [٣٥]

= وهذا إسناد رجاله ثقات عدا عطاء بن السائب صدوق ، وقد اختلط ، لكن رواية سفيان الثوري عنه قبل الاختلاط ، أبو أحمد الزبيري يخطئ في حديث الثوري لكنه متابع .

وله شاهد من أبي هريرة ﷺ كما عند أحمد (٢/٣٤١) ، ابن أبي الدنيا في كتاب" الشكر " (٨٤) ، والبزار كما في " كشف الأستار " (٧٨١) وإسناده صحيح

(٣٣) أي مصيبة .

(٣٤) أخرجه البخاري في كتاب " الجنائز " (١٣٠١) ، مسلم في كتاب " الآداب" (٢١٤٤) من حديث أنس بن مالك .

(٣٥) **إسناده ضعيف .**

أخرجه الترمذي (٣٢٥٢) من طريق عبد بن حميد ، حدثنا عمرو بن عاصم حدثنا عبيد الله بن عاصم ، حدثنا عبيد الله بن الوزاع ، حدثني شيخ من بني مرة عن بلال بن أبي بردة عن أبيه قال حدثني ابن أبي بردة عن أبيه أبي موسى وقال : هذا حديث غريب . =

وفي " الصحيحين " من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ : كأني أنظر إلى رسول الله ﷺ يحكي أن نبياً من الأنبياء ضربه قومه فأدموه وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول : " **اللهم اغفر لقومي ، فإنهم لا يعلمون** "[٣٦]. فتضمنت هذه الدعوة العفو عنهم ، والدعاء لهم ، والاعتذار عنهم ، والاستعطاف بقوله لقومه .

وفي " الموطأ " من حديث عبد الرحمن بن القاسم قال : قال رسول الله ﷺ : " **لِيُعَزِّ المسلمين في مصائبهم المصيبةُ بي** "[٣٧].

وفي " الترمذي " من حديث يحيى بن وثاب عن شيخ من أصحاب رسول الله ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : " **المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم أعظم أجراً من المؤمن الذي يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم** "[٣٨] .

= وهذا إسناد معل بعلتين : ١- عبيد الله بن الوزاع مجهول . ٢- وشيخه أيضاً مجهول .

(٣٦) ليس في صحيح مسلم ، إنما في صحيح البخاري فقط كتاب أحاديث الأنبياء (٣٤٧٧) من حديث عبد الله بن مسعود .

(٣٧) مرسل صحيح .

أخرجه مالك في " الموطأ " (٤١/١) ، ابن سعد في " الطبقات " (٣١٣/٢) ، ابن المبارك في " الزهد " (٤٦٧) من طريق إسحاق بن عيسى قال : أخبرنا مالك يعني ابن أنس ، عن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه رفعه .

وإسناده صحيح .

(٣٨) إسناده صحيح .

أخرجه أحمد (٤٣/٢) ، الترمذي (٢٥٠٧) ، ابن ماجة (٤٠٣٢) ، ابن أبي شيبة في " مصنفه " (٥٦٥/٨) ، وفي " مسنده" (٩٦٥) ، الطيالسي في =

قال الترمذي : كان شعبة يرى أن الشيخ ابن عمر وفي " الصحيحين " من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال : " **ما أعطي أحد عطاءً خير وأوسع من الصبر** " [٣٩] .

وفى بعض " المسانيد " عنه ﷺ أنه قال : " **قال الله عز وجل : إذا وجَّهت إلى عبد من عبيدي مصيبة في بدنه أو ماله أو ولده ثم استقبل ذلك بصبر جميل استحييت منه يوم القيامة أن أنصب له ميزاناً أو أنشر له ديواناً** " [٤٠] .

= " مسنده " (١٩٨٨) ، البخارى فى " الأدب المفرد " (٣٨٨) ، الطحاوي فى " مشكل الآثار" (٥٥٤٣ ، ٥٥٤٤) ، أبو القاسم البغوى في " الجعديات " (٧٤٤) أبو نعيم فى " حلية الأولياء " (٣٦٥/٧) ، وفى" أخبار أصبهان " (١٧٥/١) ، البغوى فى " شرح السنة " (٣٥٨٥) ، هناد بن السرى فى " الزهد " (١٢٤٦) البيهقى فى " السنن الكبير " (٨٩/١٠) ، وفى " شعب الإيمان " (٨١٠٢) ، وفى " الآداب " (٢٢٩) ، وأبو الشيخ فى " طبقات الأصبهانيين " (٢٠٠/٢) كلهم من طرق عن يحيى بن وثاب عن شيخ من أصحاب النبي ﷺ .

قال شعبة : قال سليمان : وهو ابن عُمر أى الصحابي .

وسواء سمى الصحابي أم لم يسم فلا يضر لأن جهالة الصحابة لا تضر .

(٣٩) انظره فى الباب الثانى .

(٤٠) **ضعيف** .

أخرجه الحكيم الترمذى فى " نوادر الأصول " (٢٢٢) ، وعزاه إلى العراقي فى " المغنى عن حمل الأسفار " (٧٢/٤) إلى ابن عدي وضعفه .

وأورد المناوي فى " فيض القدير " (٤٨٧/٤) وأشار إلى تضعيفه .

وفى " جامع الترمذى " عنه ﷺ : " **إذا أحب الله قوماً ابتلاهم ، فمن رضى فله الرضى ، ومن سخط فله السخط** " (٤١) .

وفى بعض " المسانيد " عنه ﷺ مرفوعاً : " **إذا أراد الله بعبد خيرا صبَّ عليه البلاء صبا** " (٤٢) .

وفى " صحيح " مسلم " من حديث جابر بن عبد الله ﷺ : أن رسول الله ﷺ دخل على امرأة فقال : " **مالك تزفزفين ؟** " قالت : الحمى ، لابارك الله فيها . قال : :" **لا تَسُبي الحمّى فإنها تُذهبُ خطايا بنى آدم كما يُذهب الكيرُ خَبثَ الحديد** " . (٤٣)

ويُذكر عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال : " **من وُعِك ليلة فصبر ورضى عنه الله تعالى خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه** " (٤٤) .

---

(٤١) **إسناده حسن .**

أخرجه الترمذى (٢٣٩٦) وقال : حديث حسن غريب ، ابن ماجة (٤٠٣١) كلاهما من طريق سعد بن سنان عن أنس بن مالك ﷺ .

وهذا إسناد حسن من أجل سعد بن سنان ، وهو صدوق له أفراد كما فى " التقريب " لابن حجر .

(٤٢) **إسناده ضعيف .**

أخرجه ابن أبي الدنيا فى " المرض والكفارات " (٢٢٠) ، الديلمي فى " مسند الفردوس " (٩٧٢) .

وفى إسناده بكر بن خنيس ، ويزيد الرقاشى ضعيفان .

(٤٣) أخرجه مسلم فى " صحيحه " كتاب " البر والصلة والآداب" (٢٥٧٥) من حديث جابر بن عبد الله .

(٤٤) **إسناده ضعيف .**

وقال الحسن : : إنه ليكفِّر عن العبد خطاياه كُلَّها بحُمّى ليلة " (٤٥).

وفى " المسند " وغيره عن أبي سعيد الخدرى ﷺ ، قال : دخلت على النبي ﷺ وهو محموم ، فوضعت يدى من فوق القطيفة فوجدت حرارة الحمى ، فقلت : ما أشد حمّاك يا رسول الله . قال : " **إنا كذلك معاشر الأنبياء يضاعفُ علينا الوَجَعُ ، ليضاعف لنا الأجر** " قال : قلت : يا رسول الله فأى الناس أشد بلاء ؟ قال : " **الأنبياء** " قلت : ثم من ؟ قال : " **الصالحون ، إن الرجل ليبتلى بالفقر حتى ما يجد إلا العباء فيجوبها فيلبسها ، وإن كان الرجل ليبتلى بالقُمّل حتى يقتله القُمّلُ ، وكان ذلك أحب إليهم من العطاء إليكم** " (٤٦) .

= أخرجه ابن أبي الدنيا فى " الصبر " (١٨٠) ، " الرضا عن الله " (٧٥) ، " المرض والكفارات " (٨٣) ، البيهقى فى " شعب الإيمان " (٩٨٦٨) .

أورده المنذرى فى " الترغيب والترهيب " (٥٦٢/٤) وعزاه إلى ابن أبي الدنيا فى " الرضا " .

وهذا حديث ضعيف ففيه أبو سفيان مجهول والانقطاع بين الحسن البصرى وأبو هريرة .

(٤٥) **ضعيف مرسل .**

أخرجه ابن أبي الدنيا فى " المرض والكفارات " (٢٨) .

وفى إسناده عُمر بن المغيرة منكر الحديث .

(٤٦) **إسناده صحيح .**

أخرجه أحمد (٢٩٤/٣) ، ابن ماجة (٤٠٢٤) ، أبو يعلي فى " مسنده " (١٠٤٥) وابن سعد فى " طبقاته " (٢٠٨/٢) ، الطحاوى فى" شرح مشكل الآثار" (٢٢١٠) ، الحاكم (٣٠٧/٤) ، وقال : صحيح على شرط مسلم ، ووافقه الذهبي كلهم من طرق عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري . =

وقال عقبة بن عامر الجهني : قال رسول الله ﷺ : " **ليس من عمل إلا وهو يختم عليه ، فإذا مرض المؤمن قالت الملائكة : يا ربنا عبدك فلان قد حبسته عن العمل ، فيقول الربُّ : تعالوا اختموا له على مثل عمله حتى يبرأ أو يموت** "(٤٧).

وقال أبو هريرة ﷺ : " إذا مرض العبد المسلم نودي على صاحب اليمين أن أجرِ على عبدي صالح ما كان يعملُ وهو صحيح ، ويقال لصاحب الشمال أقصر عن عبدي ما دام في وثاقي " فقال رجل عند أبي هريرة : يا ليتني لا أزال ضاجعاً . فقال أبو هريرة : كره العبد الخطايا .

= **قلت** : وهذا إسناد رجاله ثقات .

وله شاهد كما عند البخاري في " صحيحه " (٥٦٤٧ ، ٥٦٤٨) ، مسلم (٢٥٧١) .

(٤٧) **صحيح** .

أخرجه أحمد (٤/١٤٦) ، ابن أبي الدنيا في " المرض والكفارات " (١٢) ، الطبراني في " الكبير " (١٧/١٤٦) ، وفي الأوسط (٣٢٥٧) ، البغوي في " شرح السنة " (١٤٢٨) ، الحاكم (٤/٢٦٠) من طريق عبد الله بن المبارك عن ابن لهيعة قال : حدثني يزيد أن أبا الخير حدثه أنه سمع عقبة بن عامر الجهني .

وفيه عبد الله بن لهيعة متكلم فيه ، لكن الراوي عنه عبد الله ابن المبارك ، وروايته عنه صحيحه ، وأروده الهيثمي في " مجمع الزوائد " (٢/٣٠٣) ، وقال : وفيه ابن لهيعة وفيه كلام ، ويشهد له ما أخرجه البخاري في " صحيحه " (٢٩٩٦) من حديث أبي موسى الأشعري ، وما أخرجه أحمد (١٩٤ ، ١٩٨) ، والحاكم (١/٣٤٨) ، الدارمي (٢٧٧٣) من حديث عبد الله ابن عمرو بن العاص

ذكره ابن أبي الدنيا (٤٨).

وذكر أيضاً عن هلال بن يساف قال : كنا قعوداً عند عمار بن ياسر فذكروا الأوجاع ، فقال أعرابي : ما اشتكيت قط ، فقال عمار : " ما أنت منا ، أو لست منا إن المسلم يُبتلى ببلاء فتحط عنه ذنوبه كما يُحط الورق من الشجر ، وإن الكافر - أو قال الفاجر - يبتلى ببلية فمثله مثل البعير إن أطلق لم يدر لم أُطلق وإن عقل لم يدر لم عُقل " (٤٩).

وذكر عن أبي معمر الأزدي قال : " كنا إذا سمعنا من ابن مسعود شيئاً نكرهه سكتنا حتى يفسره لنا ، فقال لنا ذات يوم : ألا إن السقم لا يكتبُ له أجرٌ ، فساءنا ذلك وكبر علينا ، فقال : ولكن يكفر به الخطيئة فسرّنا ذلك وأعجبنا " (٥٠).

---

(٤٨) أخرجه ابن أبي الدنيا في " المرض والكفارات " (١٤) ، البيهقي في " شعب الإيمان " (٩٩٤٨) كلاهما من طريق حسان بن عطية عن أبي هريرة .

(٤٩) **إسناده منقطع .**

أخرجه ابن أبي شيبة في " مصنفه " (٢٣٢/٣) ، ابن أبي الدنيا في " المرض والكفارات " (١٥) ، البيهقي في " شعب الإيمان " (٩٩١٣)

قلت : رجاله ثقات إلا أنه فيه انقطاع .

(٥٠) أخرجه ابن أبي الدنيا في " المرض والكفارات " (١٦) ، الطبراني في " الكبير " (٨٥٠٦) من طريق المسعودي عن جامع بن شداد عن تميم بن سلمة .

وأورده الهيثمي في " مجمع الزوائد " (٣٠٢/٢) وقال : إسناده حسن ، وأخرجه الطبراني في " الكبير " (٨٩٢٢) .

وهذا من كمال علمه وفقهه رضى الله عنه ، فإن الأجر إنما يكون على الأعمال الاختيارية ومما تولد منها ، كما ذكر الله سبحانه النوعين فى آخر سورة التوبة فى قوله المباشر عن الانفاق وقطع الوادي ﴿ **إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ** ﴾ [التوبة : ١٢١] وفى المتولّـد من إصابة الظمأ والنصب والمخمصة فى سبيلة وغيظ الكفار ﴿ **إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ**﴾ [التوبة : ١٢٠] ، فالثواب مرتبط بهذين النوعين ، وأما الأسقام والمصائب فإن ثوابها تكفير الخطايا ، ولهذا قال تعالى : ﴿ **وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ** ﴾ [الشورى : ٣٠] .

والنبي ﷺ إنما قال فى المصائب : " **كَفَّر الله بها من خطاياه** " ، كما تقدم ذكر ألفاظه ﷺ (٥١) ، وكذا قوله : " **المرضُ حِطَّةٌ** " (٥٢) فالطاعات ترفع الدرجات ، والمصائب تحط السيئات . ولهذا قال ﷺ : " **من يرد الله به خيراً يصب منه** " (٥٣) . وقال ﷺ : " **من يرد الله به خيراً يفقهه فى الدين** " (٥٤) . فهذا يرفعه ، وهذا يحط خطاياه .

وقال يزيد بن ميسرة : " إن العبد ليمرض المرض وما له عند الله من عمل خير ، فيذكّره الله سبحانه بعض ما سلف من خطاياه ، فيخرج من عينه مثل رأس الذباب من الدّمع من خشية الله فيبعثه الله

---

(٥١) تقدم فى نفس الباب

(٥٢) لم أقف عليه بهذا اللفظ وفى معناه من حديث أبي عبيدة مرفوعاً بإسناد حسن كما عند أحمد (١/١٩٥ ، ١٩٦) ، أبو يعلي فى " مسنده " (٨٧٨) .

(٥٣) أخرجه البخارى فى " صحيحه " كتاب" المرض (٥٦٤٥) .

(٥٤) أخرجه البخارى فى " صحيحه " كتاب " فرض الخمس " (٣١١٦) ، مسلم كتاب " الزكاة " (١٠٣٧) .

إن بعثه مُطَهّراً أو يقبضه إن قبضه مطهراً " (٥٥) . ولا يَرِدُ على هذا حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه في ثواب من قبض الله ولده وثمرة فؤاده بأن يبني له بيتاً في الجنة ، ويسميه بيت الحمد " (٥٦)

وقال زياد بن زياد مولى ابن عياش : وعن أصحاب النبي ﷺ قال : دخلنا على النبي ﷺ - وهو موعوك ، أي : محموم - فقلنا : أح أح بآبائنا وأمهاتنا يا رسول الله ما أشد وعكك . قال : " **إنا معشر الأنبياء يضاعف علينا البلاء تضعيفاً** " ، قال : قلنا سبحان الله . قال : " **أفعجبتم ، إن أشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل** " قلنا سبحان الله . قال : " **أفعجبتم ، إن كانوا ليفرحون بالبلاء كما تفرحون بالرخاء** " (٥٧)

أح : بالحاء المهملة ، هو المعروف من كلامهم ، ومن قال بالخاء المعجمة ، فقد غلط .

وذكر " النسائي " عن أبي عبيدة بن حذيفة عن عمته فاطمة قالت : أتيت رسول الله ﷺ في نسوة نعوده ، فإذا سقاء معلقة يقطر ماؤها من شدة ما كان يجدُ من الحمّى ، فقلنا : لو دعوت الله يا رسول الله أن

---

(٥٥) إسناده حسن .

أخرجه ابن أبي الدنيا في " المرض والكفارات " (١٧) ، أبو نعيم في " حلية الأولياء " (٥/٢٤٠) كلاهما من طريق إسماعيل بن عياش حدثني أبو سلمة عن يحيى بن جابر عن يزيد بن ميسرة .

قلت : وهذا إسناد حسن لأن رواية إسماعيل بن عياش عن أهل بلده صحيحة

(٥٦) تقدم الكلام في نفس الباب .

(٥٧) تقدم في نفس الباب .

يذهبها عنك ، فقال : " إن أشد الناس بلاء الأنبياء ، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم "[(٥٨)].

وقال مسروق عن عائشة رضي الله عنها : " ما رأيت أحداً أشد وجعاً من رسول الله ﷺ "[(٥٩)].

كان يشدد عليه إذا مرض حتى إنه لربما مكث خمس عشرة لا ينام وكان يأخذه عرق الكلية وهو الخاصرة ، فقلنا : يا رسول الله لو دعوت الله فيكشف عنك . قال : " إنا معاشر الأنبياء يشدد علينا الوجع ليكفر عنا "[(٦٠)].

---

(٥٨) حسن لغيره .

أخرجه أحمد (٣٦٩/٦) ، النسائي فى " الكبرى " (٣٥٥/٤ ، ٣٧٩) ، ابن سعد فى " الطبقات " (٣٢٥/٨ ، ٣٢٦) ، الطبراني فى " الكبير " (٦٢٩/٢٤) ، الحاكم (٤٠٤/٤) كلهم من طريق حصين عن أبي عبيدة بن حذيفة عن عمته فاطمة أنها قالت .

وفى إسناده أبي عبيدة بن حذيفة مجهول .

وله شاهد من حديث سعد بن أبي وقاص بإسناد حسن ، وقد تقدم الكلام عليه

ومن حديث عبد الله بن مسعودكما عند البخارى فى " صحيحه " (٥٦٤٧ ، ٥٦٤٨) ، مسلم (٢٥٧١).

(٥٩) أخرجه البخارى فى " صحيحه " كتاب " المرض " (٥٦٤٦) ، مسلم فى كتاب " البر والصلة والآداب " (٢٥٧٠) .

(٦٠) إسناده ضعيف .

أخرجه ابن أبي الدنيا فى " المرض والكفارات " (٩) من طريق عبد الله ابن لهيعة وهو ضعيف .

وفى " المسند " والنسائى من حديث أبي سعيد قال رجل : يا رسول الله أرأيت هذه الأمراض التى تصيبنا ما لنا بها ؟ قال : " **كفارات** " ، فقال أبي بن كعب : يا رسول الله وإن قلت ؟ قال : " **شوكة فما فوقها** " قال : فدعا أبي بن كعب على نفسه عند ذلك أن لا يفارقه الوعك حتى يموت ، ولا يشغله عن حج ولا عمرة ، ولا جهاد فى سبيل الله ، وصلاة مكتوبة فى جماعة . قال : فما مس رجل جلده بعدها إلا وجد حرّها حتى مات [٦١] .

وقال عبد الله بن عمرو : قال رسول الله ﷺ : " **إن العبد إذا كان على طريقة حسنة من العبادة ثم مرض قيل للملك الموكل به : اكتب له مثل عمله إذا كان طلقاً حتى أطلقه أو أكفته إليّ** " [٦٢] ناقه – طُلُق – بضم الطاء واللام – إذا حلّ عقالها . ويقال : كفته إليه إذا ضمه إليه.

---

(٦١) **إسناده حسن** .

أخرجه أحمد (٣/٢٣) ، النسائي فى " الكبرى " (٣/٥٠٢ – ٥٠٣) ، ابن أبي الدنيا فى " المرض والكفارات " (١٠) ، أبو يعلي فى " مسنده " (٩٩٥) ، ابن حبان كما فى " الإحسان " (٢٩٢٨) ، الحاكم (٤/٣٠٨) ، وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي ، البيهقى فى " شعب الإيمان " (٩٩٧٠ ، ٩٩٧١) .

وأورده الهيثمى فى " مجمع الزوائد " (٢/٣٠١ ، ٣٠٢) وقال : رواه أحمد وأبو يعلي ورجاله ثقات .

قلت : وهذا إسناد حسن من أجل زينب بنت كعب بن عجرة لم يرو عنها إلا اثنان ولم يوثقها إلا ابن حبان وهى مختلف فى صحبتها وزوجة أبي سعيد الخدري فمثلها حديثها حسن .

(٦٢) **إسناده صحيح** .

ذكره ابن أبي الدنيا .

وذكر أيضاً عن أبي أمامة الباهلي قال : قال رسول الله ﷺ : " **إن الله ليجرّبْ أحدكم بالبلاء وهو أعلمُ به ، كما يُجرِّب أحدُكم ذهبه بالنار فمنهم من يخرج كالذهب الإبريز ، فذلك الذى نجّاه الله من السيئات ، ومنهم من يخرج كالذهب دون ذلك ، فذلك الذى يشكُّ بعض الشك ، ومنهم من يخرج كالذهب الأسود فذلك الذى قد افتتن** " (٦٣) .

- أخرجه أحمد (١٥٨/٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٥) ، البخارى فى " الأدب المفرد " (٥٠٠) ، عبد الرزاق فى " مصنفه " (٢٠٣٠٨) ، ابن أبي شيبة فى " مصنفه " (٢٣٠/٣) ، وهناد بن السرى فى " الزهد " (٤٣٨) ، الدارمى (٣١٦/٢) ، البزار كما فى " كشف الأستار " (٧٥٩) ، ابن أبي الدنيا فى " المرض والكفارات " (٢٦) ، البغوى فى " شرح السنة " (١٤٢٩) ، الحاكم (٣٤٨/١) ، وقال : صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه ووافقه الذهبي ، أبو نعيم فى " الحلية " (٨٣/٣/٦، ٢٤٩/٧ ، ٣٠٩/٨) وقال : لم يروه عن أبي حصين إلا أبو بكر ، البيهقى فى " السنن الكبير " (٣٧٤/٣) ، وفى " شعب الإيمان " (٩٩٢٩) كلهم من طرق عن عبد الله بن عمرو بن العاص .

(٦٣) **ضعيف** .

أخرجه ابن أبي الدنيا فى " المرض والكفارات " (٢٧) ، الطبرانى فى " الكبير " (٧٦٩٨) ، الحاكم (٣١٤/٤) ، البيهقى فى " شعب الإيمان " (٩٩٢٤) كلهم من طريق الحكم بن نافع حدثنا عفير بن معدان عن سليم بن عامر عن أبي أمامة الباهلي وأورده الهيثمى فى " مجمع الزوائد " (٢٩١/٢) وقال : وفيه عفير ابن معدان وهو ضعيف . وهو كما قال .

وذكر أيضاً من مراسيل الحسن البصري عن النبي ﷺ قال : " **إن الله ليكفر عن المؤمن خطاياه كلها بحمى ليلة** " (٦٤) . قال ابن أبي الدنيا قال ابن المبارك : هذا من الحديث الجيد (٦٥) .

قال : " وكانوا يرجـون فى حمـى ليلـة كفـارة ما مضى من الذنوب " (٦٦) .

وذكر عن أنس أن رسول الله ﷺ دخل على رجل وهو يشتكى فقال : " **قل اللهم إنى أسألك تعجيل عافيتك ، وصبراً على بليتك ، وخروجاً من الدنيا إلى رحمتك** " (٦٧) .

وقالت عائشة رضى الله عنها : قال رسول الله ﷺ : " **إن الحمّى تحطُ الخطايا كما تحطُ الشجرةُ ورقها** " . (٦٨)

---

(٦٤) تقدم فى نفس الباب .

(٦٥) انظر " المرض والكفارات " لابن أبي الدنيا (صـ٣٩) .

(٦٦) **إسناده فيه كلام .**

أخرجه أحمد فى " الزهد " (صـ٢٨٠) ، ابن أبي الدنيا فى " المرض والكفارات " (٢٩) ، البيهقى فى " شعب الإيمان " (٩٨٦٧) كلهم من طريق حماد ابن زيد عن هشام عن الحسن قوله .

وفى رواية هشام عن الحسن كلام .

(٦٧) **ضعيف جداً .**

أخرجه ابن أبي الدنيا فى " المرض والكفارات " (٣٠) وفى إسناده يونس ابن عطية متروك .

(٦٨) **إسناده حسن .**

أخرجه ابن أبي الدنيا فى " المرض والكفارات " (٣٢) من طريق بإسناد حسن

وقال أبو هريرة وقد عاد مريضاً فقال له : إن رسول الله ﷺ قال : " إن الله عز وجل يقول : هي ناري أسلطها على عبدي المؤمن في الدنيا ، لتكون حظه من النار في الآخرة ". (٦٩)

وقال مجاهد : " الحمى حظ كل مؤمن من النار " ثم قرأ : ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَقْضِيّاً ﴾ [مريم : ٧١] (٧٠)

وهذا لم يُرِد به مجاهد تفسير الورود الذي في القرآن ، فإن السياق يأبى حمله على الحُمَّى قطعاً وإنما مراده أن الله سبحانه وعد عباده كلهم بورود النار ، فالحمى للمؤمن تكفّر خطاياه فيسهل عليه الورودُ يوم القيامة فينجو منها سريعاً ، والله أعلم . ويدل عليه حديث أبي

---

(٦٩) إسناده حسن .

أخرجه أحمد (٢/٤٤٠) ، الترمذي (٢٠٨١) ، ابن ماجة (٣٤٧٠) ، ابن أبي شيبة في " مصنفه " (١/٣٤٥) ، ابن أبي الدنيا في " المرض والكفارات " (١٩٠) وهناد بن السرى في " الزهد " (٣٩١) ، الحاكم (١/٣٤٥) وقال : صحيح الإسناد ، ووافقه الذهبي ، البيهقي في " شعب الإيمان " (٩٨٤٤) كلهم من طريق عن أبي صالح الأشعري عن أبي هريرة .

قلت : وأبو صالح الأشعري لا يعرف اسمه : قال أبو حاتم في " الجرح والتعديل " (٩/٣٩٢) لا بأس به ، ووثقه الذهبي كما في " ميزان الاعتدال " (٤/٥٣٨) .

(٧٠) إسناده ضعيف .

أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب " المرض والكفارات " (٢٠) ، البيهقي في " شعب الإيمان " (٩٨٤٥) ، " البشارة العظمى " لابن رجب الحنبلي (صـ ٥٣) من طريق يحيى بن اليمان حدثنا عثمان بن الأسود عن مجاهد .

قلت : في إسناده يحيى بن اليمان ضعيف .

ريحانة عن النبي ﷺ : " الحمى هي من كير جهنم ، وهي نصيب المؤمن من النار " (٧١) .

وقال أنس ﷺ قال رسول الله ﷺ : " مثل المؤمن إذا برأ وصحّ من مرضه كمثل البردة تقعُ من السماء في صفائها ولونها " . ذكره ابن أبي الدنيا (٧٢) .

وذكر أيضاً عن أبي أمامة يرفعه : " ما من مسلم يُصرع صرعة من مرض إلا بُعث منها طاهراً " (٧٣) .

---

(٧١) إسناده ضعيف .

أخرجه ابن أبي الدنيا في " المرض والكفارات " (٢٠) الطحاوي في " مشكل الآثار " (٢١١٧) ، البيهقي في " شعب الإيمان " (٩٨٤٦) كلهم من طريق أشعث ابن جابر عن شهر بن حوشب عن أبي ريحانه .

قلت : وفي إسناده شهر بن حوشب ضعيف .

(٧٢) إسناده ضعيف جدا .

أخرجه ابن أبي الدنيا في " المرض والكفارات " (٢٢) ، العقيلي في " الضعفاء " (٤/٣١٨) ، البزار كما في " كشف الأستار " (٧٦٢) ، ابن عدي في " الكامل " (٧/٢٥٣٤) ، وأبو الشيخ في كتاب " الأمثال " (٣٤٦) من طريق الوليد بن محمد الموقرى قال : حدثنا الزهرى عن أنس بن مالك .

قال العقيلي : وله عن الزهرى مناكير لا يتابع عليها ولا تعرف إلا له .

وفي إسناده الوليد الموقرى البلقاوى متروك . انظر " المجروحين " لابن حبان (٣/٧٦) .

وأورده ابن الجوزى في " الموضوعات " (٣/٢٠١ - ٢٠٢) .

(٧٣) إسناده صحيح .

وذكر عنه ﷺ : " **مثل المؤمن يصيبه الوعك مثل الحديدة تدخل النار ، فيذهب خبثها ، ويبقى طيبها** " (٧٤) .

وذكر أيضاً عنه مرفوعاً : " **إن العبد إذا مرض أوحى الله إلا ملائكته : يا ملائكتي أن قيدت عبدي بقيد من قيودي ، فإن أقبضه أغفرُ له وإن أعافه فجسد مغفور ولا ذنب له** " (٧٥) .

= أخرجه ابن أبي الدنيا في " المرض والكفارات : (٢٣) ، الروياني في " مسنده " (٣١٢/٢) ، الطبراني في " الكبير " (١١٥/٨ ، ١١٦) ، مسند الشاميين (١٥٩٥) ، البيهقي في " شعب الإيمان " (٩٩٢٢) كلهم من طريق سليمان بن حبيب المحاربي عن أبي أمامة الباهلي مرفوعاً .

وأورده الهيثمي في " مجمع الزوائد " (٣٠٢/٢) وقال : رواه الطبراني ورجاله ثقات .

(٧٤) **إسناده ضعيف .**

أخرجه ابن أبي الدنيا في " المرض والكفارات " (٢٤) ، البزار كما في " كشف الأستار " (٧٥٦) الحاكم (٣٤٨/١) ، وقال : حديث صحيح الإسناد رواته مدنيون ومصريون ، ووافقه الذهبي ، البيهقي في " السنن الكبير " (٣٧٤/٣) كلهم من طريق نافع بن يزيد حدثني جعفر بن ربيعه عن عبيد الله ابن عبد الرحمن بن السائب أن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن أزهر حدثه عن أبيه مرفوعاً .

وأورده الهيثمي في " مجمع الزوائد " (٣٠٢/٢) وقال : رواه البزار والطبراني في " الكبير " وفيه من لا يعرف .

(٧٥) **حسن لشواهده .**

أخرجه ابن أبي الدنيا في" المرض والكفارات " (٢٥) ، البغوي في " شرح السنة " (٥١٠) ، الطبراني في " الكبير " (٧٧٠١) ، الحاكم (٣١٣/٤) =

وذكر عن معاذ بن سهل بن أنس الجهني عن أبيه عن جده قال : دخلت على أبي الدرداء في مرضه فقلت : يا أبا الدرداء إنا نحبُّ أن نصح ولا نمرض ، فقال أبو الدرداء : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " **إن الصداع والمليلة لا يزالان بالمؤمن وإن كان ذنبه مثل أحد حتى لا يدعان عليه من ذنب مثقال حبة من خردل** " (٧٦) .

المليلة (٧٧) : فعيلة من التململ ، وأصلها من الملة التي يُخْبَزُ فيها.

= وقال : صحيح الإسناد ، ورده الذهبي بقوله : عفير واه ، كلهم من طريق عفير بن معدان عن سليم بن عامر عن أبي أمامة مرفوعاً .

وأورده الهيثمي في " مجمع الزوائد " (٢/٢٩١) وقال : رواه الطبراني في " الكبير " وفيه عفير من معدان وهو ضعيف ، وله شاهد عند أحمد (٤/١٢٣) ، أبو نعيم في " حلية الأولياء " (٩/٣٠٩ -٣١٠) ، الطبراني في " الكبير " (٧١٣٦) ، وفي مسند الشاميين (١٠٩٧) من حديث شداد بن أوس وإسناده حســن .

(٧٦) **إسناده ضعيف .**

أخرجه أحمد (٥/١٩٨) ، ابن أبي الدنيا في " المرض والكفارات " (٤١ ، ٢١٩) ، الطبراني في " الأوسط " (٦٣٤ ، ٣١١٩) ، البيهقي في" شعب الإيمان" (٩٩٠١ ، ٩٩٠٢) من طريق ابن لهيعة حدثني يزيد بن أبي حبيب عن معاذ ابن سهل بن أنس الجهني عن أبيه عن جده .

وفي إسناده عبد الله بن لهيعة سيئ الحفظ .

وله شاهد من حديث أبي هريرة كما عند البيهقي في " شعب الإيمان " (٩٩٠٣ ، ٩٩٠٤) ، أبو يعلي في " مسنده "(٦١٥٠) وفي إسناده سويد بن سعيد وهو ضعيف .

(٧٧) هي حرارة الحمى .

وقالت أم سلمة عن النبي ﷺ : " **ما ابتلى الله عبداً ببلاء وهو على طريق يكرهُها إلا جعل الله ذلك البلاء له كفارة وطهوراً ما لم ينزل ما أصابه من البلاء بغير الله ، أو يدعو غير الله يكشفه** " (٧٨) .

وقال عطية بن قيس : مرض كعب فعاده رهطٌ من أهل دمشق فقالوا : كيف تجدك يا أبا إسحاق ؟ قال : " بخير ، جسد أُخذ بذنبه إن شاء ربه عذبه وإن شاء رحمه ، وإن بعثه بعثه خلقاً جديداً لا ذنب له " . (٧٩)

وقال سعيد بن وهب : دخلنا مع سليمان الفارسي على رجل من كِندة نعودُه فقال سلمان : " إن المسلم يُبتلى فيكون كفارة لما مضى ، ومُستعتباً فيما بقي ، وإن الكافر يبتلى فمثله كمثل البعير أطلق فلم يدر لم أُطلق ، وعُقل فلم يدر لِمَ عُقل " . (٨٠)

---

(٧٨) **موضوع .**

أخرجه ابن أبي الدنيا فى " المرض والكفارات " (٤٣) من طريق الحكم بن عبد الله بن سعد وهو متروك ، قال الإمام أحمد فى " ميزان الاعتدال " (٥٧٢/١) أحاديثه كلها موضوعة .

(٧٩) **إسناده ضعيف .**

أخرجه ابن أبي الدنيا فى " المرض والكفارات " (٤٤) ، البيهقى فى " شعب الإيمان " (٩٨٢٣) من طريق أبي بكر بن أبي مريم عن عطية بن قيس قال : .

وفى إسناده أبو بكر بن أبي مريم الغسانى ضعيف .

(٨٠) **إسناده صحيح .**

أخرجه البخارى فى " الأدب المفرد " (٤٩٣) ، ابن أبي الدنيا فى " المرض والكفارات " (٤٥) ، ابن أبي شيبة فى " مصنفه " (٢٣١/٣) ،

وذكر أيضاً عن أبي أيوب الأنصاري قال : عاد رسول الله ﷺ رجلاً من الأنصار ، وأكبَّ عليه ، فسأله ، فقال : يا نبيَّ الله ماغمضت منذ سبع ، فقال رسول الله ﷺ : " **أى أخي اصبر ، تخرجُ منك ذنوبك كما دخلت فيها** " ، ثم قال رسول الله ﷺ : " **ساعات الأمراض يذهبن ساعات الخطايا** " (٨١) .

وفى " النسائي " من حديث أبي هريرة : أن رسول الله ﷺ قال لأعرابي : " **هل أخذتك أمُّ ملْدم ؟** " قال : يا رسول الله : وما أمُّ ملْدم ؟ قال : " **حرٌ يكون بين الجلد والدم** " قال : ما وجدت هذا . قال : " **يا أعرابي هل أخذك الصداع ؟** " قال : يا رسول الله وما الصداع ؟ قال : " **عرق يضرب على الإنسان فى رأسه** " قال : ما وجدت هذا . فلما ولّى قال رسول الله ﷺ : " **من أحبَّ أن ينظر إلى رجل من أهل النار فلينظر إلى هذا** " (٨٢) .

= وهناد بن السرى فى " الزهد " (٤١٤) ، أبو نعيم فى " حلية الأولياء " (٢٠٦/١) كلهم من طريقين عن سلمان الفارسي .

قلت : إسناده صحيح .

(٨١) **إسناده ضعيف جداً** .

أخرجه ابن أبي الدنيا فى " المرض والكفارات " (٣٤) ، البيهقى فى " شعب الإيمان " (٩٩٢٥) كلاهما من طريق الهيثم بن الأشعث قال : حدثنى فضال بن جبير الغدانى عن بشير بن عبد الله بن أبي أيوب الأنصاري عن أبيه عن جده .

وفى إسناده الهيثم بن الأشعث مجهول ، وفضال بن جبير واهي الحديث .

(٨٢) **إسناده حسن** .

وقالت أمُّ سليم : مَرِضتُ فعادني رسول الله ﷺ فقال : " **يا أمَّ سُليم أتعرفين النار والحديد وخبثَ الحديد ؟** " ، قلت : نعم يا رسول الله . قال : " **أبشري يا أمَّ سُليم ، فإنّك إن تخلصي من وجعك هذا تخلصي منه كما يُخلِّصُ الحديدُ من النّار من خبثه** " (٨٣) .

وخرج بعض الصحابة زائراً لرجل من إخوانه ، فبلغه أنه شاك قبل أن يدخل عليه فقال : أتيتُك زائراً وأتيتك عائداً ومبشراً . قال : كيف جمعت هذا ؟ قال : خرجتُ وأنا أريدُ زيارتك فبلغني شكاتُك فصارت عيادة ، وأبشرك بشيء سمعته من رسول الله ﷺ قال : " **إذا سبقت للعبد من الله منزلة لم يبلغها – أو قال لم ينَلْها – بعلمه ابتلاه الله فى جسده أو فى ولده أو فى ماله ثم صبّره حتى يبلغ المنزلة التى سبقت له من الله عز وجل** " (٨٤)

= أخرجه أحمد (٢/٣٣٢) ، البخارى فى " الأدب المفرد " (٤٩٥) ، النسائى فى " الكبرى " (٧٤٩١) ، البزار كما فى " كشف الأستار " (٧٧٨) ، ابن حبان كما فى " الإحسان " (٢٩١٦) ، الحاكم (١/٣٤٧) ، البيهقى فى " شعب الإيمان " (٩٩٠٧) كلهم من طرق عن محمد بن عمرو ، حدثنا أبو سلمة عن أبي هريرة .

قلت : وإسناده حسن ففيه محمد بن عمرو بن وقاص الليثي حسن الحديث .

(٨٣) **إسناده ضعيف .**

أخرجه ابن أبي الدنيا فى " المرض والكفارات " (٣٣) ، والخطيب فى " تاريخ بغداد " (٣/٤١٠ –٤١١) كلاهما من حديث أم سليم .

وفى إسناده عيسى بن سنان الحنفى لين الحديث .

(٨٤) **حسن لشواهده .**

أخرجه أحمد (٥/٢٧٢) ، أبو داود (٣٠٩٠) ، البخارى فى " التاريخ " (١/٧٣) ، ابن أبي الدنيا فى " المرض والكفارات " (٣٩) ، ابن سعد =

وقال الحسن وذكر الوجع : " أما والله ما هو بشرٌ أيام المسلم أيام نُوِّرت له فيها مراحلُه ، وذكر فيها ما نسي من معاده ، وكُفِّر بها عنه خطاياه " [٨٥] .

وقال بعض السلف " لولا مصائبُ الدنيا لوردنا الآخرة مفاليس" [٨٦]

= فى " الطبقات " (٤٧٧/٧) ، أبو يعلي فى " مسنده " (٩٢٣) ، الدولابي فى " الكنى والأسماء " (٢٧/١) ، الطبراني فى " الكبير " (٨٠١/٢٢) ، البيهقى فى " السنن الكبير " (٣٧٤/٣) كلهم من طرق عن أبي المليح عن محمد بن خالد عن أبيه عن جده .

قلت : وفى إسناده محمد بن خالد مجهول .

وله شاهد من حديث أبي هريرة بإسناد حسن ، كما عند ابن حبان فى " الإحسان " (٢٩٠٨) ، أبو يعلي فى " مسنده " (٦٠٩٥) ، الحاكم (٣٤٤/١) من طريق يونس بن بكير قال : حدثنا يحيى بن أيوب هو البجلى قال حدثنا أبو زرعة قال : حدثنا أبو هريرة .

(٨٥) **إسناده حسن .**

أخرجه أحمد فى " الزهد " (صـ٣٣٨) ، ابن أبي الدنيا فى " المرض والكفارات " (٥٥ ، ١٥٤) ، البيهقى فى " شعب الإيمان " (٩٩٩١) عن الحسن البصري قوله .

(٨٦) أخرجه البيهقى فى " شعب الإيمان " (٩٩٩٣) من طريق أبو عبد الرحمن السلمى قال : سمعت محمد بن عبد الله يقول : سمعت إبراهيم بن المولد يقول : دخلت على إبراهيم المقرى وقد رفسته بغلته فكسرت رجله فقال : لولا مصائب الدنيا قدمنا على الله مفاليس .

وقال أنس بن مالك ﷺ : انتهى رسول الله ﷺ إلى شجرة فهزها حتى سقط من ورقها ما شاء الله ثم قال : " **المصائبُ والأوجاعُ فى إحباط ذنوب أمتي أسرع مني فى هذه الشجرة** " (٨٧) .

وذكر ابن أبي الدنيا عن أبي هريرة ﷺ يرفعه : " **ما من مسلم إلا وُكِّلَ الله به ملكين من ملائكته لا يفارقانه حتى يقضى الله بأمره بإحدى الحسنيين إما بمـوت وإما بحيـاة ، فإذا قال له العُـوَّادُ : كيف تجدك ؟ قال : أحمد الله أجدني ، والله المحمود بخير ، قال له الملكان : أبشر بدم هو خير من دمك وصحة هي خير من صحتك . وإن قال : أجدنى مجهوداً فى بلاء شديد ، قال له الملكان : أبشر بدم هو شرٌ من دمك وبلاءٍ أطولُ من بلائك** " . (٨٨)

---

(٨٧) **إسناده ضعيف .**

أخرجه ابن أبي الدنيا فى " المرض والكفارات " (٥٧) ، أبو يعلي فى " مسنده " (٤٢٩٩) ، البيهقى فى " شعب الإيمان " (٩٨٦٤) كلهم من طريق الحسن بن صال عن جابر عن زياد النميرى عن أنس بن مالك .

قلت : وهذا إسناد معل بعلتين :

١- جابر الجعفى متهم بالكذب . ٢- زياد ابن نمير ضعيف .

(٨٨) **إسناده ضعيف .**

أخرجه ابن أبي الدنيا فى " المرض والكفارات " (٤٧) ، البيهقى فى " شعب الإيمان " (٩٩٤٠) كلاهما من طريق أبا عقيل قال : رأيت محمد بن بكر بن محمد بن عمرو بن حزم دخل على عبد الله بن عبيد الله فقال : كيف تجدك يرحمك الله قال : أحمد الله إليك والله محمود بخير قال : وفقنا الله وإياك سمعت أبا بكر يحدث عن أبي هريرة قال : .

ولا يناقضُ هذا قول النبي ﷺ في وجعه : " وا رأساه " (٨٩) وقول سعد : " يا رسول الله قد اشتدَّ بي الوجع وأنا ذو مال " (٩٠) .

وقول عائشة : " وا رأساه " (٩١) فإن هذا إنما قيل على وجه الإخبار لا على وجه شكوى الربِّ تعالى إلى العُوّاد ، فإذا حمد المريضُ اللهَ ثم أخبر بعلته لم يكن شكوى منه ، وإن أخبر بها تبرماً وتسخطاً كان شكوى منه ، فالكلمة الواحدة قد يثاب عليها ، وقد يعاقب بالنية والقصد .

وقال ثابت البناني : انطلقنا مع الحسن إلى صفوان بن محرز نعودُه ، فخرج إلينا ابنه وقال : هو مبطون لا تستطيعون أن تدخلوا عليه . فقال الحسن : " إن أباك إن يؤخذ اليوم من لحمه ودمه فيوجد فيه خيرٌ من أن يأكله الترابُ " (٩٢) .

وقال ثابت أيضاً : دخلنا على ربيعة بن الحارث نعوده – وهو ثقيل – فقال : " إنه من كان في مثل حالتي هذه ملأت الآخرة قلبه وكانت

= وفي إسناده أبو عقيل وهو يحيى بن المتوكل قال الحافظ في" التقريب " ضعيف .

(٨٩) أخرجه البخاري في " صحيحه " كتاب " المرض " (٥٦٦٦) من حديث عائشة .

(٩٠) أخرجه البخاري في " صحيحه " كتاب " الجنائز " (١٢٩٥) ، مسلم في كتاب " التوحيد " (١٦٢٨) .

(٩١) انظره رقم (٨٩) .

(٩٢) أخرجه أحمد في " الزهد "(صـ٢٥٧) ، ابن أبي الدنيا في " المرض والكفارات " (٥٠) ، ابن سعد في " طبقاته " (١١٤/٧) وإسناده صحيح .

الدنيا أصغر فى عينيه من ذباب " (٩٣) .

ويذكرُ أنس عن النبي ﷺ قال : " **إذا مرض العبدُ ثلاثة أيام خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه** " (٩٤) .

ويذكر عنه ﷺ : " **لا تردُّ دعوةُ المريض حتى يبرأ** " (٩٥) .

وذكر ابن أبي الدنيا عن ابن مسعود ﷺ قال : كنت مع رسول الله ﷺ جالساً فتبسم فقلنا : يا رسول الله مم تبسمت ؟ قال : " **تعجباً للمؤمن من جزعه من السّقم ، ولو كان يعلم ما له فى السّقَم أحبَّ أن يكون سقيماً حتى يلقى الله** " ثم تبسم ثانية ورفع رأسه إلى السماء ، قلنا : يا رسول الله مم تبسمت ورفعت رأسك إلى السماء ؟ قال : " **عجبت من ملكين نزلا من السماء يلتمسان عبداً مؤمناً كان فى مُصلاه يصلي فلا يجداه ، فعرجا إلى الله فقالا : يا رب ، عبدُك فلان المؤمن كنا نكتب له من العمل فى يوم وليلة كذ وكذا ، فوجدناه قد**

---

(٩٣) أخرجه ابن أبي الدنيا فى " المرض والكفارات " (٥١) .

(٩٤) **إسناده ضعيف .**

أخرجه ابن أبي الدنيا فى" المرض والكفارات " (٦١) ، الطبرانى فى " الصغير " (١/١٨٨ -١٨٩) من طريق إبراهيم بن الحكم بن أبان وهو متروك.

(٩٥) **إسناده ضعيف جداً .**

أخرجه ابن أبي الدنيا فى " المرض والكفارات " (٧٠) ، البيهقى فى " شعب الإيمان " (١٠٠٢٩) كلاهما من طريق سويد بن سعيد نا عبد الرحمن بن زيد عن أبيه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس مرفوعاً .

قلت : فى إسناده سويد بن سعيد ضعيف ، عبد الرحمن بن زيد العمى كذبه ابن معين .

حبسته فى حبالك فلم نكتب له شيئاً من عمله ، فقال : اكتبوا لعبدي عمله الذى كان يعمله فى يومه وليلته ولا تنقصوا منه شيئاً ، فعلَيَّ أجر ما حبسته وله أجرُ ما كان يعمل " (٩٦) .

ويذكر عنه ﷺ : **" من وُعك ليلة فصبر ورضي بها عن الله عز وجل خرج من ذنوبه كهيئة يوم ولدته أمه "** (٩٧) .

---

(٩٦) **إسناده ضعيف .**

أخرجه ابن أبي الدنيا فى " المرض والكفارات " (٧٥) ، إسحاق بن راهويه فى " مسنده " (٢٦٩٠) ، أبو داود الطيالسي فى " مسنده " (٣٤٦) ، البزار كما فى " كشف الأستار " (١٧٦١) ، وقال : وهذا الحديث لا نعلمه يروى عن عبد الله إلا من هذا الوجه ، أبو نعيم فى " حلية الأولياء " (٤/٢٦٦ ، ٢٦٧) ، الطبراني فى " الأوسط " (٢٣١٧) ، وقال : لا يروى هذا الحديث عن عتبة ابن مسعود إلا بهذا الإسناد ، تفرد به محمد بن أبي حميد ، البيهقى فى " شعب الإيمان (٩٩٣٧، ٩٩٣٨) كلهم من طرق عن محمد بن أبي حميد عن عون ابن عبد الله عن أبيه عن عبد الله بن مسعود وإسناده ضعيف جداً .

(٩٧) **إسناده ضعيف جداً .**

أخرجه ابن أبي الدنيا فى " المرض والكفارات " (٨٣) ، " الرضا عن الله " (٧٥) ، البيهقى فى " شعب الإيمان " (٩٨٦٨) كلهم من طريق أبي سفيان عن سالم عن الحسن عن أبي هريرة مرفوعاً .

وهذا إسناد مسلسل بثلاث علل :

١- أبو سفيان مجهول .

٢- سالم وهو ابن عبد الله الخياط سيء الحفظ .

٣- الانقطاع بين الحسن البصرى وأبو هريرة .

ومن مراسيل يحيى بن أبي كثير قال : فقد رسول الله ﷺ سلمان فسأل عنه فأُخبر أنه عليل ، فأتاه يعوده فقال : " **شفى الله سقمك ، وعظَّم أجرك ، وغفر ذنبك ، ورزقك العافية فى دينك وجسمك إلى منتهى أجلك ، إن لك من وجعك خلالاً ثلاثاً : أما الأولى فتذكرة من ربك يذكرك بها . وأما الثانية فتمحيصٌ لما سلف من ذنوبك ، وأما الثالثة فادع بما شئت ، فإن المبتلى مجابُ الدعوة** " (٩٨) .

وقال زياد بن الربيع : قلت لأبي بن كعب : آية من كتاب الله قد أحزنتني . قال : ما هي ؟ قل : ﴿ **مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ** ﴾ [النساء : ١٢٣] . قال : " ما كنت أراك إلا أفقه مما أرى ، أن المؤمن لا تصيبه عثرةُ قدم ، ولا اختلاج عرق إلا بذنب ، وما يعفو الله عنه أكثر " (٩٩) .

---

(٩٨) **ضعيف جداً .**

أخرجه ابن أبي الدنيا فى " المرض والكفارات " (٣١) ، الطبرانى فى " الكبير " (٦١٠٦) كلاهما من طريق عمرو بن خالج عن أبي هاشم الرمانى عن زاذان عن سلمان قال .

وأورده الهيثمى فى " مجمع الزوائد " (٢/٢٩٩) ، وقال : وفيه عمرو بن خالد القرشي وهو ضعيف .

وعمرو بن خالد متروك ورماه وكيع بن الجراح بالكذب .

(٩٩) **صحيح لشواهده .**

أخرجه ابن أبي الدنيا فى " المرض والكفارات " (١٠٠) ، البيهقى فى " شعب الإيمان " (٤/٩٨) كلاهما من طريق قتادة عن يزيد بن عبد الله عن زياد ابن الربيع موقوفاً ورجاله ثقات .

وسئلت عائشة رضى الله عنها عن هذه الآية ؛ فقالت : ما سألني عنها أحد منذ سألت رسول الله ﷺ فقال النبي ﷺ : " **يا عائشة هذه معاقبة الله تعالى لعبده بما يصيبه من الحمى والبلية والشوكة وانقطاع شسْعه ، حتى البضاعة يضعها فى كمّه فيفقدها فيفزع لها فيجدها فى ضبنه ، حتى أن المؤمن ليخرج من ذنوبه كما يخرج الذهب الأحمر من الكير** " (١٠٠) . ضبن الإنسان : ما تحت يده ، يقال : اضطبن كذا ، إذا حمله تحت يده .

= وله شاهد من حديث البراء بن عازب كما عند الطبرانى فى " الصغير " (١٠٣/٢) ، أبو نعيم فى " أخبار أصبهان " (٢٤٧/٢) كلاهما من طريق أحمد ابن الفرات ثنا محمد بن كثير ثنا محمد بن فضيل عن الصلت بن بهرام عن أبي وائل عن البراء بن عازب مرفوعاً وإسناده صحيح .

وشاهد له آخر مرسل عن الحسن كما عند أحمد فى " الزهد " (٩٣) ، وهناد ابن السرى فى " الزهد " (٤٣١) ، البيهقى فى " شعب الإيمان " (٩٨١٦) من طريق إسماعيل من مسلم المكى عن الحسن .

قلت : وفى إسناده إسماعيل بن مسلم وهو ضعيف .

(١٠٠) **إسناده ضعيف** .

أخرجه أحمد (٢٢١٨/٦) ، ابن جرير الطبري فى " تفسيره " (١٤٩/٣) ، الترمذى (٢٩٩١) وقال : هذا حديث حسن غريب من حديث عائشة ، لا نعرفه إلا من حديث حماد بن سلمة ، وأبو داود الطيالسي فى " مسنده " (١٦٨٩) ، ابن أبي الدنيا فى " شعب الإيمان " (٩٨٠٩) كلهم من طريق حماد بن سلمة عن علي ابن زيد عن أميه أنها سألت عائشة .

وهذا إسناد معل بعلتين :

١- على بن زيد بن جدعان ضعيف . ٢- أميه وهى بنت عبد الله مجهولة .

وقال وهب بن منبه : " لا يكون الرجل فقيهاً كامل الفقه حتى يَعُدَّ البلاء نعمة ، ويعدَّ الرّخاء مصيبة ، وذلك أن صاحب البلاء ينتظر الرّخاء ، وصاحب الرّخاء ينتظر البلاء " (١٠١) .

وفى بعض كتب الله سبحانه وتعالى : " إن الله ليصيب العبد بالأمر يكرهه وأنه ليحبه لينظر كيف تضرعه إليه " (١٠٢) .

وقال كعب : " أجدُ فى التوراة : لولا أن يحزن عبدي المؤمن لعصبت الكافر بعصابة من حديد لا يصدعُ أبداً " (١٠٣) .

وقال معروف الكرخي : " إن الله ليبتلي عبده المؤمن بالأسقام والأوجاع فيشكو إلى أصحابه ، فيقول الله تبارك وتعالى : وعزتي

---

(١٠١) **إسناده ضعيف .**

أخرجه أحمد فى " الزهد " (٣٧٣) ابن أبيا لدنيا فى " المرض والكفارات " (٩٣) ، أبو نعيم فى " حلية الأولياء " (٤/٥٦ -٥٧) .

وفيه جهالة أبو عبد الله الذى روى عنه وهب .

(١٠٢) **صحيح إلى كردوس .**

أخرجه ابن أبي الدنيا فى " المرض والكفارات " (٩٣) ، أبو نعيم فى " حلية الأولياء " (٤/١٨٠) ، البيهقى فى " شعب الإيمان " (٩٧٨٧) من طريق شقيق ابن سلمة عن كردوس بن هانئ .

(١٠٣) **إسناده صحيح .**

أخرجه ابن أبي الدنيا فى " المرض والكفارات " (١٠٣) ، وهناد بن السرى فى " الزهد " (٤٢٨) ، أبو نعيم فى " حلية الأولياء " (٥/٣٨١) من طريق حماد ابن سلمة عن ثابت بن أسلم البناني عن مطرف بن الشخير قال : قال كعب .

وجلالي ما ابتليتك بهذه الأوجاع والأسقام إلا لأغسلك من الذنوب فلا تشكني " .

وذكر ابن أبي الدنيا أن رجلاً قال : يا رسول الله ما الأسقام ؟ قال : " **أوَ ما سقمت قط ؟** " قال : لا . فقال : " **قم عنّا فلست مؤمناً** " (١٠٤) .

وكان عبد الله بن مسعود قد اشتدت به العلّةُ ، فدخل عليه بعض أصحابه يعوده وأهله تقول : نفسي فداك ، مانطعمك ما نسقيك ؟ فأجابها بصوت ضعيف : " بلِيت الحرافيفُ وطالت الضجعةُ ، والله ما يسرني أن الله نقصني منه قلامةَ ظُفْرٍ " (١٠٥) .

---

(١٠٤) **ضعيف** .

أخرجه أبو داود (٣٠٨٩) ، ابن أبي الدنيا فى " المرض والكفارات " (١٩٦) البغوى فى " شرح السنة " (١٤٤٠) ، البيهقى فى " شعب الإيمان " (٩٩١٦) كلهم من طريق محمد بن إسحاق عن أبي منظور عن عمه عن عامر أخى الخضر .

قلت : وهذا إسناد معل بثلاث علل :

١- محمد بن إسحاق مدلس ولم يصرح فى الإسناد .

٢- أبو منظور الشامى مجهول .

٣-عمه أيضاً مجهول .

(١٠٥) **إسناده صحيح** .

أخرجه أحمد فى " الزهد " (٣٥٩) ، عبد الله بن المبارك فى " الزهد " (٤٦٣) ، ابن أبي الدنيا فى " المرض والكفارات " (١٩٧) ، وفى " الرضا عن الله " (٧٨) ، ابن سعد فى " الطبقات " (٦/٢٠٣) كلهم من طريق =

وطلَّق خالد بن الوليد امرأة له ثم أحسن عليها الثناء ، فقيل له : يا أبا سليمان لأي شيء طلقتها ؟ قال : " ما طلقتُها لأمرِ رابني ولا ساءني ، ولكن لم يصبها عندي بلاء " (١٠٦) .

ويذكر عنه ﷺ : **" ما ضرب على مؤمن عرقٌ إلا كتب الله له به حسنة وحطَّ به عنه سيئة ورفع له به درجة "** (١٠٧) .

ولا ينافي هذا ما قدمناه من أن المصائب مكفرات لا غير ، لأن حصول الحسنة إنما هو بصبره الاختياري عليها وهو عمل منه .

وعاد رجل من المهاجرين مريضاً فقال : " إن للمريض أربعاً : يرفعُ عنه القلمُ ويكتب له من الأجر مثل ما كان يعمل في صحته ،

= أبي حيان التيمي عن أبيه قال : دخلوا على سويد بن مثعبه وكان من أفاضل أصحاب عبد الله .

تنبيه : وقع في الأصل عبد الله بن مسعود هو القائل ، لكن القائل هو سويد ابن مثعبه . والله أعلم .

(١٠٦) أخرجه ابن أبي الدنيا في " المرض والكفارات " (٢٠٣) وإسناده حسن .

(١٠٧) **إسناده ضعيف** .

أخرجه ابن أبي الدنيا في " المرض والكفارات " (٢٠٧) ، الطبراني في " الأوسط " (٢٤٨١) ، وقال : لا يروى هذا الحديث عن عائشة إلا بهذا الإسناد تفرد به عمران ، الحاكم (٣٤٧/١) ، وصححه الحاكم ، ووافقه الذهبي ، والبيهقي في " شعب الإيمان " (٩٨٦٠) كلهم من طريق عمران بن يزيد عن عبد الرحمن بن القاسم عن سالم بن عبد الله بن عمر عن عائشة مرفوعاً .

وأورده الهيثمي في " مجمع الزوائد " (٣٠٤/٢) وقال : إسناده حسن .

قلت : وفي إسناده عمران بن يزيد أو ابن زيد لين الحديث كما قال الحافظ في " التقريب " .

ويتبعُ المرضُ كل خطيئة من مفصل من مفاصله فيستخرجها ، فإن عاش عاش مغفوراً له وإن مات مات مغفوراً له " ، فقال المريض : " اللهم لا أزال مضطجعاً " (١٠٨) .

وفى " المسند " قال ﷺ : " **والذى نفسي بيده لا يقضى اللهُ للمؤمن قضاءَ إلا كان خيراً له : إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له ، وليس ذلك إلا للمؤمن** " .

وفى لفظ : " **إن أمر المؤمن كله عجيب ، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له** " (١٠٩) .



(١٠٨) أخرجه ابن أبي الدنيا فى " المرض والكفارات " (٢٠٩) .

(١٠٩) أخرجه مسلم فى كتاب " فضائل الصحابة " (٢٤٩٩) ، أحمد (٢٦/٥) من حديث أبي موسى الأشعري .

الباب السابع عشر

في الآثار الواردة عن الصحابة ومن بعدهم في فضيلة الصبر

قال الإمام أحمد : حدثنا وكيع عن مالك بن مِغْوَل عن أبي السَّفر قال : مرض أبو بكر ﷺ فعادوه فقالوا : ألا ندعو لك الطبيب ؟ فقال : " قد رآني الطبيب " . قالوا : فأي شيء قال لك ؟ قال : " إني فعالٌ لما أريد " [١] .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن مجاهد قال : قال عمر بن الخطاب ﷺ : " وجدنا خير عيشنا بالصبر " [٢] .

وقال أيضاً : " أفضل عيش أدركناه بالصبر ، ولو أن الصبر كان من الرجال كان كريماً " [٣] .

---

(١) **صحيح .**

أخرجه أحمد في " الزهد " (١٤٠) ، أبو نعيم في " الحلية " (٣٤/١) .

(٢) **صحيح إلى مجاهد .**

أخرجه أحمد في " الزهد " (١٤٦) ، ابن المبارك في " الزهد " (٦٣٠) ، وفي " زوائد الزهد " للمروزي (٩٩٧) ، ابن أبي الدنيا في كتاب " الصبر " (٤٧) .

وعلقه البخاري في " صحيحه " (٣٠٣/١١) . وانظر " تغليق التعليق " (١٧٣/٥) .

(٣) **حسن .**

وقال علي بن أبي طالب ﷺ : " ألا إن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسـد ، فإذا قُطع الرأس بار الجسد " . ثم رفع صوته فقال : ألا إنه لا إيمان لمن لاصبر له " (٤) . وقال : " الصبر مطيّةٌ لا تكبو " (٥) .

وقال الحسن : " الصبر كنز من كنوز الخير لا يعطيه الله إلا لعبد كريم عنده " (٦) .

= أخرجه ابن أبي الدنيا فى " الصبر " (٦) من ليث بن أبي سليم وهو ضعيف

وأخرجه أيضاً برقم (٤٧) من طريق موسـى بن إسماعيـل حدثنا عمر بن عبد الرحمن الأبار عن منصور عن مجاهد عن ربيعة الجرش قال .

قلت : وإسناده حسن .

وأخرجه ابن الجوزى فى " العلل المتناهية " (٢/١٤٥٤) ، أبو نعيم فى " حلية الأولياء " (٨/٢٩٠) من حديث عائشة .

قال أبو نعيم : غريب .

قلت : وأورده الدارقطنى فى " العلل " (٥ /ق/١٢٦) مسند عائشة ، وقال المحفوظ عن مجاهد عن ربيعه الجرشي أهـ . وهو كما قال .

٤ **ضعيف موقوفاً** .

أخرجه ابن أبي شيبة فى " الإيمان " (١٣٠) ، وكيع فى " الزهد " (١٩٩) ، أبو نعيم فى " الحلية "(١/٧٥ -٧٦) موقوفاً على علي ﷺ .

وضعفه العلامة الألباني فى " ضعيف الجامع (٣٥٣٧) .

٥ الرسالة القشيرية (صـ ١٨٥) .

٦ **صحيح إلى الحسن** .

أخرجه ابن أبي الدنيا فى كتاب " الصبر " (١٦) من طريق زيد بن الحباب حدثنى مرجى بن وداع عن غالبا قطان قال سمعت الحسن يقول . =

وقال عمر بن عبد العزيز : " ما أنعم الله على عبد نعمة فانتزعها منه فعاضه مكانها الصبر إلا كان ما عوّضه خيراً مما انتزعه " (٧) .

وقال ميمون بن مهران : " مانال أحدٌ شيئاً من جسيم الخير نبيٌّ فمن دونه إلا بالصبر " (٨) .

وقال سليمان بن القاسم : " كل عمل يُعرفُ ثوابه إلا الصبر ، قال الله تعالى : ﴿ **إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ** ﴾ [الزمر : ١٠] قال : كالماء المنهمر " (٩) .

وكان بعض العارفين فى جيبه رقعة يخرجها كل وقت ينظر فيها ، وفيها : ﴿ **وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا** ﴾ [الطور : ٤٨] (١٠).

وقال عمر بن الخطاب ﷺ : " لو كان الصبر والشكر بعيرين لم

= وإسناده حسن من أجل مرجى بن وداع قال أبو حاتم لا بأس به . انظر " الجرح والتعديل " (٤١٣/٨) .

٧ **إسناده حسن .**

أخرجه ابن أبي الدنيا فى كتاب " الصبر " (٢٢) ، البيهقى فى " شعب الإيمان " (١٠٠٣٨) من طريق محمد بن الحسن ، حدثنا سعيد بن عامر ، حدثنا محمد بن عمرو قال : سمعت عمر بن عبد العزيز يقول على المنبر .

٨ **إسناده صحيح .**

أخرجه ابن أبى الدنيا فى كتاب " الصبر " (١٩) ، أبو نعيم فى " حلية الأولياء " (٩٠/٤) كلاهما من طريق يحيى وحدثنا أبو المليح عن ميمون قال سمعته يقول .

٩ انظر الباب رقم (١٥) .

١٠ أورده القشيرى فى رسالته (صـــ ١٨٦) .

أُبال أيّهما ركبت " (١١) .

وكان محمد بن شبرمة إذا نزل به بلاء قال : " سحابة صيف ثم تنقشع " (١٢) .

وقال سفيان بن عيينة في قوله تعالى : ﴿ **وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا** ﴾ [السجدة : ٢٤] : " لما أخذوا برأس الأمر جعلناهم رؤوساً " (١٣) .

وقيل للأحنف بن قيس : ما الحِلم ؟ قال : " أن تصبر على ما تكره قليلاً " (١٤) .

وقال وهب : " مكتوب في الحكمة : قصر السَّفه الغضب ، وقصر الحِلم الراحةُ ، وقصر الصبر الظَفَرَ " (١٥) . قصرُ الشيء وقصاراه : غايته وثمرته .

---

١١ **إسناده ضعيف .**

أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب" الصبر " (٧) من طريق الأصمعي عن عبد الله بن عمر قال : قال عمر بن الخطاب.

قلت : ما بين الأصمعي وعبد الله بن عمر مفاوز .

١٢ أورده القشيري في رسالته (صـ ١٨٧) .

١٣ أورده القشيري في رسالته (صـ ١٨٨) .

١٤ أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب" الحلم " (٧٢) قال أبو بكربلغني أن الأحنف ابن قيس وساق الكلام .

١٥ أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب " الحلم " (٧١) قال : حدثني أبو عبد الرحمن الأودي عن إسماعيل بن عبد الكريم عن عبد الصمد بن معقل عن وهب ابن منبه قال :

قلت : إسناده حسن عدا أبو عبد الرحمن الأودي لم أقف له على ترجمة .

وقدم عروة بن الزبير على الوليد بن عبد الملك ومعه ابنه محمد ، وكان من أحسن الناس وجهاً ، فدخل على الوليد فى ثياب موشّاة (١٦) وله غَديرتان (١٧) وهو يضربُ بيده فقال الوليد : هكذا تكون فتيان قريش ؛ فعانه (١٨) فخرج من عنده متوسناً (١٩) فوقع فى اصطبل الدواب ، فلم تزل الدواب تطأه بأرجلها حتى مات .

ثم إن الأكلة (٢٠) وقعت فى رجل عروة ، فبعث إليه الوليد الأطباء فقالوا : إن لم تقطعها سرت إلى باقي الجسد فتهلك ، فعزم على قطعها فنشروها بالمنشار ، فلما صار المنشار إلى القصبة وضع رأسه علىالوسادة ساعة فغُشي عليه ثم أفاق والعرق يتحدر على وجهه وهو يهلل ويكبر ، فأخذها وجعل يقلبها فى يده ثم قال : أما والذى حملنى عليك إنه ليعلم أني ما مشيت بك إلى حرام ولا إلى معصية ولا إلى ما لا يرضي الله . ثم أمر بها فَغُسلت وطيبت وكفنت فى قطيفة ، ثم بعث بها إلى مقابر المسلمين .

فلما قدم من عند الوليد المدينة تلقاه أهل بيته وأصدقاؤه يعزّونه ، فجعل يقول : لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا ، ولم يزد عليه . ثم قال : لا أدخل المدينة ، إنما أنا بها بين شامت بنكبة أو حاسد لنعمة ، فمضى

---

١٦ أي منقوشة ومزركشة .

١٧ أي ذؤابتان مضفورتان فى الشعر .

١٨ أصابته عين .

١٩ أي نعساناً .

٢٠ داء يقع فى العضو .

إلى قصر بالعقيق [٢١] فأقام هنالك ، فلما دخل قصره قال له عيسى بن طلحة : لا أبا لشانيك [٢٢] ، أرنى هذه المصيبة التى نعزيك فيها ، فكشف له عن ركبته ، فقال له عيسى : أما والله ما كنّا نعدك للصراع قد أبقى الله أكثرك : عقلك ولسانك وبصرك ويداك وإحدى رجليك . فقال له : يا عيسى ، ما عزّاني أحدٌ بمثل ما عزيتني به .

ولما أرادوا قطع رجله قالوا له : لو سقيناك شيئاً كي لا تشعر بالوجع . فقال : إنما ابتلاني ليرى صبري أفأعارض أمره ؟ وسُئل ابنُه هشام : كيف كان أبوك يصنع برجله التى قطعت إذا توضأ ؟ فقال : كان يمسحُ عليها [٢٣] .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الصمد حدثنا سلام قال : سمعت قتادة يقول : " قال لقمان وسأله رجل : أي شيء خيراً ؟ قال : صبر لا يتبعه أذى . قال : فأي الناس خيراً ؟ قال : الذى يرضى بما أوتي . قال : فأي الناس أعلم ؟ قال : الذى يأخذ من علم الناس إلى علمه . قيل : فما خير الكنز : من المال أو من العلم ؟ قال : سبحان الله ! بل

---

٢١ وادي بالمدينة المنورة .

٢٢ أي مبغضيك .

٢٣ أخرجه أبن أبي الدنيا فى كتاب" الصبر " (١٥٤) ، وفى " المرض والكفارات " (١٣٩ ، ١٤١) ، أبو نعيم فى " حلية الأولياء " (١٧٨/٢) من طريق محمد بن سهل التيمي ، حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر ، عن الزهرى قال ؛ وساق القصة .

المؤمنُ العالمُ الذى إن ابتغى عنده خيراً وجد ، وإن لم يكن عنده كَفَّ نفسه ، وبحسب المؤمن أن يكف نفسه [٢٤] .

وقال حبان بن أبي جبلة : " من بَثَّ لم يصبر " . ورواه ابن أبي الدنيا مرفوعاً إلى النبي ﷺ [٢٥] . وإن صحَّ ؛ فمعناه إلى المخلوق ، لا من بَثَّ إلى الله .

وقال حبان بن أبي جبلة أيضاً فى قوله تعالى : ﴿ **فصبرٌ جميلٌ** ﴾ [يوسف : ١٨] قال : " لا شكوى فيه " [٢٦] . ورفعه ابن أبي الدنيا أيضاً . وقال مجاهد : " فصبرٌ جميل فى غير جزع " [٢٧] . وقال عمرو بن قيس : ﴿ **فصبرٌ جميلٌ** ﴾ [يوسف : ١٨ ، ٨٣] قال : " الرضى

---

٢٤ أخرجه أحمد فى " الزهد " (٦٤) ، وابن أبي الدنيا فى كتاب " الصبر " (١٩٤) كلاهما من طريق الحسن بن أبي الربيع ، حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن أيوب عن أبي قلابة .

٢٥ **ضعيف** .

أخرجه البيهقى فى " شعب الإيمان " (١٠٠٤٧) من طريق عبد العزيز بن أبي رواد عن نافع عن ابن عمر مرفوعاً.

وفى إسناده عبد العزيز بن أبي رواد ضعيف .

٢٦ **مرسل** .

أخرجه ابن أبي الدنيا فى " الصبر " (١١٠) ، ابن جرير الطبرى فى " تفسيره " (١٦٣/٧) ، وقال : هذا مرسل .

٢٧ أخرجه الطبرى فى " تفسيره " (١٦٣/٧) ، عبد الرزاق فى " تفسيره " (٣١٨/١) .

بالمصيبة والتسليم " [٢٨] . وقال بعض السلف : ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴾ [يوسف : ١٨ ، ٨٣] : " لا شكوى فيه " [٢٩] .

وقال همام عن قتادة فى قوله تعالى : ﴿ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ [يوسف : ٨٤] قال : " كظم على حزن فلم يقل إلا خيراً " [٣٠] . وقال يحيى بن المختار عن الحسن : " الكظيمُ : الصبور " [٣١] .
وقال همام عن قتادة فى قوله تعالى: ﴿ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ [يوسف : ٨٤] : أى : كميد ، أى : كَمَدُ الحُزْنِ .

وقال الحسن : " ماجرعتين أحب إلى الله من جرعة مصيبة موجعة محزنة ردَّها صاحبها بحسن عزاء وصبر ، وجرعة غيظ ردَّها بحِلم " .

---

٢٨ أخرجه ابن أبي الدنيا فى كتاب " الصبر " (١١٦) من طريق محمد ابن الحسين ، حدثنا الأسود بن عامر ، حدثنا عبد السلام بن حرب ، عن عمرو ابن قيس المُلائي بإسناد صحيح .

٢٩ أخرجه ابن أبي حاتم فى " تفسيره " (١١٣٩٧) ، وإسناده حسن ففيه عبد الرحمن بن يحيى ، قال أبو حاتم فى " الجرح والتعديل " (٣٠٢/٥) صدوق

٣٠ أخرجه ابن جرير الطبرى فى " تفسيره" (٢٧٦/٧) ، ابن أبي حاتم (١١٨٨٧) وعبد الرزاق فى " تفسيره " (٣٢٧/١) .

وأورده السيوطى فى " الدر المنثور " (٥٦٨/٤) وعزاه إلى أبي الشيخ وابن المبارك وابن المنذر .

٣١ أخرجه ابن أبي الدنيا فى كتاب " الصبر " (١١٧) ، ابن جرير الطبرى فى " تفسيره " (٢٧٦/٧) ، ابن أبي حاتم فى " تفسيره " (١١٨٩٠) .

وقال عبد الله بن المبارك : أخبرنا عبد الله بن لهيعة عن عطاء بن دينار أن سعيد بن جبير قال : " الصبرُ اعتراف العبد لله بما أصابه منه واحتسابه عند الله ورجاء ثوابه ، وقد يجزع الرجل وهو يتجلد لا يرى منه إلا الصبر " (٣٢) .

فقوله : " اعتراف العبد لله بما أصاب منه " كأنه تفسير لقوله : ﴿ **إنا لله** ﴾ [البقرة : ١٥٦] فيعترف أنه ملك لله يتصرف فيه مالكه بما يريد . وقوله : " راجياً به ما عند الله " كأنه تفسير لقوله : ﴿ **وإنا إليه راجعون** ﴾ [البقرة : ١٥٦] أي : نُرَدّ عليه ، فيجزينا على صبرنا ولا يضيع أجر المصيبة . وقوله : " وقد يجزع الرجل وهو يتجلد " ؛ أي : ليس الصبر بالتجلد ، وإنما هو حبس القلب عن التَّسخُّط على المقدور ، ورد اللسان عن الشكوى ، فمن تجلد وقلبه ساخط على القدر فليس بصابر .

وقال يونس بن يزيد : سألت ربيعة بن أبي عبد الرحمن : ما منتهى الصبر ؟ قال : " أن يكون يوم تصيبه المصيبه مثله قبل أن تصيبه " (٣٣) .

---

٣٢ **إسناده حسن** .

أخرجه ابن المبارك فى " الزهد زوائد نعيم " (١١١) ، ابن أبي الدنيا فى " الصبر " (١٨٨) ، وفى إسناده عبد الله بن لهيعة ضعيف لكن رواية ابن المبارك عنه مقبولة .

٣٣ أخرجه ابن أبي الدنيا فى كتاب " الصبر " (١١٤) من طريق محمد ابن يزيد الأدمي ، حدثنا عبد الله بن رجاء عن يونس بن يزيد قال : سألت ربيعة ابن أبي عبد الرحمن .

وقال قيس بن الحجاج فى قول الله تعالى : ﴿ **فاصبر صبراً جميلاً** ﴾ [المعارج : ٥] قال : أن لا يكون صاحب المصيبة فى القوم لا يُعرفُ من هو " [٣٤] .

وكان شَمّر إذا عزى مصاباً قال : " اصبر لما حكم ربُّك " .

وقال أبو عقيل : رأيت سالم بن عبد الله بن عمر بيده سوط وعليه إزار فى موت واقد بن عبد الله بن عمر لا يسمع صارخة ينالها بالسوط إلا ضربها .

قال ابن أبي الدنيا : حدثنى محمد بن جعفر بن مهران قال : قالت امرأة من قريش :

أم والذى لا خلد إلا وجهه

ومن ليس فى العزّ المنيع له كفو

لئن كان بدء الصبر مرّاً مذاقه

لقد يُجنى من غِبِّه الثمر الحلو [٣٥]

قال : وأنشدني عمرو بن بُكير :

صبرت فكان الصبرُ خير مغبة

وهل جَزَعٌ يُجدى عليَّ فأجزعُ

ملكتُ دموعَ العين حتى رددتُها

إلى ناظري فالعينُ فى القلب تدمعُ [٣٦]

---

٣٤ أخرجه ابن أبي الدنيا فى كتاب" الصبر " (١١٥) .

٣٥ أخرجه ابن أبي الدنيا فى كتاب " الصبر " (١٦٩) ، البيهقى فى " شعب الإيمان " (١٠٢٠١) .

٣٦ أورده البيهقى فى " شعب الإيمان " (٧/٢٥١) .

قال وأنشدني أحمد بن موسى الثقفي :

نُبِّئت خولة أمس قد جزعت

من أن تنوب نوائبُ الدهرِ

لا تجزعي يا خول واصبري

إن الكرامَ بنوا على الصبرِ

قال : وحدثني عبد الله بن محمد بن إسماعيل التميمي : : أن رجلاً عَزّى رجلاً فى ابنه فقال : إنما يستوجب على الله وهده من صبر له بحقِّه ، فلا تجتمع إلى ما أصبت به من المصيبة الفجيعة بالأجر ، فإنها أعظم المصيبتين عليك ، وأنكى الرَزِيَّتَيْنِ لك ، والسلام " .

وعزَّى ابن السَّمّاك رجلاً فقال : " عليك بالصبر فبه يعملُ من احتسب ، وإليه يصبرُ من جزع " .

وقال عمر بن عبد العزيز : " أما الرضى فبمنزلة عزيزة أو منيعة ولكن جعل الله فى الصبر معولاً حسناً " . ولما مات عبدُ الملك ابنُه صلّى عليه ثم قال : " رحمك الله ، لقد كنت لي وزيراً ، وكنت لي معيناً " . قال : والنّاسُ يبكون وما يقطرُ من عينية قطرة .

وأصيبَ مُطَرِّفُ بن عبد الله فى ابن له ، فأتاه قومٌ يعزونه فخرج إليهم أحسن ماكان بشراً ، ثم قال : " إني لأستحي من الله أن أتضعضع لمصيبة " .

وقال عمرو بن دينار : قال عبيد بن عمير : " ليس الجزعُ أن تدمع العين ويحزن القلب ، ولكن الجزع القول السَّيِّئُ والظنُّ السيء " .

وقال ابن أبي الدنيا : حدثنى الحسن بن عبد العزيز الجروي : قد مات ابن لي نفيس فقلت لأمه : " اتق الله واحتسبيه واصبري " . فقالت : " مصيبتي أعظم من أن أفسدها بالجزع " .

وقال ابن أبي الدنيا : وأخبرني عمر بن بكير عن شيخ من قريش قال : مات الحسن بن الحصين أبو عبيد الله بن الحسن ، وعبيد الله يومئذ قاض على البصرة وأميراً ، فكثر من يُعزيه ، فتذاكروا ما يتبين به جزع الرجل من صبره ، فأجمعوا أنه إذا ترك مما كان يصنعه فقد جزع .

وقال خالد بن أبي عثمان القرشي : كان سعيد بن جبير يعزيني فى ابني ، فرآني أطوف بالبيت متقنعاً فكشف القناع عن رأسي وقال : " الاستكانةُ من الجزع " .



فصل

وأما قول كثير من الفقهاء من أصحابنا وغيرهم : لا بأس أن يجعل المصابُ على رأسه ثوباً يُعرف به ؟ قالوا : لأن التعزية سُنَّة ، وفى ذلك تيسير لمعرفته حتى يُعزيه . ففيه نظر ، وأنكره شيخُنا .

ولا ريب أن السلف لم يكونوا يفعلوا شيئاً من ذلك ، ولا نقل هذا عن أحد من الصحابة والتابعين ، والآثارُ المتقدمة كلها صريحة فى ردِّ هذا القول . وقد أنكر إسحاق بن راهويه أن يترك لبس ما عادته لبسه قال : هو من الجزع .

وبالجملة ؛ فعادتهم أنهم لم يكونوا يغيروا شيئاً من زيهم قبل المصيبة ، ولا يتركوا ما كانوا يعملونه ، فهذا كله منافٍ للصبر ، والله سبحانه أعلم .



الباب الثامن عشر

فى ذكر أمور تتعلق بالمصيبة من البكاء والندب وشق الثياب ودعوى الجاهلية وغيرها

فمنها البكاء على المَيِّت :

ومذهب أحمد وأبو حنيفة أجازاه قبل الموت وبعده ، واختاره أبو إسحاق الشيرازى ، وكرهه الشافعي وكثير من أصحابه بعد الموت ورخصوا فيه قبل خروج الروح ، واحتجوا بحديث جابر بن عتيك : أن رسول الله ﷺ جاء يعودُ عبد الله بن ثابت فوجده قد غُلب ، فصاح به فلم يُجب ، فاسترجع وقال : " غلبنا عليك يا أبا الرّبيع " ؛ فصاح النِّسوةُ وبكين فجعل ابن عتيك يُسكِّتهن ، فقال رسول الله ﷺ : " **دعهن فإذا وَجَب فلا تَبْكِيَنَّ باكيةٌ** " قالوا : وما الوجوب يا رسول الله ؟ قال : " **الموت** " . رواه أبو داود والنسائي [1] .

---

١ **صحيح .**

أخرجه مالك فى" الموطأ " (١/٢٣٣) ، أحمد (٥/٤٤٦) ، أبو داود (٣١١١) النسائى فى " الصغرى " (٤/١٣) ، وفى " الكبرى " (٧٥٢٩) ، الطحاوى فى " شرح مشكل الآثار" (٥١٠٤) ، " شرح معانى الآثار "(٤/٢٩١) ، ابن أبي عاصم فى " الآحاد والمثاني " (٢١٤١) ، ابن حبان كما فى " الإحسان" (٣١٨٩ ، ٣١٩٠) الطبرانى فى " الكبير" (١٧٧٩) ، الحاكم (١/٣٥١) ، البغوى فى " شرح السنة " (١٥٣٢) ، البيهقى فى " السنن الكبير " (٤/٦٩ –٧٠) كلهم من طريق عبد الله ابن عبد الله بن جابر بن عتيك عن عتيك بن جابر بن الحارث .

قالوا : وفى " الصحيحين " من حديث ابن عمر : أن رسول الله ﷺ قال : " **إن الميت ليعذَّبُ ببكاء أهله عليه** " [٢] . وهذا إنما هو بعد الموت ، وأما قبله فلا يُسمّى ميتاً .

وعن ابن عمر : أن رسول الله ﷺ لمّا قَدِم من أُحد سمع نساء بني عبد الأشهل يبكين على هلكاهن ، فقال : " **لكن حمزة لا بواكي له** " فجئن نساء الأنصار ، فبكين على حمزة عنده ، فاستيقظ فقال : " **ويحهن أتين ها هنا يبكين حتى الأن مروهن فليرجعن ولا يبكين على هالك بعد اليوم** " . رواه الإمام أحمد [٣] .

وهذا صريح فى نسخ الإباحة المتقدمة .

---

٢ أخرجه البخارى فى " صحيحه " كتاب " الجنائز " (١٢٨٦) ، مسلم فى كتاب " الجنائز " (٩٢٨) من حديث عبد الله بن عمر .

٣ إسناده حسن .

أخرجه أحمد (٤٠/٢، ٨٤، ٩٢) ، ابن ماجة (١٥٩١) ، ابن أبي شيبة فى " مصنفه " (٣٩٤/٣ ، ٣٩٢/١٤ -٣٩٣) ، الطحاوى فى " شرح معانى الآثار" (٢٩٣/٤) ، ابن سعد فى " الطبقات " (١٧/٣) ، أبو يعلي فى " مسنده " (٣٥٧٦، ٣٦١٠) ، الطبرانى فى " الكبير " (٢٩٤٤) ، الحاكم (١٩٤/٣ -١٩٥) ، البيهقى فى " السنن الكبير " (٧٠/٤) كلهم من طريق أسامة بن زيد الليثي عن نافع عن ابن عمر . وفى إسناده أسامة بن زيد الليثى حسن الحديث .

وله شاهد من حديث أنس بن مالك كما عند ابن سعد فى" الطبقات " (١٧/٣) الحاكم (٣٨١/١) وإسناده حسن .

والفرق بين ما قبل الموت وبعده : أنه قبل الموت يرجى فيكون البكاء عليد حذراً ، فإذا مات انقطع الرجاءُ وأبرم القضاءُ فلا ينفعُ البكاءُ .

قال المُجوِّزون : قال جابر بن عبد الله : أصيب أبي يوم أحد فجعلت أبكي فجعلوا ينهوننى ورسول الله ﷺ لا ينهاني ، فجعلت عمّتي فاطمة تبكي ، فقال النبي ﷺ : " **تبكين أو لا تبكين ، مازالت الملائكة تظله بأجنحتها حتى رفعتمون** " . متفق عليه [٤] .

وفى " الصحيحين " أيضاً عن ابن عمر قال : اشتكى سعدُ بن عبادة شكوى له ؛ فأتاه النبي ﷺ يعوده مع عبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبي وقاص ، وعبد الله بن مسعود ، فلما دخل عليه وجده فى غشية فقال : قد مضى ؟ قالوا : لا يا رسول الله ، فبكى رسول الله ﷺ فلمارأى القوم بكاءه بكوا ، فقال : " **ألا تسمعون ، إن الله لا يعذبُ بدمع العين ولا بحزن القلب ولكن يعذب بهذا وأشار إلى لسانه ، أو يرحم** " [٥] .

وفى " الصحيحين " أيضاً من حديث أسامة بن زيد : أن رسول الله ﷺ انطلق على إحدى بناته ولها صبٌّ فى الموت ، فَرُفع إليه الصبي ونفسُه تُقَعْقِع كأنها فى شنِّة ، ففاضت عيناه ، فقال سعد : ما هذا

---

٤ أخرجه البخارى فى " صحيحه " كتاب " الجنائز " (١٢٤٤) ، مسلم فى " صحيحه " كتاب " فضائل الصحابة " (٢٤٧١) من حديث جابر بن عبد الله .

٥ أخرجه البخارى " صحيحه " فى كتاب " الجنائز " (١٣٠٤) ، مسلم كتاب " الجنائز " (٩٢٤) من حديث عبد الله بن عمر .

يا رسول الله ؟ قال : " **هذه رحمة جعلها الله فى قلوب عباده ، وإنما يرحمُ اللهُ من عباده الرحماء** " (٦) .

وفى مسند الإمام أحمد من حديث ابن عباس قال : ماتت رُقيةُ ابنةُ رسول الله ﷺ فبكت النساء ، فجعل عمر يضربهم بسوطه ، فقال النبي ﷺ : " **دعهنَّ يا عمر يبكين ، وإياكن ونعيق الشيطان** " ثم قال : " **إنه مهما كان من العين ومن القلب فمن الله ومن الرّحمة ، وما كان من اليد واللسان فمن الشيطان** " (٧) .

وفى " المسند " أيضاً عن عائشة : أن سعد بن معاذ لما مات حضره رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر ، قالت : " فوالذى نفسي بيده إني لأعرف بكاء أبي بكر من بكاء عمر وأنا فى حُجْرتي " (٨) .

---

٦ أخرجه البخارى فى " صحيحه " كتب " المرض " (٥٦٥٥) ، مسلم فى كتاب " الجنائز " (٩٢٣) من حديث أسامة بن زيد .

٧ **حسن لغيره .**

أخرجه أحمد (٢٣٧/١، ٢٣٨) ، أبو داود الطيالسي فى " مسنده " (٢٨١٧) وابن سعد فى " الطبقات " (٣٩٨/٣، ٣٩٩) ، أبو نعيم فى " حلية الأولياء " (١٠٥/١) ، الحاكم (١٩٠/٣) كلهم من طريق علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن عبد الله بن عباس . وفى إسناده علي بن زيد بن جدعان ضعيف .

ويشهد له ما أخرجه أحمد (٣٣٣/٣) من حديث أبي هريرة وإسناده حسن .

٨ **إسناده ضعيف .**

أخرجه أحمد (١٤١/٦، ١٤٢) ، ابن أبي شيبة فى " مصنف " (٤٠٨/١٤) وإسحاق بن راهوية فى " مسنده " (١١٢٦ ، ١٧٢٢) ، ابن سعد فى " الطبقات " (٤٢١/٣ ، ٤٢٢) ، وابن حبان كما فى الإحسان (٦٤٣٩ ، ٧٠٢٨) ، =

وفى " المسند " أيضاً عن أبي هريرة قال : " مُرَّ على النبي ﷺ بجنازة يبكى عليها وأنا معه ومعه عمر بن الخطاب ، فانتهر عمر اللاتي يبكين عليها ، فقال النبي ﷺ : " **دعهن يا ابن الخطاب ، فإن النفس مصابة ، وإن العين دامعة ، والعهدُ قريب** " [٩].

وفى " جامع الترمذى " عن جابر بن عبد الله قال : أخذ النبي ﷺ بيد عبد الرحمن بن عوف ، فانطلق إلى ابنه إبراهيم فوجده يجود بنفسه ، فأخذه النبي ﷺ فوضعه فى حِجْره فبكى ، فقال له : أتبكي ، أو لم تكن نهيت عن البكاء ؟ قال : " **لا ، ولكن نهيت عن صوتين أحمقين فاجرين : صوت عند مصيبة : خمشُ الوجه ، وشقُّ الجيوب ورنّة الشيطان** " . قال الترمذى : هذا حديث حسن [١٠] .

= الطبرانى فى " الكبير " (٥٣٣٠) كلهم من طريق محمد بن عمرو عن أبيه عن جده علقمة بن وقاص قال : أخبرتنى عائشة .

قلت : وفى إسناده عمر بن علقمة مجهول ، لم يوثقه إلا ابن حبان .

٩ **حسن لغيره .**

أخرجه أحمد (٣٣٣/٢) ، ابن ماجة (١٥٨٧) ، النسائى فى " الصغرى " (١٩/٤) ، عبد الرزاق فى " مصنفه (٦٦٧٤) ، عبد بن حميد فى " مسنده " (١٤٤٠) ، أبو داود الطيالسي فى " مسنده " (٢٥٩٨) ، ابن حبان كما فى " الإحسان " (٣١٥٧) والبيهقى فى " السنن الكبير" (٧٠/٤) كلهم من طريق محمد بن عمرو بن عطاء أن سلمة الأزرق قال : سمعت أبا هريرة .

قلت : وفى إسناده سلمة بن الأزرق مجهول .

وله شاهد بإسناد حسن تقدم برقم (٧) فى هذا الباب .

١٠ **إسناده محتمل التحسين .**

وقد صحَّ عنه ﷺ : " **أنه زار قبر أمه فبكى وأبكى من حوله** " [١١]
وقد صح عنه ﷺ : " **أنه قبَّل عثمان بن مظعون حتى سالت دموعه على وجهه** " [١٢] .

= أخرجه الترمذى (١٠٠٥) ، وقال حديث حين ، ابن أبي شيبة فى" مصنفه " (٢٩٠/٣) ، والطحاوي فى " معانى الآثار " (٢٩٣/٤) كلهم من طريق ابن أبي ليلى عن عطاء عن جابر بن عبد الله .

وفى إسناده ابن أبي ليلى وهو محمد بن عبد الرحمن صدوق سيء الحفظ .

١١ أخرجه مسلم فى كتاب " صلاة المسافرين وقصرها " (٧٩٦) .

١٢ **صحيح لغيره .**

أخرجه أحمد (٤٣/٦) ، إسحاق بن راهويه فى " مسنده " (٩٢١) ، أبو داود (٣١٦٣) ، الترمذى (٩١٨٩) ، وقال حديث عائشة حديث حسن صحيح ، عبد الرزاق فى" مصنفه " (٦٧٧٥) ، وأبو داود الطيالسي فى " مسنده (١٤١٥) عبد بن حميد فى " المنتخب " (١٥٢٦) ، ابن ماجة (١٤٥٦) ، ابن سعد فى " الطبقات " (٣٩٦/٣) ، ابن أبي شيبة فى " مصنفه " (٣٨٥/٣) ، أبو نعيم فى " حلية الأولياء " (١٠٥/١) البغوى فى " شرح السنن " (١٤٧٠) ، البيهقى (٤٠٧/٣) كلهم من طرق عن عاصم بن عبيد الله عن القاسم عن عائشة .

قلت : فى إسناده عاصم بن عبيد الله ضعيف ، وله شاهد من حديث عائشة وابن عباس كما عند أحمد (٥٥/٦) ــ أبو داود الطيالسي فى " مسنده " (١٦٤٩) والترمذى فى " الشمائل " (٣٧٢) ، النسائي فى " الصغرى " (٢١/٤) ، وفى " الكبرى " (٧١١٠) ، ابن سعد فى " طبقاته " (٢٦٥/٢) من طريق يزيد بن بانبوس قال دخلنا على عائشة .

قلت : وإسناده حسن لحال يزيد بن بانبوس .

وصح عنه : " **أنه نعى جعفر وأصحابه وعيناه تذرفان** " (١٣)
وصح عن أبي بكر الصديق ﷺ أنه قبّل النبي ﷺ وهو ميت وبكى (١٤)

فهذه اثنتا عشرة حجة تدل على عدم كراهة البكاء ، فتعين حملُ أحاديث النهي على البكاء الذى معه نَدْبٌ ونياحة ، ولهذا جاء فى بعض ألفاظ حديث عمر : " **الميت يعذَّب ببعض بكاء أهله عليه** " وفى بعضها : " **يعذب بما نيح عليه** " (١٥) .

وقال البخارى فى " صحيحه " : قال عمر : دعهن يبكين على أبي سليمان – يعني خالد بن الوليد – ما لم يكن نَقْعٌ أو لَقْلَقَة (١٦) .

والنقع : حث التراب ، واللقلقة : الصوت .

وأما دعوى النسخ فى حديث حمزة فلا يصح ، إذ معناه : لا يبكين على هالك بعد اليوم من قتلى أحد ، ويدل على ذلك أن نصوص الإباحة أكثرُها متأخرة عن غزوة أحد ، منها : حديث أبي هريرة إذ إسلامه وصحبته كانا فى السنة السابعة . ومنها البكاء على جعفر وأصحابه ، وكان استَشهادهم فى السنة الثامنة . ومنها البكاءعلى زينب وكان موتها فى السنة الثامنة أيضاً . ومنها البكاء على سعد بن معاذ

---

١٣ أخرجه البخارى فى " صحيحه " كتاب " المناقب " (٦٣٣٠) من حديث أنس بن مالك ﷺ .

١٤ أخرجه البخارى فى " صحيحه " كتاب " المغازى " (٤٤٥٥ ، ٤٤٥٦ ، ٤٤٥٧) من حديث عائشة وابن عباس .

١٥ أخرجه البخارى فى " صحيحه " كتاب " الجنائز " (١٢٩٢) ، مسلم فى كتاب " الجنائز " (٩٢٧) من حديث عبد الله بن عمر .

١٦ أخرجه البخارى معلقاً فى " صحيحه " كتاب " الجنائز " (١٩١/٣) .

وكان موته فى السنة الخامسة . ومنها البكاء عند قبر أمه ﷺ وكان عام الفتح فى السنة الثامنة .

وقولهم : إنما جاز قبل الموت حذراً بخلاف ما بعد الموت .

جوابه : إن الباكي قبل الموت يبكى حزناً ، وحزنه بعد الموت أشد فهو أولى برخصة البكاء من الحالة التى يرجى فيها ، وقد أشار النبي ﷺ إلى ذلك بقوله : " **تدمعُ العينُ ، ويحزنُ القلبُ ، ولا نقولُ ما يسخطُ الربّ ، وإنا بك يا إبراهيم لمحزونون** " [١٧] .

وأما الندب والنياحة فنصَّ أحمد على تحريمهما . قال فى رواية حنبل : النياحة معصية . وقال أصحاب الشافعي وغيرهم : النوحُ حرامٌ . وقال ابن عبد البر : أجمع العلماء على أن النياحة لا تجوزُ للرجال ولا للنساء .

وقال بعض المتأخرين من أصحاب أحمد : يكره تنزيهاً ، وهذا لفظ أبي الخطاب فى " الهداية " قال : ويكره النَّدبُ ، والنياحةُ ، وخمشُ الوجوه ، وشقُّ الجيوب ، والتَّحفي .

والصواب : القول بالتحريم لما فى " الصحيحين " من حديث عبد الله بن مسعود : أن النبي ﷺ قال : " **ليس منا من ضرب الخدود ، وشقَّ الجيوب ، ودعى بدعوى الجاهلية** " [١٨] .

---

١٧ أخرجه البخارى فى " صحيحه " كتاب " الجنائز " (١٣٠٣) مسلم فى كتابه " الفضائل " (٢٣١٥) من حديث أنس بن مالك ﷺ .

١٨ أخرجه البخارى فى كتاب " الجنائز " (١٢٩٧) ، مسلم كتاب " الإيمان " (١٠٣) .

وفى " الصحيحين " أيضاً عن أبي بُردة قال : وجع أبو موسى وجعاً فغُشي عليه ورأسُه فى حجر امرأة من أهله ، فصاحته امرأة من أهله فلم يستطع أن يردَّ عليها شيئاً ، فلما أفاق قال : " أنا بريء مما برئ منه رسول الله ﷺ فإن رسول الله ﷺ بريئ من الصالقَةِ والحالقةِ والشّاقَةِ " [١٩] .

وفى " الصحيحين " أيضاً عن المغيرة بن شعبة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " إن من نيح عليه يعذب بما نيح عليه " [٢٠] .

وفى " الصحيحين " أيضاً عن أم عطية قالت : " أخذ رسول الله ﷺ فى البيعة ألا ننوح ، فما وَفَّت منّا امرأةٌ إلا خمسُ نسوة " [٢١] .

وفى " صحيح البخارى " عن ابن عمر : أن النبي ﷺ قال : " الميتُ يعذَّب فى قبره بما نيح عليه " [٢٢] .

وفى " صحيح مسلم " عن أبي مالك الأشعرى : أن النبي ﷺ قال : " **أربع فى أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن : الفخرُ فى الأحساب ، والطعنُ فى الأنساب ، والاستسقاءُ بالنجوم ، والنياحة** " .

---

١٩ أخرجه البخارى فى كتاب " الجنائز " (١٢٩٦) ، مسلم كتاب " الإيمان " (١٠٤) .

٢٠ أخرجه البخارى فى كتاب " الجنائز " (١٢٩١) ، مسلم كتاب " الجنائز " (٩٣٣) .

٢١ أخرجه البخارى فى كتاب " الجنائز " (١٣٠٦) ، مسلم كتاب " الجنائز " (٩٣٦) .

٢٢ أخرجه البخارى فى كتاب " الجنائز " (١٢٩٢) .

وقال : " **النائحةُ إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربالٌ من قَطِران ودرعٌ من جَرَب** " (٢٣) .

وفى " سنن أبي داود " عن أسيد بن أبي أسيد عن امراة من المبايعات قالت : " كان فيما أخذ علينا رسول الله ﷺ فى المعروف الذى أُخذ علينا أن لا نعصيه فيه : **أن لا نَخْمش وجهاً ولا ندعو ويلاً ولا نَشُق جيباً ، ولا ننفشُ شعراً** " (٢٤) .

وفى " مسند الإمام أحمد " عن أنس قال : أخذ النبي ﷺ على النساء حين بايعهن أن لا يَنُحن ، فقلن : يا رسول الله إن نساء أسعدننا فى الجاهلية أفنسعدهن فى الإسلام ؟ فقال : " **لا إسعاد فى الإسلام** " (٢٥) .

---

٢٣ أخرجه مسلم فى كتاب " الجنائز " (٩٣٤) .

٢٤ **إسناده ضعيف .**

أخرجه أبو داود (٣١٣١) ، البيهقى فى " السنن الكبير " (٤/٦٤) كلاهما من طريق الحجاج عامل عمر بن عبد العزيز على الربذة ، قال : حدثنى أسيد ابن أبي أسيد عن امرأة من المبايعات .

وفى إسناد أسيد بن أبي أسيد لم يوثقه إلا ابن حبان فهو مجهول .

٢٥ **إسناده صحيح .**

أخرجه أحمد (٣/٩٧) ، أبو داود (٣٢٢٢) ، الترمذى (١٦٠١) وقال حديث حسن غريب من حديث أنس ، النسائي (٤/١٦) ، عبد الرزاق فى " مصنفه " (٦٦٩٠) ، الطحاوى فى " شرح مشكل الآثار " (١٨٩٥) ، ابن حبان كما فى " الإحسان " (٣١٤٦) ، البيهقى فى " السنن الكبير " (٤/٦٢) كلهم من طرق عن معمر عن ثابت عن أنس .

وقد تقدم قوله : " **ما كان من اليد واللسان فمن الشيطان** " ، وقوله : " **نهيت عن صوتين أحمقين فاجرين : صوت عند مصيبة : خمشُ وجوه وشقُ جيوب ، ورنَّةِ شيطان** " . (٢٦)

وفى " مسند الإمام أحمد " من حديث أبي موسى أن رسول الله ﷺ قال : " **الميت يعذبُ ببكاء الحي ، إذا قالت النائحةُ : واعضداه ، واناصراه ، واكاسياه ، جُذب الميت وقيل له : أنت عضدها ؟! أنت ناصرها ؟! أنت كاسيها ؟!** " (٢٧) .

وفى " صحيح البخارى " عن النعمان بن بشير قال : " أُغمي على عبد الله بن رواحة فجعلت أخته عمرة تبكى وتقول : واجبلاه ، واكذا واكذا ، تعّددُ عليه فقال حين أفاق : ما قلت لي شيئاً إلا قيل لي أنت كذا ؟ فلما مات لم تبك عليه " (٢٨) .

وكيف لا تكون هذه الخصال محرمة وهى مشتملة على التسخط على الرب ، وفعل مايناقض الصبر ، والإضرار بالنفس : من لطم الوجه ، وحلق الشعر ونتفه ، والدعاء عليها بالويل والثبور ، والتظلم

---

٢٦ تقدم فى هذا الباب .

٢٧ **إسناده ضعيف .**

أخرجه أحمد (٤/٤١٤) ، الترمذى (١٠٠٣) ، وقال هذا حديث حسن غريب ابن ماجة (١٥٩٤) ، الحاكم (٢/٤٧١) كلهم من طريق أسيد بن أبي أسيد عن موسى بن أبي موسى الأشعرى عن أبيه .

فى إسناده أسيد بن أبي أسيد مجهول لم يوثقه غير ابن حبان .

٢٨ أخرجه البخارى فى كتاب " المغازى " (٤٢٦٧) .

من الله سبحانه ، وإتلاف المال بشق الثياب وتمزيقها ، وذكر الميت بما ليس فيه ، ولا ريب أن التحريم الشديد يثبت ببعض هذا .

وقال المبيحون لمجرد الندب والنياحة مع كراهتهم له : قد روى حرب عن واثلة بن الأسقع وأبي وائل : أنهما كانا يسمعان النوح ويسكتان .

قالوا : " وفى " الصحيحين " عن أم عطية قالت : لما نزلت هذه الآية : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئاً** ﴾ إلى قوله ﴿ **وَلا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ** ﴾ [الممتحنة : ١٢] كان منه النياحة ، فقلت : يا رسول الله إلا آل فلان ، فإنهم كانوا أسعدوني فى الجاهلية فلا بدَّ لي من أن أسعدهم . فقال : " **إلا آل فلان** " [٢٩] .

وفى رواية لهما أنها قالت : بايعنا رسول الله ﷺ فقرأ علينا لا يشركن بالله شيئاً ونهانا عن النياحة ، فقبضت منّا امرأة يدها فقالت : فلانةٌ أسعدتنى فأنا أريدُ أجزيها . قالت : فما قال لها شيئاً ، فذهبت فانطلقت ثم رجعت فبايعت .

قالوا : وهذا الإذن لبعضهن فى فعله يدل على أن النهي عنه تنزيه لا تحريم ، ويتعين حمله على المجرد من تلك المفاسد جمعاً بين الأدلة .

قال المُحَرِّمون : لا تُعارضُ سُنّةُ رسول الله ﷺ بأحدٍ من الناس كائناً من كان ، ولا تُضربُ سنته بعضها ببعضٍ ، وما ذكر من

---

٢٩ أخرجه البخارى فى " صحيحه " كتاب " التفسير " (٤٨٩٢) ، مسلم كتاب " الجنائز " (٩٣٧) .

النصوص صحيحة صريحة لا تحتمل تأويلاً ، وقد انعقد عليها الإجماع وأما المرأة التى قال لها : " **إلا آل فلان** " ، والمرأة التى سكت عنها ، فذلك خاص بهما لوجهين : أحدهما : أنه قال لغيرهما لما سألته ذلك : " **لا إسعاد فى الإسلام** " . والثاني : أنه أطلق لهما ذلك وهما حديثا عهدٍ بالإسلام ، وهما لا يميزان بين الجائز من ذلك وبين المحرم ، وتأخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز ، فَعُلم أن الحكم لا يعدوهما إلى غيرهما .

وأما الكلمةُ اليسيرة إذا كانت صدقاً لا على وجه النَوْح والتسخط فلا تُحرَّم ولا تنافى الصبر الواجب ، نص عليه أحمد فى " مسنده " من حديث أنس : " أن أبا بكر ﷺ دخل على النبي ﷺ بعد وفاته ، فوضع فمه بين عينيه ، ووضع يديه على صدغيه وقال : وانبياه واخليلاه واصفياه " [٣٠] .

وفى " صحيح البخارى " عن أنس أيضاً قال : لما ثقل على النبي ﷺ جعل يتغشاه الكرب فقالت فاطمة ، واكرب أبتاه ، فقال : " **ليس على أبيك كرب بعد اليوم** " ، فلما مات قالت : يا أبتاه أجاب رباً دعاه يا أبتاه جنة الفردوس مأواه ، يا أبتاه إلى جبريل أنعاه . فلما دُفن قالت

---

٣٠ **إسناده حسن .**

أخرجه أحمد (٣١/٦، ٢١٩ ، ٢٢٠) ، النسائي فى " الصغرى " (١١/٤) ، " الكبرى " (٧/١١) ، أبو يعلي فى " مسنده " (٤٨) ، الترمذى فى " الشمائل " (٣٧٢) كلهم من طريق أبي عمران البونى عن يزيد بن بابنوس عن عائشة .

قلت : إسناده حسن من أجل يزيد بن بابنوس قال الدارقطنى : لا بأس به .

فاطمة : يا أنس ، أطابت أنفسكم أن تحثوا على رسول الله ﷺ التراب " (٣١) .

وقال النبي ﷺ : " **وإنا بك يا إبراهيم لمحزونون** " (٣٢).

وهذا ونحوه من القول ليس فيه تَظَلُّمٌ للمقدور ، ولا تَسَخُّطٌ على الرَّبِّ ولا إسخاطٌ له ، فهو كمجرَّدِ البكاءِ .

فصل

وأما قول النبي ﷺ : " **إن الميت ليعذب بالنياحة عليه** " (٣٣) فقد ثبت عنه من رواية عمر بن الخطاب ، وابنه عبد الله ، والمغيرة بن شعبة ، وروي نحوه عن عمران بن حصين ، وأبي موسى رضى الله عنهم ، فاختلفت طرق الناس فى ذلك :

فقالت فرقة : يتصرف الله فى خلقه بما يشاء ، وافعال الله لا تُعلل ولا فرق بين التعذيب بالنوح عليه والتعذيب بما هو منسوب إليه ، لأن الله خالق الجميع ، والله تعالى يؤلم الأطفال والبهائم والمجانين بغير عمل .

وقالت فرقة : هذه الأحاديث لا تصح عن رسول الله ﷺ ، وقد أنكرتها عائشة أمُّ المؤمنين ، واحتجت بقوله تعالى : ﴿ **وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ** ﴾ [الإسراء : ١٥ ، فاطر : ١٨ ، الأنعام : ١٦٤ ، الزمر : ٧]

---

٣١ أخرجه البخارى فى كتاب " المغازى " (٤٤٦٢) .

٣٢ تقدم فى بداية الباب .

٣٣ تقدم فى بداية الباب .

ولما بلغها رواية عمر وابنه قالت : إنكم لتحدثون عن غير كاذبين ولا مُتَّهمين ، ولكن السمع يخطئ . وقالت : إنما مَرَّ النبي ﷺ على قبر يهودي ، فقال : " **إن صاحب هذا القبر يُعذب ، وأهله يبكون عليه** " [٣٤]. وفى رواية متفق عليها عنها : إنما قال رسول الله ﷺ : " **إن الله ليزيد الكافرَ عذاباً ببكاء أهله عليه** " [٣٥] . وقالت : حسبكن القرآن : ﴿ **وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى** ﴾ [الأنعام : ١٦٤] .

وقالت فرقة أخرى منهم المُزَنِي وغيره : أن ذلك محمول على من أوصى به إذ كانت عاداتهم ذلك ، وهو كثير فى أشعارهم ، كقول طَرَفَةَ :

إذا متُّ فانعيني بما أنا أهلُه

وَشُقِّي عليَّ الجيْبَ يا ابنةَ مَعْبَد

وقول لبيد [يخاطب ابنتيه حينما حضرته الوفاة] :

فقوما فقولا بالذى قد علِمتُما

فلا تخمشا وجهاً ولا تحلقا شعراً

وقولا : هو المرءُ الذى لا صديقه

أضاعه ولا خان الأمين ولا غدرَ

إلى الحول ثم اسم السلام عليكُما

ومن يبكِ حولاً كاملاً فقد اعتذرَ

---

٣٤ أخرجه البخارى فى كتاب " الجنائز" (١٢٨٩) ، مسلم فى كتاب " الجنائز " (٩٣١) .

٣٥ تقدم فى هذا الباب .

وقالت طائفة : وهو محمول على من سنَّته وسنَّةُ قومه ذلك ، إذا لم ينههم عنه ، لأن ترك نهيه دليل على رضاه به ، وهذا قول ابن المبارك وغيره .

قال أبو البركات بن تيمية : وهو أصح الأقوال كلها ، لأنه متى غلب على ظنه فعلهم ولم يوصهم بتركه فقد رضي به ، وصار كمن ترك النهي عن المنكر مع القدرة عليه ، فأما إذا أوصاهم بتركه فخالفوه فالله أكرم من أن يعذبه بذلك ، وقد حصل بذلك العمل بالآية مع إجراء الخبر على عمومه فى كثير من الموارد .

وإنكار عائشة لذلك بعد رواية الثقات لا يُعَوَّلُ عليه ، فإنهم قد يحضرون ما لا تحضره ، ويشهدون ما تغيب عنه ، واحتمال السهو والغلط بعيد ، خصوصاً فى حق خمسة من أكابر الصحابة .

وقوله فى اليهودى لا يمنع أن يكون قد قال ما رواه عنه هؤلاء الخمسة فى أوقات أخر . ثم هى محجوجة بروايتها عنه أنه قال : " **إن الله يزيدُ الكافرَ عذاباً ببكاء أهله عليه** " [٣٦] فإذا لم يُمنع زيادة الكافر عذاباً بفعل غيره مع كونه مخالفاً لظاهر الآية لم يُمنع ذلك فى حق المسلم ، إن الله سبحانه كما لا يظلمُ عبده المسلم لا يظلمُ عبده الكافر ، والله أعلم .



---

٣٦ انظر رقم (٥) .

فصل

ولا تحتاجُ هذه الأحاديث إلى شيء من هذه التكلفات ، وليس فيها بحمد الله إشكال ولا مخالفة لظاهر القرآن ولا لقاعدة من قواعد الشرع ولا تتضمن عقوبة الإنسان بذنب غيره ، فإن النبي ﷺ لم يقل : إن الميت يعاقب ببكاء أهله عليه ونوحهم ، وإنما قال : يعذب بذلك ، ولا ريب أن ذلك يؤلمه ويعذبه ، والعذاب هو : الألم الذى يحصل له ، وهو أعم من العقاب ، والأعم لا يستلزم الأخص ، وقد قال النبي ﷺ : " **السفر قطعة من العذاب** "[٣٧]، وهذا العذاب يحصل للمؤمن والكافر حتى أن الميت ليتألم بمن يعالقبُ فى قبره فى جواره ، ويتأذى بذلك كما يتأذى الإنسان فى الدنيا بما يشاهده من عقوبة جاره ، فإذا بكى أهل الميت عليه البكاءَ المحرم وهو البكاء الذى كان أهل الجاهلية يفعلونه ، والبكاءُ على الميت عندهم اسم لذلك وهو معروف فى نَظْمِهم ونَثْرِهم تألم الميت بذلك فى قبره ، فهذا التألم هو عذابه بالبكاء عليه ، وهذه طريق شيخنا فى هذه الأحاديث . وبالله التوفيق .



---

٣٧ أخرجه البخارى فى كتاب " الجهاد والسير " (٣٠٠١) ، ومسلم كتاب " الصبر " (١٩٢٧) .

الباب التاسع عشر

الإيمان : صــبر وشكــر

الإيمان نصفان : نصف صبرٍ ، ونصف شكرٍ .

قال غير واحد من السلف : " الصبر نصفُ الإيمان " .

وقال عبد الله بن مسعود ﷺ : " الإيمان نصفان : نصفُ صبرٍ ، ونصفُ شكرٍ " .

ولهذا جمع الله سبحانه بين الصبر والشكر فى قوله : ﴿ **إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ** ﴾ [إبراهيم : ٥] ، وفى سورة حم عسق [٣٣] لآيات ، وفى سورة سبأ [١٩] ، وفى سورة لقمان [٣١]

وقد ذُكر لهذا التصنيف اعتبارات :

أحدها : أن الإيمان اسمٌ لمجموع القول والعمل والنيَّة ، وهى ترجع إلى شطرين : فعل وترك ، فالفعل هو العمل بطاعة الله وهو حقيقة الشكر ، والترك هو الصبر عن المعصية ، والدين كله فى هذين الشيئين : فعل المأمور ، ترك المحظور .

الاعتبار الثاني : أن الإيمان مبني على ركنين : يقين ، وصبر . وهما الركنان المذكوران فى قوله تعالى : ﴿ **وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ** ﴾ [السجدة : ٢٤] ، فاليقين يعلمُ حقيقة الأمر والنهي ، والثواب والعقاب ، وبالصبر يُنَفِّذُ ما أُمر به ويكفُّ نفسه عما نُهى عنه ، ولا يحصل له التصديق بالأمر والنهي أنه من عند الله وبالثواب والعقاب إلا باليقين ، ولا يمكنه الدوامُ على فعل

المأمور وكف النفس عن المحظور إلا بالصبر ، فصار الصبر نصف الإيمان ، والنصف الثاني الشكر، بفعل ما أُمر به ، وترك ما نُهي عنه .

الاعتبار الثالث : أن الإيمان قول وعمل ، والقول قول القلب واللسان ، والعمل عمل القلب والجوارح .

وبيان ذلك : أن من عرف الله بقلبه ، ولم يُقر بلسانه لم يكن مؤمناً كما قال عن قوم فرعون : ﴿ **وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ** ﴾ [النمل : ١٤] ، وكما قال عن قوم عاد وقوم صالح : ﴿ **وَعَاداً وَثَمُودَ وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ** ﴾ [العنكبوت : ٣٨] ، وقال موسى لفرعون ﴿ **قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ** ﴾ [الإسراء : ١٠٢] . فهؤلاء حصل لهم قول القلب : وهو : المعرفة والعلم ، ولم يكونوا بذلك مؤمنين ، وكذلك من قال بلسانه ما ليس فى قلبه لم يكن بذلك مؤمناً بل كان من المنافقين ، وكذلك من عرف بقلبه وأقرَّ بلسانه لم يكن بمجرد ذلك مؤمناً حتى يأتي بعمل القلب من الحبِّ والبُغض ، والموالاة والمعاداة ، فيُحب الله ورسوله ، ويوالي أولياء الله ويعادي أعداءه ، ويستسلم بقلبه لله وحده ، وينقادُ لمتابعة رسوله وطاعته ، والتزام شريعته ظاهراً وباطناً ، وإذا فعل ذلك لم يكف عن كمال إيمانه حتى يفعل ما أُمر به ، فهذه الأركان الأربعة هى أركان الإيمان التى قام عليها بناؤه وهى : ترجعُ إلى علم وعمل ، ويدخل فى العمل كف النفس الذى هو متعلق النهي ، وكلاهما لا يحصل إلا بالصبر ، فصار الإيمان نصفين : أحدهما الصبر ، والثاني متولد عنه من العلم والعمل.

الاعتبار الرابع : أن لنفس لها قوتان : قوة الإقدام ، وقوة الإحجام وهى دائماً تتردد بين أحكام هاتين القوتين ، فتُقدم على ما تحبه ، وتحجم عما تكرهه ، والدين كله إقدام وإحجام ، إقدام على طاعة ، وإحجام عن معاصي الله ، وكل منهما لا يمكن حصوله إلا بالصبر .

الاعتبار الخامس : أن الدين كله رغبة ورهبة ، فالمؤمن هو الراغب الراهب . قال تعالى : ﴿ **إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً** ﴾ [الأنبياء : ٩٠] . وفى الدعاء عند النوم ، الذى رواه البخارى فى " صحيحه " : " **اللهم إني أسلمت نفسي إليك ، ووجهت وجهي إليك ، وفوضت أمري إليك ، وألجأت ظهري إليك رغبة ورهبة** " (١) .

فلا تجد المؤمن أبداً إلا راغباً وراهباً ، والرغبة والرهبة لا تقوم إلا على ساق الصبر ، فرهبته تحمله على الصبر ، ورغبته تقوده إلى الشكر .

الاعتبار السادس : أن جميع مايباشره العبد فى هذه الدار لا يخرج عما ينفعه فى الدنيا والآخرة ، أو يضره فى الدنيا والآخرة ، أو ينفعه فى أحد الدارين ، ويضره فى الأخرى ، وأشرف الأقسام أن يفعل ما ينفعه فى الآخرة ويترك الآخرة ويترك ما يضره فيها ، وهو حقيقة الإيمان ، ففعلُ ما ينفعه هو الشكر ، وترك ما يضره هو الصبر .

---

١ أخرجه البخارى فى " صحيحه " كتاب " الدعوات " (٦٣١٣) ، مسلم فى كتاب " الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار " (٢٧١٠) .

الاعتبار السابع : أن العبد لا ينفك عن أمر يفعله ، ونهى يتركه ، وقدر يجرى عليه ، وفرضه فى الثلاثة الصبر والشكر ، ففعل المأمور هو الشكر ، وترك المحظور والصبر على المقدور هو الصبر .

الاعتبار الثامن : أن للعبد فيه داعيان : داع يدعوه إلى الدنيا وشهواتها ولذاتها ، وداع يدعوه إلى الله والدار الآخرة وما أعدَّ فيها لأوليائه من النعيم المقيم ، فعصيان داعي الشهوة والهوى هو الصبر ، وإجابة داعي الله والدار الآخرة هو الشكر .

الاعتبار التاسع : إن الدين مداره على أصلين : العزم والثبات ، وهما الأصلان المذكوران فى الحديث الذى رواه أحمد والنسائى عن النبي ﷺ : " **اللهم إني أسألك الثبات فى الأمر ، والعزيمة على الرشد** " [٢] .

---

٢ **إسناده ضعيف** .

أخرجه أحمد (١٢٥/٤) ، الترمذى (٣٤٠٧) ، النسائى فى " الصغرى " (٥٤/٣) ، ابن حبان كما فى " الإحسان " (٩٣٥) ، ابن أبي شيبة فى " مصنفه " (٢٧١/١٠) ، أبو نعيم فى " حلية الأولياء " (٢٦٦/١) ، الطبرانى فى " الكبير " (٧١٧٦ ، ٧١٧٧، ٧١٥٧) ، الحاكم (٥٠٨/١) كلهم من طرق عن شداد ابن أوس .

قلت : وهذه الطرق لا تخلوا من ضعف .

١- طريق حسان بن عطية منقطع لم يسمع من شداد بن أوس .

٢- رجل من بنى حنظلة وهو مجهول .

٣- طريق أبي الأشعث فى إسناده محمد بن يزيد الرحبي مجهول .

وأصل الشكر صحة العزيمة ، وأصل الصبر قوة الثبات ، فمتى أُيد العبد بعزيمة وثبات ، فقد أُيد بالمعونة والتوفيق .

الاعتبار العاشر : إن الدين مبنى على أصلين : الحق والصبر ، وهما المذكوران فى قوله تعالى : ﴿ **وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ** ﴾ [العصر : ٣] ، ولما كان المطلوب من العبد هو العمل بالحق فى نفسه وتنفيذه فى الناس .

وكان هذا هو حقيقة الشكر لم يمكنه ذلك إلا بالصبر عليه ، فكان الصبر نصف الإيمان ، والله سبحانه وتعالى أعلم .



الباب العشرون

فى تنازع الناس فى الأفضل من الصبر والشكر

حكى أبو الفرج بن الجوزي فى ذلك ثلاثة أقوال :

أحدهـــا : أن الصبر أفضل .

والثاني : أن الشكر أفضل .

والثالث : أنهما سواء ، كما قال عمر بن الخطاب ﷺ : " لو كان الصبر والشكر بعيرين ما باليت أيُّهما ركبت " .

ونحن نذكر ما احتجت به كل فرقة ، وما لها وعليها فى احتجاجها بعون الله وتوفيقه .

قال الصابرون : قد أثنى الله سبحانه على الصبر وأهله ، ومدحه ، وأمر به ، وعلَّق عليه خير الدنيا والآخرة ، وقد ذكره الله فى كتابه فى نحو تسعين موضعاً وقد تقدم من النصوص والأحاديث فيه وفى فضله ما يدل على أنه أفضل من الشكر ، ويكفى فى فضله قوله ﷺ : " **الطاعمُ الشاكرُ بمنزلة الصائم الصابر** " [1] ؛ فذكر ذلك فى معرض تفضيل الصبر ورفع درجته على الشكر ، فإنه ألحق الشاكر بالصابر

---

١ **إسناده حسن .**

أخرجه أحمد (٢/٢٨٣) ، الترمذى (٢٨٤٦) ، وقال : حسن غريب ، عبد الرزاق فى " مصنفه " (١٩٥٧٣) ، ابن ماجة (١٧٦٤) ، ابن خزيمة فى " صحيحه " (١٨٩٩) ، أبو يعلي فى " مسنده " (٦٥٨٢) ، الحاكم (٤/١٣٦) كلهم من طرق عن سعيد المقبرى عن أبي هريرة .

وشَبَّهه به ، ورُتبة المُشبَّه به أعلى من رتبة المُشبَّه ، وهذا كقوله " **مدمن الخمر كعابد وثن** " (٢) ، ونظائر ذلك .

قالوا: وإذا وازنا بين النصوص الواردة فى الصبر والواردة فى الشكر وجدنا نصوص الصبر أضعافها ، ولهذا لما كانت الصلاة والجهاد أفضل الأعمال كانت الأحاديث فيهما فى سائر الأبواب ، فلا تجد الأحاديث النبوية فى باب أكثر منها فى باب الصلاة والجهاد .

قالوا : وأيضاً ؛ فالصبر يدخل فى كل باب بل فى كل مسألة من مسائل الدين ، ولهذا كان من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد .

قالوا : وأيضاً ؛ فالله سبحانه وتعالى علَّق على الشكر الزيادة ؛ فقال : ﴿ **وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ** ﴾ [إبراهيم : ٧] ، وعلق على الصبر الجزاء بغير حساب .

وأيضاً ؛ فإنه سبحانه أطلق جزاء الشاكرين فقال : ﴿ **وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ** ﴾ [آل عمران : ١٤٤] ، وقيد جزاء الصابرين بالإحسان ؛

---

٢ **حسن لشواهده .**

أخرجه أحمد (٢٧٢/١) ، عبد الرزاق فى " مصنفه " (١٧٠٧٠) ، البزار كما فى " كشف الأستار" (١٩٣٤) ، ابن حبان كما فى " الإحسان " (٥٣٤٧) ، ابن عدي فى " الكامل " (١٥٢٥/٤) ، الطبرانى فى " الكبير " (١٢٤٨) كلهم من طرق عن محمد بن المنكدر عن عبد الله بن عباس وإسناده ضعيف .
وله شاهد من حديث أبي هريرة كما عند البخارى فى " التاريخ الكبير" (٣٨٦/١) ابن ماجة (٣٣٧٥) كلاهما من طريق محمد بن سليمان الأصبهانى عن سهيل ابن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة .

قلت : فى إسناده محمد بن سليمان الأصبهاني ضعيف .

فقال : ﴿ **وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾ [النحل : ٩٦] .

قالوا : وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال : " **يقول الله تعالى : كلُّ عمل ابن آدم له إلا الصوم ، فإنه لي ، وأما أجزي به** " [٣] . وفى لفظ : " **كلُّ عمل ابن آدم يضاعف له الحسنة بعشر أمثالها قال الله تعالى : إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به** " [٤] . وما ذلك إلا لأنه صبر النفس ومنعُها من شهواتها ؛ كما فى الحديث نفسه : " **يدع شهوته وطعامه وشرابه من أجلي** " ، ولهذا قال النبي ﷺ لمن سأله عن أفضل الأعمال : " **عليك بالصوم ؛ فإنه لا عدلَ له** " [٥] . ولما كان الصبرُ حبس النفس عن إجابة داعي شهوة الطعام والشراب والجماع ، فُسر الصبر فى قوله تعالى: ﴿ **وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ** ﴾ [البقرة : ٤٥] إنه الصوم ، وسُمِّي رمضان : شهر الصبر .

---

٣ أخرجه البخارى فى " صحيحه " كتاب " اللباس " (٥٩٢٧) ، مسلم فى " صحيحه " كتاب " الصيام " (١١٥١) .

٤ أخرجه مسلم فى كتاب " الصيام " (١١٥١) .

٥ **إسناده صحيح .**

أخرجه أحمد (٢٤٨/٥ – ٢٤٩) ، النسائى فى " الصغرى " (١٦٥/٤) ، عبد الرزاق فى " مصنفه " (٧٨٩٩) ، ابن أبي شيبة فى " مصنفه " (٥/٣) ، ابن خزيمة في " صحيحه " (١٨٩٣) ، إن حبان كما في الإحسان (٣٤٢٥،٣٤٢٦) الحاكم (٤٢١/١) كلهم من طرق عن محمد بن عبد الله ابن يعقوب عن رجاء ابن حيوه عن أبي أمامه .

وقال بعض السلف : " الصوم نصف الصبر " ، وذلك أن الصبر حبس النفس عن إجابة داعي الشهوة والغضب ، فإن النفس تشتهي الشيء لحصول اللذة بإدراك وتغضب لنفرتها من المؤلم لها ، والصوم صبر عن مقتضى الشهوة فقط وهى شهوة البطن والفرج دون مقتضى الغضب ، ولكن من تمام الصوم وكماله صبر النفس عن إجابة داعي الأمرين ، وقد أشار على ذلك النبي ﷺ فى الحديث الصحيح ، وهو قوله : " **إذا كان يوم صوم أحدكم فلا يجهل ولا يصخب ، فإن أحدٌ سابه أو شاتمه فليقل : إنّي صائم** " [٦] ؛ فأرشد النبي ﷺ إلى تعديل قوة الشهوة والغضب ، وأن الصائم ينبغي له أن يحتمي من إفسادهما لصومه ، فهذه تُفسد صومه ، وهذه تُحبط أجره ، كما قال فى الحديث الآخر : " **من لم يدع قول الزور والعمل به ؛ فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه** " [٧] .

قالوا : ويكفي فى فضل الصبر علىالشكر قوله تعالى : ﴿ **إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ** ﴾ [المؤمنين : ١١١] ، فجعل فوزهم جزاء صبرهم . وقال تعالى : ﴿ **وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ** ﴾ [البقرة : ٢٤٩] لا شيء يعدل معيته لعبده ، كما قال بعض العارفين : " ذهب الصابرون بخيرالدنيا والآخرة لأنهم نالوا معية الله " . وقال تعالى : ﴿ **وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا** ﴾ [الطور : ٤٨] ، وهذا يتضمن الحراسة والكلاءة والحفظ للصبر لحكمه ، وقد وعد الصابرين بثلاثة

---

٦ أخرجه البخاري في " صحيحه " كتاب " الصوم " (١٩٠٤) ، مسلم كتاب " الصوم " (١١٥١) .

٧ أخرجه البخارى فى " صحيحه " كتاب " الصوم " (١٩٠٣) .

أشياء كل واحد خير من الدنيا وما عليها وهى : صلواته تعالى عليهم ، ورحمته لهم ، وتخصيصهم بالهداية فى قوله تعالى : ﴿ **أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ** ﴾ [البقرة : ١٥٧] وهذا مفهم لحصر الهدى فيهم . وأخبر أن الصبر من عزم الأمور فى آيتين فى كتابه ، وأمر رسوله أن يتشبه بصبر أولي العزم من الرسل ، وقد تقدم ذكرُ ذلك .

قالوا : وقد دل الدليل على أن الزهد فى الدنيا والتقلل منها أمكن أفضل من الاستكثار منها ، والزهد فيها حال الصابر ، والاستكثار منها حال الشاكر .

قالوا : وقد سئل المسيح صلوات الله وسلامه عليهم عن رجلين مرّا بكنز فتخطاه أحدهما ، ولم يلتفت إليه ، وأخذه الآخر وأنفقه فى طاعة الله تعالى ، أيهما أفضل ؟ . فقال : الذى لم يلفت إليه وأعرض عنه أفضل عند الله .

قالوا : ويدل على صحة هذا أن النبي ﷺ عرضت عليه مفاتيح كنوز الأرض فلم يأخذها ، وقال : " **بل أجوع يوماً ، وأشبع يوماً** " [٨] ولو أخذها لأنفقها فى مرضاة الله تعالى وطاعته ، فآثر مقام الصبر عنها والزهد فيها .

---

٨ **إسناده ضعيف جداً .**

أخرجه أحمد (٥/٢٥٤) ، الترمذى (٢٣٤٧) ، وقال : حديث حسن ، من طريق عبيد الله بن زحر عن علي بن يزيد عن القاسم أبي عبد الرحمن عن أبي أمامة . وهذا إسناد مسلسل بالضعفاء والمتروكين .

قالوا : وقد عُلم أن الكمال الإنساني فى ثلاثة أمور : علوم يعرفها وأعمال يعمل بها ، وأحوال ترتب له على علومه وأعماله .

وأفضل العلم والعمل والحال العلم بالله وبأسمائه وصفاته وأفعاله ، والعمل بمرضاته ، وانجذاب القلب إليه بالحب والخوف والرجاء ، فهذا أشرفُ ما فى الدنيا وجزاؤه أشرف ما فى الآخرة .

وأجلُّ المقاصد معرفة الله ومحبته ، والأنس بقربه والشوق إلى لقائه ، والتنعم بذكره ، وهذا أجل سعادة فى الدنيا والآخرة وهذا هو الغاية التى تُطلب لذاتها ، وإنما يشعرُ العبد تمام الشعور بأن ذلك عين السعادة إن انكشف له الغطاء وفارق الدنيا ودخل الآخرة ، وإلا فهو فى الدنيا وإن شعر بذلك بعض الشعور فليس شعوره به كاملاً للمعارضات التى عليه والمحن التى امتُحن بها ، وإلا فليست السعادة فى الحقيقة سوى ذلك ، وكل العلوم والمعارف تبعٌ لهذه المعرفة ، مرادة لأجلها ، وتفاوت العلوم فى فضلها بحسب قرب إفضائها إلى هذه المعرفة وبُعدها ، فكل علم كان أقرب إفضاء إلى العلم بالله وأسمائه وصفاته فهو أعلى مما دونه ، وكذلك حال القلب ، فكل حال كان أقرب إلى المقصود الذى خُلق له فهو أشرف مما دونه ، وكذلك الأعمال ، فكل عمل كان أقرب إلى تحصيل هذا المقصود كان أفضل من غيره ، ولهذا كانت الصلاة والجهاد من أفضل الأعمال لقُرب إفضائها إلى هذا المقصود .

وهكذا يجب أن يكون ، فإنه كلما كان الشيء أقرب إلى الغاية كان أفضل من البعيد عنها ، فالعمل المُعدُّ للقلب المُهيئ له لمعرفة الله وأسمائه وصفاته ومحبته وخوفه ورجائه أفضل مما ليس كذلك ، وإذا

اشتركت عدة أعمال فى هذا الإفضاء فأفضلها أقربُها إلى هذا المفضي ولهذا اشتركت الطاعاتُ فى هذا الإفضاء فكانت مطلوبة لله ، واشتركت المعاصي فى حجب القلب وقطعه عن هذه الغاية فكانت منهياً عنه ، وتأثير الطاعات والمعاصي بحسب درجاتها .

وههنا أمر ينبغي التفطن له ، وهو أنه قد يكون العمل المعين أفضل منه فى حق غيره : فالغني الذى بلغ له مال كثير ، ونفسه لا تسمح له ببذل شيء منه ، فصدقته وإيثاره أفضل له من قيام الليل وصيام النهار نافلة .

والشجاع الشديد الذى يُهاب العدو سطوته ، وقوفه فى الصف ساعة وجهاده أعداء الله أفضل من الحج والصوم والصدقة والتطوع .

والعالم الذى قد عرف السنّة والحلال والحرام وطرق الخير والشر مخالطته للناس ، وتعليمهم ، ونصحهم فى دينهم أفضل من اعتزاله ، وتفريغ وقته للصلاة وقراءة القرآن والتسبيح .

ووليُّ الأمر الذى قد نَصَبَه الله للحكم بين عباده ، جلوسه ساعة للنظر فى المظالم ، وإنصاف المظلوم من الظالم ، وإقامة الحدود ، ونصر المُحق ، وقمع المُبطل أفضل من عبادة سنين من غيره .

ومن غلبت على شهوة النساء ، فصومه له أنفع وافضل من ذكر غيره وصدقته .

وتأمل تولية البني ﷺ لعمرو بن العاص وخالد بن الوليد وغيرهما من أمرائه وعمّاله وترك تولية أبي ذرّ ، بل قال : " **إني أراك ضعيفاً وإني أحب لك ما أحبُّ لنفسي ، لا تَأَمَّرَنَّ على اثنين ، ولا تولينَّ مال**

يتيم " [٩] وأمره وغيره بالصيام ، وقال : " **عليك بالصوم ، فإنه لا عدلَ له** " [١٠] ، وأمر آخر بأن " **لا يغضب** " [١١] .

وأمر ثالثاً بأن " **لا يزالُ لسانه رطباً من ذكر الله** " [١٢] ، ومتى أراد الله بالعبد كمالاً وفقه لاستفراغ وُسعه فيما هو مُستعد له قابل له قد هُيئ له ، فإذا استفرغ وُسعه بَزَّ على غيره ، وفاق الناس فيه ؛ كما قيل :

ما زال يسبق حتى قال حاسدُه

هذا طريقٌ إلى العلياءِ مختصرٌ

وهذا كالمريض الذى يشكو وجع البطن مثلاً ، إذا استعمل دواءَ ذلك الداء انتفع به ، وإذا استعمل دواء وجع الرأس لم يصادف داءه ، فالشُّحُ المطاعُ مثلاً من المهلكات ولا يزيله صيامُ مائة عام ولا قيام ليلها ، وكذلك داء اتباع الهوى والإعجاب بالنفس لا يلائمه كثرة قراءة القرآن ، واستفراغ الوسع فى العلم والذكر والزهد ، وإنما يزيله إخراجه من القلب بضده .

---

٩ أخرجه مسلم فى " صحيحه " كتاب " الإمارة " (١٨٢٦) .

١٠ تقدم فى أول الباب .

١١ أخرجه البخارى فى " صحيحه " كتاب " الأدب " (٦١١٦) من حديث أبي هريرة .

١٢ **صحيح** .

أخرجه أحمد (٤/١٩٠) ، الترمذى (٣٣٧٥) وقال : هذا حديث غريب ، إنما نعرفه من حديث دراج ، ابن ماجة (٣٧٩٣) ، ابن حبان كما فى" الإحسان " (٨١٤) ، الحاكم (١/٤٥٩) .

ولو قيل : إيما أفضل الخبزُ أو الماء ؟ لكان الجواب : إن هذا فى موضعه أفضل ، وهذا فى موضعه أفضل .

وإذا عرفت هذه القاعدة فالشكر ببذل المال عمل صالح يحصل به للقلب حال وهو زوال البخل والشح بسبب خروج الدنيا منه ، فتهيأ لمعرفة الله ومحبته فهو دواء للداء الذى فى القلب يمنعُه من المقصود .

وأما الفقير الزاهد ، فقد استراح من هذا الداء والدواء وتوفرت قوته على استفراغ الوسع فى حصول المقصود .

ثم اوردوا على أنفسهم سؤالاً ، فقالوا : فإن قيل : فقد حث الشرع على الأعمال ، وانفصلوا عنه بأن قالوا : الطبيب إذ أثنى على الدواء لم يَدُلّ على أن الدواء يرادُ لعينه ولا أنه أفضلُ من الشفاء الحاصل به ولكن الأعمال علاج لمرض القلوب ، ومرض القلوب مما لا يشعر به غالباً ، فوقع الحثُ على العمل المقصود وهو شفاء القلب ، فالفقير الآخذُ لصدقتك يستخرج منك داءَ البخل كالحَجّام يستخرجُ منك الدَّمَ المُهلك .

قالوا : وإذا عُرف هذا عُرف أن حال الصابر حال المحافظ على الصحة والقوة ، وحال الشاكر حال المتداوي بأنواع الأدوية لإزالة موادّ السُّقم .



فصل

قال الشاكرون : لقد تعديتم طوركم ، وفضلتم مقاماً غيره أفضل منه ، وقدمتم الوسيلة على الغاية ، والمطلوب لغيره على المطلوب لنفسه ، والعمل الكامل على الأكمل ، والفاضل على الأفضل ، ولم تعرفوا للشكر حقه ولا فَّيتُموه مرتبته .

وقد قرن الله تعالى ذكره الذى هو المراد من الخلق بذكره ، وكلاهما هو المرادُ بالخلق والأمر ، والصبر خادم لهما ، ووسيلة إليهما وعون عليهما ، قال تعالى : ﴿ **فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلا تَكْفُرُونِ** ﴾ [البقرة : ١٥٢] .

وقرن سبحانه الشكر بالإيمان وأخبر أنه لا غرض له فى عذاب خلقه إن شكروا وآمنوا به فقال : ﴿ **مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ** ﴾ [النساء : ١٤٧] أى : إن وفيتم ما خُلقتم له ، وهو الشكر والإيمان ، فما أصنع بعذابكم بعد هذا .

وأخبر سبحانه أن أهل الشكر هم المخصوصون بمنته عليهم من بين عباده ، فقال : ﴿ **وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ** ﴾ [الأنعام : ٥٣] .

وقسم الناس إلى شكور وكفور ، فأبغضُ الأشياء إليه الكفر وأهله ، وأحبُّ الأشياء إليه الشكر وأهله ، قال تعالى فى الإنسان : ﴿ **إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً** ﴾ [الإنسان : ٣] ، وقال نبيه سليمان عليه السلام : ﴿ **قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيم** ﴾ [النمل : ٤٠] ، وقال تعالى : ﴿ **وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ**

وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ [إبراهيم : ٧] ، وقال تعالى : ﴿ **إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ** ﴾ [الزمر : ٧] .

وهذا كثير فى القرآن يقابل سبحانه بين الشكر والكفر ، فهو ضده .

قال تعالى : ﴿ **وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ** ﴾ [آل عمران : ١٤٤] .

والشاكرين هم الذين ثبتوا على نعمة الإيمان ، فلم ينقلبوا على أعقابهم .

وعلق سبحانه المزيد بالشكر ، والمزيد منه لا نهاية له ، كما لا نهاية لشكره .

وقد وقف سبحانه كثيراً من الجزاء على المشيئة ؛ كقوله : ﴿ **فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ** ﴾ [التوبة : ٢٨] ، وقوله فى الإجابة : ﴿ **فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ** ﴾ [الأنعام : ٤١] ، وقوله فى الرزق : ﴿ **يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ** ﴾ [آل عمران : ٣٧] ، وقوله فى المغفرة : ﴿ **يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ** ﴾ [آل عمران : ١٢٩] ، وقوله فى التوبة : ﴿ **وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ** ﴾ [التوبة : ١٥] ، وأطلق جزاء الشكر إطلاقاً حيث ذُكر ، كقوله : ﴿ **وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ** ﴾ [آل عمران : ١٤٤] ، و ﴿ **وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ** ﴾ [آل عمران : ١٤٥] .

ولما عرف عَدُوُّ الله إبليسُ قَدْرَ مقام الشكر وأنه من أجل المقامات وأعلاها ، جعل غايته أن يسعى فى قطع الناس عنه ، فقال :

﴿ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴾ [الأعراف : ١٧] .

ووصف سبحانه الشاكرين بأنهم قليل من عباده فقال : ﴿ وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴾ [سبأ : ١٣] .

وذكر الإمام أحمد عن عمر بن الخطاب ﷺ أنه سمع رجلاً يقول : اللهم اجعلني من الأقلين . فقال : ما هذا ؟ فقال : يا أمير المؤمنين إن الله تعالى قال : ﴿ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ [هود : ٤٠] ، وقال تعالى : ﴿ وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ : ١٣] ، وقال تعالى : ﴿ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ ﴾ [ص : ٢٤] ؛ فقال عمر : صدقت (١٣) .

وقد أثنى الله سبحانه وتعالى على أوّل رسول بعثه إلى أهل الأرض بالشكر فقال : ﴿ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْداً شَكُوراً ﴾ [الإسراء : ٣] ، وفى تخصيص نوح ههنا بالذكر وخطاب العباد بأنهم ذريته إشارة إلى الاقتداء به ، فإنه أبوهم الثاني ، فإن الله تعالى لم يجعل للخلق بعد الغرق نسلاً إلا من ذريته ، كما قال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ﴾ [الصافات : ٧٧] ، فأمر الذرية أن يتشبهوا بأبيهم فى الشكر ، فإنه كان عبداً شكوراً .

---

١٣ **إسناده صحيح إلى الحسن .**

أخرجه أحمد فى " الزهد " (صـ١٤٢) من طريق عفان حدثنا جرير ابن حازم قال : سمعت الحسن قال .

وقد أخبر سبحانه إنما يعبده من شكره ، فمن لم يشكره لم يكن من أهل عبادته ، فقال : ﴿ **وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ** ﴾ [البقرة : ١٧٢] .

وأمر عبده موسى أن يتلقى ما أتاه النبوة والرسالة والتكليم بالشكر فقال تعالى : ﴿ **قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ** ﴾ [الأعراف : ١٤٤] ، وأول وصية وصى الله بها الإنسان بعدما عقل عنه ، بالشكر له وللوالدين ، فقال : ﴿ **وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ** ﴾ [لقمان : ١٤] .

وأخبر أن رضاه فى شكره ، فقال تعالى : ﴿ **وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُم** ﴾ [الزمر : ٧] .

وأثنى سبحانه على خليله إبراهيم بشكر نعمه ، فقال : ﴿ **إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِلَّهِ حَنِيفاً وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٢٠) شَاكِراً لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ** ﴾ [النحل : ١٢٠ - ١٢١] ، فأخبر عنه سبحانه بأنه أمّة ، أى : قدوة يُؤتم به فى الخير ، وأنه قانتاً لله ، والقانت : هو المطيع المقيم على طاعته ، والحنيف : هو المقبل على الله المعرض عمّا سواه ، ثم ختم له بهذه الصفات بأنه شاكرٌ لأنعمه فجعل الشكر غاية خليله .

وأخبر سبحانه أن الشكر هو الغاية من خلقه وأمره ، بل هو الغاية التى خلق عبيده لأجلها : ﴿ **وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** ﴾ [النحل :٧٨]

فهذه غاية الخلق وغاية الأمر ، فقال : ﴿ **وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** ﴾ [آل عمران : ١٢٣] .

ويجوز أن يكون قوله ﴿ **لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** ﴾ تعليلاً لقضائه لهم بالنصر ، ولأمره لهم بالتقوى ، ولهما معاً ، وهو الظاهر ، فالشكر غاية الخلق والأمر ، وقد صرَّح سبحانه بأن غاية أمره وإرساله الرسول في قوله تعالى : ﴿ **كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ (١٥١) فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ** ﴾ [البقرة : ١٥١ ، ١٥٢] .

قالوا : فالشكر مرادٌ لنفسه ، والصبرُ مرادٌ لغيره ، والصبر إنما حُمد لإفضائه وإيصاله إلى الشكر ، فهو خادم الشكر.

وقد ثبت في " الصحيحين " عن النبي ﷺ أنه قام حتى تفطرت قدماه ، فقيل له : أتفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ قال : " **أفلا أكون عبداً شكوراً** " [١٤] . وثبت في " المسند " و " الترمذي " أن النبي ﷺ قال لمعاذ : " **والله إني لأحبك ، فلا تنس أن تقول دُبر كل صلاة : اللهم أعني على ذكرك ، وشكرك ، وحُسن عبادتك** " [١٥] .

---

١٤ أخرجه البخاري في " صحيحه " كتاب " المغازي " (٤٨٣٦) ، مسلم (٢٨١٩) من حديث المغيرة بن شعبة .

١٥ **صحيح .**

أخرجه أحمد (٥/٢٤٤ – ٢٤٥) ، البخاري في " الأدب المفرد " (٦٩٠) ، أبو داود (١٥٢٢) ، النسائي في " الصغرى " (٣/٥٣) ، ابن حبان كما في =

وقال ابن أبي الدنيا : حدثنا إسحاق بن إسماعيل ، حدثنا أبو معاوية وجعفر بن عون عن هشام بن عروة عن ابن المنكدر قال : كان من دعاء النبي ﷺ : " **اللهم أعني على ذكرك ، وشكرك ، وحسن عبادتك** " [١٦] .

وقال : وحدثنا محمود بن غيلان حدثنا المؤمل بن إسماعيل حدثنا حماد بن سلمة حدثنا حميد الطويل عن طلق بن حبيب عن ابن عباس رضى الله عنهما : أن رسول الله ﷺ قال : " **أربع من أعطيهن فقد أعطى خير الدنيا والآخرة : قلباً شاكراً ، ولساناً ذاكراً ، وبدناً على البلاء صابراً ، وزوجة لا تَبْغيه خَوْناً فى نفسها ولا فى ماله** " [١٧] .

= " الإحسان " (٢٠٢٠ ، ٢٠٢١) ، ابن السنى فى " عمل اليوم والليلة " (١١٥) ابن خزيمة فى" صحيحه " (٧٥١) ، الطبرانى فى " الكبير" (٢٠/١١٠ ، ٢١٨) الحاكم (٢٧٣/١) ، أبو نعيم فى" حلية الأولياء " (٢٤١/١) ، البيهقى فى " شعب الإيمان " (٤٤١٠) كلهم من طرق عن أبي عبد الرحمن السلمي عن الصنابحى عن معاذ بن جبل .

١٦ **مرسل .**

أخرجه ابن أبي الدنيا فى " الشكر " (٤) ، البيهقى فى " شعب الإيمان " (٤٤١١) من طريق إسماعيل بن جعفر ثنا أبو معاوية وجعفر بن عون عن هشام ابن عروة عن ابن المنكدر قوله .

١٧ **إسناده ضعيف .**

أخرجه ابن أبي الدنيا فى " الشكر " (٣٤) ، الطبرانى فى " الكبير " (١٢٢٧٥) ، " الأوسط " (٧٢١٢) ، أبو نعيم فى " حلية الأولياء" (٦٥/٣) ، البيهقى فى " شعب الإيمان " (٤١١٥) كلهم من طريق المؤمل بن إسماعيل ، ثنا حماد بن سلمة ، ثنا حميد الطويل ، عن طلق بن حبيب ، عن ابن عباس . =

وذكر أيضاً من حديث القاسم بن محمد عن عائشة عن النبي ﷺ قال : " **ما أنعم الله على عبد نعمة فعلم أنها من عند الله إلا كتب الله له شُكرها ، وما علم الله من عبد ندامة على ذنب إلا غفر الله له قبل أن يستغفره ، وإن الرجل يشترى الثوب بالدينار فيلبسه فيحمد الله فما يبلغ ركبتيه حتى يُغفر له** " (١٨) .

وقد ثبت فى " صحيح مسلم " عنه ﷺ أنه قال : " **إن الله ليرضى عن العبد يأكل الأكلة فيحمده عليها ، ويشرب الشربة فيحمده عليها** " (١٩) فكان هذا الجزاء العظيم الذى هو أكبر أنواع الجزاء ، كما قال تعالى : ﴿ **وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ** ﴾ [التوبة : ٧٢] فى مقابلة شكره بالحمد .

وذكر ابن أبي الدنيا من حديث عبد الله بن صالح حدثنا أبو زهير يحيى بن عطارد القرشي عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ :

= **قلت** : فى إسناده المؤمل بن إسماعيل ضعيف . انظر " الضعيفة " (١٠٦٧)

١٨ **إسناده ضعيف جداً** .

أخرجه ابن أبي الدنيا فى " الشكر" (٤٧) ، الحاكم (٢٥٣/٤) ، البيهقى فى " شعب الإيمان " (٤٠٦٩) كلهم من طريق هشام بن زياد عن أبي الزناد ، عن القاسم بن محمد عن عائشة مرفوعاً .

وفى إسناده هشام بن زياد متروك .

١٩ أخرجه مسلم فى " صحيحه " كتاب " الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار " (٢٧٣٤) من حديث أنس بن مالك ﷺ .

" لا يرزقُ اللهُ عبداً الشكـــر فيحرمـــه الزيـــادة ، لأن الله تعالى يقول : ﴿ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ [إبراهيم : ٧] [٢٠].

وقال الحسن البصري : " إن الله ليمتعُ بالنعمة ما شاء ، فإذا لم يُشْكَر عليها قَلَبَها عذاباً " [٢١] . ولهذا كانوا يسمون الشكر الحافظ ، لأنه يحفظ النعم الموجودة، والجالب ؛ لأنه يجلب النعم المفقودة .

وذكر ابن أبي الدنيا عن علي بن أبي طالب ﷺ أنه قال لرجل من همذان : " إن النعمة موصولة بالشكر ، والشكر يتعلق بالمزيد ، وهما مقرونان فى قرن ، فلن ينقطع المزيد من الله حتى ينقطع الشكر من العبد " [٢٢] .

---

٢٠ **مرسل .**

أخرجه ابن أبي الدنيا فى " الشكر " (٣) ، البيهقى فى " شعب الإيمان " (٤٢٠٨) من طريق علي بن داود ، ثنا عبد الله بن صالح ، ثنا أبو زهير يحيى ابن عطارد القرشي عن أبيه قوله .

٢١ **إسناده ضعيف .**

أخرجه ابن أبي الدنيا فى " الشكر " (١٧) ، من طريق محمد بن إدريس ثنا يزيد بن أبي زياد الضبعى ، أنبأنا الفضيل بن سلمة عن المبارك عن الحسن قوله

وفى إسناده المبارك بن فضالة مولى زيد بن الخطاب صدوق يدلس ويُسوى .

٢٢ **إسناده منقطع .**

أخرجه ابن أبي الدنيا فى " الشكر " (١٨) ، البيهقى فى " شعب الإيمان " (٤٢١٤) كلاهما من طريق محمد بن إدريس قال : يروى عن علي ﷺ .

وقال عمر بن عبد العزيز : " قيّدوا نعم الله بشكر الله " [٢٣] .

وكان يقال : " الشكرُ قيّد النعم " .

وقال مُطَرِّفُ بن عبد الله : " لئن أُعافى فأشكر أحب إليّ من أن أُبتلى فأصبر " [٢٤] .

وقال الحسن : " أكثروا من ذكر هذه النعم ، فإن ذكرها شكر " [٢٥]

---

٢٣ **إسناده ضعيف .**

أخرجه ابن أبي الدنيا فى " الشكر " (٢٧) ، وأبو نعيم فى " حلية الأولياء " (٣٤٠/٥) ، البيهقى فى " شعب الإيمان " (٤٢٢٦) من طريق عبد الله بن خراش ثنا يزيد بن يزيد قال : سمعت عمر بن عبد العزيز يقول .

قلت : فى إسناده عبد الله بن خراش ضعيف .

٢٤ **إسناده صحيح .**

أخرجه أحمد فى " الزهد " (صـ٢٩٤) ، وكيع بن الجراح فى " الزهد " (٢٠١) ، ابن أبي الدنيا فى " الشكر " (٢٨) ، هناد بن السرى فى " الزهد " (٤٤٢) ، عبد الرزاق فى " مصنفه " (٢٠٤٦٧) ، ابن سعد فى " طبقاته " (١٤٣/٧) ، أبو نعيم فى " حلية الأولياء " (٢٠٠/٢) ، البيهقى فى " شعب الإيمـان " (٤١٢١) كلهم من طرق عن أبى عوانة ، عن قتادة ، عن مطرف ابن عبد الله قوله .

٢٥ **إسناده ضعيف .**

أخرجه ابن المبارك فى " الزهد " (١٤٣٤) ، ابن أبي الدنيا فى " الزهد " (٣٣) ، البيهقى فى " شعب الإيمان " (٤١٠٧) كلهم من طرق عن المبارك عن الحسن قوله . وفى إسناده المبارك وهو ابن فضالة مولى زيد بن الخطاب صدوق يدلس يُسوى .

وقد أمر الله تعالى نبيه أن يُحدِّث بنعمة ربه ؛ فقال : ﴿ **وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ** ﴾ [الضحى : ١١] . والله تعالى يُحبُّ من عبده أن يرى أن يرى عليه أثر نعمته ، فإن ذلك شكرها بلسان الحال .

وقال علي بن الجعدي : سمعت سفيان الثوري يقول : إن داود عليه الصلاة والسلام قال : " الحمدُ لله حمداً كما ينبغي لكرم وجهه وعزِّ جلاله ، فأوحى الله إليه : يا داود أتعبت الملائكة " [٢٦] .

وقال شعبة : حدثنا فضيل بن فضالة عن أبي رجاء العطاردى قال : خرج علينا عمران بن الحصين وعليه مطرف خَزٍّ [٢٧] لم نره عليه قبل ولا بعد ، فقال : إن رسول الله ﷺ قال : " **إذا أنعم الله على عبد نعمة يُحبُّ أن يرى أثر نعمته على عبده** " [٢٨] .

---

٢٦ **إسناده صحيح .**

أخرجه ابن أبي الدنيا فى " الشكر " (٣٧) ، البيهقى فى " شعب الإيمان " (٤٢٦٢) كلاهما من طريق على بن الجعد ، قال : سمعت سفيان بن سعيد وذكر داود عليه السلام .

٢٧ هو الحرير .

٢٨ **إسناده صحيح .**

أخرجه أحمد (٤٣٨/٤) ، ابن أبي الدنيا فى " الشكر" (٥٠) ، الطحاوى فى " مشكل الآثار " (٣٧/٨) ، الطبرانى فى " الكبير " (٢٨١/٨) ، البيهقى فى " السنن الكبير " (٢٧١/٣) ، وفى " شعب الإيمان "(٦٢٠٠) كلهم من طرق عن فضيل بن فضالة القيس عن أبي رجاء العطاردى قال : خرج علينا عمران ابن حصين .

وفى صحيفة عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ قال : " **كلوا واشربوا وتصدقوا فى غير مخيلة ولاسرف ، فإن الله يحبُّ أن يرى أثر نعمته على عبده** " [٢٩].

وذكر شعبة عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص عن أبيه قال : أتيت رسول الله ﷺ وأنا قَشِفُ الهيئة فقال : " **هل لك من مال ؟** " قال : قلت : نعم ، قال : " **من أيِّ المال ؟** " قلت : من كلِّ المال ، قد أتانى الله من الإبل والخيل والرّقيق والغَنَم . قال : " **فإذا آتاك الله مالاً فَلْيُرَ عليك** " [٣٠] . وفى بعض المراسيل : " **أن اللهُ يحبُّ أن يرى أثر نعمته على عبده فى مأكله ومشربه** " [٣١] .

---

٢٩ **إسناده حسن .**

أخرجه أحمد (١٨١/٢) ، ابن ماجة (٣٦٠٥) ، الترمذى (١٨١٩) ، وقال حديث حسن ، النسائي فى " الصغرى " (٧٩/٥) ، ابن أبي الدنيا فى " الشكر " (٥١) ، " التواضع "(١٥٧) ، الحاكم (١٣٥/٤) ، وصححه ووافقه الذهبي .

كلهم من طرق عن قتادة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده .

وهذا إسناد حسن من أجل رواية عمرو بن شعيب .

٣٠ **صحيح .**

أخرجه أحمد (٤٧٣/٣) ، أبو داود (٤٠٦٣) ، الترمذى (٢٠٠٦) ، وقال : هذا حديث حسن صحيح ، النسائي فى " الصغرى " (١٩٦/٨) ، ابن أبي الدنيا فى " الشكر" (٥٢) ، الطحاوى فى " مشكل الآثار " (٤٣/٨) ، الطيالسي فى " مسنده " (١٤٠٣ ، ١٤٠٤) ، ابن حبان كما فى " الإحسان " (٣٤١٠ ، ٥٤١٦ ، ٥٤١٧) ، ابن سعد فى " طبقاته " (٢٨/٦) ، الطبرانى فى " الكبير " (٢٧٧/١٩) ، الحاكم (١٣٥/٤) وصححه ووافقه الذهبي ، البغوى فى" شرح

وروى عبد الله بن يزيد المقرئ عن أبي معمر عن بكر بن عبد الله رفعه : " **من أعطي خيراً فرُؤى عليه سُمّي حبيب الله مُحدثاً بنعمة الله ، ومن أعطى خيراً ولم يُرَ عليه سمى بغيض الله معادياً لنعمة الله** " [٣٢] .

وقال فضيل بن عياض : كان يقال : من عرف نعمة الله بقلبه وحمده بلسانه لم يستتم ذلك حتى يرى الزيادة لقول الله تعالى : ﴿ **لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ** ﴾ [إبراهيم : ٧] . وقال : " من شُكْرِ النعمة أن يُحَدَّث بها " [٣٣] .

السنة " = = (٣١١٨) ، البيهقى فى " السنن الكبير " (١٠/١٠) كلهم من طرق عن شعبة عن إسحاق السبيعى عن أبي الأحوص عن أبيه .

٣١ **إسناده ضعيف جداً .**

أخرجه ابن أبي الدنيا فى " الشكر" (٥٣) من طريق عبد المجيد بن عبد العزيز عن أبن جريج ، عن علي بن زيد بن جدعان قال :

قلت : هذا إسناد معل بثلاث علل :

١- عبد المجيد بن عبد العزيز ضعيف .

٢- علي بن زيد بن جدعان ضعيف .

٣- ابن جريج مدلس وقد عنعن .

٣٢ **مرسل .**

أخرجه ابن أبي الدنيا فى كتاب " العيال " (٣٦٤) ، وفى " الشكر " (٥٤) من طريق سويد بن سعيد ، حدثنى عبد الله بن يزيد المقرى عن أبي معمر ، عن بكر بن عبد الله يرفعه قال : .

٣٣ **إسناده ضعيف .**

وقد قال تعالى : " **يا ابن آدم ، إذا كنت تتقلب فى نعمتى وأنت تتقلب فى معصيتى فاحذرنى لأصرعك بين معاصي ، يا ابن آدم اتقني ونَم حيثُ شئت** " (٣٤) .

وقال الشعبي : " الشكر نصف الإيمان ، واليقين الإيمان كله " (٣٥)

وقال أبو قلابة : " لا تضركم دنيا إذا شكرتموها " (٣٦) .

= أخرجه ابن أبي الدنيا فى " الشكر " (٥٦) ، البيهقى فى " شعب الإيمان " (٤٢١٥) كلاهما من طريق إبراهيم بن الأشعث ، قال : سمعت فضيل بن عياض يقول .

وفى إسناده إبراهيم بن الأشعث صاحب الفضيل قال ابن حبان : يغرب ويتفرد ، فيخطئ ويخالف . انظر " ميزان الاعتدال " (٢٠/١) .

٣٤ **إسناده ضعيف .**

أخرجه ابن أبي الدنيا فى " الشكر " (٥٦) ، البيهقى فى " شعب الإيمان " (٤٢٥١) كلاهما من طريق إبراهيم بن الأشعث ، قال : سمعت فضيل بن عياض يقول .

وفى إسناده إبراهيم بن الأشعث صاحب الفضيل قال ابن حبان : يغرب ويتفرد ، فيخطئ ويخالف . انظر " ميزان الاعتدال " (٢٠/١) .

٣٥ **إسناده حسن .**

أخرجه ابن أبي الدنيا فى " الشكر" (٥٧) ، البيهقى فى " شعب الإيمان " (٤١٣٤) كلاهما من طريق محمد بن عبد الملك القرشي ثنا أبو عوانة عن المغيرة عن عامر قوله .

قلت : فى إسناده المغيرة وهو ابن مقسم الكوفي قال ابن حجر فى" التقريب " ثقة متقن ، إلا أنه كان يدلس .

٣٦ **إسناده صحيح .** =

قال الحسن : " إذا أنعم الله على قوم سألهم الشكر ، فإذا شكروه كان قادراً على أن يزيدهم ، وإذا كفروه كان قادراً على أن يبعث نعمته عليهم عذاباً " (٣٧) .

وقد ذم اللهُ سبحانه الكنود ، وهو : الذى لا يشكر نعمه . قال الحسن : ﴿ **إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ** ﴾ [العاديات : ٦] ، يُعدد المصائب وينسى النعم " (٣٨) .

وقد أخبر النبي ﷺ أن النساء أكثر أهل النار بهذا السبب ، قال : " **لو أحسنت إلى إحداهن الدهر ثم رأت منك شيئاً قالت : ما رأيت منك خيراً قط** " (٣٩) .

= أخرجه ابن أبي الدنيا فى " الشكر " (٥٩) من طريق سريج بن يونس حدثنا عبد الوهاب الثقفي عن أيوب عن أبي قلابة قوله .

٣٧ **إسناده صحيح .**

أخرجه ابن أبي الدنيا فى " الشكر" (٦٠) البيهقى فى " شعب الإيمان " (٤٢١٦) كلاهما من طريق سريج ثنا روح ثنا عوف عن الحسن قوله .

٣٨ **إسناده حسن .**

أخرجه ابن أبي الدنيا فى " الشكر " (٦٢) ، البيهقى فى " شعب الإيمان " (٤٣٠٩) ، كلاهما من طريق خالد بن خداش ثنا مهدى بن ميمون عن شعيب ابن الحباب عن الحسن قوله .

وأورده السيوطى فى " الدر المنثور " (٣٨٥/٦) ، وعزاه إلى سعيد ابن منصور وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، البيهقى .

وفى إسناده خالد بن خداش صدوق يخطئ . وانظر " التقريب " .

٣٩ أخرجه البخارى فى كتاب " الإيمان " (٢٩) ، مسلم فى كتاب " الجنائز " (٩٠٧) من حديث عبد الله بن عباس .

فإذا كان هذا بترك شكر نعمة الزوج وهى فى الحقيقة من الله ، فكيف بمن ترك شكر نعمة الله .

يا أيها الظالم فى فعله
والظُلمُ مردودٌ على من ظلم
إلى متى أنت وحتى متى
تشكو المصيبات وتنسى النِّعم (٤٠)

ذكر ابن أبي الدنيا من حديث أبي عبد الرحمن الشامى عن الشعبي عن النعمان بن بشير قال : قال رسول الله ﷺ " **التَّحدُث بالنعمة شُكر ، وتركُها كُفر ، ومن لا يشكر القليل لا يشكر الكثير ، ومن لا يشكر الناس لا يشكر الله ، والجماعة بركة والفُرقة عذاب** " (٤١) .

وقال مطرف بن عبد الله : " نظرت فى العافية والشكر ، فوجدت فيهما خير الدنيا والآخرة ، ولئن أُعافى فأشكر أحبّ إلي من أن أُبتلى فأصبر " (٤٢) .

---

٤٠ أخرجه ابن أبي الدنيا فى " الشكر " (٦٣) ، وانظر الأبيات فى " شعب الإيمان " (٤٣١٠) .

٤١ **إسناده ضعيف .**

أخرجه أحمد (٢٧٨/٤) ، ابن أبي الدنيا فى " الشكر " (٦٤) ، أبو الشيخ فى " الأمثال " (١١١) ، البيهقى فى " شعب الإيمان " (٤١٠٥) ، الخرائطى فى " فضيلة الشكر " (٨٣) .

وفى سنده عمر بن إسماعيل الهمدانى متروك الحديث كما فى " التقريب " لابن حجر .

٤٢ تقدم الكلام عليه فى هذا الباب .

ورأى بكر بن عبد الله المزنى حمّالاً عليه حمله وهو يقول : الحمد لله أستغفر الله . قال : فانتظرته حتى وضع ما على ظهره وقلت له : أما تحسن غير هذا ؟ قال : بلى ، أُحسن خيراً كثيراً ، أقرأ كتاب الله غير أن العبد بين نعمة وذنب ، فأحمد الله على نعمه السابغة ، واستغفره لذنوبي . فقلت : الحمّالُ أفقه من بكر (٤٣) .

وذكر الترمذى من حديث جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال : خرج رسول الله ﷺ على أصحابه فقرأ عليهم سورة الرحمن من أوّلها إلى آخرها فسكتوا . فقال : " **قرأتها على الجنّ ليلة الجنّ فكانوا أحســن ردّاً منكم ، كنت كلما أتيت على قوله ﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾** [الرحمن : ١٣] **قالوا : لا بشيء من نعمك ربنا نُكذب فلك الحمــــد** " (٤٤)

---

٤٣ **منقطع .**

أخرجه ابن أبي الدنيا فى " الشكر " (٦٦) ، من طريق عصمة بن الفضل ، ثنا يحيى بن يحيى ، عن محمد بن نشيط ، عن بكر يعنى ابن عبد الله قوله .

قلت : محمد بن نشيط لم يدرك بكر بن عبد الله .

٤٤ **إسناده ضعيف .**

أخرجه الترمذى (٣٢٩١) ، ابن أبي الدنيا فى " الشكر " (٦٩) ، ابن عدي فى " الكامل " (٢١٠٧٤/٣) ، الحاكم (٤٧٣/٢) ، البيهقى فى " شعب الإيمان " (٤٠١٣) كلهم من طريق الوليد بن مسلم عن زهير بن محمد عن حمد عن جابر .

قال الترمذى : فإن زهير بن محمد رواية الشاميين عنه غير مستقيمة وهذا منها .

وقال مِسْعَر : " لما قيل لآل داود : ﴿ **اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْراً** ﴾ [سبأ : ١٣] لم يأت على القوم ساعة إلا وفيهم مُصَلٍّ " (٤٥) .

وقال عون بن عبد الله : " قال بعض الفقهاء : أنّي رأيتُ فى أمرى لم أر خيراً إلا شر معه ، إلا المعافاة والشكر ، فربّ شاكر فى بلائه وربّ معافى غير شاكر ، فإذا سألتم الله فسألوهما جميعاً " (٤٦) .

وقال أبو أمامة : لبس عمر بن الخطاب قميصاً ، فلمابلغ ترقوته قال : الحمد لله الذى كساني ما أُواري به عورتي ، وأتجمّل به حياتي ثم مد يديه فنظر كل شيء يزيدُ على يديه فقطعه ثم أنشأ يحدثُ ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " **من لبس ثوباً أحسبه جديداً ، فقال : حين يبلغ ترقوته ، أو قال : قبل أن يبلغ ركبتيه مثل ذلك ، ثم عمد**

= وله شاهد من حديث عبد الله بن عمر كما عند أبي الدنيا فى " الشكر " (١٢٦٨) ، البزار كما فى " كشف الأستار " (٢٢١) ، الخطيب فى " تاريخ بغداد " (٣٠١/٤) وإسناده ضعيف .

٤٥ **إسناده صحيح .**

أخرجه ابن أبي الدنيا فى " الشكر " (٧٤) ، البيهقى فى " شعب الإيمان " (٤٢٠٦) كلاهما من طريق علي بن الجعد أخبرنى مزاحم بن زفر ، عن مسعر قوله .

٤٦ **إسناده ضعيف .**

أخرجه ابن أبي الدنيا فى " الشكر " (٧٧) ، البيهقى فى " شعب الإيمان " (٤٥٢٤) كلاهما من طريق المسعودى عن عون بن عبد الله قوله .

وفى إسناده المسعودى صدوق اختلط قبل موته .

إلى ثوبه الخَلَق فكسا به مسكيناً لم يزل فى جوار الله ، وفى ذمّة الله وفى كنف الله حيّاً وميتاً ما بقى من ذلك الثوب سلْكٌ " (٤٧) .

وقال عون بن عبد الله : " لبس رجلاً قميصاً جديداً فحمد الله فَغُفر له ، فقال رجل : لا أرجعُ حتى أشترى قميصاً فألبسه وأحمد الله " (٤٨)

وقال شريح : ما أُصيب عبد بمصيبة إلا كان عليه فيها ثلاث نعم : ألا تكون كانت فى دينه ، وألا تكون أعظم مما كانت ، وأنها لابد كائنة فقد كانت (٤٩) .

---

٤٧ **ضعيف جداً .**

أخرجه ابن المبارك فى " الزهد " (٧٤٩) ، ابن أبي الدنيا فى " الشكر " (٧٥) ، الحاكم (١٩٣/٤) ، كلهم من طريق عبيد الله بن زحر عن علي بن يزيد عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبي أمامة .

وهذا إسناد مسلسل بالضعفاء والمتروكين .

وأخرجه أحمد (٤٤/١) ، الترمذى (٣٥٦٠) وقال غريب ، ابن ماجة (٣٥٥٧) ، ابن السنى فى " عمل اليوم والليلة " (٢٧٢) ، كلهم من طريق أبي العلاء الشامي عن أبي أمامة عن عمر .

وفى إسناده أبو العلاء الشامي مجهول .

٤٨ **موضوع .**

أخرجه ابن أبي الدنيا فى " الشكر " (٧٦) من طريق محمد بن الحسين ، ثنا خالد بن عمرو ، عن مسعر عن عون بن عبد الله قوله .

وفى إسناده خالد بن عمرو بن محمد الأموى متهم بالكذب والوضع .

٤٩ **إسناده صحيح .**

أخرجه ابن أبي الدنيا فى " الشكر " (٨٠) من طيق المفضل بن غسان الغلابي ، ثنا أبو مسهر عن سعيد بن عبد العزيز . قال : قال شريح .

وقال عبد الله بن عمر بن عبد العزيز : ما قَلَّب عمر بن عبد العزيز بصره إلى نعمة أنعم الله بها عليه إلا قال : " اللهم إني أعوذُ بك أن أبدل نعمتك كفراً ، وأن أكفرها بعد أن عرفتها ، وأنا أنساها ولا أثني بها " (٥٠) .

وقال روح بن القاسم : " تَنَسَّكَ رجلٌ فقال : لا آكلُ الخبيص ، لا أقوم بشكره . فقال الحسن : هذا أحمق ، وهل يقومُ بشكر الماء الماء البارد ؟ " (٥١) .

وفي بعض الآثار الإلهية : " **يقول الله عز وجل : ابن آدم ، خيري إليك نازلٌ وشرُّكَ إليَّ صاعدٌ ، أتَحَبَّبُ إليك بالنعم ، وتَتَبَغَّضُ إليَّ بالمعاصي ، ولا يزالُ مَلَكٌ كريم قد عَرَج إليَّ منك بعملٍ قبيح** " (٥٢) .

---

٥٠ **إسناده ضعيف .**

أخرجه ابن أبي الدنيا في " الشكر " (٦٧) ، البيهقي في " شعب الإيمان " (٤٢٢٥) كلاهما من طريق الوليد بن مسلم عن ابن جابر ، حدثني عبد الله بن عمر بن عبد العزيز قال .

وفي إسناده الوليد بن مسلم الدمشقي ثقه لكنه مدلس تدليس التسوية لم يصرح بالتحديث .

٥١ **صحيح .**

أخرجه أحمد في " الزهد " (صـــ٣٢٣) ، ابن أبي الدنيا في " الشكر " (٧٢) البيهقي في " شعب الإيمان " (٤٢٦٣) كلهم من طريق إسماعيل بن إبراهيم حدثني روح بن القاسم عن الحسن قوله .

٥٢ **ضعيف .**

قال ابن أبي الدنيا : حدثنى أبو علي قال : كنت أسمع جاراً لي يقول في الليل : " يا إلهي خيرُك عليَّ نازلٌ وشرّي إليك صاعد ، كم من ملك كريم قد صعد إليك مني بعمل قبيح ، وأنت مع غناك عني تتحبَّبُ إليَّ بالنعم ، وأنا مع فقري إليك وفاقتي أتمقَّتُ إليك بالمعاصي ، وأنت فى ذلك تَجْبُرني وتَستُرني وترزُقني " (٥٣) .

وكان أبو المغيرة إذا قيل له : كيف أصبحت يا أبا محمد ؟ قال : " أصبحنا مُغْرَقين فى النِّعم عاجزين عن الشكر ، يتحبَّبُ إلينا ربُّنا وهو غنيٌّ عنا ، ونتمقَّتُ إليه ونحن إليه محتاجون " (٥٤) .

= أخرجه ابن أبي الدنيا فى " الشكر " (٤٣) ، أبو نعيم فى " حلية الأولياء " (٣٧٧/٢) ، البيهقى فى " شعب الإيمان " (٤٢٦٩) كلهم من طريق إبراهيم بن الحسن ، عن شيخ من قريش يكنى أبا جعفر عن مالك بن دينار قوله .

وفى إسناده رجل مبهم .

٥٣ **إسناده ضعيف .**

أخرجه ابن أبي الدنيا فى " الشكر " (٤٤) ، البيهقى فى " شعب الإيمان " (٤٢٧٠) ، كلاهما من طريق أبو علي المدائنى قال : كنت أسمع جاراً لي يقول فى الليل .

وفى إسناده رجل مبهم .

٥٤ **إسناده حسن .**

أخرجه ابن أبي الدنيا فى " الشكر" (٤٥) من طريق محمد بن الحسين ، ثنا إبراهيم بن عبد الرحمن بن مهدى ، حدثنى صغرى بن أبي الحجراء : كنا ندخل على المغيرة أبي محمد فنقول :

وقال عبد الله بن ثعلبة : " يا إلهي من كرمك أنّك تطاعُ ولا تُعصى ومن حلمك أنك تُعصى وكأنّك لا تُرى ، وأى زمن لم يعصك فيه سكانُ أرضك وأنت بالخير عَوّاد " (٥٥) .

وكان معاوية بن قُرّة إذا لبس ثوباً جديداً قال : " بسم الله والحمد لله " (٥٦) .

وقال أنس بن مالك : " ما من عبد توكل بعبادة الله إلا غَرَّمَ اللهُ السموات والأرض ، يعنى رزقه ، فجعله فى أيدي بني آدم يعملونه حتى يُدفع عنه إليه فإن قبله العبد أوجب عليه الشكر ، وأن أباه وجد الغنيُّ الحميد عباداً فقراء يأخذون رزقه ويشكرون له " (٥٧) .

وقال يونس بن عبيد : قال رجل لأبي تميمة : كيف أصبحت ؟ قال : " أصبحت بين نعمتين لا أدري أيتهما أفضل : ذنوبٌ سترها اللهُ

---

٥٥ **إسناده حسن .**

أخرجه ابن أبي الدنيا فى" الشكر " (٤٦) ، أبو نعيم فى " حلية الأولياء" (٢٤٦/٦) كلاهما من طريق عبد الصمد بن محمد عن أبيه قال : قال عبد الله بن ثعلبة .

٥٦ **إسناده حسن .**

أخرجه ابن أبي الدنيا فى " الشكر " (٤٨) الحسن بن الصباح ، ثنا زيد بن الحباب ، حدثنى رئاب بن عبد الله السعدى قال :

٥٧ **إسناده ضعيف .**

أخرجه ابن أبي الدنيا فى " الشكر " (٤٩) من طريق الهيثم بن خارجة ثنا عبد ربه بن عبد الله الفلسطينى عن هلال بن يزيد ، عن أنس بن مالك مرفوعاً.

فلا يستطيع أن يُعيِّرني بها أحد ، ومودةٌ قَذفها اللهُ فى قلوب العباد لا يبلُغها عملي " [٥٨] .

وروى ابن أبي الدنيا عن سعيد المقبري عن أبيه عن عبد الله بن سلام أن موسى عليه السلام قال : " يا ربِّ ما الشكر الذى ينبغي لك ؟" قال : " **لا يزالُ لسانُك رطباً من ذكري** " [٥٩] .

وروى سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة ﷺ قال : دعا رجل من الأنصار من أهل قُباء النبي ﷺ فانطلقنا معه ، فلما طعم وغسل يديه قال : " **الحمد الله الذى يُطعمُ ولا يُطعَم ، منّ علينا فهدانا وأطعمنا وسقانا ، وكُلَّ بلاءٍ حسن أبلانا ، الحمدُ لله غير مُوَدَّع ربي ولا مكافأً ولا مكفور ولا مُستَغنى عنه ، الحمدُ لله الذى أطعم من الطعام وسقى من الشراب ، وكسى من العُري ، وهدى من الضلالة ،**

---

٥٨ **إسناده ضعيف .**

أخرجه ابن أبي الدنيا فى " الشكر " (٤٠) من طريق خالدبن خداش ثنا حماد ابن زيد عن عبد الله بن عمر التغلبي ، عن يونس بن عبيد قال :

وفى إسناده خالـــد بن خداش صـــدوق يخطئ قاله الحافظ بن حجر فى " التقريب " .

٥٩ **إسناده صحيح .**

أخرجه ابن المبارك فى " الزهد " (٩٤٢) ، ابن أبي شيبة فى " مصنفه " (١١٢/١٣) ، ابن أبي الدنيا فى " الشكر " (٣٩) ، البيهقى فى " شعب الإيمان " (٤١١٤) ، كلهم من طرق عن ابن أبي ذئب عن سعيد المقبري عن أبيه عن عبد الله بن سلام .

وبَصّرَ من العمى ، وفَضّل على كثير من خلقه تفضيلا ، الحمد لله رب العالمين " (٦٠) .

وفى " مسند الحسن بن الصباح " من حديث أنس بن مالك ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : " **ما أنعم الله على عبد نعمة فى أهل ولا مال أو ولد فيقول : ماشاء الله ، ولا قوة إلا بالله ، فيرى فيه آفةً دون الموت** " (٦١) .

ويذكر عن عائشة رضى الله عنها : أن النبي ﷺ دخل عليهما فرأى كسرة ملقاة ، فمسحها ، وقال : " **يا عائشة ، أحسنى جوار نعم الله ،**

---

٦٠ **إسناده حسن .**

أخرجه النسائى فى " عمل اليوم والليلة " (٣٠١) ، ابن أبي الدنيا فى " الشكر " (١٥) ، ابن حبان كما فى " الإحسان " (٥٢١٩) ، الطبرانى فى " الكبير " (٣٨/٦) ، وفى " الدعاء " (٨٩٦) ، أبو نعيم فى " حلية الأولياء" (٢٤/٦) ، الحاكم (٥٤٦/١) ، البيهقى فى " شعب الإيمان " (٤٠٦٧) ، كلهم من طريق زهير بن محمد التميمى عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة

وفى إسناده زهير بن محمد قال الحافظ فى " التقريب " رواية عن أهل الشام عنه غير مستقيمة أ هـ . وهذه ليس منها .

٦١ **إسناده ضعيف .**

أخرجه ابن أبي الدنيا فى " الشكر " (١) ، الطبرانى فى " الأوسط " (٤٢٦١) وفى " الصغير " (٢١٢/١) ، ابن السنى فى " عمل اليوم والليلة " (٣٥٩) ، البيهقى فى " شعب الإيمان " (٤٠٦٠) ، الخطيب البغدادى فى " تاريخ بغداد " (١٩٨/٣ – ١٩٩) كلهم من طريق عبد الملك بن زرارة ضعيف .

وأورده الهيثمي فى " مجمع الزوائد " (١٤٠/١) وقال : وفيه عبد الملك ابن زرارة ضعيف .

فإنها قلّ ما نفرت عن أهل بيت فكادت أن ترجع إليهم " (٦٢) . ذكره ابن أبي الدنيا .

وقال الإمام أحمد : حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا صالح عن أبي عمران الجونى عن أبي الخلد قال : قرأت في مسألة داود أنه قال : " يا رب كيف لي أن أشكر وأنا لا أصِلُ إلى شُكرك إلا بنعمك ؟ قال : فأتاه الوحي : يا داود أليس تعلم أن الذى بك من النعم مني ؟ قال : بلى يا رب . قال : فإنّي أرضى بذلك منك شكراً " (٦٣) . وقال عبد الله ابن أحمد : حدثنا أبو موسى لاأنصاري حدثنا أبو الوليد عن سعيد بن عبد العزيز قال : كان من دعاء داود : " سبحان مُستخرج الشكر بالعطاء ، ومستخرج الدعاء بالبلاء " (٦٤) .

---

٦٢ **ضعيف جداً .**

أخرجه ابن ماجة (٢٣٥٣) ، ابن أبي الدنيا فى " الشكر " (٢) ، ابن عدي فى " الكامل " (٩١٢/٣) ، البيهقى فى " شعب الإيمان " (٤٢٣٦ ، ٤٢٣٧) ، الخطيب فى " تاريخ بغداد " (٢٩٢/١١) كلهم من طريقين الوليد بن الموقرى ، خالد بن إسماعيل المخزومى كلاهما عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة .

وفى إسناده الوليد بن محمد الموقرى متروك الحديث ، خالد بن إسماعيل المخزومى قال ابن عدي كان يضع الحديث .

٦٣ **إسناده ضعيف جداً .**

أخرجه أحمد فى " الزهد " (٩١ -٩٢) ، ابن أبي الدنيا فى " الشكر " (٥) ، أبو نعيم فى " حلية الأولياء " (٥٦/٦) ، البيهقى فى " شعب الإيمان " (٤١٠١) ، كلهم من طريق صالح المرى عن ابن عمران الجونى ، عن أبي الجلد قال :

وفى إسناده صالح المرى ضعيف . انظر" المجروحين " لابن حبان (٣٧١/١) .

٦٤ أخرجه عبد الله بن أحمد فى " زوائد الزهد " (صـــ٩٨) بإسناد ضعيف .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو معاوية حدثنى الأعمش عن المنهال عن عبد الله بن الحارث قال : " أوحى الله إلى داود : أحبّنى وأحبَّ عبادتي وحبِّبنى إلى عبادى ، قال : يا ربِّ هذا حبُّك وحبُّ عبادك فكيف أُحَبِبُك على عبادك ، قال : تذكُرني عندهم فإنهم لا يذكرون منى إلا الحسن " (٦٥) . فَجَلَّ جلالُ ربِّنا وتبارك اسمُه وتعالى جدُّه وتقدَّست أسماؤه وجلّ ثناؤه ولا إله غيره .

وقال أحمد : حدثنا عبد الرزاق عن عمران قال : سمعت وهباً يقول : " وجدت فى كتاب آل داود : بعزتي إن من اعتصم بي فإن كادته السماوات بمن فيهن والأرضون بمن فيهن ، فإنى أجعلُ له من بين ذلك مخرجا ، ومن لم يعتصم بي فإني اقطع يديه من أسباب السماء وأخسفُ به من تحت قدميه الأرض فأجعله فى الهواء ، ثم أَكِلْهُ إلى نفسه ، كفى بي لعبدي مالاً إذا كان عبدي فى طاعتي أعطيتُه قبل أن يسألني ، وأجبتُه قبل أن يدعوني ، وإنّي أعلم بحاجته التى ترفق به من نفسه " (٦٦) .

وقال أحمد : حدثنا سيار حدثنا حفص حدثنا ثابت قال : " كان داود عليه السلام قد جَزّأ ساعات الليل والنهار على أهله ، فلم يكن ساعة

---

٦٥ **إسناده حسن .**

أخرجه أحمد فى " الزهد " (صـ٩١) ، من طريق عبد الرحمن بن مهدى حدثنا سفيان بن عيينه عن عطاء بن السائب قال سمعت أبا عبد الله الجدلى قال .

قلت : وعطاء بن السائب مختلط ، ورواية سفيان عنه قبل الاختلاط .

٦٦ أخرجه ابن المبارك فى " الزهد " (٣١٨) ، أبو نعيم فى " حلية الأولياء " (٣٨/٤ ، ٢٥ ، ٢٦) .

من ليل أو نهار إلا وإنسان من آل داود قائمٌ يصلي فيها ، قال : فَعَمَّهم تبارك وتعالى في هذه الآية : ﴿ **اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْراً وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ** ﴾ [سبأ : ١٣] [٦٧].

قال أحمد : حدثنا عبد الرحمن حدثنا جابر بن يزيد عن المغيره بن عيينة : " قال داود : يا رب هل بات أحدٌ من خلقك الليلة أطول ذكراً مني ؟ فأوحى الله إليه : نعم ، الضفدع . وأنزل الله عليه : ﴿ **اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْراً وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ** ﴾ [سبأ : ١٣] . قال : يا رب كيف أطيق شكرك وأنت الذى تُنعم عليَّ ثم ترزقني على النعمة والشكر ، ثم تزيدني نعمة بعد نعمة ، فالنِّعم منك والشكر منك ، فكيف أطيقُ شكرك ؟ قال : الآن عرفتني يا دواد " [٦٨] .

قال أحمد : وحدثنا عبد الرحمن حدثنا الربيع بن صبيح عن الحسن قال : قال نبي الله داود : " إلهي لو أن لكل شعرة مني لسانين يسبّحانك الليل والنهار والدهر ما وفَيَّت حقَّ نعمةٍ واحدةٍ " [٦٩] .

---

٦٧ **إسناده صحيح .**

أخرجه أحمد فى " الزهد " (صـــ٨٨ –٨٩) ، أبو نعيم فى " حلية الأولياء " (٣٢٧/٢) ، البيهقى فى " شعب الإيمان " (٤١٠٠) كلهم من طريق عبد الرحمن حدثنا جابر بن زيد عن المغيرة بن شعبة .

٦٨ انظر ما قبله .

٦٩ **إسناده حسن .**

أخرجه أحمد فى " الزهد " (صـــ٨٨) من طريق الربيع بن صبيح عن الحسن ، وأخرجه ابن أبي الدنيا فى " الشكر " (٢٥) ، البيهقى فى " شعب الإيمان " (٤٢٥٩) كلاهما عن معاوية عن عبد الكريم عن الحسن قوله . =

وذكر ابن أبي الدنيا عن أبي عمران الجوني عن أبي الخلد قال : قال موسى : " يا رب كيف لي أن أشكُرك وأصغر نعمة وضعتها عندي من نعمك لا يجازي بها عملي كله ؟ " قال : " فأتاه الوحي : يا موسى ، الآن شكرتني " [٧٠] .

قال بكر بن عبد الله : " ما قال عبد قط الحمدُ لله إلا وجبت عليه نعمة بقوله الحمدُ لله ، فجزاء تلك النعمة أن يقول الحمد لله ، فجاءت نعمة أخرى ، فلا تنفد نعم الله " [٧١] .

وقال الحسن : سمع نبي الله رجلاً يقول : الحمدُ لله بالإسلام ، فقال : " إنّك لتحمد الله على نعمة عظيمة " [٧٢] .

= والربيع بن صبيح ، معاوية بن عبد الكريم صدوقان كما فى" التقريب "

٧٠ **إسناده ضعيف جداً .**

أخرجه أحمد فى " الزهد " (صـــ٨٥) ، ابن أبي الدنيا فى " الشكر " (٦) ، أبو نعيم فى " حلية الأولياء " (٦/٥٦) ، البيهقى فى " شعب الإيمان " (٤١٠١) ، كلهم من طرق عن صالح المرى عن أبي عمران الجدنى عن أبي الجلد قال :

وفى إسناده صالح المرى متروك الحديث .

٧١ **إسناده ضعيف .**

أخرجه ابن أبي الدنيا فى " الشكر " (٧) ، البيهقى فى " شعب الإيمان " (٤٠٩٥) ، كلاهما من طريق عبد العزيز بن بحر ، أنا أبو عقيل عن بكر بن عبد الله قال :

وفى إسناده عبد العزيـــز بن بحر . قال الذهبـــي فى " ميزان الاعـــتدال " (٢/٦٣٣) ضعيف .

٧٢ **مرسل .**

وقال خالد بن معدان : سمعت عبد الملك بن مروان يقول : " ما قال عبد كلمة أحبّ إلى الله وأبلغ فى الشكر عنده من أن يقول : الحمدُ لله الذى أنعم علينا وهدانا للإسلام " (٧٣) .

وقال سليمان التيمي : " إن الله سبحانه أنعم على العباد على قدره ، وكلّفهم الشُكر على قُدرتهم " (٧٤) .

وكان الحسن إذا ابتدأ حديثه يقول : " الحمد لله ، ربّنا لك الحمدُ بما خلقتنا ورزقتنا ، وهديتنا ، وعلّمتنا ، وأنقذتنا ، وفرّجت عنا ، لك الحمدُ بالإسلام والقرآن ، ولك الحمدُ بالأهل والمال والمعافاة ، كبتَّ عدونا ، وبسطت رزقنا ، وأظهرت أمننا ، وجمعت فُرقتنا ، وأحسنت

= أخرجه ابن أبي الدنيا فى " الشكر " (٩) ، البيهقى فى " شعب الإيمان " (٤١٧٩) كلاهما من طريق المعتمر بن سليمان عن أبي الأشهب عن الحسن قال : سمع نبي الله ﷺ .

وهذا إسناد مرسل الحسن بن أبي الحسن البصري لم يسمع من النبي ﷺ .

٧٣ **إسناده حسن .**

أخرجه ابن أبي الدنيا فى " الشكر " (١٠) من طريق محمد بن الفرج الفراء ثنا محمد بن الزبرقان عن ثور عن خالد بن معدان قال : سمعت عبد الملك ابن مروان .

وفى إسناده محمد بن الزبرقان أبو همام الأهوازي صدوق ، ربما وهم انظر " التقريب " .

٧٤ **إسناده صحيح .**

أخرجه ابن أبي الدنيا فى " الشكر " (٨) البيهقى فى " شعب الإيمان " (٤٥٧٨) كلاهما من طريق الحسن بن الصباح ، ثنا أبو يحيى الذهلي قال : قال سليمان التيمى .

معافاتنا ، ومن كل ما سألناك ربنا أعطيتنا ، فلك الحمد على ذلك حمداً كثيراً ، لك الحمد بكل نعمة أنعمت بها علينا فى قديم أو حديث أو سر أو علانية أو خاصة أو عامة أو حي أو ميت أو شاهد أو غائب ، لك الحمد حتى ترضى ، ولك الحمد إذا رضيت " (٧٥) .

وقال الحسين : قال موسى : " ياربّ كيف يستطيع آدمُ أن يؤدى شُكر ما صنعت إليه ؟ خلقته بيدك ، ونفخت فيه من روحك ، وأسكنته جنتك ، وأمرت الملائكة فسجدوا له ، فقال : يا موسى علم أن ذلك مني ، فحَمَدني عليه ، فكان ذلك شُكر ما صنعت إليه " (٧٦) .

---

٧٥ **إسناده حسن .**

أخرجه ابن أبي الدنيا فى " الشكر " (١١) ، البيهقى فى " شعب الإيمان " (٤٢٦٦) من طريق إسماعيل بن إبراهيم ، ثنا عبد المؤمن بن عبيد الله السدوسي أبو عبيده قال : كان الحسن .

وإسناده حسن من أجل إسماعيل بن إبراهيم بن بسام البغدادى قال الحافظ : لا بأس به .

٧٦ **إسناده ضعيف جداً .**

أخرجه ابن أبي الدنيا فى " الشكر " (١٢) ، البيهقى فى " شعب الإيمان " (٤١١٣) من طريق عمر بن إسماعيل الهمدانى ، ثنا محمد بن عبيد عن يوسف ابن الصباغ عن الحسن قوله .

وفى إسناده عمر بن إسماعيل شيـــخ المصنف متروك الحديث . انظر " المجروحين " لابن حبان (٢/٩٢) ويوسف بن ميمون الصباغ ضعيف كما فى " التقريب " .

وقال سعد بن مسعود الثقفي : " إنما سُمي نوح عبداً شكوراً ، لأنه لم يلبس جديداً ولم يأكل طعاماً إلا حمد الله " (٧٧) .

وكان علي بن أبي طالب إذا خرج من الخلاء مسح بطنه بيده وقال : " يا لها من نعمةٍ لو يعلمُ العبادُ شُكرها " (٧٨) .

وقال مخلد بن الحسين : " كان يقال : الشكرُ تركُ المعاصي " (٧٩)

---

٧٧ **إسناده حسن .**

أخرجه ابن أبي الدنيا فى " الشكر" (١٤) ، الطبرانى فى " الكبير " (٣٨/٦) كلاهما من طريق أبو محمد عبد الرحمن بن صالح ، ثنا أبو بكر بن عياش عن أبي حصين عن سعد بن مسعود الثقفي قال .

وفى إسناده عبد الرحمن بن صالح صدوق ، كما قال ابن حجر فى " التقريب " .

٧٨ **إسناده ضعيف جداً .**

أخرجه ابن أبي الدنيا فى " الشكر" (١٣) ، البيهقى فى " شعب الإيمان " (٤١٥٣) ، من طريق إسماعيل بن إبراهيم ، حدثنا حبان بن علي العترى ، عن سعد يعنى ابن طريف عن الأصبغ بن نباتة قال : كان علي .

وهذا إسناد معل بعلتين :

١- حبان بن علي العنزى ضعيف .

٢- الأصبغ بن نباتة متروك الحديث .

٧٩ **إسناده حسن .**

أخرجه ابن أبي الدنيا فى " الشكر " (٤١) ، البيهقى فى " شعب الإيمان " (٤٥٤٧) كلاهما من طريق إبراهيم بن سعيد ثنا موسى بن أيوب ، ثنا مخلد بن حسين عن محمد بن لوط الأنصاري قال :

وقال أبو حازم : " كل نعمة لا تُقرب من الله فهي بلية " (٨٠) .

وقال أبو سليمان : " ذكرُ النِّعم يورث الحبَّ لله " (٨١) .

وقال حماد بن زيد : حدثنا ليث بن أبي بُردة قال : قدمت المدينة فلقيت عبد الله بن سلام فقال لي : ألا تدخل بيتاً دخله النبي ﷺ ونُطعمك سُويقاً وتمراً ؟ ثم قال : " إن الله إذا جمع الناس غداً ذكَّرهم بما أنعم عليهم ، فيقول العبدُ : ما آية ذلك ؟ فيقول : آية ذلك أنك كنت فى كربة كذا وكذا قد دعوتني فكشفتها ، وآية ذلك أنك كنت فى سفر كذا وكذا فاستصحبتني فصحبتك . قال : يُذكره حتى يذكر فيقول :

= وإسناده حسن ففيه موسى بن أيوب بن عيسى النصيبى قال الحافظ ابن حجر فى " التقريب " صدوق .

٨٠ **إسناده ضعيف .**

أخرجه ابن أبي الدنيا فى " الشكر " (٢٠) أبو نعيم فى " حلية الأولياء " (٢٣٠/٣) ، البيهقى فى " شعب الإيمان " (٤٢١٧) كلهم من طريق إسحاق بن حاتم المدائنى ، ثنا محمد بن كثير ، حدثنى بعض أهل الشام قال : قال أبو حازم

قلت : فى إسناده رجل مبهم مجهول .

٨١ **إسناده ضعيف .**

أخرجه ابن أبي الدنيا فى " الشكر " (٢١) من طريق محمد بن إدريس قال : سمعت أحمد بن أبي الحوارى قال : سمعت عبد العزيز بن عمير يقول : سمعت أبا سليمان الواسطى يقول .

وفى إسناده عبد العزيز بن عمير الدمشقى مجهول . انظر " ميزان الاعتدال " .

آية ذلك أنك خطبت فلانة بنت فلان وخطبها معك خُطّاب فزوّجتك ورددتهم " [٨٢] .

" يقف عبده بين يديه فيعدد عليه نعمه ، فبكى ثم بكى ثم قال : إنّي لأرجو الله أن لا يُقعد الله عبداً بين يديه ، فيعذبه " .

وروى ليث بن أبي سليم عن عثمان عن ابن سيرين عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : " **يؤتى بالنِّعم يوم القيامة والحسنات والسيئات ، فيقول الله عز وجل لنعمة من نعمه : خُذى حقَّك من حسناته فما تترك من حسنة إلا ذهبت بها** " [٨٣] .

---

٨٢ **إسناده ضعيف .**

أخرجه ابن أبي الدنيا فى " الشكر" (٢٢) ، من طريق عبيد الله بن عمر الجشمى ، ثنا حماد بن زيد ، ثنا ليث عن أبي بردة قال :

قلت : فى إسناده ليث بن أبي سليم ضعيف . انظر " المجروحين " لابن حبان (٢/٢٢١) .

٨٣ **إسناده ضعيف جداً .**

أخرجه ابن أبي الدنيا فى " الشكر " (٢٤) من طريق سويد بن سعيد ثنا صالح بن موسى ، عن ليث بن أبي سليم ، عن عثمان ، عن محمد بن سيرين ، عن أنس بن مالك قال :

قلت : وهذا إسناد معل بثلاث علل :

١- سويد بن سعيد بن سهل الهروى ضعيف .

٢- صالح بن موسى الطلحى متروك .

٣- ليث بن أبي سليم ضعيف .

وقال بكر بن عبد الله المزنى : " ينزلُ بالعبد الأمرُ فيدعو الله فيصرف عنه، فيأتيه الشيطانُ فيضعف شكره ، يقول : إن الإمر كان أيسر مما تذهب إليه . قال : أو لا يقول العبد كان الأمر أشد مما أذهب إليه ، ولكن الله صرفه عني " [٨٤] .

وذكر ابن أبي الدنيا عن صدقة بن يسار قال : بينا داود عليه السلام فى محرابه إذ مرت به ذَرّةٌ فنظر إليها وفكَّر فى خلقها وعجب منها وقال : ما يعبأ الله بهذه ؟ فأنطقها الله فقالت : يا داود ، أتُعجبُك نفسك ؟ فوالذى نفسي بيده لأنا على ما آتاني الله من فضله أشْكَرُ منك على ما آتاك الله من فضله " [٨٥] .

وقال أيوب : " إن من أعظم نعم الله على عبده أن يكون مأموناً على ماجاء به النبي ﷺ " [٨٦] .

---

٨٤ **إسناده صحيح .**

أخرجه ابن أبي الدنيا فى " الشكر " (٢٦) من طريق عبيد الله بن عمر ، ثنا عون بن موسى ، سمعت أبا بكر بن عبد الله المزنى يقول .

٨٥ **إسناده ضعيف .**

أخرجه ابن أبي الدنيا فى " الشكر " (٣٥) ، البيهقى فى" شعب الإيمان " (٤٢٦٠) ، كلاهما من طريق محمد بن بشير الكندرى ثنا عبد المجيد المكى ، عن أبيه عن صدقة بن يسار قال .

وفى إسناده محمد بن بشير؛ قال الدارقطنى ليس بالقوي ، عبد العزيز فى أبي رواد صدوق يخطئ .

٨٦ **إسناده صحيح .** =

وقال سفيان الثورى : " كان يُقال : ليس بفقيه من لم يَعُدَ البلاء نعمة والرخاء مصيبة " [٨٧] .

وقال زاذان : " مما يجب لله على ذي النعمة بحق نعمته أن لا يُتَوَصَّل بها إلى معصية " [٨٨] .

قال ابن أبي الدنيا : أنشدني محمود الوراق [٨٩] .

إذا كان شكري نعمة الله نعمة

عَلَيّ ما له فى مثلها يَجبُ الشكرُ

فكيف وُقوعُ الشُكر إلا بفضله

وإن طالت الأيامُ واتَّصلَ العُمُــرُ

= أخرجه ابن أبي الدنيا فى " الشكر " (٧٩) ، البيهقى فى " شعب الإيمان " (٤١٤١) من طريق أبو حاتم ، ثنا إبراهيم بن موسى الرازى ، ثنا محمد بن ثور عن معمر عن أيوب قال .

قلت : رواية معمر بن راشد عن أيوب بن أبي تميمة فيها كلام .

٨٧ **إسناده صحيح .**

أخرجه ابن أبي الدنيا فى " الشكر " (٨١) ، أبو نعيم فى " حلية الأولياء " (٥٥/٧ ، ٢٤٢/٨) ، ابن بطة فى " إبطال الحيل " (صـــ٢٤) ، من طريق علي ابن الحسن بن شقيق ثنا عبد الله بن المبارك ، ثنا سفيان قال كان يقال .

٨٨ **صحيح إلى زياد .**

أخرجه ابن أبي الدنيا فى " الشكر" (٨٢) من طريق محمد بن يونس القرشي ثنا أبو سفيان القرشي . قال : قال زياد .

٨٩ ذكر هذه الأبيات ابن أبي الدنيا فى " الشكر " (٨٣) ، البيهقى فى " شعب الإيمان " (٤٠٩٩) .

إذا مسَّ بالسَّرَّاء عَمَّ سُرورُها

وإن مسَّ بالضَّراءِ أعقبها الأَجرُ

وما منهُما إلا له فيـــه منَّـــةٌ

تضيقُ بها الأوهامُ والبَرُّ والبَحْرُ

وقد روى الدَّراوردي عن عمرو بن أبي عمرو عن سعيد المقبري عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ – يعنى قال الله عز وجل – : " **إن المؤمن عندي بمنزلة كل خير ، يحمدني وأنا أنزعُ نفسه من بين جنبيه** " [٩٠] .

ومر محمد بن المنكدر بشاب يغامزُ امرأة فقال : " يا فتى ما هذا جزاءُ نِعَمِ الله عليك " [٩١] .

وقال حماد بن سلمة عن ثابت قال : قال أبو العالية : " إنّي لأرجو أن لا يهلك عبدٌ بين اثنتين : نعمة يحمدُ الله عليها ، وذنب يستغفرُ منه " [٩٢].

---

٩٠ **حسن لشواهده .**

أخرجه أحمد (٢/٣٤١) ، ابن أبي الدنيا فى " الشكر " (٨٤) ، البزار كما فى " كشف الأستار " (٧٨١) ، وله شاهد من حديث عبد الله بن عباس كما عند أحمد (١/٢٦٨ ، ٢٩٧) ، النسائي فى " الصغرى " (٤/١٢) .

٩١ **إسناده صحيح .**

أخرجه ابن أبي الدنيا فى " الشكر " (٨٦) من طريق أبو عبد الرحمن الأزدى ، عن علي بن عثام الكلابي عن أبيه قال .

٩٢ **إسناده صحيح .**

وكتب ابنُ السماك إلى محمد بن الحسن – حين وُلِّي القضاء بالرقَّة – : " أما بعد ، فلتكن التقوى من بالك على كل حال ، وخف الله من كل نعمة أنعم بها عليك من قلة الشكر عليها مع المعصية بها ، فإن فى النعم حُجة وفيها تبعة ، فأما الحُجة بها فالمعصية بها ، وأما التَّبعة فيها فقلة الشكر عليها ، فعفى الله عنك كلما ضيعت من شكر أو ركبت من ذنب أو قصَّرت من حق " [٩٣] .

ومرّ الربيع بن أبي راشد برجل به زمانَةٌ [٩٤] ، فجلس يحمد الله ويبكي ، فقيل له : ما يبكيك ؟ قال : " ذكرت أهل الجنة وأهل النار فشبهت أهل الجنة بأهل العافية وأهل النار بأهل البلاء ، فذلك الذى أبكانى " [٩٥] .

= أخرجه ابن أبي الدنيا فى " الشكر " (٨٨)) أبو نعيم فى " حلية الأولياء " (٣١٩/٢) ، البيهقى فى " شعب الإيمان " (٤٥١٣) كلهم من طرق عن حماد بن سلمة عن ثابت قال : قال رفيع أبو العاليه .

٩٣ **إسناده حسن .**

أخرجه ابن أبي الدنيا فى " الشكر " (٨٩) ، البيهقى فى " شعب الإيمان " (٤٢٧١) من طريق عبد الله بن صالح بن مسلم العجلى ، حدثنى ابن السماك قال : كتبت إلى محمد بن الحسن حين ولي القضاء بالرقة .

قلت : فى إسناده ابن السماك وهو محمد بن صبيح السماك قال ابن نمير : صدوق ، وقال مرة : ليس حديثه بشيء . انظر " لسان الميزان " لابن حجر (٤٨٤/٣) .

٩٤ أي عاهة .

٩٥ **إسناده ضعيف .**

وقد روى أبو هريرة ﷺ عن النبي ﷺ : " **إذا أحبَّ أحدُكم أن يرى قدر نعمة الله عليه فلينظر إلى من هو تحته ولا ينظر إلى من هو فوقه** " (٩٦) .

قال عبد الله بن المبارك : أخبرني يحيى بن عبيد الله قال : سمعت أبي يقول : سمعت أبا هريرة ، فذكره .

وقال ابن المبارك : حدثنا يزيد بن إبراهيم عن الحسن قال : قال أبو الدرداء : " من لم يعرف نِعَمَ الله إلا في مطعمه ومشربه ، فقد قلَّ عمله ، وحضر عذابُه " (٩٧) .

= أخرجه ابن أبي الدنيا فى " لاشكر " (٩٠) ، أبو نعيم فى " حلية الأولياء " (٧٨/٥) كلاهمامن طريق النضر بن إسماعيل ، قال : مر الربيع بن أبي راشد .

وفى إسناده النضر بن إسماعيل أبو المغيرة الكوفي ليس بالقـوي . انظـر " التقريب " .

٩٦ **إسناده ضعيف جداً** .

أخرجه ابن أبي الدنيا فى " الشكر" (٩١) ، عبد الله بن المبارك فى " الزهد " (١٤٣٣) من طريق يحيى بن عبيد الله بن عبد الله بن موهب متروك الحديث . انظر " التقريب " لابن حجر .

٩٧ **منقطع** .

أخرجه ابن أبي الدنيا فى" الشكر " (٩٢) ، عبد الله بن المبارك فى" الزهد " (١٥٥١) ، البيهقى فى " شعب الإيمان " (٤١٥٢) كلهم من طرق عن الحسن وهو البصري عن أبي الدرداء قوله .

قلت : الحسن لم يدرك أبا الدرداء ، ولم يسمع منه .

قال ابن المبارك : أخبرنا مالك بن أنس عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس ﷺ قال : سمعت عمر بن الخطاب ﷺ سلَّم على رجل فرد عليه السلام ، فقال عمر للرجل : كيف أنت ؟ قال الرجل : أحمد إليك الله . قال : " هذا أردت منك " (٩٨) .

قال ابن المبارك : وأخبرنا مسعود عن علقمة بن مرثد عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : " لعلنا نلتقى فى اليوم مراراً يسأل بعضنا عن بعض ، ولم يرد بذلك إلا ليُحمد اللهُ عز وجل " (٩٩) .

وقال مجاهد فى قوله تعالى:﴿ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾ [لقمان : ٢٠] قال : " لا إله إلا الله " (١٠٠) .

---

٩٨ **إسناده صحيح .**

أخرجه البخارى فى" الأدب المفرد " (١١٣٢) ، مالك فى " الموطأ " (٩٥٨/٢) ، ابن أبي الدنيا فى " الشكر" (٩٣) ، عبد الله بن المبارك فى" الزهد " (٢٠٥) ، البيهقى فى " شعب الإيمـــان " (٤١٣٦) ، كلهم من طرق عن مالك ابن أنس عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس بن مالك قال : سمعت عمر بن الخطاب ﷺ .

٩٩ **إسناده منقطع .**

أخرجه ابن أبي الدنيا فى " الشكر " ٠٩٤) ، وعبد الله بن المبارك فى " الزهد " (٢٠٧) ، البيهقى فى " شعب الإيمان " (٤١٣٧) من طريق علقمة بن مرثد عن ابن عمر .

قلت : وإسناده منقطع علقمة بن مرثد لم يسمع من عبد الله بن عمر .

١٠٠ **إسناده ضعيف .**

وقال ابن عينية : " ما أنعم الله على العباد نعمة أفضل من أن عرّفهم لا إله إلا الله . قال : وأن لا إله إلا الله فى الآخرة كالماء فى الدّنيا " [١٠١] .

وقال بعض السلف فى خطبة يوم عيد : " أصبحتم زهراً وأصبح الناس غُبراً ، أصبح الناس ينسجون وأنتم تلبسون ، وأصبح الناسُ يعطون وأنتم تأخذون ، وأصبح الناسُ ينتجون وأنتم تركبون ، وأصبح الناسُ يزرعون وأنتم تأكلون ، فبكى وأبكاهم " [١٠٢] .

= أخرجه ابن جرير الطبرى فى " تفسيره " (١١/٥) ابن أبي الدنيا فى " الشكر" (٩٥) ، أبو نعيم فى " حلية الأولياء " (٢٩٤/٣) ، البيهقى فى " شعب الإيمان " (٤١٨٣) كلهم من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد .

وأورده السيوطى فى" الدر المنثور " (١٦٧/٥) ، وعزاه إلى سعيد ابن منصور ، ابن جرير ، ابن أبي حاتم ، البيهقى .

قلت : قال ابن القطان ، وهو يحيى بن سعيد لم يسمع ابن أبي نجيح التفسير من مجاهد كما فى " تهذيب التهذيب " (٥٤/٦) .

١٠١ **إسناده صحيح** .

أخرجه ابن أبي الدنيا فى " الشكر " (٩٧) ، أبو نعيم فى " حلية الأولياء " (٢٧٢/٧) ، البيهقى فى " شعب الإيمان " (٤١٨١) كلهم من طريق إسحاق ابن إبراهيم قال : سمعت سفيان بن عيينه قال .

١٠٢ أخرجه ابن أبي الدنيا فى " الشكر" (٩٧) من طريق إسحاق بن داود ، ثنا يزيد بن هارون أنا حريز بن عثمان ثنا عبد الرحمن بن أبي عوف الجرشى قال :

وقال عبد الله بن قُرط الأزدي [١٠٣] على المنبر وكان يوم أضحى ورأى الناس ألوان الثياب : " يا لها من نعمة ما أشبعها ، ومن كرامة ما أظهرها ، ما زال على قوم شيئاً أشد من نعمة لا يستطيعون ردّها ، وإنما تثبت النعمةُ بشكر المُنْعَم عليه للمُنْعِم " [١٠٤] .

وقال سلمان الفارسي ﷺ : " إن رجلاً بُسط له من الدنيا فانتزع ما في يديه فجعل يحمد الله ويثنى عليه حتىلم يكن له فِراش إلا بارية قال : فجعل يحمد الله ويثنى عليه . وبُسط لآخر من الدنيا فقال لصاحب البارية : أرأيتك أنت على ما تحمد الله ؟ قال : أحمده على ما لو أعطيت به ما أعطي الخلق لم أعطهم إياه . قال : وما ذاك ؟ قال : أرأيتك بصـــرك ، أرأيتـــك لسانـــك ، أرأيتـــك يـــديك ، أرأيتك رجليك " [١٠٥] .

---

١٠٣ وكان من الصحابة .

١٠٤ **إسناده حسن .**

أخرجه ابن أبي الدنيا فى " الشكر " (٩٨) من طريق إبراهيم بن عبد الملك ، ثنا هشام بن عمار ، ثنا صدقة بن خالد ، ثنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر حدثني سليم بن عامر قال : سمعت عبد الله بن قراط الأزدى وكان من أصحاب النبي ﷺ .

١٠٥ **إسناده حسن .**

أخرجه ابن أبي الدنيا فى " الشكر " (١٠٠) ، البيهقى فى " شعب الإيمان " (٤١٤٨) ، من طريق عمر بن أبي الحارث ، ثنا سعيد بن أشعث ، أنا المعتمر ابن سليمان قال : سمعت أبي يحدث ، عن أبي عثمان عن سلمان .

وفى إسناده سعيد بن أشعـــث قال ابن أبي حاتم فى " الجرح والتعديـــل " (٤/٥) : ما نراه إلا صدوقاً .

وجاء رجل إلى يونس بن عبيد يشكو ضيق حاله ، فقال له يونس : " أيَسُرُّك ببصرك هذه مائة ألف درهم ؟ قال الرجل : لا . قال : فبيديك مائة ألف ؟ قال : لا . قال : فبرجليك مائة ألف ؟ قال : لا قال فَذَكّره نعمَ الله عليه ، فقال يونس : أرى عندك مئين الألوف وأنت تشكو الحاجة " (١٠٦) .

وكان أبو الدرداء يقول : " الصحة الملك " (١٠٧) .

وقال جعفر بن محمد ﷺ : " فقد أبي بغلة له فقال : إن ردها الله عليّ لأحمدنه بمحامد يرضاه ، فما لبث أن أُتي بها بسرجها ولجامها ، فركبها فلما استوى عليها وَضَمَّ إليه ثيابه رفع رأسه إلى السماء فقال : الحمد لله ! لم يزد عليها ، فقيل له فى ذلك فقال : هر تركتُ وأبقيتُ شيئا ، جعلتُ الحمدَ كله لله " (١٠٨) .

---

١٠٦ **إسناده ضعيف .**

أخرجه ابن أبي الدنيا فى " الشكر " (١٠١) ، البيهقى فى " شعب الإيمان " (٤١٤٩) أبو نعيم فى " حلية الأولياء " (٢٢/٣) ، وأورده الذهبي فى " سير أعلام النبلاء " (٢٩٢/٦) كلهم من طرق عن سعيد بن عامر أو غيره من البصريين قال : جاء رجل إلى يونس بن عبيد يشكو ضيق حاله فقال له يونس .

وفى إسناده مجهول وهو الراوى عن يونس بين عبيد .

١٠٧ **إسناده صحيح .**

أخرجه ابن أبي الدنيا فى " الشكر " (١٠٢) ، وفى الاشراف (٤٦١) ، البيهقى فى" شعب الإيمان "(٤٣٠٧) من طريق قاسم بن هاشم ، ثنا الخطاب بن عثمان الفوزى ، أنا سليمان بن عياش عن شرحبيل أن أبا الدرداء كان يقول .

١٠٨ **إسناده حسن .** =

وروى ابن أبي الدنيا من حديث سعد بن إسحاق بن كعب بن عجرة عن أبيه عن جده قال : بعث رسول الله ﷺ بعثاً من الأنصار وقال : " **إن سلَّمهم الله وغنمهم فإن لله عليّ فى ذلك شكراً** " . قال : فلم يلبثوا أن غنموا وسلموا ، فقا بعض أصحابه : سمعناك تقول إن سلمهم اللهُ وغنَّمهم فإن لله عليَّ فى ذلك شُكراً ، قال : " **قد فعلت ، اللهم لك الحمدُ شُكراً ولك المَنُّ فضلاً** " (١٠٩) .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : قال محمد بن النمكدر لأبي حازم : " يا أبا حازم ، ما أكثر من يلقانى فيدعو لي بالخير ، ما أعرفُهم وما صنعت إليهم خيراً قط " فقال أبو حازم : " لا تظن أن ذلك من قِبَلِك ، ولكن انظر إلى الذى ذلك من قِبَلِهِ فاشكره "(١١٠).

= أخرجه ابن أبي الدنيا فى " الشكر " (١٠٦) ، أبو نعيم فى " حلية الأولياء " (١٨٦/٣) ، البيهقى فى " شعب الإيمان " (٤٠٨٢) من طريق محمد بن مسعر قال جعفر بن محمد .

١٠٩ **ضعيف جداً** .

أخرجه ابن أبي الدنيا فى " الشكر" (١٠٥) ، الطبرانى فى " الكبير" (٣١٦/١٩) ، البيهقى فى " شعب الإيمان " (٤٠٨١) من طريق سليمان بن سالم مولى آل جحش عن سعد بن إسحاق بن كعب بن عجرة عن أبيه عن جده .

وفيه إسحاق والد سعد مجهول الحال ، وسليمان بن سالم ضعيف ، وأورده العلامة الألبانى فى" ضعيف الجامع " (١٣١١) .

١١٠ **إسناده ضعيف جداً** .

أخرجه ابن أبي الدنيا فى " الشكر " (١٠٨) ، أبو نعيم فى " حلية الأولياء " (٢٣٣/٣) ، من طريق عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال : قال ابن المنكدر ولأبي حازم .

=

وقرأ أبو عبد الرحمن : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدّاً** ﴾ [مريم : ٩٦] .

وقال علي بن الجعد : حدثنا عبد العزيز بن أبي سلمة الماجِشُون قال : حدثني من أُصدقه أن أبا بكر الصديق ﷺ كان يقول في دعائه : " أسألُك تمام النعمة في الأشياء كلها ، والشكرَ لك عليها حتى ترضى وبعد الرضى ، والخيرة في جميع ما تكون فيه الخيرةُ بجميع ميسر الأمور كلُها لا معسورها يا كريم " (١١١) .

وقال الحسن : " ما أنعم الله على عبده نعمة فقال الحمدُ لله إلا كان ما أعطى أكثر مما أخذ " (١١٢) . قال ابن أبي الدنيا : بلغني سفيان بن عيينة أنه قال : هذا خطأ ، لا يكونُ فعلُ العبد أفضل من فعل الله . ثم قال : وقال بعضُ أهل العلم : إنّما تفسير هذا أن الرجل إذا أنعم اللهُ عليه نعمة وهو ممن يجب عليه أن يحمده ، عرفه ما صنع به ، فيشكر

= وفي إسناده عبد الرحمن بن زيد بن أسلم متروك الحديث . انظر " المجروحين " لابن حبان (٢/٥٧) .

١١١ **إسناده ضعيف .**

أخرجه ابن أبي الدنيا في " الشكر " (١١٠) ، من طريق عبد العزيز بن أبي سلمة بن الماجشون حدثني من أصدقائه أن أبا بكر ﷺ كان يقول في دعائه .

وفي إسناده شيخ أبو سلمة الماجشون مجهول .

١١٢ **إسناده ضعيف .**

أخرجه ابن أبي الدنيا في " الشكر " (١١١) ، البيهقي في " شعب الإيمان " (٤٠٩٤) من طريق وكيع عن يوسف الصباغ عن الحسن قوله .

وفي إسناده يوسف بن ميمون ضعيف .

الله كما ينبغي له أن يشكره ، فوهب الله عز وجل له شكر العبادة التى فى النعمة فكان الحمدُ له أفضل .

قلت : لا يلزمُ الحسن ما ذُكر عن ابن عيينة ، فإن قوله الحمد لله نعمةٌ من نعم الله ، والنعمة التى حمد الله عليها أيضاً نعمة من نعم الله وبعضُ النعم أجلُّ من بعض ، فنعمة الشكر أجل من نعمة المال والجاه والولد والزوجة ونحوها والله أعلم . وهذا لا يستلزم أن يكون فعلُ العبد أفضل من فعل الله ، وإن دلَّ على أن فعل العبد للشكر قد يكون أفضل من بعض مفعول الله وفعل العبد هو مفعول الله ، ولا ريب أن بعض مفعولاته أفضل من بعض .

وقال بعض أهل العلم : " لَنِعَمُ الله علينا فيما زوى عنَّا من الدنيا أفضلُ من نعمه علينا فيما بسط لنا منها ، وذلك أن الله لم يرض لنبيه الدنيا ، فإن أكون فيما رضى الله لنبيه وأحبَّ له أحبُّ إلي من أن أكون فيما كره له وسخطه " [١١٣].

وقال ابن أبي الدنيا : بلغنى عن بعض العلماء أنه قال : " ينبغي للعالم أن يحمد الله على ما زوى عنه من شهوات الدنيا كما يحمده على ما أعطاه ، وأين يقع ما أعطاه الله ، والحساب يأتى عليه إلى ما عافاه

---

١١٣ **إسناده ضعيف .**

أخرجه ابن أبي الدنيا فى " الشكر " (١١٢) من طريق محمود بن خداش عن أشعث بن عبد الرحمن بن زبيد عن مجمع الأنصار عن رجل من أهل الخير قال . وفى إسناده رجل مبهم .

الله ولم يبتله به فيشغل قلبه ويتعب جوارحه ، فيشكر ربه على سكون قلبه وجمع هَمِّه " (١١٤) .

وَحُدِّثَ عن ابن أبي الحواري قال : جلس فضيل بن عياض وسفيان بن عيينة ليلة إلى الصباح يتذاكران النِّعم فجعل سفيان يقول : " أنعم الله علينا فى كذا وكذا ، وأنعم علينا فى كذا وفعل بنا كذا " (١١٥)

وحدثنى محمدُ بن يحيى بن أبي حاتم حدثنا عبد الله بن داود عن سفيان فى قوله تعالى : ﴿ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف : ١٨٢] قال : " يُسبغ عليهم النعم ويمنعهم الشُكر " (١١٦) . وقال غير سفيان : كلما أحدثوا ذنباً أحدث لهم نعمة . وسئل ثابت البنانى عن الاستدراج ؛ فقال : " ذلك مكرُ الله بالعباد المُضيِّعين " (١١٧)

---

١١٤ انظر الباب الخامس عشر .

١١٥ انظر ما قبله .

١١٦ أخرجه ابن أبي الدنيا فى " الشكر " (١١٥ ، ١١٦) ، أبو نعيم فى " حلية الأولياء " (٧/٧) ، البيهقى فى " الأسماء والصفات " (صــ٤٨٩) ، وأورده السيوطى فى " الدر المنثور " وعزاه للمصنف ، أبي الشيخ ، البيهقى فى " الأسماء والصفات " .

١١٧ **إسناده ضعيف .**

أخرجه ابن أبي الدنيا فى" الشكر " (١١٧) ، البيهقى فى" الأسماء والصفات " (صــ٤٨٩) ، وأورده السيوطى فى " الدر المنثور " (١٤٩/٣) ، وعزاه إلى ابن أبي الدنيا ، البيهقى . وفى إسناده جهالة أحد الرواة .

وقال يونس فى تفسيرها : " إن العبد إذا كانت له عند الله منزلة فحفظها وبقى عليها ثم شكر الله بما أعطاه ، أعطاه أشرف منها ، وإذا هو ضيَّع الشكر استدرجه الله ، وكان تضييعه الشكر استدراجاً " (١١٨)

وقال أبو حازم : " نعمةُ الله فيما زوى عني من الدنيا أعظم من نعمته فيما أعطاني منها ، إني رأيته أعطاها أقواماً فهلكوا " (١١٩) . وكلُّ نعمة لا تُقرِّب من الله بلية ، وإذا رأيت الله يتابعُ عليك نعمه وأنت تعصيه ؛ فاحذره " .

وذكر كاتب الليث عن هقل عن الأوزاعي أنه وعظهم فقال فى موعظته : " أيها الناس تقووا بهذه النعم التى أصبحتم فيها على الهرب من نار الله الموقدة التى تَطَّلع على الأفئدة ، فإنكم فى دار الثواب فيها قليل وأنتم فيها مرجون خلائف من بعد القرون الذين استقبلوا من الدنيا أنفعها وزهرتها ، فهم كانوا أطول منكم أعماراً ، وأمدَّ أجساماً ، وأعظم آثاراً ، فقطعوا الجبال وجابوا الصخور ، ونقبوا فى البلاد مؤيدين ببطش شديد وأجسام كالعماد ، فما لبثت الأيام والليالي أن طوت مددهم ، وعفت آثارهم ، وأخوت منازلهم ، وانست ذكرهم ، فما تُحس منهم من أحد ولا تسمع لهم ركزاً ، كانوا يلهون آمنين لبيات قوم غافلين أو لصباح قوم نادمين ، ثم إنكم قد علمتم الذى نزل بساحتهم بياتاً من عقوبة الله فأصبح كثير منهم فى دارهم جاثمين ، وأصبح

---

١١٨ انظر ما قبله .

١١٩ **إسناده ضعيف .**

أخرجه ابن أبي الدنيا فى" الشكر" (١١٨) ، أبو نعيم فى " حلية الأولياء " (٢٣٣/٣) وفى إسناده جهالة وهو شيخ سعيد بن عامر.

الباقون ينظرون فى آثارهم نقمة وزال نعمة ومساكن خاوية ، فيها آية للذين يخافون العذاب الأليم وعبرة لمن يخشى ، وأصبحتم من بعدهم فى أجل منقوص ، ودنيا مقبوضة ، وزمان قد ولّى عفوه وذهب رخاؤه فلم يبق منه إلا حمأةُ شر ، وصبابة كدر وأهاويل عبر ، وعقوبات غير وإرسال فتن ، وتتابع زلازل ، ورزلة خلف ، بهم ظهر الفسادُ فى البر والبحر ، ولا تكونوا أشباهاً لمن خدعه الأمل ، وغرَّه طول الأجل ، وتبلغ بطول الأمانى ، نسأل الله أن يجعلنا وإياكم ممن وعى إنذاره ، وعقل بُشراه ، فمهَّد لنفسه " (١٢٠) .

وكان يقال : " الشكر ترك المعصية " (١٢١) .

وقال ابن المبارك : قال سفيان : " ليس بفقيه من لم يعد البلاء نعمة والرخاء مصيبة " (١٢٢) .

وكان مروان بن الحكم إذا ذُكر الإسلام قال : " بنعمة ربي وصلتُ إليه لا بما قدمت يدي ولا بإرادتي ، إنى كنت خاطئاً " (١٢٣) .

---

١٢٠ **إسناده محتمل التحسين .**

أخرجه ابن أبي الدنيا فى " الشكر " (٣٠) ، من طريق أبو صالح كاتب الليث يذكر عن الهقل بن زياد عن الأوزاعي .

قلت : فى إسناده أبو صالح عبد الله بن صالح صدوق كثير الغلط ، وكانت فيه غفلة ، وأورده الذهبي فى" سير أعلام النبلاء " (٧/١١٧ –١١٨) .

١٢١ سبق الكلام عليه .

١٢٢ انظره فى هذا الباب .

١٢٣ **إسناده ضعيف .**

وكم من مَدْخَـلٍ لو مُتَّ فيـــه

لَكُنت نكـالاً فى العَشـــيرةَ

وقيتَ السوءَ والمكـروه فيــه

وَظَفـرت بنعمـــةٍ منه كبــيرة

وكم من نعمـــة لله تمســـي

وتصبح فى العيان وفى السريرة

دُعي عثمان بن عفان ﷺ إلى قوم على ريبةٍ ، فانطلق ليأخذهم فتفرقوا قبل أن يبلغهم ، فأعتق رقبة شكراً لله ألا يكون جرى على يديه خزيُ مسلم (١٢٤).

قال يزيد بن هارون : أخبرنا أصبغ بن يزيد أن نوحاً عليه السلام كان إذا خرج من الخلاء قال : " الحمد لله الذى أذاقني لذته ، وأبقى منفعته فى جسدى ، وأذهب عنى أذاه " ؛ فسمى عبداً شكوراً (١٢٥) .

= أخرجه ابن أبي الدنيا فى " الشكر" (١٢١) ، وفى إسناده محمد بن إسماعيل ابنُ عياش لم يسمع من أبيه .

١٢٤ **إسناده ضعيف .**

أخرجه ابن أبي الدنيا فى " الشكر" (١٢٤) ، عبد الله بن المبارك فى زوائد الزهد " (٤٣٢) ، أبونعيم فى " حلية الأولياء " (٤٣/٢) من طريق أبو بكر ابن أبي مريم ضعيف . وانظر " التقريب " .

١٢٥ أخرجه ابن أبي الدنيا فى " الشكر" (١٢٨) ، البيهقى فى" شعب الإيمان " (٤١٥٥) ، وإسناده حسن ففيه أصبع بن زيد بن علي الجهني صدوق يغرب ، كما فى " التقريب " .

وقال ابن أبي الدنيا : حدثنى العباس بن جعفر ثنا شاذ بن فياض عن الحارث بن شبل قال : حدثتنا أم النعمان أن عائشة حدثتها عن النبي ﷺ : " أنه لم يقم عن خلاْء قط إلا قاله " (١٢٦).

وقال رجل لأبي حازم : ما شكرُ العينين يا أبا حازم ؟ قال : إن رأيت بهما خيراً أعلنته ، وإن رأيت بهما شراً سترته . قال : وما شكر الأذنين ؟ قال : إن سمعت بهما خيراً وعيته ، وإن سمعت بهما شراً دفعته . قال : فما شكر اليدين ؟ قال " لا تأخذ بهما ما ليس لهما ، ولا تمنع حقاً لله هو فيهما . قال : فما شكر البطن ؟ قال : أن يكون أسفله طعاماً وأعلاه علماً . قال : فما شكر الفرج ؟ قال : قال الله تعالى : **﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٥) إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٦) فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (٧) ﴾** [المؤمنون : ٥ – ٧] . قال : فما شكر الرجلين ؟ قال : إن علمت ميتاً تغبطه استعملت بهما عمله ، وإن مقته رغبت عن عمله وأنت شاكر لله ، وأما من شكر بلسانه ولم يشكر بجميع أعضائه فمثله كمثل رجل

---

١٢٦ **إسناده ضعيف .**

أخرجه ابن أبي الدنيا فى " الشكر " (١٢٧) ، العقيلي فى " الضعفاء " (٢١٣/١) ، البيهقى فى " شعب الإيمان " (٤١٥٤) من طريق عن الحارث ابن شبل قال : حدثتنا أم النعمان أن عائشة .

وفى إسناده الحارث بن شبل ضعيف ، شاذ بن فياض صدوق له أوهام وأورده السيوطى فى" الدر المنثور " (١٦٢/٤) وعزاه لابن أبي الدنيا ، البيهقى .

له كساء فأخذ بطرفه ولم يلبسه ، فما ينفعه ذلك من الحرّ والبرد والثلج والمطر " [١٢٧] .

وذكر عبد الله بن المبارك : أن النجاشي أرسل ذات يوم إلى جعفر وأصحابه ، فدخلوا عليه وهو فى بيت عليه خلقان جالس على التراب ، قال جعفر : فأشفقنا منه حين رأيناه على تلك الحال ، فلما رأى ما فى وجوهنا قال : إني أبشركم بما يسركم ، أنه جاءني من نحو أرضكم عين لي فأخبرني أن الله قد نصر نبيه ﷺ وأهلك عدوه وأُسر فلان وفلان وقُتل فُلان وفُلان ، التقوا بوادٍ يقال له بدر كثيرُ الأراك كأنى أنظر إليه ، كنت أرعى به لسيدي – رجل من بنى ضمرة – ، فقال له جعفر : ما بالك جالساً على التراب ، ليس تحتك بساط وعليك هذه الأخلاق ؟ قال : إنا نجد فيما أنزل الله على عيسى ﷺ : إن حقاً على عباد الله أن يُحْدثوا لله تواضعاً عندما أحدث الله لهم من نعمة ، فلما أحدث الله لي نصر نبيه أحدثت لله هذا التواضع " [١٢٨] .

---

١٢٧ **إسناده ضعيف .**

أخرجه ابن أبي الدنيا فى " الشكر" (١٢٩) ، البيهقى فى " شعب الإيمان " (٤٢٤٤) ، أبو نعيم فى "حلية الأولياء" (٣/٢٤٣) ، من طريق محمد بن هانئ عن بعض أصحابه قال : قال رجل لأبي حازم .

وفى سنده جهالة وهو شيخ محمد بن هانئ .

١٢٨ **إسناده ضعيف .**

أخرجه ابن أبي الدنيا فى " الشكر " (١٣٠) ، البيهقى فى " دلائل النبوة " (٢/٤٠٤ – ٤٠٥) ، كلاهما من طريق عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن عبد الرحمن بن رجل من أهل صنعاء قال . وفى إسناده رجل مجهول .

وقال حبيب بن عبيد : " مابتلى الله عبداً إلا كان له عليه فيه نعمة إلا يكون أشدَّ منه " (١٢٩) .

وقال عبد الملك بن إسحاق : " ما من الناس إلا مبتلى بعافية لينظر كيف شكره ، أو بلية لينظر كيف صبره " (١٣٠) .

وقال سفيان الثورى : " لقد أنعم الله على عبد فى حاجة أكثر من تضرعه إليه فيها " (١٣١) .

و " كان رسول الله ﷺ إذا جاءه أمر يسرُّه خَرّ لله ساجداً شكراً له عز وجل " (١٣٢) . ذكره أحمد .

---

١٢٩ **إسناده حسن .**

أخرجه ابن أبي الدنيا فى ط الشكر"(١٣١) ، من طريق منصور بن أبي مزاحم ، ثنا أبو سعيد المؤدب عن جرير بن عثمان عن حبيب بن عبيد قال .

وإسناده حسن ففيه أبو سعيد المؤدب وهو محمد بن مسلم بن أبي الوضاح صدوق يهم ، قاله الحافظ بن حجر فى " التقريب " .

١٣٠ **إسناده حسن .**

أخرجه ابن أبي الدنيا فى " الشكر " (١٣٢) ، أبو نعيم فى " حلية الأولياء " (٨٥/٥) ، من طريق حسين بن علي الجعفى عن عبد الملك بن أبجر قوله .

١٣١ **إسناده ضعيف .**

أخرجه ابن أبي الدنيا فى " الشكر " (١٣٤) ، من طريق الحسين بن عبد الرحمن عن شيخ له قال : قال سفيان الثوري .

وفى إسناده جهالة أحد الرواة وهو شيخ الحسن بن عبد الرحمن .

١٣٢ **إسناده ضعيف .**

أخرجه أبو داود (٢٧٧٤) ، الترمذى ٠١٥٧٨) وقال : حسن غريب ، ابن أبي الدنيا فى " الشكر " (١٣٥) ، ابن ماجة (١٣٩٤) ، الحاكم (٢٧٦/١) =

وقال عبد الرحمن بن عوف ﷺ خرج علينا النبي ﷺ ، فتوجه نحو صدقته ، فدخل ، فاستقبل القبلة ، فَخَرَّ ساجداً ، فأطال السجود ، فقلت : يا رسول الله سجدت سجدة حسبت أن يكون الله قد قبض نفسك فيها ، فقال : " **إن جبريل أتانى فبشرنى أن الله عز وجل يقول لك : من صلى عليك صليت عليه ، ومن سلم عليم سلمت عليه ، فسجدت لله شكراً** " . ذكره أحمد (١٣٣).

وعن سعد بن أبي وقاص ﷺ قال : خرجنا مع النبي ﷺ من مكة نريد المدينة ، فلما كنا قريباً من عزور نزل ثم رفع يديه ودعا الله ساعة ثم خرّ ساجداً ، فمكث طويلاً ثم قام فرفع يديه ساعة ثم خرّ ساجداً ، فعله ثلاثاً وقال : " **إني سألت ربي وشفعت لأمتى فأعطاني ثلث أمتي فخررت ساجداً شكراً لربي ، ثم رفعت رأسي فسألت ربي فأعطاني الثلث الآخر ، فخررت ساجداً لربي** " . رواه أبو داود (١٣٤).

= الدارقطنى فى " سننه " (٢/٢٩٣) ، البيهقى فى " السنن الكبير " (٢/٣٧٠) الخطيب البغدادى فى " تاريخ بغداد " (٢/١٢٤) ، كلهم من طريق بكار بن عبد العزيز بن أبي بكرة عن أبيه مرفوعاً . وفى إسناده بكار بن عبد العزيز ضعيف .

١٣٣ **حسن لشواهده .**

أخرجه أحمد (١/١٩١) ، عبد بن حميد فى " المنتخب " (١٥٧) ، ابن أبي الدنيا فى " الشكر " (١٣٨) ، محمد بن نصر فى " تعظيم قدر الصلاة " (٢٣٧) ، إسماعيل القاضى فى " فضل الصلاة على النبي ﷺ " (٧) ، الحاكم (١/٥٥٠) ، البيهقى فى " الكبير " (٢/٣٧١) .

١٣٤ **إسناده ضعيف .**

وذكر محمد بن إسحاق في كتاب " الفتوح " قال : " لما جاء المُبشِّرُ يوم بدر بقتل أبي جهل استحلفه رسول الله ﷺ ثلاثة أيمان بالله الذي لا إله إلا هو : لقد رأيته قتيلاً ، فحلف له ، فخرَّ رسول الله ﷺ ساجداً " . (١٣٥)

وذكر سعيد بن منصور : أن أبا بكر الصديق ﷺ سجد حين جاءه قتل مسيلمة (١٣٦) .

= أخرجه أبو داود (٢٧٧٥) ، البيهقي في " السنن الكبير" (٢/٣٧٠) كلاهما من طريق يحيى بن الحسن بن عثمان عن الأشعث بن إسحاق بن سعد عن عامر ابن سعد عن أبيه .

وهذا إسناد ضعيف ففيه يحيى بن الحسن وشيخ الأشعث مجهولان .

قال أبو داود : أشعث بن إسحاق أسقطه أحمد بن صالح حين حدثنا به ، فحدثني به عنه موسى بن سهل الرملي ، وقال المنذري في " عون المعبود " (٤٦٥/٧) في إسناده موسى بن يعقوب الزمعي وفيه مقال .

١٣٥ **معضل .**

أخرجه البيهقي في "دلائل النبوة " (٨٩/٣) عن أبي إسحاق قوله ، وأورده ابن كثير في " التاريخ " (٢٨٩/٣) .

وأما مقتل أبي جهل فقد أخرجها الشيخان في " صحيحيهما " .

١٣٦ **إسناده حسن .**

أخرجه ابن أبي شيبة في " مصنفه " (٢٩٥/١٢) ، عبد الرزاق في" مصنفه " (٣٥٨/٣) ، البيهقي في " السنن الكبير " (٣٧١/٢) كلهم من طريق محمد ابن قيس ، أبي موسى قال : رأيت علياً حين أتى بالمخدج سجد سجدة شكر .

وإسناده حسن ففيه محمد بن قيس الهمذاني قال أبو حاتم لا بأس به .

وذكر أحمد : أن علياً ﷺ سجد حين وجد ذا الثُّديَّة في الخوارج [١٣٧] .

وسجد كعب بن مالك في عهد النبي ﷺ لما بُشِّر بتوبة الله عليه والقصة في " الصحيحين " [١٣٨] .

فإن قيل : فنعم الله دائماً مستمرة على العبد فما الذى اقتضى تخصيص النعمة الحادثة بالشكر دون الدائمة ، وقد تكون المستدامةُ أعظم ؟

قيل : **الجوابُ من وجوه :**

أحدها : أن النعمة المتجددة تذكِّرُ بالمستدامة ، والإنسانِ موكَّل بالأدنى .

الثاني : أن هذه النعمة المتجددة تستدعى عبودية مجددة ، وكان أسهلُها على الإنسان وأحبُّها إلى الله السجود شكراً له .

---

١٣٧ **حسن لغيره .**

أخرجه أحمد (١/١٠٧ -١٠٨) ، النسائي في " خصائص عليّ " (١٨١) ، عبد الرزاق في " مصنفه " (٣/٣٥٨) ، الحميدى في " مسنده " (٥٩) ، ابن أبي شيبة في " مصنفه " (١٢/٢٩٥ ، ٢٩٧) ، البيهقى في" السنن الكبرى " (٢/٣٧١) البزار كما في" كشف الأستار " (٨٩٧) ،قال : لا نعلم روى عن طارق بن زياد عن علي إلا هذا الحديث ، أبو يعلي في " مسنده " (٤٧٨) كلهم من طرق عن علي بن أبي طالب ولا تخلو من مقال .

١٣٨ أخرجه البخارى في " صحيحه " كتاب" المغازى " (٤٤١٨) ، مسلم كتاب " التوبة " (٢٧٦٩) .

الثالث : أن المتجددة لها وقع فى النفوس ، والقلوب بها أعلق ، ولهذا يهنى بها ، ويعزى بفقدها .

الرابع : أن حدوث النعم توجب فرح النفس وانبساطها ، وكثيراً ما يجُر ذلك إلى الأشر والبطر ، والسجودُ ذلّ لله وعبودية وخضوع ، فإذا تلقى به نعمته لسروره وفرح النفس وانبساطها فكان جديراً بدوام تلك النعمة ، وإذا تلقاها بالفرح الذى لا يحبه الله والأشر والبطر كما يفعله الجُهَّال عندما يُحدث اللهُ لهم من النعم ، كانت سريعة الزوال ، وشيكة الانتقال ، وانقلبت نقمة ، وعادت استدراجاً . وقد تقدم أمر النجاشي : فإنّ الله إذا أحدث لعبده نعمة أحبَّ أن يُحدث لها تواضعاً [١٣٩] .

وقال العلاء بن المغيرة : بَشَّرتُ الحسن بموت الحجاج ، وهو مُختف ، فخر لله ساجداً [١٤٠] .

فصل

ومن دقيق نعم الله على العبد التى لا يكادُ يُفطن لها : أنه يغلق عليه بابه ، فيُرسل الله إليه من يطرق عليه الباب يسأله شيئاً من القوت ليعرِّفه نعمته عليه [١٤١] .

---

١٣٩ سبق الكلام عليه فى هذا الباب .

١٤٠ **إسناده ضعيف** .

أخرجه ابن أبي الدنيا فى " الشكر " (١٣٧) ، أبو نعيم فى " حلية الأولياء " (١٥٩/٢) .

١٤١ انظر " الشكر " رقم (١٣٩) ، وأبو نعيم فى " حلية الأولياء " (١٨٨/٦)

وقال سلام بن أبي مطيع : دخلت على مريض أعوده فإذا هو يئن فقلت له : اذكر المطروحين على الطريق ، اذكر الذين لا مأوى لهم ولا لهم من يخدمهم .

قال : ثم دخلت عليه بعد ذلك فسمعته يقول لنفسه : اذكرى المطروحين فى الطريق ، اذكرى من لا مأوى له ولا له من يخدمه (١٤٢) .

وقال عبد الله بن أبي نوح : قال لي رجل على بعض السواحل : كم عاملته – تبارك اسمه – بما يكره فعاملك بما تحب ؟ قلت : ما أحصي ذلك كثرة . قال : فهل قصدت إليه فى أمر كربك فخذلك ؟ قلت : لا والله ، ولكنه أحسن إليّ وأعانني . قال : فهل سألته شيئاً فلم يعطيكه ؟ قلت : وهل منعنى شيئاً سألته ؟ ما سألته شيئاً قط إلا وأعطاني ، ولا استعنت به إلا أعاننى . قال : أرأيت لو أن بعض بنى آدم فعل بك بعض هذه الخلال ما كان جزاؤه عندك ؟ قلت : ما كنت أقدر له مكافأة ولا جزاء . قال : فربُّك أحق وأحرى أن يُدْئِبَ نفسك له فى أداء شكره ، وهو المحسنُ قديماً وحديثاً إليك ، والله لشكره أيسرُ من مكافأه عباده أنه تبارك وتعالى رضى من العباد بالحمد شكراً (١٤٣)

---

١٤٢ **إسناده منقطع .**

أخرجه ابن أبي الدنيا فى " الشكر " (١٤٠) ، أبو نعيم فى " حلية الأولياء " (١٨٩/٦) قال : بلغني عن أبي خيثمة عن زهير البابي عن سلام بن أبي مطيع .

١٤٣ أخرجه ابن أبي الدنيا فى " الشكر " (١٤١) ، من طريق محمد بن الحسين : حدثنى حكيم بن جعفر عن عبد الله بن أبي نوح قال : قال لي رجل على بعض السواحل .

وقال سفيان الثورى : " ما كان الله لينعم على عبد فى الدنيا فيفضحه فى الآخرة ، ويحق على المُنعم أن يتمَّ النعمة على من أنعم عليه " (١٤٤) .

وقال ابن أبي الحواري : قلت لأبي معاوية : ما أعظم النعمة علينا فى التوحيد ، نسأل الله أن لا يُسلبنا إيَّاه . قال : يحق على المُنعم أن يُتمَّ النعمة على من أنعم عليه ، والله أكرمُ من أن ينعم بنعمة إلا أتمَّها ، ويستعمل بعمل إلا قبله (١٤٥) .

قال ابن أبي الحواري : قالت لي امراة : أنا فى بيتي قد شُغل قلبي

قلت : وما هو ؟ قالت : أريد أن أعرف نعم الله علي فى طرفة عين ، أو أعرف تقصيري عن شكر النعمة علي فى طرفة عين . قلت : تريدين ما لا تهتدي إليه عقولنا (١٤٦) .

---

١٤٤ **إسناده حسن .**

أخرجه ابن أبي الدنيا فى " الشكر " (١٤٢) ، أبو نعيم فى "حلية الأولياء " (٦/٧) من طريق أبو حاتم الرازى حدثنى القاسم بن عثمان الدمشقى قال : قلت ليمان بن أبي معاوية الأسود العابد : رأيت إبراهيم بن أدهم قال .

١٤٥ **إسناده صحيح .**

أخرجه ابن أبي الدنيا فى " الشكر " (١٤٣ ، ١٤٤) ، أبو نعيم فى " حلية الأولياء " (٢٧٢/٢ ، ٢٧٢/٨) من طريق أبو حاتم ثنا أحمد بن أبي الحوارى سمعت محمد بن إسحاق من أهل عكا قال : سمعت أبا معاوية الأسود اليمانى العابد يقول .

١٤٦ **منقطع .**

وقال ابن زيد : " إنه ليكون فى المجلس الرجلُ الواحدُ يحمد الله عز وجل ، فيقضى لذلك المجلس حوائجهم كلهم " (١٤٧) .

قال : وفى بعض الكتب التى أنزلها الله تعالى أنه قال : " سرُّوا عبدي المؤمن ، فكان لا يأتيه شيء إلا قال : " الحمد لله الحمد لله ما شاء الله " . قل : رَوِّعوا عبدي المؤمن ، فكان لا يطلع عليه طليعة من طلائع المكروه إلا قال : " الحمد لله الحمد لله " . فقال الله تبارك وتعالى : إن عبدي يحمدني حين روَّعته كما يحمدني حين سررته ، أدخلوا عبدي دار عزي كما يحمدني على كل حالاته " (١٤٨) .

وقال وهب : عبد الله عابد خمسين عاماً ، فأوحى الله إليه إنّي قد غفرتُ لك . قال : أى ربّ ، وما تغفر لي ولم أذنب . فأذن اللهُ لعرْق فى عنقه يضرب عليه ، فلم ينم ولم يُصلِّ ، ثم سكن فنام ، ثم أتاه ملك

= أخرجه ابن أبي الدنيا فى " الشكر " (١٤٥) قال وبلغنى عن ابن أبي الحواري قال .

قلت : وفيه انقطاع بين ابن أبي الدنيا ، وأحمد بن أبي الحواري .

١٤٧ **إسناده ضعيف** .

أخرجه ابن أبي الدنيا فى" الشكر " (١٤٦) من طريق الحسن بن عبد العزيز الجروى ثنا الحارث بن مسكين ثنا عبد الله بن وهب ثنا عبد الرحمن بن زيد ابن أسلم قال . وإسناده ضعيف من أجل عبد الرحمن بن زيد بن أسلم .

١٤٨ أخرجه ابن أبي الدنيا فى " الشكر " (١٤٧) ، وإسناده ضعيف . وانظر ما قبله .

فشكا إليه ، فقال : ما لقيت من ضربان العنق فقال الملك : إن ربك يقول : إن عبادتك خمسين سنة تعدل سكون ذلك العرق " [١٤٩] .

وذكر ابن أبي الدنيا أن داود قال : " يا رب أخبرني ما أدنى نعمك عليَّ ؟ فأوحى الله إليه : يا داود تنفس ؛ فتنفس ، قال : هذا أدنى نعمي عليك " [١٥٠] .

فصل

وبهذا يتبين معنى الحديث الذى رواه أبو داود من حديث زيد ابن ثابت وابن عباس : " إن الله لو عذب أهل سماواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم ، ولو رحمهم لكانت رحمتُه خيراً لهم من أعمالهم " [١٥١] .

---

١٤٩ **إسناده ضعيف .**

أخرجه ابن أبي الدنيا فى " الشكر " (١٤٨) ، أبو نعيم فى " حلية الأولياء " (٦٨/٤) ، البيهقى فى " شعب الإيمان " (٤٣٠٢) ، من طريق عبد الله بن إبراهيم بن عمر بن كيسان حدثنى عبد الله بن صفوان وهو ابن بنت وهب قال وهب بن منبه .

وفى إسناده عبد الله بن صفـوان وهو ضعيف . انظر " لسان المـيزان " (٣٠٢/٣) .

١٥٠ أخرجه ابن أبي الدنيا فى " الشكر " (١٤٩) ، البيهقى فى " شعب الإيمان " (٤٣٠٣) .

١٥١ **صحيح .**

أخرجه أحمد (١٨٢/٥ ، ١٨٥ ، ١٨٩) ، أبو داود (٤٦٩٩) ، ابن ماجة (٧٧) ، عبد بن حميد (٢٤٧) ، ابن حبان كما فى " الإحسان " (٧٢٧) =

والحديث الذى فى الصحيح : " **لن يُنجي أحداً منكم عمله** " قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : " **ولا أنا ، إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل** " [١٥٢] فإن أعمال العبد لا توافي نعمة من نعم الله عليه .

و أما قول بعض الفقهاء : إن من حلف أن يحمد الله بأفضل أنواع الحمد كان برُّ يمينه أن يقول : الحمد لله حمدا يوافي نعمة ويكافيء مزيده . فهذا ليس بحديث عن رسول الله ﷺ ولا عن أحد من الصحابة وإنما هو إسرائيلي عن آدم ، و أصح منه : " **الحمد لله غير مكفي ولا مودع ولا مستغني عنه ربنا** " ولا يمكن حمدُ العبد وشكره أن يوافي نعمة من نعم الله فضلا عن موافاته جميع نعمه ، ولا يكون فعل العبد وحمده مكافياً للمزيد و لكن يحمل علي وجه يصح ، وهو : أن الذى يستحقه الله سبحانه من الحمد حمداً يكون موافياً لنعمه ومكافئاً لمزيده ، وإن لم يقدر العبد أن يأتى به كما إذ قال : " الحمد لله ملء السموات وملء الأرض وملء ما بينهما وملء ما شئت من شيء بعد ، وعدد الرمال والتراب والحصى والقطر ، وعدد أنفاس الخلائق ، وعدد

= الطبرانى فى" الكبير " (٤٩٤٠) ، عبد الله بن أحمد فى " السنة " (٨٤٣ ، ٨٤٤) البيهقى فى " السنن الكبير " (٢٠٤/١٠) ، وفى" شعب الإيمان " (١٨٢) ابن أبي عاصم فى " السنة " (٢٤٥) ابن بطة فى " الإبانة " (١٤٤٣ ، ١٤٤٥) ، الفريانى فى " القدر " (١٩٠ ، ١٩١) ، اللالكائى فى " شرح أصول الاعتقاد " (١٠٩٢ ، ١٠٩٣) ، أبو القاسم الأصبهانى فى " الحجة " (٥٩/٢ -٦٠) ، كلهم من طريق أبي سنان عن وهب بن خالد عن ابن الديلمي عن زيد بن ثابت .

١٥٢ أخرجه البخارى فى كتاب " الدعوات " (٦٤٦٣) ، مسلم فى كتاب " صفات المنافقين وأحكامهم " (٢٨١٦) من حديث أبي هريرة .

ما خلق الله وما هو خالق " ، فهذا إخبار عما يستحقه من الحمد لا عما يقع من العبد من الحمد .

فصل

وقال أبو المليح : قال موسى : " يارب ما أفضل الشكر ؟ قال : أن تشكرنى على كل حال " (١٥٣) .

وقال بكر بن عبد الله : قلت لأخ لي : أوصني . فقال : ما أدرى ما أقول ، غير أنه ينبغي لهذا العبد أن لا يفطر من الحمد والاستغفار ، فإن ابن آدم بين نعمة وذنب ، ولا تصلح النعمة إلا بالحمد والشكر ، ولا يصلح الذنب إلا بالتوبة والاستغفار ، فأوسعنى علماً ما شئت (١٥٤)

وقال عبد العزيز بن أبي رواد : رأيت فى يدى محمد بن واسع قرحة ، فكأنه رأى ما شق عليَّ منها ، فقال لي : " أتدرى ماذا لله علي فى هذه القرحة من نعمة حين لم يجعلها فى حدقتي ، ولا طرف لساني ولا على طرف ذكرى ؟ " فهانت عليَّ قرحته " (١٥٥) .

---

١٥٣ **إسناده ضعيف جداً .**

أخرجه ابن أبي الدنيا فى " الشكر " (١٥١) من طريق محمد بن عماد ابن موسى ثنا أبي عن عبيد الله بن أبي حميد عن أبي المليح قال .

قلت : هذا إسناد مسلسل بالضعفاء :

١- محمد بن عباد صدوق يخطئ .

٢- عباد بن موسى مجهول .

٣- عبيد الله بن أبي حميد متروك .

١٥٤ انظر ما قبله " الشكر "(١٥٠) .

١٥٥ **إسناده حسن .**

وروى الجريرى عن أبي الورد عن اللجلاج عن معاذ بن جبل ﷺ أن رسول الله ﷺ أتى على رجل وهو يقول : اللهم إني أسألك تمام النعمة . فقال : " **ابن آدم هل تدرى ما تمام النعمة ؟** " قال : يا رسول الله دعوت دعوة أرجو بها الخير ، فقال : " **إن تمام النعمة فوز من النار ودخول فى الجنة** " [١٥٦] .

وقل تميم بن سلمة : " حُدثت أن الرجل إذا ذكر اسم الله على أول طعامه وحمده على آخره لم يُسأل عن نعيم ذلك الطعام " [١٥٧] .

= أخرجه ابن أبي الدنيا فى " الشكر " (١٥٢) ، أبو نعيم فى " حلية الأولياء " (٣٥٢/٢) كلاهما من طريق يحيى بن سليم ذكر عن عبد العزيز بن أبي رواد قال : رأي محمد بن واسع .

وفى إسناده يحيى بن سليم الطائفي صدوق سيء الحفظ .

١٥٦ **إسناده ضعيف .**

أخرجه أحمد (٢٣١/٥) ، البخارى فى " الأدب المفرد " (٧٢٥) ، الترمذى (٣٥٢٧) ، ابن أبي الدنيا فى " الشكر " (١٥٦) ، عبد بن حميد فى " المنتخب " (١٥٧١) ، الطبرانى فى " الكبير " (٢٨/٢٠) ، أبو نعيم فى " حلية الأولياء " (٢٠٤/٦) ، البيهقى فى " الأسماء والصفات " (صـ١٣٥) ، الخطيب البغدادى فى " تاريخه " (١٢٦/٣ – ١٢٧) كلهم من طريق سعيد الجريرى عن أبي الورد ابن ثمامة عن اللجلاج عن معاذ .

وفى إسناده أبا الورد بن ثمامة مقبول كما فى " التقريب " لابن حجر .

١٥٧ **إسناده صحيح .**

أخرجه ابن أبي الدنيا فى " الشكر" (١٥٩) ، من طريق خلف بن هشام ثنا أبو الأحوص بن منصور عن تميم بن سلمة قال .

ويدل على فضل الشكر على الصبر ، أن الله سبحانه يُحب أن يُسأل العافية ، وما يُسأل شيئاً أحب إليه من العافية ، كما فى " المسند " عن أبي صالح عن أبي هريرة ﷺ قال : قام أبو بكر ﷺ على المنبر ثم قال : " سلوا الله العافية ، فإنه لم يعطى عبداً بعد اليقين خيراً من العافية " [١٥٨] ، وفى حديث آخر : " أن الناس لم يعطوا فى هذه الدنيا شيئاً أفضل من العفو والعافية فسلوهما الله عز وجل " [١٥٩] .

---

١٥٨ **إسناده صحيح .**

أخرجه أحمد (٣،٥/١) ، البخارى فى " الأدب المفرد " (٧٠٤٥) ، ابن ماجة (٣٨٤٩) ، النسائي فى " الكبرى " (٢٢٠/٦) ، الحاكم (٥٢٩/١) ، الحميدى فى " مسنده " (٧) ، أبو داود الطالسي فى " مسنده " (٥) ، ابن أبي شيبة فى " مصنفه " (٥٣٠/٨) ، البزار كما فى " كشف الأستار " (٧٥) ، أبو يعلي فى " مسنده " (١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٤) من طريق سليم بن عامر عن أوسط ابن إسماعيل البجلي عن أبي بكر الصديق مرفوعاً .

١٥٩ **إسناده حسن .**

أخرجه أحمد (٣/١، ٧ ، ١١) ، الترمذى (٣٥٥٨) وقال حديث غريب من هذا الوجه عن أبي بكر ﷺ ، النسائي فى " الكبرى " (٢٢١/٦) ، ابن أبي الدنيا فى " الشكر " (١٥٤) ، البزار كما فى " كشف الأستار" (٣٤) ، ابن أبي شيبة فى " مصنفه " (٢٠٥/١) ، أبو يعلي فى " مسنده " (٨٧) كلهم من طريق محمد ابن عبد الله بن عقيل عن معاذ بن رفاعة بن رافع الأنصاري عن أبيه رفاعة ابن رافع ، قال : سمعت أبا بكر الصديق .

قلت : إسناده حسن من أجل محمد بن عبد الله بن عقيل فهو صدوق إلا لم يخالف .

وقال لعمه العباس : " **يا عم أكثر من الدعاء بالعافية** " (١٦٠) .

وفى " الترمذى " قلت : يا رسول الله ، علمنى شيئاً أسأله الله . قال : " **سل الله العافية** " ، فمكثت أياماً ثم جئت فقلت : علمنى شيئاً أسأله الله ، فقال لي : " **يا عباس ، يا عم رسول الله ، سل الله العافية فى الدنيا وفى الآخرة** " (١٦١) .

وقال فى دعائه يوم الطائف : " **إن لم يكن بك عليَّ غضبٌ فلا أبالي ، غير أن عافيتك أوسع لي** " (١٦٢) فلاذ بعافيته كما استعاذ بها فى قوله : " **أعوذ برضاك من سخطك ، وأعوذ بمعافاتك من عُقوبتك ، وأعوذ بك منك** " (١٦٣) .

وفى حديث آخر " **سلوا الله العافية والمعافاة** " (١٦٤) . وهذا السؤال يتضمن العفو عما مضى ، والعافية فى الحال ، والمعافاة فى المستقبل بدوام العافية واستمرارها .

---

١٦٠ انظر ما قبله .

١٦١ **حسن لغيره .**

أخرجه أحمد (٢٠٩/١) ، الترمذى (٣٥١٤) وقال صحيح ، الحميدى (٤٦١) البخارى فى الأدب المفرد " (٧٢٦) ، ابن أبي شيبة فى " مصنفه " (٢٠٦/١٠) البزار كما فى " كشف الأستار " (١٣١٣، ١٣١٤) .

وفى إسناده يزيد بن أبي زياد ضعيف .

١٦٢ تقدم الكلام عليه فى الباب الثاني .

١٦٣ أخرجه مسلم فى " صحيحه " (٤٨٦) من حديث عائشة .

١٦٤ قريباً فى الباب .

وكان عبد الله التيمي يقول : " أكثروا من سؤال الله العافية ، فإن المبتلى وإن اشتدَّ بلاؤه ليس بأحق بالدعاء من المعافى الذى لا يأمن من البلاء ، وما المبتلون اليوم إلا من أهل العافية بالأمس ، وما المبتلون بعد اليوم إلا من أهل العافية اليوم ، ولو كان البلاءُ يجرُّ إلى خير ما كنا من رجال البلاء . إنه رُبَّ بلاء قد أجهد فى الدنيا وأخزى فى الآخرة ، فما يأمن من أطال المقام على معصية الله أن يكون قد بقي له فى بقية عمره من البلاء ما يُجهده فى الدنيا ويفضحه فى الآخرة ، ثم يقول بعد ذلك : " الحمد لله الذى إن نعدَّ نعمه لا نحصيها ، وإن ندأب له عملاً لا نجزيه ، وإن نُعَمَّر فيها لا نبليها " (١٦٥) .

ومَرّ رسول الله ﷺ برجل يسأل الله الصبر ، فقال : " **لقد سألت البلاء ، فاسأل العافية** " (١٦٦) .

وفى " صحيح مسلم " أنه ﷺ عاد رجلاً قد هفت – أى : هزل – فصار مثل الفرخ ، فقال ﷺ : " هل كنت تدعو الله بشيء أو تسأله إياه ؟ " قال : نعم ، كنت أقول اللهم ماكنت مُعاقبنى به فى الآخرة فعجله لي فى الدنيا ، فقال رسول الله ﷺ : " **سبحان الله لا تطيقه ولا تستطيعه ، أفلا قلت : اللهم ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة ، وقنا عذاب النار** " فدعى الله له فشفاه (١٦٧) .

---

١٦٥ أخرجه ابن أبي الدنيا فى " الشكر" (١٥٧) ، من طريق أبو عبد الله التيمي حدثنى أبي حدثني سفيان بن عيينة عن مسعر قال : كان عبد الأعلى التيمي يقول .

١٦٦ تقدم قريباً .

١٦٧ أخرجه مسلم فى كتاب " الذكر والدعاء" (٢٦٨٨) ، من حديث أنس ابن مالك .

وفى " الترمذى " من حديث أبي هريرة ﷺ قال : دعاء حفظته من رسول الله ﷺ لا أدعه : " **اللهم اجعلنى أُعَظِّمُ شكرك ، وأُكثِرُ ذكرَك ، وأتَّبِع نصيحتك ، وأحفظُ وصيتَّك** " (١٦٨) .

وقال شيبان : كان الحسن إذا جلس مجلساً يقول : " لك الحمدُ بالإسلام ، ولك الحمدُ بالقرآن ، ولك الحمدُ بالأهل والمال ، بسطت رزقنا ، وأظهرت أمننا ، وأحسنت معافاتنا ، ومن كل ما سألناك أعطيتنا ، فلك الحمد كثيراً كما تنعم كثيراً ، أعطيت خيراً كثيراً ، وصرفت شراً كثيراً ، فلوجهك الجليل الباقى الدائم الحمدُ " (١٦٩) .

وكان بعض السلف يقول : " اللهم ما أصبح بنا من نعمة أو عافية أو كرامة فى دين أو دنيا جرت علينا فيما مضى وهى جارية علينا فيما بقي ، فإنها منك وحدك لا شريك لك ، فلك الحمد بذلك علينا ،

---

١٦٨ **إسناده ضعيف .**

أخرجه أحمد (٢/٣١١ ، ٤٧٧) ، الترمذى (٣٦٦٧) ، الطيالسي فى" مسنده" (٢٦٧٦) ، والدولابي فى " الكنى والأسماء " (٢/٨٠ ، ٨١) معلقاً ، البيهقى فى " الدعوات الكبير " (٢٣٢) كلهم من طرق عن الفرج بن فضالة عن أبي سعيد أو أبي سعد عن أبي هريرة .

وفى إسناده الفرج بن فضالة ضعيف ، وجهالة أبي سعيد الشامي .

١٦٩ **إسناده حسن .**

أخرجه ابن أبي الدنيا فى " الشكر " (١٦١) ، من طريق أبو عبد الله محمد ابن صالح بن خلف التيمى ثنا أبو يوسف الأعشى قال : كان الحسن إذا جلس مجلساً يقول .

ولك المنّ ، ولك الفضل ، ولك الحمد عدد ما أنعمت به علينا وعلى جميع خلقك لا إله إلا أنت " (١٧٠) .

وقال مجاهد : إذا كان ابن عمر فى سفر فطلع الفجر رفع صوته ونادى : " سمع سامعٌ بحمد الله ونعمه وحُسن بلائه علينا ثلاثاً ، اللهم صاحبنا فأفضل علينا ، عائذاً بالله من النار ولا حول ولا قوة إلا بالله " ثلاثاً (١٧١) .

وذكر الإمام أحمد : " أن الله سبحانه أوحى إلى موسى بن عمران عليه السلام : يا موسى كن يقظان مرتاداً لنفسك أخداناً ، وكلُّ خدن لا يواتيك على مسرتى فلا تصحبه ، فإنه عدو لك ، وهو يقسى قلبك ، وأكثر من ذكري حتى تستوجب الشكر ، وتستكمل المزيد " (١٧٢) .

وقال الحسن : " خلق الله آدم حين خلقه فأخرج أهل الجنة من صفحته اليمنى ، وأخرج أهل النار من صفحته اليسرى ، فدّبوا على

---

١٧٠ أخرجه ابن أبي الدنيا فى " الشكر" (١٦٠) .

١٧١ **إسناده ضعيف .**

أخرجه ابن أبي الدنيا فى " الشكر " (١٦٣) ، من طريق خلف بن هشام ثنا خالد عن حصين عن مجاهد قال : كان ابن عمر ... وساق الحديث .

قلت : وانظر صحيح مسلم (٢٧١٨) ، من حديث أبي هريرة .

١٧٢ **إسناده صحيح .**

أخرجه أحمد فى " الزهد " (صــ١٠٨) ، ابن أبي الدنيا فى " الشكر" (١٦٤) أبو نعيم فى " حلية الأولياء " (٢٢٢/٨) من طريق سلام بن سليم أبو الأحوص عن محمد بن النضر الحارثي قال :

وجه الأرض منهم الأعمى والأصم والمبتلي ، فقال آدم : يا رب ألا سوّيت بين ولدي ؟ قال : يا آدم أنّي أريد أن أُشكر " (١٧٣) .

وفى " السنن " عنه ﷺ : " **من قال حين يصبح : اللهمّ ما أصبح بي من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك ، فلك الحمد ولك الشكر إلا أدى شكر ذلك اليوم ، ومن قال ذلك حين يمسي فقد أدى شكر ليلته** " (١٧٤) .

---

١٧٣ **إسناده ضعيف .**

أخرجه ابن أبي الدنيا فى " الشكر " (١٦٥) ، البيهقى فى " شعب الإيمان " (٤١٢٧) كلاهما من طريق الحكم بن سنان عن حوشب عن الحسن قوله ،وفى إسناده الحكم بن سنان ضعيف ، وأورده السيوطى فى " الدر المنثور " (١٤٢/٣) وعزاه لابن أبي الدنيا ، وأبي الشيخ ، البيهقى .

قلت : وفى إسناده الحكم بن سنان الباهلي أبوعون ضعيف . انظر " التقريب " .

وأخرجه عبد الرزاق فى" مصنفه " (١٩٥٧٦) ، البيهقى فى" شعب الإيمان " (٤١٢٨) وإسناده ضعيف .

١٧٤ **إسناده ضعيف .**

أخرجه أبو داود (٥٠٧٣) ، النسائي فى " الكبرى " (٩٨٣٥) ، وفى " عمل اليوم والليلة " (٧) ، ابن أبي الدنيا فى " الشكر " (١٦٦) ، البغوى فى " شرح السنة " (١٣٢٨) ، الطبرانى فى " الدعاء " (٣٠٧) ، ابن حبان كما فى " الإحسان " (٣٠٤) ، ابن السنى فى " عمل اليوم والليلة " (٤١) ، البيهقى فى " شعب الإيمان " (٤٠٥٩) كلم من طرق عن عبد الله بن عنبسه قال الحافظ فى " التقريب " مقبول .

ويذكر عن النبي ﷺ : " **من ابتلي فصبر ، وأُعطي فشكر ، وظُلم فغفر ، وظَلَمَ فاستغفر ، أولئك لهم الأمن وهم مهتدون** " (١٧٥) .

ويذكر عنه ﷺ أنه أوصى رجلٍ بثلاث ، فقال : " **أكثر من ذكر الموت يشغلك عما سواه ، وعليك بالدعاء فإنك لا تدري متى يُستجاب لك ، وعليك بالشكر فإن الشكر زيادة** " (١٧٦) .

ويذكر عنه ﷺ أنه كان إذا أكل قال : " **الحمد لله الذى أطعمنى وسقانى وهدانى ، وكل بلاء حسن أبلانى ، الحمد لله الرازق ذي القوة المتين ، اللهم لا تنزع منّا صالحاً أعطيتنا ولا صالحاً رزقتنا واجعلنا لك من الشاكرين** " (١٧٧) .

---

١٧٥ **إسناده ضعيف جداً .**

أخرجه الطبرانى فى " الكبير" (٦٦١٤) ، ابن أبي الدنيا فى" الشكر " (١٦٧) أبو نعيم الأصبهانى فى " أخبار أصبهان " (٢/٢٢٥ -٢٢٦) ، البيهقى فى " شعب الإيمان " (٤١١٧) .

وفى إسناد أبو داود الأعمى نفيع بن الحارث متروك ، وقد كذبه ابن معين وعبد الله بن سخبره مجهول .

١٧٦ **إسناده ضعيف جداً .**

أخرجه ابن أبي الدنيا فى " الشكر " (١٦٨) ، أبو نعيم فى "حلية الأولياء " (٣٠٥/٧) قال حدثنا إسحاق بن إسماعيل ثنا سفيان حدثنى رجل من أسناننا .

وفى إسناده رجل مجهول .

١٧٧ **موضوع .**

أخرجه ابن أبي الدنيا فى " الشكر" (١٧٠) من طريق محمد بن إدريس الحنظلى ثنا بشر بن محمد الواسطى ثنا خالد بن محدوج أبو روح عن أنس ابن مالك .

=

ويُذكر عنه ﷺ أنه كان إذا أكل قال : " **الحمد لله الذى أطعم وسقى وسوَّغه وجعل له مخرجاً** " [١٧٨] .

وكان عروة بن الزبير إذا أُتي بطعام لم يزل مُخَمَّراً حتى يقول هذه الكلمات : " الحمد لله الذى هدانا وأطعمنا وسقانا ونعَّمنا ، الله أكبر ، اللهم ألأفتنا نعمتك ونحن بكل شرف أصبحنا وأمسينا بخير نسألك تمامها وشكرها ، لا خير إلا خيرُك ولا إله غيرُك إله الصالحين وربّ العالمين ، الحمد لله ، لا إله إلا الله ، ما شاء الله ، لا قوة إلا بالله ، اللهم بارك فيما رزقتنا ، وقنا عذاب النار " [١٧٩] .

= وفى إسناده خالــد بن محدوج ؛ قال الذهبــي فى" ميزان الاعتدال " (٦٤٢/١) كان يزيد بن هارون يرميه بالكذب ، وقال النسائي متروك ، وقال أبو حاتم ليس بشيء ضعيف جداً .

١٧٨ **إسناده صحيح .**

أخرجه أبو داود (٣٨٥١) ، النسائي فى " الكبرى " (٦٨٩٤، ٦٨٩٥، ٦٨٩٦،٦٨٩٧) وفى " عمل اليوم والليلة " (٢٨٥) ، وابن أبي الدنيا فى " الشكر " (١٧١) ، ابن حبان كما فى " الإحسان " (٥٢٢٠) ، ابن السنى فى " عمل اليوم والليلة " (٤٧٢) ، الطبرانى فى " الكبير" (٤٠٨٢) ، الأوسط (٥٣٨) ، الدعاء (٨٩٧) ، البغوى فى " شرح السنة " (٢٨٣٠) ، البيهقى فى " الدعوات الكبير" (٤٥٥) ، " شعب الإيمان " (٤١٦٠) ، أبو الشيخ الأصبهانى فى " أخلاق النبي ﷺ " (صــ١٢٧) ، كلهم من طرق عن أبي عبد الرحمن الحبلى عن أبي أيوب ﷺ مرفوعاً .

١٧٩ أخرجه ابن أبي الدنيا فى" الشكر " (١٦٩) ، ورجاله ثقات .

وقال وهب بن منبه : " رؤوس النِّعم ثلاثة : فأولها نعمة الإسلام التى لا تتم نعمة إلا بها ، والثانية نعمة العافية الى لا تطيب الحياةُ إلا بها ، والثالثة الغنى التى لا يتم العيش إلا بها : (١٨٠).

وقدم سعيد الجريرى من الحج ، فجعل يقول : " أنعم اللهُ علينا فى سفرنا بكذا وكذا ، ثم قال : " تعدادُ النِّعم من الشُّكر " (١٨١) .

ومرَّ وهبٌ بمبتلى أعمى مجذوم مقعد عريان به وَضَح (١٨٢) وهو يقول : " الحمد لله على نعمه " فقال رجل كان مع وهب : أى شيء بقي عليك من النعمة تحمد الله عليها ؟ فقال له المبتلى : ارم ببصرك إلى أهل المدينة فانظر إلى كثرة أهلها ، أفلا أحمد الله أنه ليس فيها أحدٌ يعرفه غيرى (١٨٣) .

---

١٨٠ أخرجه ابن أبي الدنيا فى" الشكر " (١٧٢) ، أبو نعيم فى" حلية الأولياء " (٦٨/٤) وسنده ضعيف .

١٨١ أخرجه ابن أبي الدنيا فى" الشكر " (١٧٣) ، أبو نعيم فى" حلية الأولياء " (٢٠٠/٦) ، البيهقى فى " شعب الإيمان " (٤١٣٩) وإسناده حسن .

١٨٢ أى البرص .

١٨٣ **إسناده حسن .**

أخرجه ابن أبي الدنيا فى " الشكر " (١٧٤) ، أبو نعيم فى " حلية الأولياء " (٦٨/٤) ، البيهقى فى " شعب الإيمان " (٤١٧٧) ، من طريق الحسن بن يحيى ابن كثير العنبرى ، ثنا خزيمة أبو محمد العابد قال : مر وهب بن منبه .

قلت : وإسناده حسن من أجل الحسن بن يحيى . قال الحافظ بن حجر فى " التقريب " : لا بأس به .

ويذكر عن البني ﷺ أنه قال : " **إذا أنعم الله على عبد نعمة ، فحمده عندها ، فقد أدّى شكرها** " (١٨٤) .

وذكر عن علي بن أبي طالب ﷺ : أن بُخْتُنَصَّر أتى بدانيال فأمر به فحُبس فى جُب ، وأضرى أسدين ثم خلّى بينهما وبينه ، ثم فتح عليه بعد خمسة أيام ، فوجده قائماً يصلي ، والأسدان فى ناحية الجبِّ لم يعرضا له ، فقال له : ما قلت حين دفع عنك ؟ قال : قلت : الحمد لله الذى لا ينسى من ذكره ، والحمد لله الذى لا يُخيِّب من رجاه ، والحمد لله الذى لا يكلُ من توكل عليه إلى غيره ، والحمد لله الذى هو ثقتنا حين تنقطع عنا الحيل ، والحمد لله الذى هو رجاؤنا حين يسوء ظننا بأعمالنا ، والحمد لله الذى يكشف عنا ضُرنا بعد كُربتنا ، والحمد لله الذى يجزى بالإحسان إحساناً ، والحمد لله الذى يجزى بالصبر نجاة " (١٨٥) .

---

١٨٤ **موضوع** .

أخرجه ابن أبي الدنيا فى " الشكر " (١٧٥) ، الحاكم (١/٥٠٧) ، البيهقى فى " شعب الإيمان " (٤٠٩٠) من حديث جابر بن عبد الله ، وأورده المنذرى فى " الترغيب والترهيب " (٢/٤٣٧) ، وقال : وفى إسناده عبد الرحمن بن قيس أبو معاوية الزعفراني واهى الحديث ، وهذا الحديث مما أنكر عليه ، وأورده العلامة الألبانى فى " الضعيفة " (٢٠١٠) وقال : موضوع .

١٨٥ **موضوع** .

أخرجه ابن أبي الدنيا فى " الشكر " (١٧٦) من طريق أبو مسكين القرشي عن عبد الملك بن سليمان عن عمرو بن مرة عن أبي البخترى الطائى ، عن علي بن أبي طالب .

قلت : وهذا إسناد معل بثلاث علل :

ويذكر عنه ﷺ : أنه كان إذا نظر فى المرآة قال : " **الحمد لله الذى أحسن خَلْقي وخُلُقي ، وزان منّي ما شان من غيري** " (١٨٦) .

وقال ابن سيرين : كان ابن عمر يُكثر من النَّظر فى المرآة ، وتكون معه فى الأسفار ، فقلت له : ولِمَ ؟ قال : " انظر فما كان فى وجهي زَيْنٌ ، فهو فى وجه غيرى شين ، أحمد الله عليه " (١٨٧) .

وسُئل أبو بكر بن أبي مريم : ماتمام النعمة ؟ قال : " أن تضع رجْلاً على الصراط ورجْلاً فى الجنة " (١٨٨) .

وقال بكر بن عبد الله : " يا ابن آدم إن أردت أن تعرف قَدْرَ ما أنعم الله عليك فغمض عينيك " (١٨٩) .

= ١- إسماعيل بن عياش روايته عن غير الشاميين ضعيفة ، وهذا منها.

٢- أبو مسكين القرشي هو طلحة بن يزيد قال أحمد وعلي وأبو داود كان يضع الحديث .

٣- أبو البختري وهو سعيد بن فيروز الطائي ، لم يسمع من علي بن أبي طالب

١٨٦ **إسناده منقطع .**

أخرجه ابن أبي الدنيا فى " الشكر " (١٧٧) ، البيهقى فى " شعب الإيمان " (٤١٤٥) من طريق وديك قال : بلغنى عن جعفر بن محمد قال :

١٨٧ **إسناده ضعيف جداً .**

أخرجه ابن أبي الدنيا فى " الشكر " (١٧٨) من طريق إسماعيل بن أسد ، ثنا يعلي بن عبيد ثنا محمد بن عون الخراسانى عن ابن سيرين قال :

قلت : وفى إسناده محمد بن عون الخراسانى ، قال الحافظ بن حجر فى " التقريب" متروك .

١٨٨ أخرجه ابن أبي الدنيا فى " الشكر " (١٨١) وإسناده ضعيف .

وقال مقاتل في قوله تعالى : ﴿ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾ [لقمان : ٢٠] قال : " أما الظاهرة فالإسلام ، وأم الباطنة فَسَتْرُه عليكم بالمعاصي " (١٩٠).

وقال ابن شَوْذَبَ : قال عبد الله يعني ابن مسعود ﷺ : " إن لله على أهل النار مِنّة لو شاء أن يعذبهم بأشد من النار لعذبهم " (١٩١) .

وقال أبو سليمان الداراني : جلساءُ الرحمن يوم القيامة من جعل فيهم خصالاً : الكرم ، السَّخاء ، والحِلم ، والرأفة ، والرحمة ، والشكر والبِرّ ، والصَّبر " (١٩٢) .

---

١٨٩ أخرجه ابن أبي الدنيا في" الشكر " (١٨٢) وفي إسناده أبو ربيعة الأيادى قال البخارى منكر الحديث .

١٩٠ أخرجه البيهقى فى " شعب الإيمان " (٤١٨٤، ٤١٨٥) ، ابن أبي الدنيا فى " الشكر " (١٨٣) ، وفى إسناده روح بن عبد الواحد ، ذكره ابن أبي حاتم فى " الجرح والتعديل " (٤٩٩/٣) ، وقال ليس بالمتقن ، روى أحاديث فيها ضعف .

١٩١ **إسناده ضعيف .**

أخرجه ابن أبي الدنيا فى " الشكر " (١٨٤) ، البيهقى فى " شعب الإيمان " (٤٢٥٧) كلاهما من طريق محمد بن مخلد الحراني ثنا ضمرة عن ابن شوذب قال : قال عبد الله .

وفى إسناده محمد بن مخلد الحراني مجهول .

١٩٢ أخرجه ابن أبي الدنيا فى " الشكر " (١٨٦) ، أبو نعيم فى " حلية الأولياء " (٢٢٦/٩) وإسناده صحيح .

وقال أبو هريرة ﷺ قال رسول الله ﷺ : " **من رأى صاحب بلاء فقال : الحمدُ لله الذى عافانى مما ابتلاك به ، وفضلنى عليك وعلى جميع خلقه تفضيلاً ، فقد أدّى شكر تلك النعمة** " (١٩٣) .

وقال عبد الله بن وهب : سمعت عبد الرحمن بن زيد يقول : " الشكرُ يأخذُ بِجِذْمِ الحمدِ وأصلِه وفرعِه . قال : ينظر فى نعم الله : فى بدنه وسمعه وبصره ويديه ورجليه وغير ذلك ، ليس من هذا شيء إلا فيه نعمة من الله ، حقٌّ على العبد أن يعمل فى النعمة التى هى فى بدنه لله فى طاعته ونعمة أخرى فى الرزق ، وحقٌّ عليه أن يعمل لله فيما أنعم عليه به من الرزق بطاعته ، فمن عمل بهذا كان قد أخذ بجذم الشكر وأصله وفرعه " (١٩٤) .

---

١٩٣ **ضعيف .**

أخرجه الترمذى (٣٤٣٢) ، وقال : غريب من هذا الوجه ، ابن عدي فى " الكامل " (١٤٦١/٤) ، ابن أبي الدنيا فى " الشكر" (١٨٧) ، الطبرانى فى "الأوسط " (٢٧٢٤) ، وفى " الصغير "(٢٤١/١) ، وفى " الدعاء " (٧٩٩) ، وقال : لم يرو عن سهيل إلا عبد الله تفرد به عن مطرف ، البيهقى فى " شعب الإيمان " (٤١٢٩) كلهم من طرق عن عبد الله ابن عمر العمرى عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة وأورده الهيثمى فى مجمع الزوائد (١٣٨/١٠) وفى إسناده عبد الله بن عمر العُمري ضعيف .

١٩٤ **إسناد ضعيف .**

أخرجه ابن أبي الدنيا فى " الشكــر " (١٨٨) ، وفى إسناده عبد الرحمن ابن زيد بن أسلم ضعيف .

وقال كعب : " ما أنعم اللهُ على عبدٍ من نعمة فى الدنيا ، فشكرها لله وتواضع بها لله إلا أعطاه الله نفعها فى الدنيا ، ورفع له بها درجة فى الآخرة ، وما أنعم الله على عبد نعمة فى الدنيا ، فلم يشكرها لله ولم يتواضع بها ، إلا منعه الله نفعها فى الدنيا وفتح له طبقات من النار يعذبه إن شاء ، أو يتجاوز عنه " [١٩٥] .

وقال الحسن : " من لا يرى لله عليه نعمةً إلا فى مطعم أو مشرب أو لباسٍ ، فقد قَصُر علمُه ، وحضر عذابُه " [١٩٦] .

وقال الحسن يوماً لبكر المزني : هات يا أبا عبد الله دعوات لإخوانك . فحمد الله وأثنى عليه وصلّى على النبي ﷺ ، ثم قال : " والله ما أدري أىّ النعمتين أفضل عليّ وعليكم : أنعمة المسلَك ، أم نعمة المخرج إذا أخرجه منا " . قال الحسن : إنها لمن نعمة الطعام [١٩٧] .

---

١٩٥ أخرجه ابن أبي الدنيا فى " التواضع " (٩٣) ، وفى " الشكر" (١٨٩) ، أبو نعيم فى" حلية الأولياء " (٤٣/٦) ، وفى إسناده عمر بن مرداس مجهول أورده ابن أبي حاتم فى " الجرح والتعديل " (٢٦١/٦) .

١٩٦ **إسناده ضعيف .**

أخرجه ابن أبي الدنيا فى" الشكر " (١٩٠) من طريق رجاء صاحب السقط قال : قال الحسن إسناده ضعيف ، وأخرجه أبو نعيم فى " حلية الأولياء " (٢١٠/١) ، ابن أبي الدنيا (٩٢) ، البيهقى فى " شعب الإيمان" (٤١٥٢) عن الحسن عن أبي الدرداء ، وإسناده منقطع .

١٩٧ **إسناده ضعيف .**

وقال عائشة رضى الله عنها : " مامن عبد يشرب الماء القُراح فيدخل بغير أذى ، ويخرج الأذى إلا وجب عليه الشكر " [١٩٨] . قال الحسن : " يا لهامن نعمة : تدخل كلُّ لذة وتخرج مسرحاً ، لقد كان ملك من ملوك هذه القرية يرى الغلام من غلمانه يأتى الجُبَّ فيكتال منه ثم يجرجر قائماً فيقول : يا ليتنى مثلك ما يشرب حتى يقطع عنه العطش ، فإذا شرب كان له فى تلك الشربة موتات . يا لها من نعمة " [١٩٩] .

وكتب بعض العلماء إلى أخ له :أما بعد : فقد أصبح بنا من نعم الله ما لا نُحصيه مع كثرة ما نعصيه ، فما ندري أيهما نشكرُ ، أجميل ما يَسَّر أم قبيح ما ستر ؟ " [٢٠٠] .

= أخرجه ابن أبي الدنيا فى " الشكر " (١٩٣) ، البيهقى فى " شعب الإيمان " (٤١٥٨) ، كلاهما من طريق هشام بن سليمان قال : كنت قاعداً عن الحسن وبكر بن عبد الله المزنى ، فقال له الحسن .

قلت : هشام بن سليمان بن عكرمة بن خالد المخزومى المكى مقبول . انظر " التقريب " .

١٩٨ **إسناده ضعيف جداً** .

أخرجه ابن أبي الدنيا فى " الشكر " (١٩٢) من طريق عمرو بن واقد ثنا يزيد بن أبي مالك عن شهر بن حوشب صدوق كثير الأرسال والأهام .

١٩٩ أخرجه ابن أبي الدنيا فى " الشكر " (١٩٣) ، البيهقى فى " شعب الإيمان" (٤١٥٩) .

٢٠٠ **يحتمل التحسين** .

أخرجه ابن أبي الدنيا فى " الشكر " (١٩٤) من طريق الحسين بن علي العجلي ، حدثنى علي بن عبد الرحمن قال : =

وقيل للحسن : هاهنارجل لا يجالس الناس ، فجاء إليه فسأله عن ذلك فقال : " إنّي أمسي وأصبح بين ذنب ونعمة ، فرأيت أن أشغل نفسي عن الناس بالاستغفار من الذنب والشكر لله على النعمة ، فقال له الحسن : " أنت عندي يا عبد الله أفقه من الحسن ، فالزم ما أنت عليه " (٢٠١) .

وقال ابن المبارك : سمعت علياً بن صالح يقول في قوله تعالى : ﴿ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ [إبراهيم : ٧] .

قـال : " أي : مـن طاعتي " (٢٠٢) .

والتحقيق : أن الزيادة من النعم ، وطاعنه من أجل نعمه .

وذكر ابن أبي الدنيا : أن محارب بن دِثَار كان يقول بالليل ويرفع صوته أحياناً : " أنا الصغير الذى ربيته فلك الحمد ، وأنا الضعيف الذى قويته فلك الحمد ، وأنا الفقير الذى أغنيته فلك الحمد ، وأنا الصُعلوك الذى موّلته فلك الحمد ، وأنا العزب الذى زوجته فلك الحمد

= فى إسناده شيخ ابن أبي الدنيا الحسين بن علي أبو علي الكوفي صدوق يخطئ كثيراً .

٢٠١ **ضعيف** .

أخرجه ابن أبي الدنيا (١٩٦) وإسناده فيه كلام .

٢٠٢ **إسناده صحيح** .

أخرجه عبد الله بن المبارك فى " الزهد " (٣٢٠) ، ابن أبي الدنيا فى " الشكر " (١٩٨) ، وابن جرير الطبرى فى " تفسيره " (٩/٢١٤) ، البيهقى فى " شعب الإيمان " (٤٢١٢) ، وأورده القرطبي فى " تفسيره "(٩/٢٢٥) .

وأنا الساغبُ [٢٠٣] الذى أشبعته فلك الحمد ، وأنا العارى الذى كسوته فلك الحمد ، وأنا المسافر الذى صاحبته فلك الحمد ، وأنا الغائب الذى رددته فلك الحمد ، وأنا الراجل الذى حملته فلك الحمد ، وأنا المريض الذى شفيته فلك الحمد ، وأنا السّائل الذى أعطيته فلك الحمد ، وأنا الداعي الذى أجبته فلك الحمد ، ربّنا ولك الحمد حمداً كثيراً " [٢٠٤] .

وكان بعض الخطباء يقول فى خطبته : " اختط لك الأنف فأقامه واتمَّه ، فأحسن تمامه ، ثم أدار منك الحَدَقة فجعلها بجُفون مُطبقة وبأشفار [٢٠٥] مُغلقة ، ونقلك من طبقة إلى طبقة ، وحَنَّن عليك قلب الوالدين برقَّة ومِقة [٢٠٦] ، فنعمة الله عليك مورقة ، وأياديه بك مُحدقة " [٢٠٧] .

وكان بعض العلماء يقول فى قوله تعالى : **﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا ﴾** [إبراهيم : ٣٤] : " سبحان من لم يجعل لِحَدٍّ معرفة نعمه إلا العلم بالتقصير عن معرفتها ، كما لم يجعل لحدٍّ إدراكه أكثر من العلم أنه لا يُدرك ، فجعل معرفة نعمه بالتقصير عن معرفتها شكراً ،

---

٢٠٣ أى الجائع .

٢٠٤ أخرجه ابن أبي الدنيا فى " الشكر " (١٩٩) ، وفى " التهجد " (٤٢) ، الآجرى فى " الشريعة " (صـــ٩٨) ، البيهقى فى " شعب الإيمان " (٤٢٧٦) وإسناده حسن .

٢٠٥ هو طرف الجفن .

٢٠٦ هي المحبة .

٢٠٧ أخرجه ابن أبي الدنيا في الشكر (٢٠٠) .

كما شكر علم العالمين أنهم لا يدركونه فجعله إيماناً ، علماً منه أن العباد لا يتجاوزون ذلك " (٢٠٨) .

وقال عبد الله بن المبارك : أخبرنا المثنى بن الصباح عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

" خصلتان من كانتا فيه كتبه الله صابراً شاكراً ، ومن لم يكونا فيه لم يكتبه صابراً شاكراً ، من نظر فى دينه إلى من هو فوقه فاقتدى به ، ومن نظر فى دنياه إلى من هو دونه فحمد الله على ما فضله به عليه كتبه الله صابراً شاكراً ، ومن نظر فى دينه إلى من هو دونه ونظر فى دنياه إلى من هو فوقه فأسف على ما فاته منه لم يكتبه الله صابراً شاكراً " (٢٠٩) .

وبهذا الإسناد عن عبد الله بن عمرو موقوفاً عليه : " **أربعُ خصال من كن فيه بنى الله له بيتاً فى الجنة : من كان عصمةُ أمره لا إله إلا الله ، وإذا أصابته مصيبة قال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، وإذا أعطي شيئاً قال : الحمدُ لله ، وإذا أذنب قال : أستغفر الله** " (٢١٠) .

---

٢٠٨ أنظر كتاب " الشكر " (٢٠٢) .

٢٠٩ أخرجه عبد الله ابن المبارك في " الزهد " (١٨٠) ، الترمذي (٢٥١٢) ، ابن أبي الدنيا في " الشكر " (٢٠٤) ، البغوي في " شرح السنة " (٤١٠٢) .

قلت : في إسناده المثني بن الصباح ضعيف .

٢١٠ **إسناده ضعيف .**

أخرجه عبد الله بن المبارك في " زوائد نعيم " (١٨٢) ابن أبي الدنيا في " الشكر " (٢٠٥) وإسناده ضعيف .

وقال ابن المبارك عن شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فى قوله ﴿ **إِنَّهُ كَانَ عَبْداً شَكُوراً** ﴾ [الإسراء : ٣] قال : " لم يأكل شيئاً إلا حمد الله عليه ، ولم يشرب شراباً قط إلا حمد الله عليه ، ولم يمش مشياً قط إلا حمد الله عليه ، ولم يبطش بشيء قط إلا حمد الله عليه ، فأثنى الله عليه أنه كان عبداً شكوراً " (٢١١) .

وقال محمد بن كعب : " كان نوح إذا أكل قال : الحمد لله ، وإذا شرب قال : الحمد لله ، وإذا لبس قال : الحمد لله ، وإذا ركب قال : الحمد لله ، فسمّاه الله عبداً شكوراً " (٢١٢) .

وقال ابن أبي الدنيا : بلغنى عن بعض الحكماء قال : " لو لم يعذب الله على معصيته ، لكان ينبغي أن لا يُعصى لشكر نعمته " (٢١٣) .

---

٢١١ أخرجه عبد الله بن المبارك في " الزهد " (٩٤١) ابن أبي الدنيا في " الشكر " (٢٠٦) ، البيهقي في " الشعب " (٤١٥٧) ، ابن جرير الطبري في " تفسيره " . وأورده السيوطي في " الدر المنثور " (٤/١٦١) .

قلت : رواية ابن أبي نجيح عن مجاهد في التفسير قال يحيي بن سعيد القطان لم يسمع منه .

٢١٢ **إسناده حسن** .

أخرجه أحمد فى " الزهد " (صـ٥٠) ، عبد الله بن المبارك فى " الزهد " (٩٤٠) ، أبو نعيم فى " أخبار أصبهان " (٢/٤١) ، البيهقى فى " شعب الإيمان " (٤١٥٧) ، كلهم من طرق عن هشام بن سعد قل : سمعت من محمد بن كعب

قلت : وإسناده حسن من أجل هشام بن سعد . قال ابن حجر فى " التقريب " صدوق له أوهام .

٢١٣ **إسناده منقطع** . =

ولله تبارك وتعالى على عبده نوعان من الحقوق لا ينفك عنهما :

أحدهما : أمره ونهيه اللذان هما محض حقه عليه .

والثاني : شُكر نعمه التى أنعم بها عليه .

فهو سبحانه يطالب بشكر نعمه وبالقيام بأمره ، فمشهد الواجب عليه لا يزال يشهد تقصيره وتفريضه وأنها محتاج إلى عفو الله ومغفرته ، فإن لم يداركه بذلك هلك ، وكُلّما كان أفقه فى دين الله كان شهوده للواجب عليه أتمَّ ، وشهوده لتقصيره أعظم ، وليس الدين بمجرد ترك المحرمات الظاهرة بل بالقيام مع ذلك بالأوامر المحبوبة لله ، وأكثر الديّانين لا يعبأون منها إلا بما شاركهم فيه عموم الناس .

وأما الجهادُ والأمرُ بالمعروف والنهي عن المنكر والنصيحة لله ورسوله وعباده ونصرة الله ورسوله ودينه وكتابه ، فهذه الواجبات لا تخطر ببالهم ، فضلاً عن ان يريدوا فعلها ، وفضلاً عن أن يفعلوها ، وأقل الناس ديناً وأمقتهم إلى الله من ترك هذه الواجبات وإن زهد فى الدنيا جميعاً ، وقلَّ أن ترى منهم من يَحْمَرُّ وجهه وَيُمَعِّرُه لله ، ويغضب لحرماته ، ويبذل عرضه فى نصرة دينه ، وأصحاب الكبائر أحسنُ حالاً عند الله من هؤلاء .

= أخرجه ابن أبي الدنيا فى " الشكر " (٢٠٨) ، البيهقى فى " شعب الإيمان " (٤٢٢٧) ، حدثنى عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا قال : بلغنى عن بعض الحكماء قال .

وقد ذكر أبو عُمر وغيره : " أن الله تعالى أمر ملكاً من الملائكة أن يخسف بقرية ، فقال : يا رب إن فيهم فلاناً الزاهد العابد قال : به فابد أ ، وأسمعني صوته ، إنه لم يَتَمَعَّر وجهُه فيَّ يومٌ قط " (٢١٤) .

وأما شهود النعمة فإنه لا يدع له رؤية حسنة من حسناته أصلاً ولو عمل أعمال الثقلين ، فإن نعم الله سبحانه أكثر من أعماله ، وأدنى نعمة تستنفد عمله فينبغي للعبد ألا يزال ينظر فى حق الله عليه .

قال الإمام أحمد : حدثنا حجاج حدثنا جرير بن حازم عن وهب قال : " بلغني أن نبي الله موسى عليه السلام مر برجل يدعو ويتضرع فقال : يا رب ارحمه فإني قد رحمته . فأوحى الله إليه : لو دعاني حتى تنقطع قواه ما استجبت له حتى ينظر فى حقّي عليه " .

فمشاهدة العبد النعمة والواجب لا تدع له حسنة يراها، ولا يزال مُزرياً على نفسه ذاماً لها وما أقربه من الرحمة إذا أعطى هذين المشهدين حقهما ، والله المستعان .

❋❋❋

---

٢١٤ **إسناده ضعيف جداً .**

أخرجه ابن الأعرابي فى " معجمه " (١٦/١) ، الطبرانى فى " الأوسط " ، البيهقى فى " شعب الإيمان " (٧٥٩٥) .

الباب الحادي والعشرون

الحكم بين الفريقين ، والفصل بين الطائفتين

نقول : كل أمرين طُلبت الموازنة بينهما ومعرفة الراجح منهما على المرجوح ، فإن ذلك لا يمكن إلا بعد معرفة كل منهما ، وقد ذكرنا حقيقة الصبر وأقسامه وأنواعه ، ونذكر حقيقة الشُّكر وماهيته .

قال فى " الصَّحاح " : الشُكرُ الثناءُ على المحسن بما أولاكه من المعروف ، يقال : شكرتُهُ ، وشَكَرتُ له . واللام أفصح .

وقوله تعالى :﴿ لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُوراً ﴾ [الإنسان : ٩] يحتمل أن يكون مصدراً كالقعود ، وأن يكون جمعاً كالبرود والكفور .

والشكران خلاف الكفران ، وتشكرت له مثل شكرت له . والشَّكور من الدَّواب ما يكفيه العلف القليل . واشتكرت السماءُ اشتدَّ وقعُ مطرها واشتكر الضرعُ امتلأ لبناً ، تقول : منه شَكِرَت النَّاقة بالكسر تشكر شكراً فهي شكرة ، وشكرت الشجرة تشكر شكراً إذا خرج منها الشَّكِير وهو ما ينبت حول الشجرة من أصلها .

فتأمل هذا الاشتقاق وقابل بينه وبين الشكر المأمور به ، وبين الشكر الذى هو جزاء الربِّ الشكور ، كيف نجد فى الجميع معنى الزيادة والنماء .

ويقال : أيضاً : دابةٌ شكور ، إذا أظهرت من السِّمن فوق ما تُعطى من العلف .

وشكرُ العبد يدور على ثلاثة أركان : لا يكون شاكراً إلا بمجموعها :

أحدها : اعترافه بنعمة الله عليه .

والثاني : الثناء عليه بها .

والثالث : الاستعانة بها على مرضاته .

وأما قوال الناس فى الشكر : فقالت طائفة : " هو الاعتراف بنعمة المنعم على وجه الخضوع " . وقيل : " الشكر هو الثناء على المحسن بذكر إحسانه إليه ، فشكرُ العبد ثناؤه عليه بذكر إحسانه إليه " [١] . وقيل : " شكر النعمة مشاهدة المنَّة ، وحفظُ الحُرمة ، والقيامُ بالخدمة " [٢] . وقيل : " شكر النعمة أن ترى نفسك فيها طُفيلياً " [٣] . وقليل : " الشكر معرفة العجز عن الشكر " [٤] .

ويقال : " الشكر على الشكر أتم من الشكر ، وذلك أن ترى شكرك بتوفيقه ، وذلك التوفيق من أجل النعم عليك ، تشكرُ على الشكر ، ثم تشكره على الشكر ، ألاَّ ترى نفسك للنعمة أهلاً " [٥] . وقيل : " الشكر استفراغ الطاقة فى الطاعة " [٦] .

---

١ أورده القشيري فى رسالته (صـ١٧٤)
٢ أورده القشيري فى رسالته (صـ ١٧٤)
٣ أورده القشيري فى رسالته (صـ١٧٤)
٤ أورده القشيري فى رسالته (صـ١٧٤)
٥ أورده القشيري فى رسالته (صـ١٧٤)
٦ أورده القشيري فى رسالته (صـ١٧٥)

وقيل : " الشاكر الذى يشكر على الموجود ، والشكور الذى يشكر على المفقود " [٧] . وقيل : " الشاكر الذى يشكر على الرِّفد ، والشكور الذى يشكر على الردِّ " [٨] . وقيل : " الشاكر الذى يشكر على النفع ، والشكور الذى يشكر على المنع " [٩] . وقيل : " الشاكر الذى يشكر على العطاء ، والشكور الذى يشكر على البلاء " [١٠] .

وقال الجنيد : " كنت بين يدى السَّري ألعب ، وأنا ابن سبع سنين ، وبيننا جماعة يتكلمون فى الشكر ، فقال لي : يا غلام ، ما الشكرُ ؟ فقلت : ألاّ تعصي الله بنعمة ، فقال : يوشك أن يكون حظُّك من الله لسانك ، فلا أزال أبكي على هذه الكلمة التى قالها السري " [١١] .

وقال الشبلي : " الشكرُ رؤية المنعم لا رؤية النعم " [١٢] . وهذا ليس بجيد ، بل من تمام الشكر أن تشهد النعمة من المُنعم .

وقيل : " الشكر قيد الموجود وصيد المفقود " [١٣] .

وقال أبو عثمان : " شكرُ العامّة علىالمطعم والملبس ، وشكر الخواص على ما يرد على قلوبهم من المعاني " [١٤] .

---

٧ أورده القشيري فى رسالته (صــ١٧٥)
٨ أورده القشيري فى رسالته (صــ ١٧٥)
٩ أورده القشيري فى رسالته (صــ١٧٥)
١٠ أورده القشيري فى رسالته (صــ١٧٥)
١١ أورده القشيري فى رسالته (صــ ١٧٥)
١٢ أورده القشيري فى رسالته (صــ ١٧٥)
١٣ أورده القشيري فى رسالته (صــ ١٧٥)
١٤ أورده القشيري فى رسالته (صــ١٧٥)

وحبس السلطانُ رجلاً ، فأرسل إليه صاحبه : أُشكر الله ، فضُرب، فأرسل إليه أُشكر الله ، فجيء بمحبوس مجوسي مبطون ، فقُيِّد فجعل حلقة من قيده في رجله وحلقه في الرجل المذكور ، فكان المجوسي يقوم بالليل مرات فيحتاج الرجل أن يقف على رأسه حتى يفرغ ، فكتب إليه صاحبه : اشكر الله ، فقال له : إلى متى تقول اشكر الله ، وأى بلاء فوق هذا ؟ فقال : ولو وُضع الزِّنّارُ الذى فى وسطه فى وسطك كما وضع القيد الذى فى رجله فى رجلك ماذا كنت تصنع ؟ فاشكر الله (١٥) .

ودخل رجل على سهل بن عبد الله فقال : اللصُّ دخل داري وأخذ متاعي ، فقال : اشكر الله ، فلو دخل اللص قلبك ، وهو الشيطان ، وأفسد عليك التوحيد ماذا كنت تصنع ؟ (١٦) .

وقيل : " شكر التلذذ بثنائه على ما لم يستوجبه من عطائه " (١٧) .
وقيل : " إذا قصرت يدك عن المكافأة فليطل لسانك بالشكر " (١٨) .
وقيل : " أربعة لا ثمرة لهم : مشاورة الأصم ، ووضع النعمة عند من لا يشكرها ، والبَذْرُ فى السِّباخ ، والسّراج فى الشمس " (١٩) .

---

١٥ أورده القشيري فى رسالته (صـ١٧٦)
١٦ أورده القشيري فى رسالته (صـ١٧٦)
١٧ أورده القشيري فى رسالته (صـ ١٧٦)
١٨ أورده القشيري فى رسالته (صـ ١٧٦)
١٩ أورده القشيري فى رسالته (صـ١٧٦ -١٧٧)

والشكر يتعلق بالقلب واللسان والجوارح : فالقلب للمعرفة والمحبة واللسان للثناء والحمد ، والجوارح لاستعمالها فى طاعة المشكور وكفها عن معاصيه .

وقال الشاعر :

افادتكم النعَّمــاءُ مني ثلاثــــة

يدي ولساني والضَّمير المُحَجَّبا

والشكر أخص بالأفعال ، والحمد أخص بالأقوال ، وسببُ الحمد أعمَّ من سبب الشكر ، ومتعلق الشكر وما به الشكر أعم مما به الحمد فما يحمد الربَّ تعالى عليه أعمُّ مما يُشكر عليه ، فإنه يُحمد على أسمائه وصفاته وأفعاله ونعمه ، ويُشكر على نعمه ، وما يُحمد به أخص مما يُشكر به ، فإنه يُشكر بالقلب واللسان والجوارح ، ويحمدُ بالقلب واللسان .

إذا عُرف هذا فكلٌّ من الصبر والشكر داخل فى حقيقة الآخر لا يمكن وجوده إلا به ، وإنما يعَبَّرُ عن أحدهما باسمه الخاص به باعتبار الأغلب عليه والأظهر منه ، وإلا فحقيقة الشكر إنما يلتئم من الصبر والإرادة والفعل ، فإن الشكر هو العمل بطاعة الله وترك معصيته ، والصبر أصل ذلك . فالصبر على الطاعة وعن المعصية هو عين الشكر ، وإذا كان الصبر مأموراً به ، فأداؤه هو الشكر .

فإن قيل : فهذا يُفهم منه اتحاد الصبر والشكر ، وأنهما اسمان لمسمّى واحد ، وهذا محال عقلاً ولغة وعُرفاً ، وقد فرّق الله سبحانه بينهما .

قيل : بل هما معنيان متغايران ، وإنما بيّنا تلازمهما وافتقار كل واحد منهما فى وجود ماهيته إلى الآخر ، ومتى تجرد الشكر عن الصبر بَطَل كونه شكراً ، وإذا تجرد الشكر عن الصبر بطل كونه صبراً ؛ أما الأول فظاهر ، وأما الثاني إذا تجرد عن الشكر كان كفوراً ومنافاة الكفور للصبر أعظم من منافاة السخوط .

فإن قيل : بل ههنا قسم آخر وهو : أن لا يكون كفوراً ولا شكوراً بل صابراً على مضض وكراهة شديدة ، فلم يأت بحقيقة الشكر ولم يخرج عن ماهية الصبر . قيل : كلامنا فى الصبر المأمور به الذى هو طاعة ، لا فى الصبر الذى هو تَجَلُّدٌ كصبر البهائم ، وصبر الطاعة لا يأتى به إلا شاكر ، ولكن اندرج شكره فى صبره فكان الحكم للصبر ، كما اندرج الشكور فى شكره فكان الحكمُ للشكر .

فمقامات الإيمان لا تعدم بالتنقل فيها بل تندرج وينطوى الأدنى فى الأعلى ، كما يندرج الإيمان فى الإحسان ، وكما يندرج الصبر فى المقامات الرضى لا أن الصبر يزول ، ويندرج الرضى فى التفويض ، ويندرج الخوف والرجاء فى الحبِّ لا أنهما يزولان .

فالمقدور الواحد يتعلق به الشكر والصبر سواء كان محبوباً أو مكروهاً ، فالفقر مثلاً يتعلق به الصبر وهو أخص به لما فيه من الكراهة ، ويتعلق به الشكر لما فيه من النعمة ، فمن غلب شهودُ نعمته وتلذذ به واستراح واطمأن إليه عدَّه نعمة يشكر عليها ، ومن غلب شهود ما فيه من الابتلاء والضيق والحاجة عده بليةيصبر عليها ، وعكسه الغنى .

على أن الله سبحانه ابتلى العباد بالنعم كما ابتلاهم بالمصائب ، وعد ذلك كله ابتلاء ، فقال : ﴿ **وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً** ﴾ [الأنبياء : ٣٥] . وقال : ﴿ **فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ (١٥) وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ (١٦)** ﴾ [الفجر : ١٥ – ١٦] ، وقال : ﴿ **إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا (٧)** ﴾ [الكهف : ٧] . وقال : ﴿ **وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا** ﴾ [هود : ٧] .

فأخبر سبحانه أنه خلق العالم العُلوي والسُّفلي ، وقدر أجل الخلق ، وخلق ما على الأرض للابتلاء والاختبار ، وهذا الابتلاء إنما هو ابتلاء صبر العباد وشكرهم فى الخير والشر والسراء والضراء ، فالابتلاء من النعم من الغنى والعافية والجاه والقدرة ، وتاتى الأسباب أعظم الابتلاءين ، والصبر على طاعة الله أشق الصبرين . كما قال الصحابة رضى الله عنهم : " ابتلينا بالضراء فصبرنا ، وابتلينا بالسراء فلم نصبر " [٢٠] .

والنعمة بالفقر والمرض وقبض الدنيا وأسبابها وأذى الخلق قد يكون أعظم النعمتين ، وفرض الشكر عليها أوجب متن الشكر على أضدادها ، فالربُّ تعالى يبتلي بنعمه ، ويُنعمُ بابتلائه .

---

٢٠ أخرجه الترمذى (٢٤٦٤) قال : حدثنا قتيبة ، حدثنا أبو صفوان عن يونس عن الزهرى عن حميد بن عبد الرحمن عن عبد الرحمن بن عوف قال :

قلت : وهذا إسناد صحيح ، وأبو صفوان هو عبد الله بن سعيد الأموى ثقة كما فى التقريب لابن حجر وقال الترمذى : هذا حديث حسن .

غير أن الصبر والشكر حالتان لازمتان للعبد فى أمر الربِّ ونهيه وقضائه وقدره ولا يُستغنى عنهما طرفة عين .

والسؤال عن أيهما أفضل ؟ كالسؤال عن الحسِّ والحركة أيهما أفضل ؟ وعن الطعام والشراب أيهماأفضل ؟ وعن خوف العبد ورجائه أيهما أفضل ؟

فالمأمور لا يؤدى إلا بصبر وشكر ، والمحظور لا يترك إلا بصبر وشكر . وأما المقدور الذى يُقدَّر على العبد من المصائب فمتى صبر عليها اندرج شكره فى صبره ، كما يندرج صبر الشاكر فى شكره . ومما يوضح هذا : أن الله سبحانه امتحن العبد بنفسه وهواه وأوجب عليه جهادهما فى الله ، ، فهو فى كل وقت فى مجاهدة نفسه حتى تأتى بالشكر المأمور به ، ويصبر عن الهوى المنهي عن طاعته ، فلا ينفك العبد عنهما ، غنياً كان أو فقيراً ، معافى أو مبتلى .

وهذه هى مسألة الغنىِّ الشاكر والفقير الصّابر أيُّهما أفضل ؟

وللناس فيها ثلاثة أقوال : وهى التى حكاها أبو الفرج بن الجوزي وغيره فى عموم الصبر والشكر أيهما أفضل ، وقد احتجت كلُّ فرقة بحُجج وأدلة على قولها .

و**التحقيق** أن يقال : أفضلهما أتقاهما لله تعالى ، فإن فُرض استواؤهما فى التقوى استويا فى الفضل ، فإن الله سبحانه لم يفضل بالفقر والغنى كما لم يفضل بالعافية والبلاء ، وإنما فضل بالتقوى ، كما قال تعالى : ﴿ **إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ** ﴾ [الحجرات : ١٣] .

وقد قال ﷺ : " **لا فضل لعربي على عجمي ، ولا فضل لعجمي على عربي إلا بالتقوى ، الناس من آدم ، وآدم من تراب** " (٢١) .

والتقوى مبنية على أصلين : الصبر والشكر ، وكل من الغني والفقير لابدَّ له منهما ، فمن كان صبره وشكره أَتَمَّ كان أفضل .

فإن قيل : فإن كان صبرُ الفقير أتمَّ وشكر الغني أتم فأيّهما أفضل ، قيل : أتقاهما لله فى وظيفته ومقتضى حاله ، ولا يصحُّ التفضيل بغير هذا ألبتة . فإن الغني قد يكون أتقى لله فى شكره من الفقير فى صبره ، وقد يكون الفقير أتقى لله فى صبره من الغني فى شكره ، فلايصح أن يقال : هذا بغناه أفضل ولا هذا بفقره أفضل .

ولا يصح أن يقال : هذا بالشكر أفضل من هذا بالصبر ، ولا بالعكس ، لأنهما مطيتان للأيمان لابد منهما ، بل الواجب أن يقال : أقومهما بالواجب والمندوب هو الأفضل ، فإن التفضيل تابع لهذين الأمرين . كما قال تعالى فى الأثر الإلهي : " ما تقرب إليَّ عبدي بمثل مداومة ما افترضت عليه ، ولا يزالُ عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى

---

٢١ **إسناده صحيح .**

أخرجه أحمد (٤١١/٥) ، أبو نعيم فى "حلية الأولياء " (١٠٠/٣) كلاهما من طريق سعيد الجريرى عن أبي نضرة حدثني من سمع خطبة رسول الله ﷺ .

وعند أحمد فى " مسنده " (٨٠/٣) ، ابن ماجة (٣٩٣١) بإسناد صحيح ، من حديث أبي سعيد الخدري ، وفى الباب أحاديث كثيرة منها حديث عقبة بن عامر وأبي هريرة ، أبي ذر كما عند أحمد فى " مسنده " .

أحبه " [٢٢] . فأيّ الرجلين كان أقوم بالواجبات وأكثر نوافل كان أفضل .

فإن قيل : فقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال : " **يدخُلُ فقراء أمتي الجنة قبل أغنيائهم بنصف يوم وذلك خمسمائة عام** " [٢٣] . قيل : هذا لا يدل على فضلهم على الأغنياء في الدرجة وعلو المنزلة وإن سبقوهم في الدخول فقد يتأخر الغني والسلطان العادل في الدخول لحسابه ، فإن دخل كانت درجته أعلى ومنزلته أرفع كسبق الفقير القفل في المضائق وغيرها ، ويتأخر صاحب الأحمال بعده .

فإن قيل : فقد قال النبي ﷺ للفقراء لما شكوا إليه زيادة عمل الأغنياء عليهم بالعتق والصدقة ، قال ﷺ : " **ألا أدلكم على شيء إذا**

---

٢٢ قطعة من حديث أخرجه البخاري في " صحيحه " كتاب " الرقاق " (٦٥٠٢) من حديث أبي هريرة .

٢٣ **صحيح لغيره .**

أخرجه أحمد (٢/٢٩٦ ، ٣٤٣ ، ٤٥١) ، الترمذي (٢٣٥٣، ٢٣٥٤) وقال هذا حديث حسن صحيح ، النسائي في" الصغرى " (٢/٩٢) ، ابن ماجة (٤١٢٢) ابن أبي شيبة في " مصنفه " (١٣/٢٤٦) ، ابن حبان كما في " الإحسان " (٦٧٦) ، هناد بن السري في" الزهد " (٥٨٩) ، أبو يعلي في " مسنده " (٦٠١٨) أبو نعيم في " حلية الأولياء " (٧/٩١، ٩٩ ، ٨/٢١٢ ، ٢٥٠) وفي" أخبار أصبهان " (١/٣٢٤) ، البيهقي في " شعب الإيمان " (١٠٣٨٢) كلهم من طرق عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة وإسناده حسن ، وله طريق من حديث أبي هريرة كما عند أحمد (٢/٥١٢، ٥١٣) البيهقي في " البعث والنشور" (٤٠٩) من طريق أبو بكر بن عياش عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة وإسناده حسن ، وللحديث شواهد كثيرة يرتقي بها إلى الصحة .

فعلتموه أدركتم به من سبقكم " فدلهم على التسبيح والتحميد والتكبير عقب كل صلاة ، فلما سمع الأغنياء ذلك عملوا به ، فذكروا ذلك للنبي ﷺ فقال : " ﴿ **ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ** ﴾ " (٢٤) [الحديد : ٢١] . وهذا يدل على ترجيح حال الغني الشاكر .

قيل : هذا حجة للقول الذى نصرناه ، وهو : أن أفضلهما أكثرهما نوافل ، فإن استويا وهاهنا قد ساوى الأغنياء الفقراء فى أعمالهم المفروضة والنافلة ، وزادوا عليهم بنوافل العتق والصدقة ، وفضلوهم بذلك فساووهم فى صبرهم على الجهاد والأذى فى الله والصبر على المقدور ، وزادوا عليهم بالشكر بنوافل المال ، فلو كان للفقراء بصبرهم نوافل تزيد على نوافل الأغنياء لفضلوهم بها .

فإن قيل : إن النبي ﷺ عُرضت عليه مفاتيح كنوز الدنيا فردها ، وقال : " **بل أشبع يوماً وأجوع يوماً** " (٢٥) .

وقال هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها قالت : " خرج رسول الله ﷺ من الدنيا ولم يشبع من خبر البُرِّ " (٢٦) و " مات ودرعُه مرهونة عند يهودي على طعام أخذه منه " (٢٧) .

---

٢٤ أخرجه البخارى فى " صحيحه " كتاب " الصلاة " (٨٤٣) دون قوله : سمع الأغنياء ذلك ، مسلم كتاب " المساجد ومواضع الصلاة "(٥٩٥) ، واللفظ له من حديث أبي هريرة .

٢٥ سبق الكلام عليه فى بداية الباب العشرون .

٢٦ أخرجه البخارىَ فى كتاب " الأطعمة " (٥٤١٦) ، مسلم فى " صحيحه " كتاب " الزهد والرقاق " (٢٩٧٠) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا وكيع حدثنا الأعمش عن عمارة بن القعقاع عن أبي زرعة عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : " **اللهم اجعل رزق آل محمد قوتاً** " (٢٨) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا إسماعيل بن محمد حدثنا عباد بن عباد حدثنا مجالد بن سعيد عن الشعبي عن مسروق عن عائشة رضى الله عنها : دخلت عَلَي امرأة من الأنصار ، فرأت فراش النبي ﷺ عباءه مثنية ، فرجعت على منزلها فبعثت إليّ بفراش حشوه الصوف ، فدخل عليّ ﷺ فقال : " **ما هذا ؟** " فقلت : فلانة الأنصارية دخلت عليّ فرأت فراشك فبعثت إليّ بهذا . فقال : " **رديه** " ، فلم أرده ، وأعجبنى أن يكون فى بيتى ، حتى قال لي ذلك ثلاث مرات ، فقال : " **يا عائشة رديه ، فوالله لو شئت لأجرى الله معي جبال الذهب والفضة** " فرددته (٢٩) .

ولم يكن الله سبحانه ليختار لرسوله ﷺ إلا الأفضل ، هذا مع أنه لو أخذ الدنيا لأنفقها كلها فى مرضاة الله ، ولكان شكره بها فوق شكر جميع العالمين .

قيل : احتج بحال رسول الله ﷺ كل واحدة من الطائفتين .

---

٢٧ أخرجه البخارى فى كتاب " الجهاد والسير" (٢٩١٦) ، مسلم كتاب " المساقاه " (١٦٠٣) .

٢٨ أخرجه البخارى فى " صحيحه " كتاب " الدعوات " (٦٤٦٠) ، مسلم كتاب " الزكاة " (١٠٥٥) .

٢٩ أخرجه أحمد فى " الزهد " (صـــ٢٠) ، من طريق مجالد بن سعيد عن الشعبي عن مسروق عن عائشة . وفى إسناده مجالد بن سعيد ضعيف .

والتحقيق : أن الله سبحانه وتعالى جمع له بين المقامين كليهما على أتم الوجوه ، وكان سيد الأغنياء الشاكرين ، وسيد الفقراء الصابرين ، فحصل له من الصبر على الفقر ما لم يحصل لأحدٍ سواه ، ومن الشكر على الغنى ما لم يحصل لغني سواه ، ومن تأمل سيرته وجد الأمر كذلك ، فكان ﷺ أصبر الخلق فى مواطن الصبر ، وأشكر الخلق فى مواطن الشكر ، وربه تعالى كمل له مراتب الكمال فجعله فى أعلى رتب الأغنياء الشاكرين ، وفى أعلى مراتب الفقراء الصابرين . قال تعالى : ﴿ **وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى** ﴾ [الضحى : ٨] وأجمع المفسرون : أن العائل هو الفقير ، يقال : عال الرجل يعيل ، إذا افتقر وأعال يعيل : إذا صار ذا عيال ، مثل : لبن وأثمر وأثرى ، إذا صار ذا لبن وثمر وثروة ، وعال يعول : إذا جار ، ومنه قوله تعالى ﴿ **ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا** ﴾ [النساء : ٣] قيل : المعنى ألا تكثر عيالكم .

والقول هو الأول لوجوه :

أحدها : أنه لا يعرف فى اللغة عال يعول إذا كثر عياله ، وإنما المعروف فى ذلك عال يعيل ، وأما عال يعول فهو بمعنى الجور ليس إلا ، هذا الذى ذكره أهل اللغة قاطبة .

الثاني : أنه سبحانه قابل ذلك بالعدل الذى نقلهم عند خوفهم من فقده إلى الواحدة والتسرى بما شاؤوا من ملك أيمانهم ، ولا يحسن هنا التعليل بعدم العيال .

ويوضحه **الوجه الثالث** : أنه سبحانه نقلهم عند الخوَف من عدم القسط فى نكاح اليتامى إلى من سواهن من النساء لئلا يقعوا فى ظلم أزواجهم اليتامى ، وجوز لهم نكاح الواحدة وما فوقها إلى الأربع ،

ثم نقلهم عند خوف الجور وعدم العدل فى القسمة إلى الواحدة أو النوع الذى لا قسمة عليهم فى الاستمتاع بهن ، وهن الإماء ، فانتظمت الآية ببيان الجائز من نكاح اليتامى والبوالغ والأولى من زينك القسمين عند خوف العدل ، فما لكثرة العيال مدخل هاهنا ألبتة .

ويوضحه **الوجه الرابع** : أنه لو كان المحظور كثرة العيال لما نقلهم إلى ما شاءوا من كثرة الإماء بلا عدد ، فإن العيال كما يكونون من الزوجات يكونون من الإماء ، ولا فرق ، فإنه لم ينقلهم إلى إماء الاستخدام بل إماء الاستفراش .

ويوضحه **الوجه الخامس** : أن كثرة العيال ليس أمراً محظوراً مكروهاً للرب تعالى ، كيف وخير هذه الأمة أكثرها نساء ، وقد قال النبي ﷺ : " **تزوجوا الودود الولود ، فإنى مكاثر بكم الأمم** " (٣٠) . فأمر بنكاح الولود ، ليحصل منها ما يكاثر به الأمم يوم القيامة .

والمقصود أنه سبحانه جعل نبيه غنياً شاكراً بعد أن كان فقيراً صابراً ، فلا تحتج به طائفة لحالها إلا كان للطائفة الأخرى أن تحتج به أيضاً لحالها .

---

٣٠ **إسناده حسن .**

أخرجه أبو داود (٢٠٥٠) ، النسائي فى " الصغرى " (٦/٦٥ - ٦٦) ، ابن حبان كما فى " الإحسان " (٤٠٥٦، ٤٠٥٧) ، الطبرانى فى " الكبير" (٢٠/٥٠٨) الحاكم (٢/١٦٢) ، البيهقى فى " السنن الكبير "(٧/٨١) كلهم من طريق يزيد بن هارون عن المسلم بن سعيد عن منصور بن زاذان عن معاوية بن قرة عن النبي ﷺ . وهذا إسناد حسن من أجل المسلم بن سعيد وهو صدوق .

فإن قيل : فقد كان عبد الرحمن بن عوف ﷺ من الشاكرين ، وقد قال الإمام أحمد فى " مسنده " : حدثنا عبد الصمد ، حدثنا عمارة عن ثابت عن أنس ﷺ قال : بينما عائشة فى بيتها سمعت صوتاً فى المدينة فقالت : ما هذا ؟ فقالوا : عير لعبد الرحمن قدمت من الشام تحمل من كل شيء . قال : وقد كانت سبعمائة بعير ، فارتجت المدينة من الصوت . فقالت عائشة : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " **رأيت عبد الرحمن بن عوف يدخل الجنة حبوا** " فبلغ ذلك عبد الرحمن فقال إن استطعت لأدخلنها قائماً ، فجعلها بأحمالها وأقتابها كلها فى سبيل الله [٣١] .

قيل : قد قال الإمام أحمد : هذا الحديث كذب منكر ، قالوا : وعُمارة يروى أحاديث مناكير ، وقال أبو حاتم الرازى : عمارة ابن زاذان لا يحتج به .

قال أبو الفرج : " وقد روى الجراح بن منهال بإسناده عن عبد الرحمن بن عوف أن النبي ﷺ قال له : " **يا بن عوف إنك من الأغنياء وإنك لا تدخل الجنة إلا زحفا ، فأقرض ربك يطلق قدميك** "

---

٣١ **منكر** .

أخرجه أحمد (٦/١١٥) ، الطبرانى فى " الكبير " (٢٦٤) ، البزار كما فى " كشف الأستار " (٢٥٧٨) ، ابن سعد فى" طبقاته " (٣/١٣٢) ، ابن الجوزى فى " الموضوعات " (٢/١٣) ، و قال : قال أحمد هذا حديث كذب منكر ، قال وعمارة يروى أحاديث مناكير . وأبو نعيم فى " حلية الأولياء " (١/٩٨) كلهم من طرق عن عمارة عن ثابت عن أنس قال :

وفى إسناد عمارة وهو ابن زاذان الصيدلانى ضعيف كما تقدم .

قال أبوعبد الرحمن النسائي : هذا حديث موضوع ، والجراح متروك الحديث ، وقال يحيى : ليس حديث الجراح بشيء ، وقال ابن المدينى لا يُكتب حديثه ، وقال ابن حبان : كان يكذب . وقال الدارقطنى : متروك .

فإن قيل : فما تصنعون بالحديث الذى رواه البيهقي من حديث أحمد بن علي بن إسماعيل بن محمد حدثنا سليمان بن عبد الرحمن أخبرنى خالد بن يزيد بن أبي مالك عن أبيه عن عطاء بن أبي رباح عن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه عن رسول الله ﷺ أنه قال : " **يا ابن عوف إنك من الأغنياء ولن تدخل الجنة إلا زحفًا ، فأقرض الله يطلق قدميك** " . قال : وما الذى أقرض يا رسول الله ؟ . قال : " **تتبرأ مما أمسيت فيه** " قال : أمن كله أجمع يا رسول الله ﷺ ؟ قال : " **نعم** " . فخرج وهو يهتم بذلك ، فأتاه جبريل فقال : " **مُرْ ابن عوف فليضف الضيف وليطعم المساكين ، وليبدأ بمن يعول ، وليعط السائل ، فإذا فعل ذلك كان تزكية ما هو فيه** " [٣٢] .

---

٣٢ **ضعيف جداً** .

أخرجه الحاكم (٣/٣١١) ، ابن عدى فى " الكامل " (٣/٨٨٤) ، الطبرانى فى " مسند الشاميين " (١٦١٦) ، ابن سعد فى " طبقاته " (٣/١٣١) ، أبونعيم فى " الحلية " (٨/٣٣٤) ، البيهقى فى " شعب الإيمان " (٣٠٦٤) كلهم من طريق خالد بن يزيد بن أبي مالك عن أبيه عن عطاء بن أبي رباح عن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه مرفوعاً . وفى إسناده خالد بن يزيد ضعيف ، واتهمه يحيى بن معين . انظر " التقريب " .

قيل : هذا الحديث باطل لا يصح عن رسول الله ﷺ ، فإن أحد رواته خالد بن يزيد بن أبي مالك . قال الإمام أحمد : ليس بشيء ، وقال ابن معين : واه ، وقال النسائي : غير ثقة ، وقال الدارقطني : ضعيف ، وقال يحيى بن معين : لم يرض أن يكذب على أبيه حتى كذب على الصحابة .

فإن قيل : ما تصنعون بالحديث الذى قاله الإمام أحمد : حدثنا الهذيل بن ميمون بن مطرح بن يزيد عن عبيد الله بن زحر عن علي بن يزيد عن القاسم عن أبي أمامة قال : قال رسول الله ﷺ : " **دخلت الجنة فسمعت فيها خَشَفَةً بين يدي ، قلت : ما هذا ؟ قال : بلال . فمضيت فإذا أكثر أهل الجنة فقراء المهاجرين وذرارى المسلمين ، ولم أرى فيها أحداً أقل من الأغنياء والنساء . قيل لي : أما الأغنياء فهم فى الباب يحاسبون ويمحصون ، وأما النساء فألهاهن الأحمران الذهب والحرير ، ثم خرجنا من أحد أبواب الجنة الثمانية ، فلما كنت عند الباب أتيت بكفة فوضعت فيها ووضعت أمتي فى كفة فرجحت بها ، ثم أتى بأبي بكر فوضع فى كفة وجيء بجميع أمتى فوضعوا فى كفة فرجحج أبو بكر ، ثم أتى بعمر فوضع فى كفة ووضعت أمتى فى كفة فرجح عمر ، وعرضت عليّ أمتي رجلاً رجلاً فجعلوا يمرون ، واستبطأت عبد الرحمن بن عوف ، ثم جاء بعد الإياس فقلت : عبد الرحمن ، فقال : بأبي وأمي يا رسول الله ، والذى بعثك بالحق ما خلصت إليك حتى ظننت أني لا أصل إليك إلا بعد المشيبات . قلت : وما ذاك ، قال : من كثرة مالي فأحاسب فأمحص** " [٣٣] .

---

٣٣ ضعيف جداً.

قيل : هذا حديث لا يحتج بإسناده ، وقد أدخله أبو الفرج وهو والذى قبله فى كتاب " الموضوعات " وقال : أما عبيد الله بن زحر فقال يحيى : ليس بشيء ، وعلي بن يزيد متروك ، وقال ابن حبان : عبيد الله يروى الموضوعات عن الأثباء ، وإذا روى عن علي بن يزيد أتى بالطامات ، وإذا اجتمع فى إسناد خبر عبيد الله بن زحر وعلي ابن يزيد والقاسم بن عبد الرحمن لم يكن متن ذلك الخبر إلامما عملته أيديهم .

قال أبو الفرج : وبمثل هذا الحديث الباطل يتعلق جملة المتزهدين ويرون أن المال مانع من السبق إلى الخبر ، ويقولون : إذا كان ابن عوف يدخل الجنة زحفاً لأجل ماله كفى ذلك فى ذم المال ، والحديث لا يصح وحاشا عبد الرحمن المشهود له بالجنة أن يمنعه ماله السبق ، لأن جمع المال مباح ، وإنما المذموم كسبه من غير وجهه ، ومنع الحق الواجب فيه ، وعبد الرحمن منزه عن الحالين .

وقد خلّف طلحة ثلاثمائة حملاً من الذهب ، وخلّف الزبير وغيره ، ولو علموا أن ذلك مذموم لأخرجوا الكل . وكم قاص يتسوف بمثل هذا الحديث يحث على الفقر ويذم الغنى ، ففلله در العلماء الذين يعرفون الصحيح ويفهمون الأصول . انتهى

= أخرجه أحمد (٥/٢٥٩) ، الطبرانى فى " الكبير " (٧٨٦٤، ٧٩٢٣) ، وفى " الأوسط " (٦١٤٦) ، وفى " الصغير" (٩٣٧) ، الخطيب البغدادى فى " تاريخ بغداد " (١٤/٧٨) ، كلهم من طرق عن مطرح بن يزيد عن عبيد الله بن زحر عن علي بن يزيد عن القاسم عن أبي أمامة .

قلت : وهذا إسناد مسلسل بالضعفاء والمتروكين .

قلت : وقد بالغ فى رد هذا الحديث ، وتجاوز الحد فى إدخاله فى لأحاديث الموضوعة المختلقة على رسول الله ﷺ ، وكأنه استعظم احتباس عبد الرحمن بن عوف وهو أحد السابقين الأولين المشهود لهم بالجنة عن السبق إليها ودخول الجنة حبواً ، ورأى ذلك مناقضاً لسبقه ومنزلته التى أعدها الله له فى الجنة ، وهذا وهم منه رحمه الله .

وهب أنه وجد السبيل إلى الطعن فى هذين الخبرين أفيجد سبيلاً إلى القدح فى حديث أبي هريرة ﷺ : أن رسول الله ﷺ قال : " **يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل أغنيائهم بنصف يوم وهو خمسمائة عام**" (٣٤) قال الترمذى : حديث حسن صحيح . وفى حديث ابن عمر الذى رواه مسلم فى صحيحه (٣٥) عن النبي ﷺ : " **إن فقراء المهاجرين يسبقون الأغنياء يوم القيامة بأربعين خريفاً** " ، وفى " مسند الإمام أحمد " عنه عن النبي ﷺ : " **هل تدرون أول من يدخل الجنة ؟** " قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : " **فقراء المهاجرين الذين الذى يتقى بهم المكاره يموت أحدهم وحاجته فى صدره لا يستطيع لها قضاء** " (٣٦) .

---

٣٤ تقدم فى بداية الباب (٢١) .

٣٥ أخرجه مسلم فى " صحيحه " كتاب " الزهد والرقاق " (٢٩٧٩) .

٣٦ **إسناده محتمل التحسين .**

أخرجه أحمد (١٦٨/٢) ، عبد بن حميد فى " مسنده " (٣٥٢) ، البزار كما فى " كشف الأستار " (٣٦٦٥) ، الطبرانى فى " الكبير" (١٥١/١٣، ١٥٢) ابن حبان كما فى " الإحسان " (٧٤٢١) ، أبو نعيم فى " حلية الأولياء " (٣٤٧/١) ، الحاكم (٧١/٢ – ٧٢) ، البيهقى فى " شعب الإيمان " (١٠٣٨٠) ، " البعث والنشور " (٤١٤) ، الآجرى فى " الشريعة " (١١٧٩) ، وأورده الهيثمي =

وفى " جامع الترمذى " من حديث جابر ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال : " **يدخل فقراء أمتى الجنة قبل الأغنياء بأربعين خريفاً** " (٣٧) . فهذا الحديث وأمثاله صحيح صريح فى سبق فقراء الصحابة إلى الجنة لأغنيائهم ، وهم فى السبق متفاوتون ، فمنهم من يسبق خمسمائة عام ، ومنهم من يسبق بأربعين عاماً ، ولا يقدح ذلك فى منزلة المتأخرين فى الدخول فإنهم قد يكونون أرفع منزلة ممن سبقهم إلى الدخول وإن تأخروا بعدهم للحساب ، فإن الإمام العادل يوقف للحساب ويسبقه من لم يلي شيئاً من أمور المسلمين إلى الجنة ، فإذا دخل الإمام العادل بعده كانت منزلته أعلى من منزلة الفقير ، بل يكون أقرب الناس من الله منزلة ، كما فى" صحيح مسلم " عن عبد الله بن عمرو ﷺ عن النبي

= فى " مجمع الزوائد " (٢٥٩/١٠) وقال : رواه أحمد والبزار والطبرانى كلهم من طريق عن معروف بن سويد الجزامي عن أبي عشانة المعافري عن عبد الله ابن عمرو بن العاص .

وفى إسناده معروف بن سويد ذكره ابن حبان فى الثقات وروى عنه جمع ، ووثقه الذهبي فى " الكاشف " (١٤٣/٣) .

٣٧ **صحيح لغيره .**

أخرجه أحمد (٣٢٤/٣) ، الترمذى (٣٢٥٥) ، وقال حديث حسن ، عبد ابن حميد فى " مسنده " (١١١٧) ، من طريق عمرو بن جابر أبو زرعة الحضرمي قال : سمعت جابر بن عبد الله يقول .

وفى إسناده عمرو بن جابر وهو ضعيف ، وله شاهد عند مسلم (٢٩٧٩) فى " صحيحه " من حديث عبد الله بن عمرو ومن حديث أنس بن مالك كما عند الترمذى (٢٣٥٢) ، وإسناده ضعيف ، ومن حديث أبي سعيد الخدري كما عند أحمد (٦٣/٣) وإسناده حسن .

ﷺ قال : " **المقسطون عند الله يوم القيامة على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين الذين يعدلون فى حكمهم وأهليهم وما ولّوا** "(٣٨)

وفى " الترمذى " من حديث أبي سعيد الخدرى ﷺ عن النبي ﷺ : " **إن أحب الناس إلى الله يوم القيامة وأقربهم منه مجلساً إمام عادل ، وأبغض الناس إلى الله يوم القيامة وأشدهم عذاباً إمام جائر** " (٣٩) .

فالإمام العادل والغني قد يتأخر دخول كل منهم للحساب ويكون بعد الدخول أرفع منزلة من الفقير السابق ، ولا يلزم من احتباس عبد الرحمن بن عوف لكثرة ماله حتى يحاسبه عليه ثم يلحق برسول الله ﷺ وأصحابه غضاضة عليه ولانقص من مرتبته ، ولا يضاد ذلك سبقه وكونه مشهوداً له بالجنة .

وأما حديث دخول الجنة زحفاً ، فالأمر كما قال فيه الإمام أحمد رحمه الله : أنه كذب منكر ، وكما قال النسائي : إنه موضوع ومقامات عبد الرحمن وجهاده ونفقاته العظيمة وسبقاته تقتضى دخوله مع المارين كالبرق أو كالطرف أو كأجاويد الخيل ولا يدعه يدخلها زحفاً .

---

٣٨ أخرجه مسلم فى " صحيحه " كتاب " الإمارة " (١٨٢٧) .

٣٩ **إسناده ضعيف** .

أخرجه أحمد (٣/٢٣) ، الترمذى (١٣٢٩) ، وقال حديث حسن غريب ، البغوى فى " شرح السنة " (٢٤٧٢) ، القضاعي فى " مسند الشهاب " (١٣٠٥) ، أبو يعلي فى " مسنده " (١٠٠٣) ، والبيهقى فى " السنن الكبير" (١/٨٨) ، البيهقى فى " شعب الإيمان " (٧٣٦٦) من طرق عن عطية العوفى عن أبي سعيد الخدري . وفى إسناده عطية بن سعد العوفى ضعيف .

فصل

والله سبحانه كما هو خالق الخلق فهو خالق ما به غناهم وفقرهم ، فخلق الغنى والفقر ليبتلى بهما عباده أيهما أحسن عملاً ، وجعلهما سبباً للطاعة المعصية والثواب والعقاب قال تعالى : ﴿ **وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ** ﴾ [الأنبياء : ٣٥] قال ابن عباس رضى الله عنها : " بالشدة والرخاء والصحة والسقم والغنى والفقير والحلال والحرام وكلها بلاء " [٤٠] . وقال ابن زيد : " نبلوكم بما تحبون وبما تكرهون ، لننظر كيف صبركم وشكركم فيما تحبون وما تكرهون " . وقال الكلبي : " الشر بالفقر والبلاء ، والخير بالمال والولد " فأخبر سبحانه أن : الغنى والفقر مطيتا الابتلاء والامتحان .

وقال تعالى : ﴿ **فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ (١٥) وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ (١٦)** ﴾ [الفجر : ١٥ - ١٦] فأخبر سبحانه أنه يبتلى عبده بإكرامه له وبتنعيمه له ، وبسط الرزق عليه كما يبتليه بتضيق الرزق وتقديره عليه ، وأن كليهما ابتلاء منه وامتحان ، ثم أنكر سبحانه على من زعم أن بسط الرزق وتوسعته إكرام من الله لعبده وأن تضيقه عليه إهانة منه له ، فقال : ﴿ **كلا** ﴾ أي : ليس الأمر كما يقول الإنسان بل قد ابتلي بنعمتى وأنعم ببلائى ، وإذا تأملت ألفاظ الآية وجدت هذا المعنى

---

٤٠ **إسناده صحيح .**

أخرجه ابن جرير الطبرى فى " تفسيرة " (٢٤٥٨٧) ، اللالكائى فى " شرح أصول الاعتقاد " (١٠٠٧) ، ابن أبي حاتم فى " تفسيره " (٢٤٥٢/٨) ، وأورده السيوطى فى " الدر المنثور " (٦٢٩/٥ - ٦٣٠) .

يلوح على صفحاتها ظاهراً للمتأمل . وقال تعالى : ﴿ **وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ** ﴾ [الأنعام : ١٦٥] وقال تعالى : ﴿ **إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً** ﴾ [الكهف : ٧] فأخبر سبحانه أنه زين الأرض بما عليها من المال وغيره للإبتلاء والامتحان ، كما أخبر أنه خلق الموت والحياة لذلك ، وخلق السموات والأرض لهذا الابتلاء أيضاً ، فهذه ثلاثة مواضع فى القرآن يخبر فيها سبحانه أنه : خلق العالم العلوي والسفلي وما بينهما ، وأجل العالم وأجل أهله ، وأسباب معائشهم التى جعلها زينة للأرض من الذهب والفضة والمساكن والملابس والمراكب والزروع والثمار والحيوان والنساء والبنين وغير ذلك كل ذلك خلقه للإبتلاء والامتحان ، ليختبر خلقه أيهم أطوع له وأرضى فهو الأحسن عملاً .

وهذا هو الحق الذى خلق به وله السموات والأرض وما بينهما وغايته الثواب والعقاب ، وفواته وتعطيله هو العبث الذى نزه الله نفسه عنه ، وأخبر أنه يتعالى عنه ، وأنه ملكه الحق وتفرده بالإلهية وحده وبربوبية كل شيء ينفي هذا الظن الباطل والحساب الكاذب ، كما قال تعالى : ﴿ **أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ (١١٥) فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ (١١٦)** ﴾ [المؤمنون : ١١٥ – ١١٦] فنزه سبحانه نفسه عن ذلك كما نزها عن الشريك والولد والصاحبة وسائر العيوب والنقائص من السنة والنوم واللغوب والحاجة واكتراثه بحفظ السموات والأرض ، وتقدم الشفعاء بين يديه بدون إذنه كما يظنه أعدائه المشركون الذين يخرجون عن علمه جزئيات العالم

أو شيئاً منها، فكما أن كماله المقدس وكمال أسمائه وصفاته يأبى ذلك ويمنع منه ، فكذلك يبطل خلقه لعباده عبثاً وتركهم سدى لا يأمرهم ولا ينهاهم ولا يردهم إليه ، فيثيب محسنهم بإحسانه ومسيئهم بإساءته ، ويعرف المبطلون منهم أنهم كانوا كاذبين ، ويشهدهم ان رسله وأتباعهم كانوا أولى بالصدق والحق منهم ، فمن أنكر ذلك فقد أنكر ألهيته وربوبيته وملكه الحق ، وذلك عين الجحود والكفر به سبحانه ، كما قال المؤمن لصاحبه الذى حاوره فى المعاد وأنكره : ﴿ **أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً** ﴾ [الكهف : ٣٧] فأخبر أن إنكاره للمعاد كفر بذات الرب سبحانه .

وقال تعالى : ﴿ **وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَإِذَا كُنَّا تُرَاباً أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ** ﴾ [الرعد : ٥] وذلك أن إنكار المعاد يتضمن إنكار قدرة الرب وعلمه وحكمته ومُلكه الحق وربوبيته وإلهيته كما أن تكذيب رسله وجحد رسالتهم يتضمن ذلك أيضاً ، فمن كذّب رسله وجحد المعاد ، فقد أنكر ربوبيته سبحانه ، ونفى أن يكون ربُّ العالمين .

والمقصود أنه سبحانه وتعالى خلق الغنى والفقر مطيتين للابتلاء والامتحان ، ولم يُنَزِّل المال لمجرد الاستمتاع به ، كما فى " المسند " عنه ﷺ قال : " **يقول الله تعالى إنا نزّلنا المال لإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، ولو كان لابن آدم واد من مال لابتغى إليه ثانياً ، ولو كان له ثان لابتغى إليه ثالثاً ، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب** " [٤١] .

---

٤١ **صحيح لغيره.**

فأخبر سبحانه أنه أنزل المال ليستعان به على إقامة حقه بالصلاة ، وإقام حق عبده بالزكاة لا للاستمتاع والتلذذ كما تأكل الأنعام .

فإذا زاد المال على ذلك أو خرج عن هذين المقصودين ؛ فإن الغرض والحكمة التى أُنزل لها كان التُّرابُ أولى به ، فرجع هو والجوف الذى امتلأ به بما خُلق له من الإيمان والعلم والحكمة فإنه خلق لأن يكون وعاء لمعرفة ربه وخالقه ، والإيمان به ، ومحبته وذكره ، وأنزل عليه من المال ما يستعينُ به على ذلك ، فعطَّل الجاهل بالله وبأمر الله وبتوحيد الله وبأسمائه وصفاته جوفه عما خُلق له وملأه بمحبة المال الفانى الذاهب الذى هو ذاهب عن صاحبه أو بالعكس ، وجَمعِه والاستكثار منه ، ومع ذلك فلم يمتلئ بل ازداد فقراً وحرصاً إلى أن امتلأ جوفه بالتراب الذى خُلق منه فرجع إلى مادته الترابية التى خُلق منها هو وماله ، ولم تتكمّل مادته بامتلاء جوفه من العلم والإيمان الذين بهما كماله وفلاحه وسعادته فى معاشه ومعاده . فالمال إن لم ينفع صاحبه ضرَّه ولابد ، وكذلك العلم والملك والقدرة كل ذلك إن لم ينفعه ضرَّه فإن هذه الأمور وسائل لمقاصد يتوسل بها إليها فى

= أخرجه أحمد (٥/٢١٩) ، أبو عبيد فى" فضائل القرآن " (صـــ٣٢٢ - ٣٢٣) الطبرانى فى " الكبير " (٣٣٠٠ - ٣٣٠١) ، وفى " الأوســط " (٢٤٦٧) الدولابي فى " الكنى والأسماء " (٥٩/١) ، والقضاعى فى " مسند الشهاب " (١٤٤٢) ، البيهقى فى " شعب الإيمان " (١٠٢٨١) من طريق هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي واقد الليثي .

قلت : وفى إسناده هشام بن سعد المدني وهو مختلف فيه ، وله شاهد من حديث عبد الله بن عباس كما عند البخارى (٦٤٣٦) ، ومسلم (٤٩) .

الخير والشر ، فإن عُطِّلت عن التوسل بها إلى المقاصد والغايات المحمودة تُوُسل بها إلى أضدادها ، فأربح الناس من جعلها وسائل إلى الله والدارا الآخرة وذلك الذى ينفعه فى معاشه ومعاد ، وأخسرُ الناس من توسل بها إلى هواه ونيل شهواته وأغراضه العاجلة فخسر الدنيا والآخرة ، فهذا لم يجعل الوسائل مقاصد ، ولو جعلها كذلك لكان خاسراً ، لكنه جعلها وسائل إلى ضدِّ ما جُعلت له ، فهو بمثابة من توسل بأسباب اللذة إلى أعظم الآلام وأدوائها .

فالأقسام أربعة لا خامس لها :

أحدها : معطل الأسباب معرضٌ عنها .

الثاني : مُكبٌّ عليها واقفٌ مع جمعها وتحصيلها .

الثالث : متواصل بها إلى ما يضره ولا ينفعه فى معاشه ومعاده فهؤلاء الثلاثة فى الخسران .

الرابع : متوصل بها إلى ما يضره فى معاشه ومعاده وهو الرابحُ .

قال تعالى : ﴿ **مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ (١٥) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾ [هود : ١٥ – ١٦]

وقد أشكل فهمُ هذه الآية على كثير من الناس حيث فهموا منها : أن من كان له إرادة فى الدنيا وزينتها فله هذا الوعيد ، ثم اختلفوا فى معناها :

فقالت طائفة منهم ابن عباس : من كان يريد تعجيل الدنيا فلا يؤمن بالبعث ولا بالثواب ولا بالعقاب . قالوا : والآية فى الكفار خاصة على قول ابن عباس .

وقال قتادة : من كانت الدنيا همه وسَدمَه [٤٢] ونيته وطلبه جازاه الله فى الدنيا بحسناته ثم يفضي إلى الآخرة وليس له حسنة يجازى بها وأما المؤمن فيجزى فى الدنيا بحسناته ويثاب عليها فى الآخرة .

قال هؤلاء : فالآية فى الكفار بدليل قوله : ﴿ **أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾ [هود : ١٦] .

قالوا : والمؤمن يريد الدنيا والآخرة ، فأما من كانت إرادته مقصورة على الدنيا فليس بمؤمن .

وقال ابن عباس رضى الله عنهما فى رواية أبي صالح عنه : نزلت فى أهل القبلة .

قال مجاهد : هم أهلُ الرياء .

وقال الضحاك : من عمل صالحاً من أهل الإيمان من غير تقوى عُجِّل له ثوابُ عمله فى الدنيا .

واختار الفراء هذا القول ، وقال : من أراد بعمله من أهل القِبلة ثواب الدنيا عُجِّل له ثوابه ولم يُبخَس .

وهذا القول أرجح ومعنى الآية على هذا : من كان يريد بعمله الحياة الدنيا وزينتها وهذا لا يكون مؤمناً ألبتة ، فإن العاصى والفاسق

---

٤٢ أى حريص عليها ومهتم بها .

ولو بالغا فى المعصية والفسق فإيمانهما يحملُهما على أن يعملا أعمال البر لله فيريدان بأعمال البرِّ وجه الله وإن عملا بمعصيته ، فأما من لم يرد بعمله وجه الله إنما أراد به الدنيا وزينتها فهذا لا يدخل فى دائرة أهل الإيمان ، وهذا هو الذى فهمه معاوية من الآية ، واستشهد بها على حديث أبي هريرة الذى رواه مسلم فى " صحيحه " [٤٣] فى الثلاثة الذين هم أول من تُسعَّر بهم النار يوم القيامة : القارئ الذى قرأ القرآن ليقال فلان قارئ ، والمتصدقُ الذى أنفق أمواله ليقال فلان جواد ، والغازى الذى قتل فى الجهاد ليقال هو جريء .

وكما أن خيار خلق الله هم الأنبياء والصديقون والشهداء والصالحون ، فشرار الخلق من تشبه بهم وليس منهم ، فمن تشبه بأهل الصدق والإخلاص وهو مُراءٍ كمن تشبه بالأنبياء وهو كاذب .

وقال ابن أبي الدنيا : حدثنى محمد بن إدريس قال : أخبرنى عبد الحميد بن صالح حدثنا قطن بن الحباب عن عبد الوارث عن أنس بن مالك ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : " **إذا كان يوم القيامة صارت أمتي ثلاث فِرَقٍ فرقةً يعبدون الله عز وجل للدنيا ، وفرقة يعبدون رياءً وسمعةً ، وفرقة يعبدونه لوجهه ولداره ، فيقول للذين كانوا يعبدونه للدنيا : بعزتي وجلالي ومكاني ما أردتم بعبادتي ؟ فيقولون : بعزتك وجلالك ومكانك للدنيا ، فيقول : إنّي لم أقبل من ذلك شيئاً اذهبوا بهم إلى النار . ويقول للذين كانوا يعبدون رياً وسمعة : بعزتي وجلالي ومكاني ما أردتم من عبادتي ؟ فيقولون : بعزتك وجلالك ومكانك رياءً وسمعةً . فيقول : إنّي لم أقبل من ذلك شيئاً اذهبوا بهم إلى**

---

٤٣ أخرجه مسلم فى " صحيحه " كتاب " الإمارة " (١٩٠٥) .

النار . ويقول للذين كانوا يعبدونه لوجه وداره : بعزتي وجلالي ومكاني ما أردتم بعبادتي ؟ فيقولون : بعزتك وجلالك ومكانك وجهك ودارك ، فيقول : صدقتم اذهبوا بهم إلى الجنة " [٤٤] .

هذا حديث غنيٌ عن الإسناد والقرآن والسنة شاهدان بصدقه ، ويدل على صحة هذا القول فى الآية قوله تعالى : ﴿ **نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا** ﴾ [هود : ١٥] وذلك على أنها فى قوم لهم أعمال لم يريدوا بها وجه الله ، وأنهم أرداوا بها الدنيا ولها عملوا ، فوفاهم الله ثواب أعمالهم من غير بخس وأفضوا إلى الآخرة بغير عمل يستحقون عليه الثواب ، وهذا لا يقع ممن يؤمن بالآخرة إلا كما يقع منه كبائر الأعمال وقوعاً عارضاً يتوب منه ويراجعُ التوحيد .

وقال ابن الأنباري : فعلى هذا القول المعنى فى قوم من أهل الإسلام يعملون العمل الحسن لتستقيم به دنياهم غير متفكرين فى الآخرة وما ينقلبون إليه ، فؤلاء يعجل جزاء حسناتهم ، فإذا جاءت الآخرة ، كان جزاؤهم عليها النار إذا لم يريدوا بها وجه الله ، ولم يقصدوا التماس ثوابه وأجره .

ثم أورد أصحاب هذا القول على أنفسهم سؤالاً قالوا : فإن قيل : الآية الثانية على هذا القول توجب تخليد المؤمن المريد بعمله الدنيا فى النار .

---

٤٤ أخرجه ابن أبي الدنيا فى " ذم الدنيا " (٤١٣) ، البيهقى فى " الشعب " (٦٨٠٨) ، وفى إسناده عبد الوارث ، مولى أنس منكر الحديث .

وأجابوا عنه : بأن ظاهر الآية يدل على أن من راءى بعمله ولم يلتمس به ثواب الآخرة بل كانت نيته الدنيا فإن الله يبطل إيمانه عند الموافاة فلا يوافي ربَّه بالإيمان ، قالوا : ويدل عليه قوله : **﴿ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾** [هود : ١٦] ، وهذا يتناول أصل الإيمان وفروعه .

وأجابت فرقة أخرى : بأن الآية لا تقتضى الخلود الأبدى فى النار وإنما تقتضى أن الذى يستحقونه فى الآخرة النار ، وأنهم ليس لهم عمل صالح يرجون به النجاة ، فإذا كان مع أحدهم عمود التوحيد فإنه يخرج به من النار مع من يخرج من أصحاب الكبائر الموحِّدين ، وهذا هو جواب ابن الأنباري وغيره .

والآيةُ بحمد الله لا إشكال فيها والله سبحانه ذكر جزاء من يريد بعمله الحياة الدنيا وزينتها وهو النار ، وأخبر بحبوط عمله وبطلانه فإذا احبط ما ينجو به وبطل لم يبق معه ما ينجيه ، فإن كان معه إيمان لم يرد به الدنيا وزينتها بل أراد الله به والدار الآخرة ، لم يدخل هذا الإيمان فى العمل الذى حبط وبطل ، وأنجاه إيمانه من الخلود فى النار وإن دخلها بحبوط عمله الذى به النجاة المطلقة .

والإيمان إيمانان : إيمانٌ يمنع من دخول النار ، وهو : الإيمان الباعثُ على أن تكون الأعمال لله يُبتغى بها وجهه وثوابه . وإيمان يمنع الخلود فى النار وأن كان مع المرائي شيء منه ، وإلا كان من أهل الخلود ؛ فالآية لها حكمُ نظائرها من آيات الوعيد ، والله الموفق .

وذلك قوله : **﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾**

[الشورى : ٢٠] ، ومنه قوله : ﴿ **مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُوماً مَدْحُوراً (١٨)وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُوراً (١٩)** ﴾ [الإسراء : ١٨ – ١٩] .

فهذه ثلاثة مواضع من القرآن يشبه بعضُها بعضاً ، ويصدق بعضُها بعضاً وتجتمع على معنى واحد ، وهو : أن من كانت الدنيا مراده ، ولها يعمل فى غاية سعيه لم يكن له فى الآخرة نصيب ، ومن كانت الآخرة مراده ، ولها يعمل وهى غاية سعيه فهي له .

بقي أن يقال : فما حكم من يريد الدنيا والآخرة فإنه داخل تحت حكم الإرادتين فبأيهما يلحق ؟ قيل : من هاهنا نشأ الإشكال وظن من ظن من المفسرين أن الآية فى حق الكافر ، فإنه هو الذى يريد الدنيا دون الآخرة ، وهذا غير لازم طرداً ولا عكساً ، فإن بعض الكفار قد يريد الآخرة ، وبعض المسلمين قد لا يكون مراده من إلا الدنيا ، والله تعالى قد علق السعادة بإرادة الآخرة ، والشقاوة بإرادة الدنيا ، فإذا تجردت الإرادتان تجرد موجبها ومقتضاها ، وإن اجتمعتا فحكم اجتماعهما حكم اجتماع البر والفجور والطاعة والمعصية والإيمان والشرك فى العبد ، وقد قال تعالى لخير الخلق بعد الرسل : ﴿ **مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ** ﴾ [آل عمران : ١٥٢] وهذا خطاب للذين شهدوا معه الواقعة ولم يكن فيهم منافق ، ولهذا قال عبد الله بن مسعود ﷺ : " ما شعرت أن أحد أصحاب الرسول ﷺ يريد الدنيا حتى كان يومُ أحد ونزلت هذه الآية " (٤٥) ، والذين أُريدوا فى

---

٤٥ **إسناده ضعيف.** =

هذه الآية هم الذين أخلوا مركزهم الذى أمرهم رسول الله ﷺ بحفظه وهم من خيار المسلمين ، ولكن هذه إرادة عارضة حملتهم على ترك المركز والإقبال على كسب الغنائم بخلاف ما كان مراده بعمله الدنيا وعاجلها ، فهذه الإرادة لون وإرادة هؤلاء لون .

وههنا أمر يجب التنبيه له ؛ وهو : أنه لا يمكن إرادة الدنيا وعاجلها بأعمال البر دون الآخرة مع الإيمان بالله ورسوله ولقائه أبداً ، فإن الإيمان بالله والدار الآخرة يستلزم إرادة العبد لرحمة الله والدار الآخرة بأعماله ، حيث كان مراده بها الدنيا فهذا لا يجامع الإيمان أبداً وإن جامع الإقرار والعلم فالإيمان وراء ذلك ، والإقرار والمعرفة حاصلان لمن شهد اللهُ سبحانه له بالكفر مع هذه المعرفة كفرعون وثمود واليهود الذين شاهدوا رسول الله ﷺ وعرفوه كما عرفوا أبناءهم وهم من أكفر الخلق ، فإرادة الدنيا وعاجلها بالأعمال قد تجامع هذه المعرفة والعلم ، ولكن الإيمان الذى هو وراء ذلك لابد أن يريد صاحبه بأعماله الله والدار الآخرة ، والله المستعان .

والمقصود : أنه سبحانه جعل الغنى والفقر ابتلاءً وامتحاناً للشكر والصبر والصدق والكذب والإخلاص والشرك . قال تعالى : **﴿ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ﴾** [الأنعام : ١٦٥] ، وقال تعالى : **﴿ الم (١) أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ**

= أخرجه ابن جرير الطبرى فى " تفسيره " (٨٠٣١) ، ابن أبي حاتم فى " تفسيره " (١٦٤٩) ، الطبرانى فى " الأوسط " (١٣٩٩) ، ابن أبي شيبة فى " مصنفه " (٣/٣١٤) ، كما فى " المطالب " .

وإسناده ضعيف من أجل أسباط بن نصر .

مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ (٣) ﴾ [العنكبوت : ١ – ٣] ، وقال تعالى : ﴿ **إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ** ﴾ [التغابن : ١٥] فجعل الدنيا عرضاً عاجلاً ومتاع غرور ، وجعل الآخرة دار جزاء وثواب ، وحفَّ الدنيا بالشهوات وزينها بها ، كما قال تعالى : ﴿ **زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ** ﴾ [آل عمران :١٤] فأخبر سبحانه أن هذا الذى زيّن به الدُنيا من ملاذِّها وشهواتها وما هو غاية أمانى طلابها ومؤثريها على الآخرة وهو سبعة أشياء :

النساء اللاتى هنَّ أعظم زينتها وشهواتها وأعظمها فتنة .

والبنين الذين بهم كمالُ الرجل وفخره وكرمُه وعزُّه .

والذهب والفضة اللذان هما مادة الشهوات على اختلاف أجناسها وأنواعها .

والخيل المسومة التى هى عزُّ أصحابها وفخرهم وحصونهم ، وآلة قهرهم لأعدائهم فى طلبهم وهربهم .

والأنعام التى منها ركوبهم وطعامهم ولباسهم وأثاثهم وأمتعتهم وغير ذلك من مصالحهم .

والحرث الذى هو مادة قوتهم وقوت أنعامهم ودوابهم وفاكهتهم وأدويتهم وغير ذلك .

ثم أخبر سبحانه أن ذلك كله متاع الحياة الدنيا ، ثم شوَّق عباده إلى متاع الآخرة ، وأعلمهم أنه خير من هذا المتاع وأبقى ، فقال : ﴿ **قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا**

الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ [آل عمران : ١٥] ، ثم ذكر سبحانه من يستحق هذا المتاع ومن هم أهله الذين هم أولى به ، فقال : ﴿ **الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (١٦) الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ(١٧)** ﴾ [آل عمران : ١٦ ، ١٧] ، فأخبر سبحانه أن ما أعدَّ لأوليائه المتقين من متاع الآخرة خير من متاع الدنيا وهو نوعان : ثواب يتمتعون به ، وأكبرُ منه وهو رضوانُه عليهم قال تعالى : ﴿ **اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرّاً ثُمَّ يَكُونُ حُطَاماً وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ** ﴾ [الحديد : ٢٠] ، فأخبر سبحانه عن حقيقة الدنيا بما جعله مشاهداً لأولي البصائر ، وأنها لعبٌ ولهوٌ تلهو بها النفوس ، وتلعب بها الأبدان ، واللعب واللهو لا حقيقة لهما ، وأنهما مشغلة للنفس مضيعة للوقت يقطع بها الجاهلون الوقت والعمر فيذهب ضائعاً فى غير شيء .

ثم أخبر : أنها زينة زُينت للعيون والنفوس فأخذت بالعيون وبالنفوس استحساناً ومحبة ، ولو باشرت القلوب معرفة حقيقتها ومآلها ومصيرها لأبغضتها ، ولآثرت عليها الآخرة ، ولما آثرتها على الآجل الدائم الذى هو خير وأبقى .

قال الإمام : حدثنا وكيع حدثنا المسعودى عن عمرو بن مرة عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله ﷺ عن النبي ﷺ قال : " **مالي وللدنيا ،**

إنما مثلي ومثل الدنيا ، كمثل راكب قال [٤٦] في ظل شجرة في يوم صائف ، ثم راح وتركها " [٤٧].

وفي " جامع الترمذي " من حديث سهل بن سعد قال : قال رسول الله ﷺ " **لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شُربة ماء** " [٤٨] . قال الترمذي : حديث صحيح .

---

٤٦ أي وقت القيلولة .

٤٧ **صحيح .**

أخرجه أحمد (٣٩١/١ ، ٤٤١) ، وفي " الزهد " (١٣ ، ١٨) ، الترمذي (٢٣٧٧) وقال هذا حديث حسن صحيح ، ابن ماجة (٤١٠٩) أبو داود الطيالسي في " مسنده " (٢٧٧) ، ووكيع في " الزهد " (٦٤) ، وهناد بن السري في " الزهد " (٦٨٣) ، أبو يعلي في " مسنده " (٥٢٢٩ ، ٥٥٩٢) ، ابن أبي الدنيا في " ذم الدنيا " (١٣٣) ، وفي " قصر الأمل " (١٢٦) ، ابن سعد في " طبقاته " (١٦٧/١) ، الطبراني في " الأوسط " (٣١٠/٤) ، أبو نعيم في " حلية الأولياء " (٢٠٢/٢ ، ٢٦٤/٤) ، ابن أبي عاصم في " الزهد " (١٨٣) ، الحاكم (٣١٠/٤) ، البيهقي في " شعب الإيمان " (١٠٤٥١) ، وفي " دلائل النبوة " (٢٩٢/١) ، أبو الشيخ في " أخلاق النبي ﷺ " (١٦٥) ، كلهم من طرق عن المسعودي عن عمرو بن مرة عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله ﷺ .

قلت : وفي إسناده المسعودي مختلط وقد روى عن وكيع قبل الاختلاط كما عند أحمد في " مسنده " المصدر السابق .

٤٨ **صحيح بمجموع طرقه .**

أخرجه الترمذي (٢٣٢٠) ، وقال هذا حديث صحيح غريب من هذا الوجه ، أبو نعيم في " حلية الأولياء " (٢٥٣/٣) ، ابن ماجة (٤١١٠) ، وأورده العلامة محمد ناصر الدين الألباني في " الصحيحة " (٦٨٦) فانظره هناك فقد أجاد وأفاد

وفى " صحيح مسلم " من حديث المُستَورِدِ بن شداد : قال رسول الله ﷺ : " **ما الدنيا فى الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه فى اليّمِّ فلينظر بما يرجع ، وأشار بالسبابة** " (٤٩) .

وفى " الترمذى " من حديثه قال : كنت مع الرَّكب الذين وقفوا مع رسول الله ﷺ على السَخْلَةِ الميتة ، فقال رسول الله ﷺ : " **أترون هذه هانت على أهلها حتى ألقوها** " ، قالوا : ومن هوانها ألقوها يا رسول الله ، قال : " **فالدنيا أهونُ على الله من هذه على أهلها** " (٥٠) .

وفى " الترمذى " أيضاً من حديث أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : " **الدنيا ملعونة ، ملعون ما فيها ، إلا ذكر الله وما والاه ، وعالماً أو متعلماً** " (٥١) . والحديثان حسنان .

---

٤٩ أخرجه مسلم فى كتاب " الجنة وصفة نعيمها وأهلها " (٢٨٥٨) .

٥٠ **حسن لشواهده .**

أخرجه أحمد (٤/٢٢٩) ، الترمذى (٢٣٢١) وقال حديث المستورد حديث حسن ، ابن ماجة (٤١١١) ، الطبرانى فى " الكبير " (٢٠/٢٤٩) ، عبد الله بن المبارك فى " الزهد " (٥٠٨) ، وابن أبي الدنيا فى " ذم الدنيا " ، البغوى فى " شرح السنة " (٤٠٢٥) كلهم من طرق عن مجالد بن سعيد عن قيس بن أبي حازم عن المستورد بن شداد .

وفى إسناده مجالد بن سعيد ضعيف ، وله شاهد من حديث جابر بن عبد الله كما عند مسلم فى " صحيحه " (٢٩٥٧) .

٥١ **صحيح لغيره .**

أخرجه الترمذى (٢٣٢٢) ، وقال هذا حديث حسن غريب ، ابن ماجة (٤١١٢) ، ابن عبد البر فى " جامع بيان العلم وفضله " (١/١٣٤) ، البيهقى فى " شعب الإيمان " (١٧٠٨) ، ابن أبي عاصم فى " الزهد " (١٢٦) ، =

قال الإمام أحمد : حدثنا هيثم بن خارجة : أنبأنا إسماعيل بن عياش عن عبد الله بن دينار البهراني قال : قال عيسى عليه السلام للحواريين " بحق ما أقول لكم : إن حلاوة الدنيا مرارةُ الآخرة ، وإن مرارة الدنيا حلاوة الآخرة ، وأن عباد الله ليسوا بالمتنعمين ، بحقٍ أقول لكم : إن شركم عملاً عالمٌ يحبُ الدنيا ويؤثرها على الآخرة ، أنه لو يستطيع جعل الناس كلهم في عمله مثله " (٥٢) .

وقال أحمد : حدثنا يحيى بن إسحاق ، قال : أخبرني سعيد بن العزيز عن مكحول قال : قال عيسى بن مريم عليه السلام : " يا معشر الحواريين أيّكم يستطيع أن يبني على موج البحر داراً ؟ " قالوا : يا روح الله ومن يقدر على ذلك ؟ قال : " إياكم والدنيا فلا تتخذوها قراراً " (٥٣) .

= عبد الله بن أحمد في " زوائد الزهد " (صــ١٧٠) ، الآجري في" أخلاق العلماء " (صــ ٤٢) العقيلي في " الضعفاء " (٣٢٦/٢) ، البغوي في " شرح السنة " (٢٢٩/١٤ – ٢٣٠) ، البزار كما في " مسنده " (٣٣١٠) .

٥٢ **إسناده ضعيف .**

أخرجه أحمد في " الزهد " (صــ١١٩) ، ابن أبي الدنيا في " ذم الدنيا " (١٣٨) من طريق إسماعيل بن عياش عبد اله بن دينار البهراني قوله .

وفي إسناده عبد الله بن دينار البهراني الحمصي أبو محمد ضعيف .

أنظر " التقريب " .

٥٣ **إسناده حسن.**

أخرجه أحمد في " الزهد " (صــ١١٨) من طريق هيثم بن خارجه أنبأنا ابن علاق عن زرعه عن إبراهيم قال :

وفى كتاب " الزهد " لأحمد بن حنبل : أن عيسى بن مريم عليه السلام كان يقول : " بحق أقول لكم : إن أكل الخبز وشرب الماء العَذْب ونوماً على المزابل مع الكلاب كثير لمن يريد أن يرث الفردوس " (٥٤) .

وفى " المسند " عنه ﷺ : " **إن الله ضرب طعام ابن آدم مثلاً للدنيا وإن قَزَّحَهُ وملَّحَهُ ، فلينظر إلى ماذا يصير** " (٥٥) .

---

٥٤ **إسناده ضعيف .**

أخرجه أحمد في " الزهد " (صـــ٧٦) من طريق هيثم بن خارجه أنبأنا الجراح بن مليح من أهل حمص عن الأحمسي يعني عمرو بن عمرو قال الهيثم فقيل من اليمن عن ابن عمر وقال بلغنا عن عيسي عليه السلام .

وفي إسناده عمرو بن عمرو مجهول .

٥٥ **إسناده ضعيف .**

أخرجه أحمد (١٣٦/٥) ابن أبي الدنيا في " الجوع " (١٦٥) وابن حبان كما في " الإحسان " (٧٠٢) الطبراني في " الكبير " (٥٣١) أبو نعيم في " حلية الأولياء " (٢٥٤/١) ابن أبي عاصم في " الزهد " (٢٠٥) البيهقي في " شعب الإيمان " (١٠٤٧٣) وفي " الزهد الكبير" (٤١٢) الهثيم بن كليب في " مسنده " (١٥٠١) ابن أبي شيبه في" مصنفه " (٣٨٩/١٣) الطيالسي في" مسنده" (٥٤٨) ابن أبي الدنيا في" التواضع والخمول " (٢١١) أبو الشيخ في" الأمثال " (٢٦٩) كلهم من طريقين عن سفيان الثورى عن يونس بن عبيد عن الحسن عن عُتي عن أبي بن كعب .

وفى إسناده الحسن بن أبي الحسن البصرى مدلس وقد عنعن .

ثم أخبر سبحانه وتعالى عنها أنها يُفاخرُ بعضنا بعضاً بها ، فيطلبها ليفخر بها على صاحبه ، وهذا حال كل من طلب شيئاً للمفاخرة من مال أو جاه أو قوة أو علم أو زُهد .

والمفاخرةُ نوعان : مذمومة ومحمودة ..

فالمذمومة : مفاخرة أهل الدنيا .

والمحمودة : أن يطلب المفاخرة فى الآخرة ، فهذه من جنس المنافسة المأمور بها ، وهى أن الرجل ينفس على غيره بالشيء ، ويغار أن يناله دونه ، ويأنف من ذلك ويحمى أنفه له .

يقال : نفست عليه الشيء ، أنفسه نفاسة إذا ضننت به ولم تحب أن يصير إليه دونك ، والتنافس تفاعل من ذلك ، كأن كل واحد من المتنافسين يريد أن يسبق صاحبه إليه ، وحقيقة المنافسة الرَّغبة التَّامة والمبادرة والمسابقة إلى الشيء النفيس .

ثم أخبر تعالى عنها أنها تكاثر فى الأموال والأولاد ، فيجب على كل واحد أن يكثر بنى جنسه فى ذلك ، ويفرح بأن يرى نفسه أكثر من غيره مالاً وولداً وأن يقال فيه ذلك ، وهذا من أعظم ما يُلهي النفوس عن الله والدار الآخرة ، كما قال تعالى : ﴿ **أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ (١) حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ (٢) كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٣) ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٤)** ﴾ [التكاثر: ١ – ٤] والتكاثر فى كل شيء فكل من شغله وألهاه التكاثر بأمر من الأمور عن الله والدار الآخرة ، فهو داخل فى حكم هذه الآية فمن الناس من يلهيه التكاثر بالمال ، ومنهم من يلهيه التكاثر بالجاه أو بالعلم فيجمعه تكاثراً وتفاخراً ، وهذا أسوأ حالاً عند الله ممن يكاثر

بالمال والجاه فإنه جعل أسباب الآخرة للدنيا ، وصاحب المال والجاه استعمل أسباب الدنيا لها وكاثر بأسبابها .

ثم أخبر سبحانه وتعالى عن مصير الدنيا وحقيقتها وأنها بمنزلة غيثٍ أعجب الكفارَ نباتُه .

والصحيح – إن شاء الله – أن الكفارَ هم الكُفارُ بالله ، وذلك عُرْفُ القرآن حيث ذكروا بهذا النعت في كل موضع ، ولو أراد الزُّراع ، لذكرهم باسمهم الذي يُعرفون به كما ذكرهم به في قوله : ﴿ **يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ** ﴾ [الفتح : ٢٩] ، وإنما خصَّ الكُفَّار به لأنهم أشد إعجاباً بالدنيا فإنها دارهم التي لها يعملون ويكدحون ، فهم أشدُّ إعجاباً بزينتها وما فيها من المؤمنين .

ثم ذكر سبحانه عاقبةِ هذا النبات وهو اصفراره ويبسه ، وهذا آخر الدنيا ومصيرها ، ولو ملكها العبد من أولها إلى آخرها فنهايتها ذلك ، فإذا كانت الآخرة انقلبت الدنيا واستحالت إلى عذاب شديد ، أو مغفرة من الله وحسن ثوابه وجزائه ، كما قال علي بن أبي طالب ﷺ : " الدنيا دارُ صِدْقٍ لمن صَدَقها ودارُ عافيةٍ لمن فَهِم عنها ، ومطلبُ نُجْح لمن سالم ، فيها مساجدُ أنبياءِ الله ، ومهبط وحيه ، ومصلى ملائكته ومتجر أوليائه ، فيها اكتسبوا الرحمة ، وربحوا فيها العافية ، فمن ذا يذمها وقد آذَنتْ بنيها ، ونعَت نفسها وأهلها ، فتمثلت ببلائها ، وشوّقت بسرورها إلى السّرور تخويفاً وتحذيراً وترغيباً ، فَذَمَّها قوم غداة النّدامة ، وحمدها آخرون ذكّرتهم فذكروا ، ووعظتهم فاتعظوا ، فيا أيها الذّامُّ للدنيا المغترُّ بتغريرها متى استذمت إليك ، بل متى غرَّتك أبمنازل آبائك في الثرى ، أم بمضاجع أمهاتك في البلا ؟ كم رأيت

موروثاً ، كم علّلت بكفيك عليلاً ، كم مرضت مريضاً بيديك تبتغي له الشفاء ، وتستوصف له الأطباء ؟ ثم لم تنفعه شفاعتُك ، ولم تسعفه طلبتُك ، مُثّلت لك الدنيا غداة مصرعه ومصرعك ومضجعه ومضجعك " .

ثم التفت إلى المقابر فقال : " يا أهل الغربة ويا أهل التربة أما الدور فسكنت ، وأما الأموال فقسمت ، وأما الأزواج فنكحت ، فهذا خبر ما عندنا ، فهاتوا خبر ما عندكم " .

ثم التفت إلينا فقال : " أما لو أذن لهم لأخبروكم أن خير الزاد التقوى " [٥٦] .

فالدنيا فى الحقيقة لا تُذَمُّ وإنما يتوجه الذم إلى فعل العبدفيها ، وهى قنطرة أو معبر إلى الجنة أو إلى النار ، ولكن لما غلبت عليها الشهوات والحظوظ والغفلة والإعراض عن الله والدار الآخرة ، فصار هذا هو الغالب على أهلها وما فيها ، وهو الغالب على اسمها وصار لها اسم الذم عند الإطلاق وإلا فهي مبنى الآخرة ومزرعتها ، ومنها زاد الجنة وفيها اكتسبت النفوس الإيمان ومعرفة الله ومحبته وذكره ابتغاء مرضاته ، وخير عيش ناله أهل الجنة فى الجنة إنما كان بما زرعوه فيها ، وكفى بها مدحاً وفضلاً لأولياء الله فيها من قرة العيون ، وسرور القلوب ، وبهجة النفوس ، ولذة الأرواح ، والنعيم الذى لا يشبه نعيم بذكره ومعرفته ومحبته وعبادته والتوكل عليه والإنابة إليه والأنس به والفرح بقربه والتذلل له ولذّة مناجاته والإقبال عليه

---

٥٦ أخرجه ابن أبي الدنيا فى " ذم الدنيا " (١٤٧) من طريق عبد الله ابن صالح العجلي عن معاذ الحذاء قال : سمع الإمام علي بن أبي طالب .

والاشتغال به عمن سواه ، وفيها كلامه ووحيه وهداه وروحُه الذى ألقاه من أمره فأخبر به من شاء من عباده .

ولهذا فَضَّل ابن عقيل وغيره هذا على نعيم الجنة ، وقالوا : هذا حق الله عليهم وذاك حظهم ونعيمهم ، وحقه أفضل من حقهم .

قالوا : والإيمان والطاعة أفضل من جزائه .

والتحقيق : أنه لا يصح التفضيل بين أمرين فى دارين مختلفتين ، ولو أمكن اجتماعهما فى دار واحدة لأمكن طلب التفضيل .

والإيمان والطاعة فى هذه الدار أفضل ما فيها ، ودخول الجنة والنظر إلى وجه الله جل جلاله وسماع كلامه والفوزُ برضاه أفضلُ ما فى الآخرة .

فهذا أفضلُ ما فى هذه الدار ، وهذا أفضلُ ما فى الدار الآخرى ، ولا يصح أن يقال : فأى الأمرين أفضل ؟ فهذا أفضل الأسباب وهذا أفضل الغايات ، وبالله التوفيق .

ولما وصف سبحانه حقيقة الدنيا وبين غايتها ونهايتها وانقلابها فى الآخرة إلى عذاب شديد ومغفرة من الله وثواب ، أمر عباده بالمسابقة والمبادرة إلى ما هو خير وأبقى ، وأن يؤثره على الفانى المنقطع المَشُوب بالأنكاد والتنغيص .

ثم أخبر أن ذلك فَضْله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ، وقال تعالى : ﴿ **وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِراً** ﴾ [الكهف : ٤٥] .

ثم ذكر سبحانه أن المال والبنين زينة الحياة الدنيا ، وأن الباقيات الصالحات ، وهى : الأعمالُ والأقوالُ الصالحةُ التى يبقى ثوابُها ويدوم جزاؤها خير ما يؤمِّله العبد ويرجو ثوابه .

وقال تعالى : ﴿ **إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَاراً فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾ [يونس : ٢٤] . ولما أخبر عباده عن آفات هذه الدار دعا عباده إلى دار السلام التى سلمت من التغيير والاستحالة والزوال والفناء وَعَمَّ عباده بالدعوة إليها عدلاً ، وخصَّ من شاء بالهداية إلى طريقها فضلاً .

وأخبر سبحانه أن الأموال والأولاد لا تُقَرِّبُ الخلقَ إليه ، وإنما يُقرِّبهُم إليه تقوى الله ومعاملته فيهم ، وحذَّر سبحانه عباده أن تلهيهم أموالُهم وأولادُهم عن ذكره ، وأخبر أن من فعل ذلك فهو الخاسر حقيقة لا من قلَّ ماله وولده فى الدنيا ، ونهى نبيه ﷺ أن يَمُدَّ عينيه إلى ما متَّع به أهل الدنيا فيها فتنة لهم واختباراً ، وأخبر أن رزقه الذى أعدَّه له فى الآخرة خيرٌ وأبقى من هذا الذى مُتِّعوا به ، وأخبر سبحانه أنه أتاه السبع المثاني والقرآن العظيم وذلك خير وأفضل مما مَتَّع به أهل الدنيا فى دنياهم ، وجعل ما آتاه مانعاً له من مَدِّ عينيه إلى ذلك ، فهذا العطاءُ فى الدنيا وما ادّخر له من رزق الآخرة خيرٌ مما مُتِّعَ به أهل الدنيا فلا تَمُدّن عينيك .

وإذا عُرف أن الغنى والفقر والبلاء والعافية فتنةٌ وابتلاءٌ من الله لعبده يمتحن بها صبره وشكره علم أن الصبر والشكر مطيتان للإيمان

لا يُحمَل إلا عليهما ولابد لكل مؤمن منهما ، وكل منهما فى موضعه أفضل ، فالصبر فى مواطن الصبر أفضل ، والشكر فى مواطن الشكر أفضل ، هذا إن صحَّ مفارقة كل واحد منهما للآخر ، وأما إذا كان الصبرُ جزء مسمى الشُكر ، والشُكرُ جزء مسمى الصَّبر ، وكلٌ منهما حقيقة مركّبةٌ من الأمرين معاً كما تقدم بيانه ، فالتفضيل بينهما لا يصحُ إلا إذا جُرِّد أحدُهما عن الآخر ، وذلك فرضٌ ذهني يُقدره الذهن ولا يوجد فى الخارج ، ولكن يصح على وجه وهو : أن العبد قد يغلب صبرُه على شكره الذى هو قَدْر زائد على مجرد الصبر من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة فلا يبقى فيه اتساع لغير صبر النفس على ما هو فيه لقوة الوارد وضيق المحل ، فتتصرف قواه كلُها إلى كف النفس وحبسها لله ، وقد يغلب شكره على صبره بالأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة على قوة كفه لنفسه وحبسها لله فتكون قوة إرادته وعمله أقوى من قوة امتناعة وحبس نفسه .

واعتبر هذا بشخصين أحدهما حاكم على نفسه ، متمكن من حبسها عن الشهوات قليل التَّشكي للمصيبات وذلك جل عمله ، وآخر كثير الإعطاء لفعل الخير القاصر والمتعدى سَمْحُ النفس ببذل المعروف . وآخر ضعيف النفس عن قوة الصبر .

فالنفس قوتان : قوة الصبر والكف وإمساك النفس ، وقوة البذل وفعل الخير والإقدام على فعل ما تكملُ به . وكمالها باجتماع هاتين القوتين فيها .

والناس فى ذلك أربع طبقات ، فأعلاهم من اجتمعت له القوتان ، وسفلتهم من عُدم القوتين ، ومنهم قوة صبره أكمل من قوة فعله وبذله ، ومنهم من هو بالعكس فى ذلك .

فإذا فضل الشكر على الصبر فإما أن يكون باعتبار ترجيح مقام على مقام ، وإما أن يكون باعتبار تجريد كل من الأمرين عن الآخر وقطع النظر عن اعتباره .

وتمام إيضاح هذا بمسألة الغنى الشاكر والفقير الصابر ، فلنذكرُ لها باباً يخصُّها ، ويكشفُ عن الصوابِ فيها .

❋ ❋ ❋

الباب الثاني والعشرون

فى اختلاف الناس فى الغني الشاكر والفقير الصابر أيهما أفضل ؟ وما هو الصواب فى ذلك ؟

هذه مسألة كثُر فيها النِّزاع بين الأغنياء والفقراء واحتجت كلُّ طائفةٍ على الأخرى بما لم يمكنها دفعه من الكتاب والسُّنة والآثار والاعتبار ، ولذلك يظهر للمتأمل تكافؤ الطائفتين ، فإن كلاً منهما أدلت بحُجج لا تُدفع والحقُّ لا يعارض بعضه بعضاً ، بل يجب اتباع موجب الدليل أين كان ، وقد أكثر الناس الكلام فى المسألة من الجانبين ، وصنفوا فيها من الطرفين ، وتكلم الفقهاء والفقراء والأغنياء والصوفية وأهل الحديث والتفسير لشمول معناها وحقيقتها للناس كلهم ، وحكوا عن الإمام أحمد فيها روايتين ذ كرهما أبو الحسين فى كتاب " التمام " فقال : مسألة الفقير الصابر أفضلُ من الغني الشاكر فى أصح الروايتين . وفيه رواية ثانية : الغني الشاكر أفضل . وبها قال جماعة منهم ابن قتيبة .

ووجَّه الأولى واختارها أبو إسحاق بن شاقلا والوالد السعيد .

قوله تعالى : ﴿ **أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا** ﴾ [الفرقان : ٧٥] قال محمد بن على بن الحسين : ﴿ **الْغُرْفَةَ** ﴾ الجنة . ﴿ **بِمَا صَبَرُوا** ﴾ قال : على الفقر فى الدنيا .

وعن أنس عن النبي ﷺ قال : " **اللهم أحينى مسكيناً ، وأمتني مسكيناً ، واحشرني فى زمرة المساكين يوم القيامة** " فقالت عائشة :

ولِمَ يا رسول الله ؟ قال : " **إنهم يدخلون الجنة قبل الأغنياء بأربعين خريفاً ، يا عائشة لا تردى المسكين ولو بشق تمرة ، يا عائشة أحبي المساكين وقربيهم ، فإن الله يُقربك يوم القيامة** " [1] .

قلت : **لا حجة له فى واحدة من الحجتين :**

أما الآية : فالصبر فيها يتناول صبر الشاكر على طاعته ، وصبره عن معصيته ، وصبر المبتلى بالفقر على بلائه ، ولو كان المراد بهذا الصبر على الفقر وحده لم يدل رجحانه على الشكر ، فإن القرآن كما دل على جزاء الصابرين دل على جزاء الشاكرين أيضاً ؛ كما قال تعالى : ﴿ **وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِين** ﴾ [آل عمران : ١٤٥] ، ﴿ **وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ** ﴾ [آل عمران : ١٤٤] . بل قد أخبر أن رضاه فى الشكر ، ورضاه أكبر من جزائه بالجنات وما فيها ، وإذا جزى الله الصابرين الغرفة بما صبروا لم يدل ذلك على أنه لا يجزى الشاكرين الغرفة بما شكروا .

وأما الحديث فلا حجة فيه لوجهين :

أحدهما : أنه لا يحتج بإسناده ، فإنه من رواية محمد بن ثابت الكوفي عن الحارث بن نعمان ، والحارث هذا لم يحتج به أصحاب

---

١ **إسناده ضعيف جداً .**

أخرجه الترمذى (٢٣٥٢) وقال هذا حديث غريب ، ابن الجوزى فى " الموضوعات " (١٤١/٣ – ١٤٢) ، البيهقى فى " السنن الكبير " (١٢/٧) كلهم من طرق عن الحارث بن النعمان الليثي عن أنس بن مالك .

وفى إسناده الحارث بن النعمان قال البخـــارى منكر الحديث كما فى " الموضوعات " لابن الجوزى .

الصحيح ، بل قال فيه البخارى : منكر الحديث ، ولذلك لم يصحح الترمذى حديثه هذا ولا حسنه ولا سكت عنه بل حكم بغرابته .

والجواب الثاني : أن الحديث لو صح لم يدل على مطلوبهم ، وفإن المسكنة التى يُحبها الله ومن عبده ليست مسكنة فقر المال ، بل مسكنة القلب وهو انكساره وذلة وخشوعه وتواضعه لله ، وهذه المسكنة لا تنافي الغنى ولا يشترط لها الفقر ، فإن انكسار القلب لله ومسكنته لعظمته وجلاله وكبريائه وأسمائه وصفاته أفضل وأعلى من مسكنة عدم المال كما أن صبر الواجد عن معاصى الله طوعاً واختياراً وخشية من الله ومحبة له أعلى من صبر الفقير العاجز .

وقد أتى الله جماعة من أنبيائه ورسله الغِنى والملكِ ولم يخرجهم ذلك من المسكنة لله .

قال الإمام أحمد : حدثنا يزيد بن هارون أنبأنا الجريرى عن أبي السليل قال : " كان داود النبي ﷺ يدخل المسجد فينظر أغمص حلقة من بني إسرائيل فيجلس إليهم ، ثم يقول : مسكين بين ظهراني مساكين " (٢) ، وهذا مع ما آتاه الله من الملك والغنى والبَسْطة زيادة على النُبوَّة .

---

٢ **إسناده ضعيف .**

أخرجه أحمد فى " الزهد " (صـ٩٢) من طريق يزيد بن هارون أنبأنا الجريرى عن أبي السليل قال .

وفى إسناده الجريرى وهو سعيد بن إياس مختلط ، وقد روى عنه يزيد ابن هارون بعد الاختلاط .

قال أبو الحسين : وروى أبو برزة الأسلمي قال : قال رسول الله ﷺ : " **إن فقراء المسلمين ليدخلون الجنة قبل أغنيائهم بمقدار أربعين خريفاً حتى يتمنى أغنياء المسلمين يوم القيامة أنهم كانوا فقراء فى الدنيا** " [٣] .

قلت : هذا الحديث ثابت عن النبي ﷺ من رواية جماعة من الصحابة [٤] منهم أبو هريرة ، وعبد الله بن عمرو ، وجابر بن عبد الله وروي عن أبي سعيد وأنس ومالك ، ولا يدل ذلك على عُلو درجتهم إذا دخلوا الجنة قبل الأغنياء ، بل إنما يدل على السبق لعدم ما يحاسبون عليه ، ولا ريب أن وليَّ الأمر العادل يتأخرُ دخوله للحساب وكذلك الغني الشاكر ، ولا يلزم من تأخُّر دخولهما نزول درجتهما عن درجة الفقير كما تقدم ، وإنما تمنى الأغنياء أنهم كانوا فى الدنيا فقراء فإن صحت هذه اللفظة لم تدل على انحطاط درجتهم كما يتمنى القاضى العادل فى بعض المواطن يوم القيامة أن لم يقض بين اثنين فى تمرة لما يرى من شدة الأمر ، فمنزلة الفقر والخمول ، ومنزلة السلامة ومنزلة الغنى والولاية ، ومنزلة الغنيمة أو العطب .

قال أبو الحسين : وروى ابن عمر أن النبي ﷺ قام فى أصحابه فقال : " **أى الناس خير ؟** " فقال بعضهم : غني يعطى حق نفسه وماله

---

٣ أورده الديلمى فى " مسند الفردوس " (٨٨٣) ، " جمع الجوامع " (٦٧١٤) وعزاه السيوطى للديلمي عن أبي برزه ، وفيه نفيع بن الحارث وهو متروك .

٤ تقدم فى بداية الباب الحادى والعشرون .

فقال النبي ﷺ : " **نعم الرجل هذا وليس به ، ولكن خير الناس مؤمن فقير يعطى على جهد** " [٥] .

قلت : لم يُذكر لهذ الحديث إسناد فيُنظر فيه ، وحديثٌ لا يُعلم حاله لا يحتج به ، ولو صح لم يكن فيه دليل ، لأنه تضمن تفضيل فقير يتصدق من جهد فمعه فقر الصابرين وغنى الشاكرين ، فقد جمع بين موجب التفضيل وسببه ، ولا ريب أن هذا أفضل الأقسام الثلاثة ، ودرهمه الواحد يسبق مائة ألف درهم من غيره ، كما قال النبي ﷺ : " **سبق درهمٌ مائة ألف درهم** " قالوا : يا رسول الله كيف سبق درهم مائة ألف درهم ؟ قال : " **رجل كان له درهمان فأخذ أحدهما فتصدق به ، وآخرٌ له مال كثير فأخذ من عرضه مائة ألف فتصدق بها** " [٦]

رواه النسائي من حديث صفوان بن عيسى حدثنا ابن عجلان عن زيد بن أسلم عن أبي صالح عن أبي هريرة ﷺ .

---

٥ **موضوع .**

٦ **إسناده حسن .**

أخرجه النسائي فى " الصغرى " (٥/٥٩) ، ابن حبان كما فى " الإحسان " (٣٣٤٧) ، ابن خزيمة فى " صحيحه "(٢٤٤٣) ، الحاكم (١/٤١٦) ، البيهقى فى " السنن الكبير "(٤/١٨١) ، وأخرجه أحمد (٢/٣٧٩) ، النسائي فى " الصغرى " (٥/٥٩) عن قتيبة بن سعيد عن الليثى عن ابن عجلان عن سعيد المقبرى والقعقاع عن أبي هريرة بلفظ : " **سبق درهم درهمين** " كلهم من طرق عن الليث ابن سعد عن محمد بن عجلان عن سعيد بن أبي سعيد والقعقاع عن أبي هريرة .

وهذا إسناد حسن من أجل محمد بن عجلان فهو حسن الحديث .

وذكر البيهقى من حديث الثورى عن أبي إسحاق عن الحارث عن علي ﷺ قال : جاء ثلاثة نفر إلى النبي ﷺ فقال أحدهم : كانت لي مائة أوقية فتصدقت منها بعشرة أواق ، وقال الآخر : كانت لي مائة دينار فتصدقت منها بعشرة دنانير ، وقال الآخر : كانت لي عشرة دنانير فتصدقت منها بدينار ، فقال : " **كلكم فى الآجر سواء كلكم قد تصدق بعُشر ماله** " (٧) .

وقال أبو سعيد بن الأعرابي حدثنا ابن أبي العوام حدثنا يزيد بن هارون حدثنا أبو الاشهب عن الحسن قال : قال رجل لعثمان بن عفان ﷺ : ذهبتم يا أصحاب الأموال بالخير تتصدقون وتعتقون وتحجون وتنفقون ، فقال عثمان : " وإنكم لتغبطوننا وإنا لنغبطكم ، قال : فوالله لدرهم ينفقه أحدٌ من جهدٍ خيرٌ من عشرة آلاف درهم غيضٍ من فيض " (٨) .

---

٧ **إسناده ضعيف .**

أخرجه أحمد (٩٦/١ ، ١١٤) ، عبد الرزاق فى " مصنفه " (١٠٦/١١) ، البزار فى " مسنده " (٨٤١) ، البيهقى فى " السنن الكبير" (١٨٢/٤) ، الطيالسي فى " مسنده " (١٧٧) ، النسائي فى " الصغرى " (٥٩/٥) ، ابن حبان كما فى " الإحسان " (٣٣٧٧) كلهم من طريق الحارث بن عبد الله الأعور عن علي .

وإسناده ضعيف من أجل الحارث الأعور .

٨ أخرجه ابن المبارك فى " الزهد " (٧٧٠) ، البيهقى فى " شعب الإيمان " (٣١٨٢) ، وإسناده ضعيف ، والحسن وهو البصري مدلس ولم يصرح بالتحديث ولم يسمع من عثمان .

وفى " سنن أبي داود " من حديث الليث عن أبي الزبير عن يحيى بن جعدة عن أبي هريرة أنه قال : يا رسول الله أي الصدقة أفضل ؟ قال : " **جهد المُقل ، وابدأ بمن تعول** " (٩) .

وفى " المسند " و " صحيح ابن حبان " من حديث أبي ذر ﷺ قال : قلت يا رسول الله أي الصدقة أفضل ؟ ، قال : " **جهد من مُقل** " (١٠) .

وفى " سنن النسائي " من حديث علي الأزدى عن عبيد بن عمير عن عبد الله بن حُبشي أن البني ﷺ سُئل أى الأعمال أفضل ؟ قال : " **إيمانٌ لا شك فيه ، وجهاد لا غلول فيه ، وحجة مبرورة** " قيل : فأى الصلاة أفضل ؟ قال : " **طول القيام** " قيل : فأى الصدقة أفضل ؟

---

٩ **صحيح .**

أخرجه أحمد (٣٥٨/٢) ، أبو داود (١٦٧٧) ، ابن أبي الدنيا فى كتاب " العيال " (٤) ، ابن حبان كما فى " الإحسان " (٣٣٤٦) ، ابن خزيمة فى " صحيحه (٢٤٤٤، ٢٤٥١) ، الحاكم (٤١٤/١) ، البيهقى فى " السنن الكبير" (٨٠/٤) كلهم من طرق عن الليث بن سعد عن أبي الزبير عن يحيى بن جعدة وإسناده صحيح ، وله طرق من حديث أبي هريرة وأبو ذر الغفارى وأبو أمامة الباهلي .

١٠ **إسناده ضعيف .**

أخرجه أحمد (١٧٨/٥) ، البزار كما فى " كشف الأستار " (١٦٠) ، ابن حبان كما فى " الإحسان " (٣٦١) ، أبو نعيم فى " حلية الأولياء " (١٦٦/١ ، ١٦٨) ، ابن عدي فى " الكامل " (٢٦٩٩/٧) ، البيهقى فى " السنن الكبير " (٤/٩) ، الطبرانى فى " الأوسط " (٤٧١٨) ، الحاكم (٢٨٢/٢) كلهم من طرق عن عبيد بن الخشخاش عن أبي ذر . وفى إسناد عبيد بن الخشخاش مجهول .

قال : " **جهد من مقل** " قيل : فأى الهجرة أفضل ؟ قال : " **من هجر ما حرم الله عليه** " قيل : فأى الجهاد أفضل ؟ قال : " **من أهريق دمه وعُقر جواده** " [١١] .

وهذه الأحاديث كلهاتدل على أن صدقة جُهد المُقل أفضل من صدقة كثير المال ببعض ماله الذى لا يتبين أثر نقصانه عليه وإن كان كثيراً ، لأن الأعمال تتفاضل عند الله بتفاضل ما فى القلوب لا بكثرتها وصورها ، بل بقوة الداعي وصدق الفاعل وإخلاصه وإيثاره الله على نفسه ، فأين صدقة من آثر الله على نفسه برغيف هو قوته إلى صدقة من أخرج مائة درهم من بعض ماله غيضاً من فيض ، فرغيف هذا درهمه فى الميزان أثقل من مائة ألف هذا ، والله المستعان .

واحتجوا بما رواه ابن عدي من حديث سليمان بن عبد الرحمن حدثنا خالد بن يزيد عن أبيه عن عطاء سمع أبا سعيد الخدرى يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول :" **اللهم توفني فقيراً ولا توفني غنياً** " [١٢]

---

١١ **إسناده حسن .**

أخرجه أحمد (٤١٢/٣) ، أبو داود (١٣٢٥ - ١٤٤٩) ،النسائي (٥٨/٥، ٩٤/٨) ، الدارمي فى " سننه " (٢٧١/١) ، أبو نعيم فى " حلية الأولياء " (١٤/٢) ، ابن الأعرابي فى " معجمه (١١٨٨) ، البيهقى فى " السنن الكبير " (٩/٣) ، ابن أبي عاصم فى " الجهاد "(٢٦) ، وفى " الآحاد والمثانى " (٢٥٢٠) ، البخارى فى " التاريخ الكبير" (١/٣) كلهم من طرق عن حجاج بن محمد الأعور عن ابن جرير قال أخبرنى عثمان بن سليمان عن علي الأزدى قال : حدثنى عبيد ابن عمير عن عبد الله بن حبشي الخثعمى .

١٢ **ضعيف جداً .**

وهذا الحديث لا يصح ، فإن خالد بن يزيد هذا هو خالد بن يزيد بن عبد الرحمن بن أبي مالك الدمشقى أجمعوا على ضعفه وعدم الاحتجاج بحديثه ، قال أحمد : ليس بشيء ، وقال ابن معين : واه ، ونسبه يحيى إلى الكذب ، وقد تقدم فيه .

وقد سُئل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن هذه المسألة ؛ فقال : قد تنازع كثير من المتأخرين فى الغني الشاكر والفقير الصابر أيهما أفضل ؛ فرجح هذا طائفة من العلماء والعباد ، ورجح هذا طائفةأخرى من العلماء والعباد ، وحكى فى ذلك عن الإمام أحمد روايتان .

وأما الصحابة والتابعون رضى الله عنهم فلم يُنقل عن أحدٍ منهم تفضيل أحد الصنفين على الآخر .

وقد قالت طائفة ثالثة : ليس لأحدهما على الآخرى فضيلة إلا بالتقوى ، فأيهما أعظم إيماناً وتقوى كان أفضل ، فإن استويا فى ذلك استويا فى الفضيلة .

وقال : وهذا أصح الأقوال ؛ لأن نصوص الكتاب والسنة إنما تُفَضِّلُ بالإيمان والتقوى ، وقد قال تعالى : ﴿ **إِنْ يَكُنْ غَنِيّاً أَوْ فَقِيراً فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا** ﴾ [النساء : ١٣٥] ، وقد كان فى الأنبياء والسابقين

= أخرجه الطبرانى فى " الدعاء " (١٤٢٦) ، وفى " مسند الشاميين " (١٦١٥) الحاكم (٣٢٢/٤) ، ابن عدي فى " الكامل" (٨٨٤/٣) ، البيهقى فى " السنن الكبير " (١٣/٧) ، البيهقى فى " شعب الإيمان "(٥٤٩٩ ، ١٠٥٠٦) .

وفى إسناده خالد بن يزيد ؛ قال الذهبي فى " ميزان الاعتدال " (٦٤٥/١) مجهول .

الأولين من الأغنياء من هو أفضل من أكثر الفقراء ، وكان فيهم من الفقراء من هو أفضل من أكثر الأغنياء ، والكاملون يقومون بالمقامين فيقومون بالشكر والصبر على التَّمام كحال نبينا ﷺ وحال أبي بكر وعمر رضي الله عنهما .

ولكن قد يكون الفقر لبعض الناس أنفع والغنى لآخرين أنفع ، كما تكون الصحة لبعضهم أنفع والمرض لبعضهم أنفع كما في الحديث الذي رواه البغوي وغيره عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى : " **إن من عبادي من لا يصلحه إلا الغنى ولو أفقرته لأفسده ذلك ، وإن من عبادي من لا يصلحه إلا الفقر ولو أغنيتُه لأفسده ذلك وإن من عبادي من لا يصلحه إلا الصحة ولو أسقمته لأفسده ذلك ، وإن من عبادي من لا يصلحه إلا السَّقَمُ ولو شفيته لأفسده ذلك ، إني أدبر عبادي ، إني بهم خبير بصير** " [١٣] .

وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال : " **إن فقراء المسلمين يدخلون الجنة قبل الأغنياء** " [١٣] .

وفى الحديث الآخر لماعلم الفقراءُ الذكرَ عقب الصلاة بسمع بذلك الأغنياء فقالوا مثل ما قالوا ، فذكر ذلك الفقراءُ للنبي ﷺ فقال : ﴿ **ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ** ﴾ [الحديد : ٢١] [١٤]، فالفقراء يتقدمون فى

---

١٣ أخرجه ابن أبي الدنيا فى كتاب " الأولياء" (١) ، أبو نعيم فى "حلية الأولياء " (٣١٨/٨) ، القضاعي فى " مسند الشهاب " (٣٢٧/٢) ، وأورده الألبانى فى " الصحيحه " (١٨٩/٤) .

١٣ تقدم الكلام عليه الباب السابق .

١٤ سبق الكلام عليه فى الباب السابق .

دخول الجنة لخفَّة الحساب عليهم ، والأغنياء يُؤَخَّرون لأجل الحساب عليهم ، ثم إذا حوسب أحدهم فإن كانت حسناته أعظم من حسنات الفقير كانت درجتُه فى الجنة فوقه ، وإن تأخر فى الدخول . كما أن السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بغير حساب – ومنهم عُكّاشة بن محصن – قد يدخل الجنة بحساب من يكون أفضل من أحدهم فى الدرجات لكن أولئك استراحوا من تعب الحساب .

فهذا فى الفقر المذكور فى الكتاب والسُّنة وهو ضدُّ الغنى الذى يبيح أخذ الزكاة أو الذى لا يوجب الزكاة .

ثم قد صار فى اصطلاح كثير من الناس : الفقرُ عبارة عن الزهد والعبادة والأخلاق . ويسمون من اتّصف بذلك فقيراً وإن كان ذا مال ، ومن لم يتصف بذلك قالوا : ليس بفقير وإن لم يكن له مال ، وقد يُسمى هذا المعنى تصوفاً .

ومن الناس من يُفرِّق بين مُسمّى الفقير والصوفي ، ثم من هؤلاء من يجعل مسمى الفقير أفضل ، ومنهم من يجعل مسمى الصوفي أفضل .

والتحقيق فى هذا الباب : أنه لا ينظر إلى الألفاظ المحدثة بل ينظر إلى ما جاء به الكتاب والسُّنة من الأسماء والمعاني ، والله قد جعل وصف أوليائه الإيمان والتقوى فمن كان نصيبه من ذلك أعظم كان أفضل ، والأغنياء بما سوى ذلك ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

الباب الثالث والعشرون

حجة الفقراء من الكتاب والسنة والآثار والاعتبار

قالت الفقراء : لم يذكر الله سبحانه الغنى والمال فى القرآن إلا على أحد وجوه :

الأول : على وجه الذم ، كقوله تعالى: ﴿ **كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَى (٦) أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى (٧)** ﴾ [العلق : ٦-٧] ، وقوله : ﴿ **وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ** ﴾ [الشورى : ٢٧] ، وقوله : ﴿ **وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ (٣٣) وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ (٣٤) وَزُخْرُفًا وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ (٣٥)** ﴾ [الزخرف : ٣٣ – ٣٥] ، وقال تعالى : ﴿ **فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ** ﴾ [التوبة : ٥٥] ، وقال تعالى : ﴿ **الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا** ﴾ [الكهف : ٤٦] ، وقال تعالى : ﴿ **زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ** ﴾ [آل عمران: ١٤] الآية ، ونظائر ذلك كثيرة .

الوجه الثاني : أن يذكره على وجه الابتلاء والامتحان كما قال تعالى : ﴿ **إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ** ﴾ [التغابن : ١٥] ، وقال تعالى: ﴿ **أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ (٥٥) نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لَّا يَشْعُرُونَ (٥٦)** ﴾ [المؤمنون : ٥٥ – ٥٦] ، وقال تعالى مُخبراً عن ابتلائه بالغنى كما ابتلى بالفقر : ﴿ **فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ**

فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴾ [الفجر : ١٥] الآية ، وقال تعالى : ﴿ **ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون** ﴾ [الأنبياء : ٣٥]

الوجه الثالث : إخباره سبحانه وتعالى : أن الأموال والأولاد لا تقرِّب إليه شيئاً ، وإنما يقرب إليه الإيمان والعمل الصالح كما قال : ﴿ **وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ** ﴾ [سبأ : ٣٧] .

الوجه الرابع : إخباره : أن الدنيا والغنى والمال إنما جعلها متعة لمن لا نصيب له فى الآخرة ، وأن الآخرة جعلها للمتقين فقال تعالى : ﴿ **وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى** ﴾ [طه : ١٣١] ، وقال تعالى : ﴿ **وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا** ﴾ [الأحقاف : ٢٠] ، وإلى هذا المعنى أشار النبي ﷺ بقوله لعمر : " **أما ترضى أن تكون لهم الدّنيا ولنا الآخرة** " وسيأتى الحديث [1] .

الوجه الخامس: أنه سبحانه لم يذكر المُترفين وأصحاب الثروة إلا بالذم كقوله : ﴿ **إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ** ﴾ [الواقعة : ٤٥] ، وقوله ﴿ **وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا** ﴾ [الإسراء : ١٦] ، وقوله : ﴿ **لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ** ﴾ [الأنبياء : ١٣]

---

١ أخرجه البخارى فى " صحيحه " كتاب" المظالم " (٢٤٦٨) ، مسلم كتاب " الطلاق" (١٤٧٩) .

الوجه السادس : أنه سبحانه ذم مُحب المال ، فقال : ﴿ **وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلاً لَّمّاً (١٩) وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبّاً جَمّاً (٢٠)** ﴾ [الفجر : ١٩ – ٢٠] ، فذمهم بحب المال وعيَّرهم به .

الوجه السابع : أنه سبحانه ذم متمني الدنيا والغنى والسَّعة فيها ، ومدح من أنكر عليهم وخالفهم ، فقال تعالى عن أغنى أهل زمانه : ﴿ **فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٧٩) وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً وَلا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ** ﴾ [القصص : ٧٩ ، ٨٠] فأخبروا أن ما عند الله خير من الدنيا لمن آمن وعمل صالحاً ، ولا يُلقَّى هذه الوصية وهى الكلمة التى تكلم بها الذين أوتوا العلم أو المثوبة والجنة التى دل عليها قوله : ﴿ **ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ** ﴾ والسيرة والطريقة التى دل عليها قوله ﴿ **لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً** ﴾ وعلى كل حال لا يُلقَّى ذلك إلى الصابرون على الفقر وعن الدنيا وشهواتها وماأُترف فيه الأغنياء ، وقد شهد الله سبحانه لهم أنهم من أهل العلم دون الذين تمنوا الدنيا وزينتها .

الوجه الثامن : أنه سبحانه أنكر على من ظن أن التفضيل يكون بالمال الذى يحتاج إليه لإقامة الملك ، فكيف بما هو زيادة وفضلة ؟ فقال تعالى : ﴿ **وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكاً قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ** ﴾[البقرة: ٢٤٧] فرد الله سبحانه قولهم ، وأخبر سبحانه أن الفضل ليس بالمال كما توهَّموه ، وأن الفضل بالعلم لا بالمال .

وقال سبحانه : ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [يونس : ٥٨] ، ففضلُه ورحمتُه العلمُ والإيمانُ والقرآنُ ، والذى يجمعونه هو المال وأسبابه . ومثله قوله تعالى : ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [الزخرف : ٣٢] .

الوجه التاسع : أنه سبحانه أخبر أن التكاثر فى جمع المال وغيره ألهى الناس وشغلهم عن الآخرة والاستعداد لها ، وتوعدهم على ذلك فقال تعالى : ﴿ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ (١) حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ (٢) كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٣) ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٤) ﴾ [التكاثر : ١ - ٤] ، فأخبر سبحانه أن التكاثر شغل أهل الدنيا وألهاهم عن الله والدار الآخرة حتى حضرهم الموت ، فزاروا المقابر ، ولم يفيقوا من رقدة من ألهاهم التكاثر ، وجعل الغاية زيارة المقابر دون الموت إيذاناً بأنهم غير مستوطنين ولا مستقرين فى القبور ، وأنهم فيها بمنزلة الزائرين يحضرونها مدة ثم يظعنون عنها كما كانوا فى الدنيا كذلك زائرين لها غير مستقرين فيها ، ودارا قرار هى الجنة أو النار . ولم يُعين سبحانه المُتكاثرين به بل ترك ذكره إما لأن المذموم هو نفس التكاثر بالشيء لأن المتكاثر به كما يقال شغلك اللعبُ واللهو ولم يذكر ما يلعبُ ويلهو به ، وأما إرادة الإطلاق وهو كل ماتكاثر به العبد غيره من أسباب الدنيا من مال أو جاه أو عبيد أو إماء أو بناء أو غراس أو علم لا يبغى به وجه الله أو عمل لا يقربه إلى الله ، فكل هذا من التكاثر المُلهى عن الله والدار الآخرة .

وفى " صحيح مسلم " من حديث عبد الله بن الشخير أنه قال : انتهيت إلى النبي ﷺ وهو يقرأ : ﴿ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ﴾ قال : " **يقول ابنُ آدم مالي مالي : وهل لك من مالك إلا ما تصدقت فأمضيت ، أو أكلت فأفنيت ، أو لبست فأبليت** " [٢] .

ثم أوعد سبحانه من ألهاه التكاثر وعيداً مؤكداً إذا عاين تكاثره هباءً منثورا ، وعَلِم دنياه التى كاثر بها إنما كانت خدعاً وغروراً ، فوجد عاقبة تكاثره عليه لا له ، وخسر هنالك تكاثره كما خسر أمثاله ، وبدا له من الله ما لم يكن فى حسابه ، وصار تكاثره الذى شغله عن الله والدار الآخرة من أعظم أسباب عذابه ، فعُذِّب بتكاثره فى دنياه ، ثم عُذِّب به فى البرزخ ، ثم يُعذَّب به يوم القيامة فكان أشقى بتكاثره إذ أفاد منه العطب دون الغنيمة والسلامة فلم يفُز من تكاثره إلا بأن صار من الأقلين ولم يحفظ به علوه به فى الدنيا إلا بأن حصل مع الأسفلين فيا له تكاثراً ما أقلَّهُ ؟! وزرءاً ما أجله ؟! من غنى جالباً لكل فقر ، وخيراً تَوَصَّلَ به إلى شرٍّ يقول صاحبه إذا انكشف عنه غطاؤه : ﴿ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴾ [الفجر : ٢٤] ، وعملت فيه بطاعة الله قبل وفاتي ﴿ رَبِّ ارْجِعُونِ (٩٩) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا ﴾ [المؤمنون : ٩٩ – ١٠٠] تلك كلمة يقولها فلا يَعَوَّل عليها ، ورجعة يسألُها فلا يُجاب إليها .

وتأمل قوله أولاً ﴿ رَبِّ ﴾ استغاث بربه ، ثم التفت إلى الملائكة الذين أُمروا بإحضاره بين يدي ربه تبارك وتعالى فَقال :﴿ ارْجِعُونِ ﴾ ثم ذكر سبب سؤال الرَّجعة وهو : أن يستقبل العمل الصالح فيما ترك

---

٢ أخرجه مسلم فى كتاب" الفتن وأشراط الساعة " (٢٩٥٨) .

خلف من ماله وجاهه وسلطانه وقُوَّته وأسبابه ، فيقال له : ﴿ كَلَّا ﴾ لا سبيل لك إلى الرُّجعى وقد عُمِّرت ما يتذكر فيه من تذكر.

ولما كان شأن الكريم الرحيم أن يجيب من استغاث ، وأن يفسح له ما فى المهلة ليتذكر ما فاته ، أخبر سبحانه أن سؤال هذا المُفرِّط الرّجعة كلمة هو قائلها لا حقيقة تحتها ، وأن سجيته وطبيعته تأبى أن تعمل صالحاً لو أجيب ، وأنما ذلك شيء يقوله بلسانه ، وأنه لو رُدَّ لعاد لما نُهِيَ عنه ، وأنه من الكاذبين ، فحِكْمَةُ أحكم الحاكمين وعزتُه وعلمُه وحمدُه يأبى إجابته إلى ما سأل فإنه لا فائدة فى ذلك ، ولو رُدّ لكانت حالته الثانية مثل حالته الأولى ، كما قال تعالى : ﴿ **وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٣٧) بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (٣٨)** ﴾ [الأنعام : ٢٧ – ٢٨] .

وقد حام أكثر المفسرين حول معنى هذه الآية ، وما أوردوا . فراجع أقوالهم تجدها لا تُشفى عليلاً ولا تروى غليلاً ، ومعناها أجل وأعظم مما فسرواها به ، ولم يتفطنوا لوجه الإضراب بل ولا للأمر الذى بدا لهم ، وكانوا يخفونه ، وظنوا أن الذى بدا لهم العذابُ ، فلما لم يروا ذلك ملتئماً مع قوله ﴿ **مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ** ﴾ قدّروا مضافاً محذوفاً وهو خبر ﴿ **مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ** ﴾ ، فدخل عليهم أمرٌ آخرٌ لا جواب لهم عنه وهو : أن القوم لم يكونوا يخفون شركهم وكفرهم بل كانوا يظهرونه ويدعون إليه ويحاربون عليه ، ولما علموا أن هذا واردٌ عليهم ، قالوا : إن القوم فى بعض موارد القيامة ومواطنها أخفوا شركهم وجحدوه ، وقالوا : ﴿ **وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ** ﴾ [الأنعام :

٢٣] ، فلما وُقفوا على النار بدا لهم جزاءُ ذلك الذى أخفوه . قال الواحدي : وعلى هذا أهل التفسير .

ولم يصنع أرباب هذا القول شيئاً ، فإن السياق والإضراب بل والإخبار عنهم بأنهم لو ردوا لعادوا لما نُهوا عنه ، وقولهم : ﴿ **وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ** ﴾ لا يلتئم بهذا الذى ذكروه فتأمله .

وقالت طائفة منهم الزجاجُ : بل بدا للأتباع ما أخفاه عنهم الرؤساء من أمر البعث . وهذا التفسير يحتاج إلى تفسير وفيه من التكليف ما ليس بخاف .

وأجودُ من هذا ما فهمه المُبَرِّدُ من الآية قال : كأن كفرهم لم يكن بادياً لهم إذ خفيت عليهم مُضَرَّتُه . ومعنى كلامه : أنهم لما خَفِيَت عليهم مضرةُ عاقبته ووباله فكأنه كان خافياً عنهم لم تظهر لهم حقيقته فلما عاينوا العذاب ظهرت لهم حقيقتة وشره .

قال : وهذا كما تقول لمن كنت حدثته فى أمر قبل : وقد ظهر لك الآن ماكنت قلت لك ، وقد كان ظاهراً له قبل هذا .

ولا يسهُلُ أن يُعبِّرَ عن كفرهم وشركهم الذى كانوا ينادون به على رؤوس الأشهاد ويدعون إليه كل حاضر وباد بأنهم كانوا يخفونه لخفاء عاقبته عنهم ، ولا يقال لمن أظهر الظلم والفساد وقتل النفوس والسعي فى الأرض بالفساد أنه أخفى ذلك لجهله بسوء عاقبته وخفائها عليه .

فمعنى الآية – والله أعلم بما أراد من كلامه – : أن هؤلاء المشركين لما وُقفوا على النّار وعاينوها وعلموا أنهم داخلوها تَمَنّوا أنهم يُردون إلى الدنيا فيؤمنون بالله وآياته ولا يُكذبون رسله ، فأخبر سبحانه أن الأمر ليس كذلك وأنهم ليس فى طبائعهم وسجاياهم الإيمان

بل سجيتهم الكفر والشرك والتكذيب ، وأنهم لو رُدّوا لكانوا بعد الرَّدِّ كما كانوا قبله ، وأخبر انهم كاذبون فى زعمهم أنهم لو رُدُوا لآمنوا وصَدقوا .

فإذا تقرر مقصود الآية ومرادُها تبين معنى الإضراب بــ ﴿ بل ﴾ وتبين معنى الذى بدا لهم والذى كانوا يخفونه . والحامل لهم على قولهم : ﴿ لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا ﴾ ، فالقوم كانوا يعلمون أنهم كانوا فى الدنيا على باطل وأن الرسل صَدَقوهم فيما بَلَّغوهم عن الله ، وتيقنوا ذلك وتحققوه ولكنهم أخفوه ولم يظهروه بينهم بل تواصوا بكتمانه ، فلم يكن الحاملُ لهم على تمنّي الرجوع والإيمان معرفة ما لم يكونوا يعرفونه من صدق الرسل ، فإنهم كانوا يعلمون ذلك ويخفونه وظهر لهم يوم القيامة ما كانوا ينطوون عليه من علمهم أنهم على باطل وأن الرسل على الحق ، فعاينوا ذلك عياناً بعد أن كانوا يكتمونه ويخفونه ، فلو رُدّوا لَمَا سَمَحت نفوسُهم بالإيمان ، ولعادوا إلى الكفر والتكذيب ، فإنهم لم يتمنوا الإيمان لعلمهم يومئذ أنه هو الحق وأن الشرك باطل ، وإنما تمنوا لما عاينوا العذاب الذى لا طاقة لهم باحتماله وهذا كمن كان يُخفى محبة شخص ومعاشرته وهو يعلم أن حُبّه باطل وأن الرُشد فى عدوله عنه ، فقيل له : إن اطلع عليه وليُّه عاقبك ، وهو يعلم ذلك ويكابر ، ويقول : بل محبَّتُه ومعاشرته هى الصواب ، فلما أخذه وليه ، ليعاقبه على ذلك ، وتيقن العقوبة تمنى أن يُعفى من العقوبة وأنه لا يجتمع به بعد ذلك وفى قلبه من محبته والحرص على معاشرته ما يحمله على المعاودة بعد معاينة العقوبة بل بعد أن مسَّته

وأنهكته ، فظهر له عند العقوبة ما كان يُخفى من معرفته بخطئه وصواب ما نهاه عنه ولو رُدَّ لعاد لما نُهي عنه .

وتأمل مطابقة الإضراب لهذا المعنى وهو نفي قولهم أن لو رددنا لآمنا وصدقنا ، لأنه ظهر لنا الآن أن ماقاله الرسل هو الحق ، أي : ليس كذلك بل كنتم تعلمون ذلك وتعرفونه وكنتم تُخفونه ، فلم يظهر لكم شيء لتكونوا عالمين به لتعذروا بل ظهر لكم ما كان معلوماً وكنتم تتواصون بإخفائه وكتمانه والله أعلم .

ولا تستطل هذا الفصل المعترض فى أثناء هذه المسألة فلعله أهم منها وأنفع . وبالله التوفيق .

فلنرجع إلى تمام الكلام فيها وقوله : ﴿ **كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ** ﴾ [التكاثر : ٥] جوابه محذوف دل عليه ما تقدم ، أي : لما ألهاكم التكاثر وإنما وجد هذا التكاثر وإلهاؤه عما هو أولى بكم لما فقد منكم علم اليقين ، وهو العلمُ الذى يصل صاحبه إلى حد الضروريات التى لا يُشكُّ ولا يُمارى في صحتها وثبوتها ، ولو وصلت حقيقة هذا العلم إلى القلب وباشرته لما ألهاه عن موجبه وترتب أثرهُ عليه ، فإن مجرد العلم بقُبح الشيء وسوء عواقبه قد لا يكفي فى تركه ، فإذا صار له علم اليقين كان اقتضاء هذا العلم لتركه أشد ، فإذا صار عين يقين كجملة المشاهدات كان تَخَلُّف موجبه عنه من أندر شيء ، وفى هذا المعنى قال حسان بن ثابت ﷺ فى أهل بدر :

سرْنا وساروا إلى بَدْرٍ لِحَتْفِهم

لو يعلمونَ يقينَ العِلْمِ ما ساروا

وقوله : ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٣) ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٤) ﴾ [التكاثر : ٣ ، ٤] ، قيل : تأكيد لحصوله العلم كقوله : ﴿ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (٤) ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴾ [النبأ : ٤ ، ٥] ، وقيل : ليس تأكيداً بل العلم الأول المعاينةُ ونزول الموت ، والعلمُ الثاني فى القبر ، هذا قول الحسن ومقاتل ورواه عطاء عن ابن عباس .

ويدلُّ على صحة هذا القول عدة أوجه :

أحدها : أن الفائدة الجديدة والتأسيس هو الأصل ، وقد أمكن اعتباره مع فخامة المعنى وجلالته وعدم الإخلال بالفصاحة .

الثاني : توسط ﴿ ثُمَّ ﴾ بين العلمين ، وهى مؤذنة بتراخى ما بين المرتبتين زماناً وخطراً .

الثالث : أن هذا القول مطابق للواقع فإن لمحتضر يعلم عند المعاينة حقيقة ماكان عليه ، ثم يعلم فى القبر وما بعده ذلك علماً هو فوق العلم الأول .

الرابع : أن علياً بن أبي طالب ﷺ وغيره من السلف فهموا من الآية عذاب القبر .

قال الترمذى : حدثنا أبو كُرَيْبٍ حدثنا حَكّامُ بن أسلم الرازى عن عمرو بن أبي قيس عن الحجاج عن المنهال بن عمرو عن زرٍّ عن علي بن أبي طالب ﷺ قال : " ما زلنا نَشُك فى عذاب القبر حتى نزلت ﴿ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ﴾ [التكاثر : ١] [٣]. قال الواحدى : يعنى أن معنى قوله : ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ [التكاثر : ٣] فى القبر .

---

٣ إسناده حسن .

=

الخامس : أن هذا مطابق لما بعده في قوله ﴿ **لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ (٦) ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ (٧)** ﴾ [التكاثر : ٦ ، ٧] فهذه الرؤية الثانية غير الأولى من وجهين : إطلاق الأولى وتقييد الثانية بعد اليقين ، وتقدم الأولى وتراخي الثانية عنها ، ثم ختم السورة بالإخبار المؤكد بواو القسم ولام التأكيد والنون الثقيلة عن سؤال النعيم فكل أحد يُسأل عن نعيمه الذى كان فيه فى الدنيا هل ناله من حلاله وَوَجْهِهِ أم لا ؟ فإذا تخلص من هذا السؤال سُئل سؤالاً آخر هل شكر الله تعالى عليه فاستعان به على طاعه أم لا ؟ فالأول سؤال عن سبب استخراجه ، والثاني عن محل صرفه كما فى جامع الترمذى من حديث عطاء بن رباح عن أبي عمر عن ابن مسعود عن النبي ﷺ قال : " **لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة من عند ربه حتى يُسأل عن خمس : عن عُمُره فيما أفناه ، وعن شبابه فيما أبلاه ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه ، وفى ماذا عمل فيما علم** " (٤) .

= أخرجه الترمذى (٣٣٥٥) ، وقال غريب ، ابن جرير الطبرى فى " تفسيره " (٦٧٩/١٢) ، وابن أبي حاتم فى " تفسيره " (٣٤٥٩/١٠) ، الطحاوى فى " مشكل الآثار " (٥١٧٧) كلهم من طرق عن حجاج عن المنهال عن زر عن علي .

٤ **إسناده ضعيف جداً .**

أخرجه الترمذى (٢٤١٦) ، وقال هذا حديث غريب ، ابن عدي فى " الكامل " (٧٦٣/٢) ، البزار فى" مسنده " (٢٦٦/٤) ، الطبرانى فى " الكبير " (٩٧٧٢) " الصغير" (٢٦٩/١) ، أبو يعلي فى " مسنده " (٥٢٧١) ، البيهقى فى " شعب الإيمان " (١٧٨٤) ، وفى " الزهد " (٧١١) ، الخطيب فى " تاريخ بغداد " =

وفيه أيضاً عن أبي برزة قال : قال رسول الله ﷺ : " **لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيما أفناه ، وعن علمه فيما عمل فيه ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أبلاه** " (٥) . قال هذا حديث صحيح .

وفيه أيضاً من حديث أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : " **إن أول ما يُسأل عن العبدُ يوم القيامة – يعنى من النعيم – أن يقال له ألم نُصحَّ جسمك ، ونرويك من الماء البارد** " (٦) .

= (٤٤٠/١٢) كلهم من طريق الحسين بن قيس الرحبي عن عطاء بن أبي رباح عن ابن مسعود . وفى إسناده الحسين بن قيس متروك الحديث .

٥ **حسن لشواهده .**

أخرجه الترمذى (٢٤١٧) ، وقال هذا حديث حسن صحيح ، الدارمى فى " سننه " (٥٣٧) ، أبو يعلي فى " مسنده " (٣٤٣٤) ، الرويانى فى " مسنده " (١٣١٣) ، أبو نعيم فى " حلية الأولياء " (٢٣٢/١٠) ، الدارمي فى " سننه " (١٣١/١) ، الخطيب البغدادى فى " تاريخ بغداد " (٤٤١/١١) كلهم من طرق عن سعيد بن عبد الله بن جريج عن أبي برزة الأسلمي . وفى إسناده سعيد ابن عبد الله بن جرير مجهول .

٦ **إسناده ضعيف .**

أخرجه الترمذي (٣٣٥٨) وقال غريب ، ابن جرير الطبري في " تفسيره " (٥٣٤/١٢) عبد الله بن أحمد في " زوائد الزهد " (صـــ٣١) ، الطبراني في " الأوسط " (٦٢) وفي " مسند الشاميين " (٧٧٩) ، الحاكم (١٣٨/٤) ابن حبان كما في " الإحسان " (٧٣٦٤) ، البيهقي في " شعب الإيمان " (٤٦٠٧) ، البغوي في " شرح السنن " (٣١١/١٤) وابن أبي عاصم في كتاب " الأوائل " =

وفيه أيضاً من حديث الزبير بن العوام ﷺ لمانزلت ﴿ **ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ** ﴾ [التكاثر : ٨] قال الزبير : يا رسول الله فأي النعيم نسأل عنه وإنما هو الأسودان : التمر والماء ؟ قال : " **أما إنه سيكون** " (٧) . قال : هذا حديث حسن .

وعن أبي هريرة نحوه وقال : إنما هو الأسودان والعَدُوُّ حاضر ، وسيوفنا على عواتقنا ، قال : " **إن ذلك سيكون** " (٨) .

وقوله : " **إن ذلك سيكون** " إما أن يكون المراد به أن النعيم سيكون ويحدث لكم ، وإما أن يرجع إلى السؤال أى أن السؤال يقع عن ذلك ، وإن كان تمراً وماءً فإنه من النعيم ، ويدل عليه قوله ﷺ فى الحديث الصحيح – وقد أكلوا معه رطباً ولحماً وشربوا من الماء البارد – " **هذا من النعيم الذى تسألون عنه يوم القيامة** " (٩)

= (١٥٥/٨٥) وتمام الرازي في " فوائده " (١٧٥٠) ، الخرائطي في " فضيلة الشكر " (٥٤) ، الخطيب البغدادي في " تاريخه " (٣٣٩/١٢) كلهم من طرق عن عبد الله بن العلاء عن الضحاك بن عبد الرحمن بن عزوب أو عزوم عن أبي هريرة . وفي إسناد الضحاك بن عبد الرحمن مجهول لم يوثقه إلا العجلي وابن حبان وقال الحاكم صحيح الإسناد ووافقه الذهبي .

٧ **إسناده صحيح .**

أخرجه الترمذي (٣٣٥٦) وقال هذا حديث حسن ، ابن ماجة (١٥٨) كلاهما من طريق سفيان بن عيينه عن محمد بن عمرو بن علقمه عن يحي بن عبد الرحمن بن حاطب عن عبد الله بن الزبير عن أبيه .

٨ أنظر ما قبله .

٩ أخرجه مسلم في صحيحه كتاب " الأشربة " (٢٠٣٨) .

فهذا سؤال عن شكره والقيام بحقه .

وفى الترمذى من حديث أنس ﷺ عن النبي ﷺ قال : " **يُجاء بالعبد يوم القيامة كأنه بَذَجٌ** [١٠] ، **فيوقف بين يدى الله تعالى فيقول الله : أعطيتُك وخولتُك وأنعمتُ عليك فماذا صنعت ؟ فيقول : يا رب جمعتُه وثمرته فتركته أوفر ما كان فارجعني آتك به فيقول له : أرنى ما قدمت ، فيقول : يا رب جمعتُه وثمرته فتركته أكثر ما كان فارجعني آتك به فإذا عبد لم يُقدِّم خيراً ، فَيُمضى به إلى النار** " [١١] .

وفيه من حديث أبي سعيد وأبي هريرة رضى الله عنهما قالا : قال رسول الله ﷺ " **يؤتى بالعبد يوم القيامة فيقول الله له : ألم أجعل لك سمعاً وبصراً ومالاً وولداً ، وسخَّرت لك الأنعام والحرث ، وتركتُك ترأس وتربع ، أفكنت تظن أنك ملاقٍ يومك هذا ؟ فيقول : لا . فيقول له : اليوم أنساك كما نسيتني** " [١٢] . قال : هذا حديث صحيح .

---

١٠ ولد الضأن .

١١ **إسناده ضعيف .**

أخرجه الترمذى (٢٤٢٧) ، وقال : خديث غريب ، الدارمى فى " سننه " (١١٧/٢) ، " حلية الأولياء " (٣١٠/٦) من طريق إسماعيل بن مسلم عن الحسن وقتادة عن أنس مرفوعاً .

وفى إسناده إسماعيل بن مسلم ضعيف ، وأورده المنذري فى " الترغيب والترهيب " (٤٥٢/١ ، ١٨١/٤) .

١٢ أخرجه الترمذى (٢٤٢٨) وقال : هذا حديث صحيح غريب ، وانظر ما قبله .

وقد زعم طائفة من المفسرين : أن هذا الخطاب خاصٌ بالكفار وهو المسؤولين عن النعيم ، وذُكر ذلك عن الحسن ومقاتل ، واختار الواحدى ذلك ، واحتج بحديث أبي بكر لما نزلت هذه الآية ، قال لرسول الله ﷺ : " أرأيت أكلة أكلتُها معك ببيت أبي الهيثم بن التَيِّهان من خُبز شعير ولحم وبُسر قد ذنب وماء عذب ، أتخاف علينا أن يكون هذا من النعيم الذى نسأل عنه ؟ فقال رسول الله ﷺ " **إنما ذلك للكفار** " ثم قرأ : ﴿ **وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ** ﴾ [سبأ : ١٧] .

قال الواحدى : والظاهر يشهد بهذا القول ، لأن السورة كلها خطاب للمشركين وتهديدٌ لهم . والمعنى أيضاً يشهد بهذا القول ، وهو أن الكفار لم يؤدُّوا حق النعيم عليهم حيث أشركوا به وعبدوا غيره فاستحقوا أن يُسألوا عمّا أنعم به عليهم توبيخاً لهم هل قاموا بالواجب فيه أم ضيَّعوا حق النعمة ؟ ثم يعذبون على ترك الشكر بتوحيد المنعم .

قال : وهذا معنى قول مقاتل وهو قول الحسن قال : لا يسأل عن النعيم إلا أهل النار .

قلت : ليس فى اللفظ ولا فى السُنة الصحيحة ولا فى أدلة العقل ما يقتضى اختصاص الخطاب بالكفار ، بل ظاهر اللفظ وصريح السنة والاعتبار يدل على عموم الخطاب لكل من اتصف بإلهاء التكاثر له فلا وجه لتخصيص الخطاب ببعض المتصفين بذلك .

ويدل على ذلك قول النبي ﷺ عند قراءة هذه السورة : " **يقول ابن آدم مالي مالي ! وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت ، أو لبست فأبليت** ... " الحديث وهو فى صحيح مسلم (١٣) .

وقائل ذلك قد يكون مسلماً وقد يكون كافراً . ويدل عليه أيضاً الأحاديث التي تقدمت وسؤال الصحابة للنبي ﷺ وفهمهم العموم حتى قالوا له : وأى نعيم نسأل عنه ؟ وإنما هو الأسودان ، فلو كان الخطاب مختصاً بالكفار لبيّن لهم ذلك وقال : ما لكم ولها إنما هى للكفار ، فالصحابة فهموا التعميم ، والأحاديث صريحة فى التعميم ، والذى أنزل عليه القرآن أقرّهم على فهم العموم ، وأما حديث أبي بكر الذي احتج به أرباب هذا القول فحديث لا يصح .

والحديث الصحيح فى تلك القصة يشهد ببطلانه ونحن نسوقه بلفظه ففى " صحيح مسلم " (١٤)عن أبي هريرة قال : خرج رسول الله ﷺ ذات يوم أو ليلة فإذا هو بأبي بكر وعمر فقال : " **ما أخرجكما من بيوتكما فى هذه الساعة** ؟ " قالا : الجوع يا رسول الله ، قال : " **وأنا والذى نفسي بيد ه لأخرجني الذى أخرجكما ، قوما** " فقاما معه فأتى رجلاً من الأنصار فإذا هو ليس فى بيته فلما رأته امرأته قالت : مرحباً وأهلاً ، فقال لها رسول الله ﷺ : " **وأين فلان ؟** " قالت : ذهب يستعذب لنا من الماء ، إذ جاء الأنصاري فنظر إلى رسول الله ﷺ وصاحبيه فقال : الحمد لله ما أحدٌ اليوم أكرم أضيافاً مني ، قال : فانطلق فجاءهم بعذق فيه بُسر وتمر ورُطب ، فقال : كلوا من هذا ،

---

١٣ أخرجه مسلم فى كتاب" الفتن وأشراط الساعة " (٢٩٥٨) .

١٤ أخرجه مسلم فى كتاب " الأشربة " (٢٠٣٨) .

فأخذ المدية ، فقال له رسول الله ﷺ : " **إياك والحلوب** " فذبح لهم فأكلوا من الشاة ومن ذلك العذق وشربوا ، فلما أن شبعوا ورووا ، قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر : " **والذى نفسي بيديه لتسئلن عن هذا النعيم يوم القيامة ، أخرجكم من بيوتكم الجوع ثم لم ترجعوا حتى أصابكم هذا النعيم** " ، فهذا الحديث الصحيح صريح فى تعميم الخطاب وأنه غير مختص بالكفار .

وأيضاً ؛ فالواقع يشهد بعدم اختصاصه ، وأن الإلهاء بالتكاثر واقع من المسلمين كثيراً بل أكثرهم قد ألهاه التكاثر ، وخطاب القرآن عام لمن بلغه وإن كان أول من دخل فيه المعاصرين لرسول الله ﷺ فهو متناول لمن بعدهم ، وهذا معلوم بضرورة الدين وإن نازع فيه من لا يعتد بقوله من المتأخرين ، فنحن اليوم ومن قبلنا ومن بعدنا داخلون تحت قوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ** ﴾ [البقرة : ١٨٣] ونظائره ، كما دخل تحته ال صحابة بالضرورة المعلومة من الدين ؛ فقوله : ﴿ **أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ** ﴾ [التكاثر : ١] خطاب لكل من اتصف بهذا الوصف وهو فى الإلهاء والتكاثر درجات لا يحصيها إلا الله .

فإن قيل : فالمؤمنون لم يلههم التكاثر ولهذا لم يدخلوا فى الوعيد المذكور لمن ألهاه . قيل : هذا هو الذى أوجب لأرباب هذا القول تخصيصه بالكفار ، لأنه لم يمكنهم حمله علىالعموم ، ورأوا أن الكفار أحق بالوعيد فخصوهم به .

وجواب هذا : أن الخطاب للإنسان من حيث هو إنسان على طريقة القرآن فى تناول الذم له من حيث هو إنسان كقوله : ﴿ **وَكَانَ الْإِنْسَانُ**

عَجُولاً ﴾ [الإسراء : ١١] ، ﴿ **وَكَانَ الْإِنسَانُ قَتُوراً** ﴾ [الإسراء : ١٠٠] ، ﴿ **إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ** ﴾ [العاديات : ٦] ، ﴿ **وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً** ﴾ [الأحزاب : ٧٢] ، ﴿ **إِنَّ الْإِنسَانَ لَكَفُورٌ** ﴾ [الحج : ٦٦] . ونظائره كثيرة ، فالإنسان من حيث هو عار عن كل خير من العلم النافع والعمل الصالح ، وإنما الله سبحانه هو الذى يكمله بذلك ويعطيه إياه وليس له ذلك من نفسه ، بل ليس له من نفسه إلا الجهل المضاد للعلم ، والظلم المضاد للعدل ، وكل علم وعدل وخير فيه فمن ربه لا من نفسه ، فإلهاء التكاثر طبيعته وسجيته التى هى له من نفسه ولا خروج له عن ذلك إلا بتزكية الله له وجعله مُريداً للآخرة مُؤثراً لها على التكاثر بالدنيا ، فإن أعطاه ذلك وإلا فهو مُلتهٍ بالتكاثر فى الدنيا ولا بُدَّ .

وأما احتجاجه بالوعيد على اختصاص الخطاب بالكفار : فيقال : الوعيد المذكور مشترك وهو العلم عند معاينة الآخرة ، فهذا أمر يحصل لكل أحد لم يكن حاصلاً له فى الدنيا ، وليس فى قوله ﴿ **سَوْفَ تَعْلَمُونَ**﴾ [التكاثر : ٣] ما يقتضى دخول النار فضلاً عن التخليد فيها وكذلك رؤية الجحيم لا يستلزم دخولها لكل من رآها ، فإن أهل الموقف يرونها ويشاهدونها عياناً ، وقد أقسم الربُّ تبارك وتعالى أنه لابد أن يراها الخلقُ كلُّهم مؤمنهم وكافرهم برُّهم وفاجرهم ، فليس فى جملة هذه السورة ما ينفي عموم خطابها .

وأما ما ذكره عن الحسن : أنه لا يُسأل عن النعيم إلا أهل النار ، فباطل قطعاً إما عليه وإما منه ، والأحاديث الصحيحة الصريحة تردُّه ، وبالله التوفيق .

ولا يخفى أن مثل هذه السورة مع عظم شأنها وشدة تخويفها وما تضمنته من تحذير التكاثر الملهي ، وانطباق معناها على أكثر الخلق ، يأبى اختصاصها من أولها إلى آخرها بالكفار ولا يليق ذلك بها ، ويكفى فى ذلك تأمُّلُ الأحاديث المرفوعة فيها ، والله أعلم .

وتأمل ما فى هذا العتاب الموجع لمن استمرعلى إلهاء التكاثر له مدة حياته كلها إلى أن زار القبور ولم يستيقظ من نوم الإلهاء بل أرقد التكاثر قلبه فلم يستفق منه إلا وهو فى عسكر الموات .

وطابق بين هذا وبين حال أكثر الخلق يتبين لك أن العموم مقصود .

وتأمل تعليقه سبحانه الذّم والوعيد على مطلقا لتكاثر من غير تقييد بمتكاثر به ليدخل فيه التكاثر بجميع اسباب لدنيا على اختلاف أجناسها وأنواعها.

وأيضاً ؛ فإن التكاثر تفاعل وهو طلب كل من المتكاثرين أن يكثر صاحبه فيكون أكثر منه فيما يكاثره به ، والحامل له على ذلك توهمه أن العزة للكاثر كما قيل :

ولستُ بالأكثرِ منهم حَصَى
وإنّما العزَّةُ للكاثِرِ

فلو حصلت له الكثرة من غير تكاثر لم تضره كما كانت الكثرة حاصلة لجماعة من الصحابة ولم تضرهم إذ لم يتكاثروا بها ، وكل من كاثر إنساناً فى دنياه أو جاهه أو غير ذلك شغله مكاثرته عن مائرة أهل الآخرة ، فالنفوس الشريفة العلوية ذات الهمم العالية إنما تكاثر بما يدوم عليها نفعه وتكمل به وتزكو وتصير مفلحة ، فلا تحب أن

يكاثرها غير ها فى ذلك ، وينافسها فى هذه المكاثرة ويسابقها إليها ، فهذا هو التكاثر الذى هو غاية سعادة العبد ، وضده تكاثر أهل الدنيا بأسباب دنياهم فهذا تكاثر مُله عن الله والدار الآخرة وهو صائر إلى غاية القلة ، فعاقبة هذا التكاثر قُلٌ وفقرٌ وحرمان .

والتكاثر بأسباب السعادة الأخروية تكاثر لايزال يذكر بالله ولقائه ، وعاقبة الكثرة الدائمة التى لا تزول ولا تفنى صاحب هذا التكاثر لا يهون عليه أن يرى غيره أفضل نمه قولاً وأحسن منه عملاً وأغزر علماً . وإذا رأى غيره أكثر منه فى خصلة من خصال الخير يعجز عن لحاقه فيها كاثره بخصلة أخرى هو قادر على المكاثرة بها وليس هذا التكاثر مذموماً ولا قادحاً فى إخلاص العبد ، بل هو حقيقة المنافسة واستباق الخيارت ، وقد كانت هذه حال الأوس مع الخزرج رضى الله عنهم فى تواصلهم بين يدى رسول الله ﷺ ومكاثرة بعضهم لبعض فى أسباب مرضاته ونصره ، وكذلك كان حال عمر مع أبي بكر رضى الله عنهما ، فلما تبين له مدى سبقه له قال : " والله لا أسابقك إلى شيء أبداً " (١٥) .

فصل

ومن تأمل حسن موقع ﴿ كلا ﴾ فى هذا الموضوع فإنه تضمنت ردعاً لهم وزجراً عن التكاثر ونفياً وإبطالاً لما يؤملونه من نفع التكاثر لهم وعزتهم وكمالهم به ؛ فتضمنت اللفظة نهياً ونفياً وأخبرهم

---

١٥ أخرجه أحمد (١/٢٥ -٢٦) ، أبو داود (١٦٧٨) ، الدارمى فى " سننه " (١/٣٩١) .

سبحانه أنهم لابد أن يعلموا عاقبة تكاثرهم علماً بعد علم ، وأنه لابد أن يروا دار المكاثرين بالدنيا التى ألهتهم عن الآخرة رؤية بعد رؤية ، وأنه سبحانه لابد أن يسألهم عن أسباب تكاثرهم من أين استخرجوها وفيما صرفوها ، فلله ما أعظمها من سورة وأجلها وأعظمها فائدة ، وأبلغها موعظة وتحذيراً وأشدها ترغيباً فى الآخرة وتزهيداً فى الدنيا على غاية اختصارهاوجزالة ألفاظها وحسن نظمها ، فتبارك من تكلم بها حقا ، وبلغها رسوله عنه وحيا .

فصل

وتأمل كيف جعلهم ند وصولهم إلى غاية كل حيٍ زائرين غير مستوطنين ، بل هم مستودعون فى المقابر مدة وبين أيديم دار القرار ، فإذا كانوا عند وصولهم إلى الغاية زائرين فكيف بهم وهم فى الطريق في هذه الدار فهم فيها عابروا سبيل إلى محل الزيارة ثم منتقلون من محل الزيارة إلى المستقر .

فها هنا ثلاثة أمور : عبور السبيل فى هذه الدنيا ، وغايته زيارة القبور ، وبعدها النقلة إلى دار القرار .

فصل

فلنرجع إلى تمام المناظرة : قالوا : فلله تعالى حمَى أولياؤه عن الدنيا وصانهم عنها ، ورغب بهم عنها تكريماً لهم ، وتطهيراً عن أدناسها ، ورفعة من دناءتها ، وذمها لهم ، وأخبرهم بهوانها عليه وسقوط قدرها عنده ، وأعلمهم أن بسطها فتنة وأنه سبب الطغيان

والفساد فى الأرض وإلهاء التكاثر بها عن طلب الآخرة ، وأنها متاع الغرور ، وذم محبيها ومؤثريها .

وأخبر أن من أرادها أو أراد زينتها وحرثها فليس له فى الآخرة من نصيب ، وأخبر أن بسطها فتنة وابتلاء لا كرامة ومحبة ، وأن إمداد أهلها بها ليس مسارعة لهم فى الخيرات ، وأنها لا تقرب إليه ولا تزلف لديه ، وأنه لولا تتابع الناس فى الكفر لأعطى الكفار منها فوق مناهم ، ووسعها عليهم أعظم التوسعة بحيث يجعل سقوف بيوتهم وأبوابم ومعارجهم وسررهم كلها من فضة ، وأخبر أنه زينها لأعدائه ولضعفاء العقول الذين لا نصيب لهم فى الآخرة ، ونهى رسوله عن مد عينيه إليها وإلى مامتع به أهلها ، وذم من أذهب طيباته فيها واستمتع بها .

وقال لنبيه : ﴿ **ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ** ﴾ [الحجر : ٣] ، وفى هذا تعزية لما منعه أولياؤه من التمتع فى الدنيا وكثرة الأكل فيها ، وتأديب لمن بسط له فيها ألا يطغى فيها ولا يعطى نفسه شهواتها ولا يتمتع بها .

وذم سبحانه محبيها المفتخرين بها المكاثرين بها الظانين أن الفضل والكرامة فى سعتها وبسطتها ، فأكذبهم الله سبحانه وتعالى ، وأخبر أنه ليس كما قالوه ولا توهموه ، ومثلها لعباده بالأمثلة التى تدعو كل لبيب عاقل إلى الزهد فيها وعدم الوثوق فيها والركون إليها فأحضر صورتها وحقيقتها فى قلوبهم بما ضربه لها مثلاً كماء أنزله من السماء فخالط نبات الأرض فلما أخذت به الأرض زخرفها وتزينت بأنواع

النبات أتاها أمره فجعل تلك الزينة يبساً هشمياً تذروه الرياح كأن لم يكن قط منه شيء .

وأخبر سبحانه عن فنائها وسرعة انقضائها وأنه إذا عاين العبد الآخرة فكأنه لبث فيها ساعة من نهار أو يوم أو بعض يوم ، ونهى سبحانه عباده أن يغتروا بها . وأخبرهم أنه لهو ولعب وزينة وتفاخر وتكاثر ومتاع غرور وطريق ومعبر إلى الآخرة ، وأنها عوض عاجل لا بقاء لها ، ولم يذكر مريدها بخير قط بل حيث ذكره ذمه . وأخبر أن مريدها مخالف لربه تعالى فى إرادته ، فالله يريد شيئاً ومريد الدنيا يريد خلافه فهو مخالف لربه تعالى بنفس إرادته ، وكفى بهذا بعداً عنه سبحانه . وأخبر سبحانه عن أهل النار أنهم إنما دخلوها بسبب غرور الدنيا وأمانياها لهم .

قالوا : وهذا كله تزهيد لهم منه سبحانه فيها وترغيب فى التقلل منها ما أمكن . قالوا : وقد عرضها سبحانه وعرض مفاتيح كنوزها على أحل الخلق إليه وأكرمهم عليه عبد ورسوله محمد ﷺ فلم يردها ولم يخترها . ولو آثرها وأرداها لكان أشكر الخلق بما أخذه منها ، وأنفقه كله في مرضاة الله وسبيله قطعاً ، بل اختار التقلل منها وصبر على شدة العيش فيها .

قال الإمام أحمد : حدثنا إسماعيل بن محمد حدثنا عباد – يعنى ابن عباد – حدثنا مجالد بن سعيد عن الشعبي عن مسروق عن عائشة رضى الله عنها قالت : دخلت عليّ امرأة من الأنصار ، فرأت فراش رسول الله ﷺ عباءة مثنية فرجعت إلى منزلها فبعثت بفراش حشوه الصوف ، فدخل عليّ رسول الله ﷺ فقال : " **ما هذا ؟** " فقلت : فلانة

الأنصارية دخلت عليّ فرأت فراشك فبعثت إليّ بهذا ، فقال : " **رديه** " فلم أرده ، وأعجبنى أن يكون فى بيتى ، حتى قال ذلك ثلاث مرات ، فقال : " **يا عائشة رديه والله لو شئت لأجرى الله معي جبال الذهب والفضة** " (١٦) .

وعرض عليه مفاتيح كنوز الدنيا فلم يأخذها ، وقال : " **بل أجوع يوماً وأشبع يوماً فإذا جعت تضرعت إليك وذكرتك ، وإذا شبعت حمدتك وشكرتك** " (١٧).

وسأل ربه أن يجعل رزق أهله قوتاً كما فى " الصحيحين " من حديث أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : " **اللهم اجعل رزق آل محمد قوتاً** " (١٨) . وفيهما عنه قال : " **والذى نفسي أبي هريرة بيده ما شبع نبي الله وأهله ثلاثة أيان تباعاً خبز حنطة حتى فارق الدنيا** " (١٩) .

وفى " صحيح البخارى " عن أنس ﷺ : ما أعلم أن رسول الله ﷺ رأى رغيفاً مُرققاً ولا شاة سميطاً قط حتى لحق بربه " (٢٠) . وفى

---

١٦ انظره فى الباب الحادى والعشرون .

١٧ راجع الباب العشرون .

١٨ راجع الباب الحادى والعشرون .

١٩ أخرجه البخارى فى كتاب " الأطعمة " (٥٤١٤) ، مسلم فى كتاب" الفتن " (٢٩٧٦) .

٢٠ أخرجه البخارى فى كتاب " الأطعمة " (٥٤٢١) .

" صحيحه " أيضاً عنه قال : " خرج رسول الله ﷺ ولم يشبع من خبز الشعير " [٢١] .

وفى " الصحيحين " عن عائشة رضى الله عنها : " ما شبع آل محمد منذ قَدم المدينة من طعام البُرِّ ثلاث ليالٍ تباعاً حتى قُبض " [٢٢]

وفى " صحيح مسلم " عن عمر ﷺ : " لقد رأيت رسول الله ﷺ يَظَلُّ اليوم ما يجدُ دَقْلاً يملأُ بَطنه " [٢٣] .

وفى " المسند " و " الترمذى " عن ابن عباس رضى الله عنهما : " كان رسول الله ﷺ يبيت الليالي طاوياً وأهله لا يجدون عشاءً ، وكان أكثرُ خبزهم خُبز الشعير " [٢٤] . قال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح .

وفى الترمذى من حديث أبي أمامة : " ما كان يفْضُلُ عن أهل بيت رسول الله ﷺ خبز الشعير " [٢٥] .

---

٢١ انظر رقم (٢٠) .

٢٢ أخرجه البخارى فى كتاب " الأطعمة " (٥٤١٦) مسلم كتاب " الفتن " (٢٩٧٠) .

٢٣ أخرجه مسلم فى كتاب" الفتن وأشراط الساعة " (٢٩٧٨) .

٢٤ أخرجه أحمد (٢٥٥/١) ، الترمذى (٢٣٦٠) ، وقال : هذا حديث حسن صحيح ، وفى " الشمائل" (١٤٦) ، ابن ماجة (٣٣٤٧) ، عبد بن حميد فى " مسنده " (٥٩٢) ، ابن سعد فى " طبقاته " (١١٣/١) ، الطبرى فى " تهذيب الآثار " (صـ٢٣٨) كلهم من طرق عن هلال بن خباب عن عكرمة عن ابن عباس . وفى إسناده هلال بن خباب صدوق تغير بآخره .

٢٥ **صحيح لغيره .**

وفى " المسند " عن عائشة رضى الله عنها : " والذى بعث محمداً بالحق ما رأى مُنْخُلاً ، ولا أكل خُبزاً منخولاً منذ بعثه الله عز وجل إلى أن قبض " (٢٦) . قال عروة فقلت : فكيفكنتم تأكلون الشعير ؟ قالت كنا نقول : أف ؛ أى ننفخُه فيَطير ما طار ، ونعجن الباقي .

وفى " صحيح البخارى " عن أنس رضى الله عنه قال : لقد رهن رسول الله ﷺ درْعَه بشعير ، ولقد سمعته يقول : " **ما أصبح لآل محمد صاعٌ ولا أمسى ، وإنهم لتسعة أبيات** " (٢٧) .

وفى " مسند الحارث بن أبي أسامة " عن أنس رضى الله عنه أن فاطمة رضى الله عنها جاءت بكسرة خبز إلى النبي ﷺ ، فقال : " **ما هذه الكسرة يا فاطمة ؟** " قالت : قُرصٌ خبزته فلم تطب نفسي حتى

= أخرجه أحمد (٢٥٣/٥ ، ٢٦٠) ، الترمذى (٢٣٥٩) ، وقال حسن صحيح غريب " الشمائل " (١٤٦) ، الطبرانى فى " الكبير" (٧٦٨٠) ، وفى " مسند الشاميين " (١٠٦٧) ، البغوى فى " شرح السنة " (٤٠٧٥) كلهم من طرق عن جرير حدثنا سليم بن عامر الخبائرى قال : سمعت أبا أمامة الباهلي يقول .

قلت : إسناده حسن . وانظر ما قبله .

٢٦ أخرجه أحمد (٧١/٦) من طريق دويد عن أبي سهل عن سليمان بن رومان مولى عروة عن عروة عن عائشة .

قلت : وهذا إسناد مسلسل بالمجاهيل ، وأورده الهيثمى فى " مجمع الزوائد " (٣١٢/١٠) ، وقال : رواه أحمد وفيه سليمان بن رومان ولم أعرفه ، وبقية رجاله وثقوا .

قلت : ليس كما قال .

٢٧ أخرجه البخارى فى " صحيحه " كتاب " الشركة " (٣٥٠٨) ، من حديث أنس بن مالك .

أتيتك بهذه الكسرة . فقال : " **أما أنه أول طعام دخل فى فم أبيك منذ ثلاثة أيام** " (٢٨) .

وقال الإمام أحمد حدثنا وكيع حدثنا عبد الواحد بن أيمن عن أبيه عن جابر ﷺ قال : " لما حفر رسول الله ﷺ الخندق أصابهم جهد شديد حتى ربط النبي ﷺ على بطنه حجراً من الجوع " (٢٩) .

وقد أسرف أبو حاتم بن حبان فى " تقاسيمه " فى ردِّ هذا الحديث وبالغ فى إنكاره ، وقال : المصطفى أكرمُ على ربه من ذلك .

وهذا من وهمه ، وليس فى هذا ما يَنقص مرتبته عند ربه بل ذلك رفعة له وزيادة فى كرامته وعبرة لمن بعده من الخلفاء والملوك

---

٢٨ **إسناده حسن .**

أخرجه البيهقى فى " شعب الإيمان " (١٠٤٣٠) ، ابن سعد فى " الطبقات " (٣٠٦/١) ، الطبرانى فى " الكبير" (٢٣٢/١) من طريق أبو هاشم صاحب الزعفران وأخبرنا محمد بن عبد الله أن أنس بن مالك حدثه أن فاطمة عليها السلام .

قلت : إسناده حسن ، ففيه أبو هاشم الزعفران ، واسمه عمار بن عمارة لابأس به .

٢٩ **إسناده صحيح .**

أخرجه أحمد (٣٠١/٣) ، أبو يعلي فى " مسنده " (٢٠٠٤) ، أبو عوانة فى " مسنده " (٣٥٤/٤ ، ٣٥٥) ، ووكيع فى " الزهد " (١٢٤) ، وهناد بن السرى فى " الزهد " (٧٦٥) ، وابن أبي شيبة فى " مصنفه " (٤٨١/١٤) ، البيهقى فى " دلائل النبوة " (٤٢٢/٣ ، ٤٢٤) ، كلهم من طريق عن وكيع حدثنا عبد الواحد ابن أيمن عن أبيه عن جابر .

وغيرهم ، وكأن أبا حاتم لم يتأمل سائر الأحاديث فى معيشة النبي ﷺ ، وهل ذلك إلا من أعظم شواهد صدقه ؟ فإنه لو كان كما يقول أعداؤه وأعداء ربه أنه ملك طالب ملك ودنيا لكان عيشه عيش الملوك وسيرته سيرتهم ، ولقد توفاه الله وإن درعه مرهونة عند يهودى على طعام أخذه لأهله ، وقد فتح الله عليه بلاد العرب وجُبيت إليه الأموال ومات ولم يترك درهماً واحداً ولا ديناراً ولا شاةً ولا بعيراً ولا عبداً ولا أمة .

قال الإمام أحمد حدثنا حسين ثنا محمد بن مطرف عن أبي حازم عن عروة : أنه سمع عائشة تقول : كان يَمُرُّ بنا هلالٌ وهلال ما يوقد فى بيت من بيوت رسول الله ﷺ نار ، قلت : يا خالة فعلى أى شيء كنتم تعيشون ؟ قالت : " على الأسودين : التمر والماء " (٣٠) .

وقد تقدم حديث أبي هريرة فى قصة أبي الهيثم بن التيهان ، وإنه خرج رسول الله ﷺ من بيته فرأى أبا بكر وعمر رضى الله عنهما

---

٣٠ **صحيح .**

أخرجه أحمد (٧١/٦) ، إسحاق بن راهوية فى " مسنده" (٨٩١) ، الطيالسي فى " مسنده" (١٤٧٢) ، ابن أبي شيبة فى " مصنفه " (٢٤٩/١٣) ، ابن المبارك فى " الزهد " (٩٦٩) ، هناد بن السرى فى " الزهد " (٧٢٩) ، عبد بن حميد فى " المنتخب " (١٥١٠) ، الطبرانى فى " الأوسط " (٦٤٩٢) كلهم من طرق عن طرق عن عائشة .

قلت : وهو فى " الصحيحين " البخارى (٢٥٦٧ ، ٦٢٥٩) ، مسلم (٢٩٧٢)

فقال : " **ما أخرجكما ؟** " قالا : الجوع ، قال : " **وأنا والذى نفسي بيده لأخرجنى الذى أخرجكما** " [٣١] .

وذكر أحمد من حديث مسروق قال : دخلت على عائشة فدعت لي بطعام وقالت : ما أشبع من طعام فأشاء أن أبكى إلا بكيت ، قال : قلت : لِمَ ، قالت : " أذكرُ الحال التى فارق عليها رسول الله ﷺ الدنيا ، والله ما شبع فى يوم مرتين من خبز البُرِّ حتى قُبض " [٣٢] وفيه عنها : " ما شبع رسول الله ﷺ من خبز شعير يومين متتابعين حتى قبض " [٣٣]. والحديثان صحيحان .

وفيه أيضاً عنها : " ما شبع آل محمد من خبز مأدوم ثلاثة أيام حتى لحق بالله عز وجل " [٣٤] .

وفى " الصحيحين " عن أبي هريرة : " ما شبع رسول الله ﷺ وأهله ثلاثاً تباعاً من خبز البُرِّ حتى فارق الدنيا " [٣٥] .

---

٣١ تقدم الكلام عليه .

٣٢ أخرجه الترمذى (٢٣٥٦) ، وقال : هذا حديث حسن صحيح ، ابن أبي الدنيا فى " الجوع " (٥) كلاهما من طريق حماد بن زيد عن مجالد عن الشعبي عن مسروق قال : دخلت على عائشة .

وإسناده ضعيف من أجل مجالد وهو ابن سعيد .

٣٣ أخرجه مسلم فى كتاب" الفتن وأشراط الساعة " (٢٩٧٠) .

٣٤ أخرجه البخارى فى " صحيحه " كتاب " الإيمان والنذور" (٦٦٨٧) .

٣٥ أخرجه البخارى فى " صحيحه " كتاب " الأطعمة " (٥٤١٤) ، مسلم فى كتاب " الفتن وأشراط الساعة " (٢٩٧٦) واللفظ لمسلم .

وفي الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان النبي ﷺ يبيت الليالي المتتابعة طاوياً وأهله لا يجدون عشاء وكان أكثر خبزهم خبز الشعير " [٣٦] .

وفيه أيضاً عن أنس عنه ﷺ : " **لقد أُخِفْتُ في الله وما يخاف أحد ، ولقد أُوذيت في الله وما يؤذى أحد ، ولقد أتت عليَّ ثلاثون من بين يوم وليلة وما لي ولبلال من طعام يأكله ذو كبد إلا شيء يواريه إِبْطُ بلال** " [٣٧] . الحديثان صحيحان .

وفيه أيضاً عن أنس بن مالك ﷺ عن أبي طلحة ﷺ قال : " شكونا إلى رسول الله ﷺ الجوع ورفعنا عن بطوننا حجراً حجراً فرفع رسول الله ﷺ عن بطنه حجرين " [٣٨] .

وفيه أيضاً عن علقمة عن عبد الله ﷺ قال : نام رسول الله ﷺ على حصير فقام وقد أثر في جنبيه ، فقلنا : يا رسول الله لو اتخذنا لك وطاء فقال : " **ما لي وللدنيا ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها** " [٣٩] حديث حسن صحيح .

---

٣٦ تقدم في أول الباب .

٣٧ تقدم الكلام عليه في الباب العاشر .

٣٨ **إسناده ضعيف .**

أخرجه الترمذي (٢٣٧١) ، وقال : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه ، والبيهقي في " شعب الإيمان " (١٠٤٢٨) كلاهما من طريق سيار بن حاتم عن سهل بن أسلم عن يزيد بن أبي منصور عن أنس بن مالك عن أبي طلحة . وفي إسناده سيار بن حاتم صدوق له أوهام .

٣٩ تقدم في الباب الحادي والعشرون .

وفيه عن علي ﷺ قال : خرجت في يوم شاتٍ من بيت رسول الله ﷺ وقد أخذت إهاباً معطوباً ، فجوبت وسطه وادخلته في عنقي فشددت به وسطي ، فحزمته بخوص من النخل ، وإني لشديد الجوع ، ولو كان في بيت رسول الله ﷺ طعام لطعمت منه ، فخرجت ألتمس شيئاً فمررت بيهودي في مالٍ له وهو يسقي ببكرة له ، فاطلعت عليه من ثلمة من الحائط ، فقال : مالك يا أعرابي وهل لك في كل دلو بتمرة ، قلت : نعم ، فافتح الباب حتى أدخل ، ففتح فدخلت فأعطاني دلوه ، فكلما نزعت دلواً أعطاني تمـــرة حتى امتلأت كفي ، أرسلت دلوه وقلت : حسبي فأكلتها ، ثم جرعت من الماء فشربت ثم جئت المسجد فوجدت رسول الله ﷺ فيه (٤٠) .

وقال سعد بن أبي وقاص ﷺ : " لقد رأيتنا نغزو مع رسول الله ﷺ ما لنا طعام إلا الحُبْلَةُ وهذا السَّمَر " (٤١) والحُبْلَةُ : ثمر العضاة ذات الشوك . وهو حديث صحيح .

---

٤٠ **إسناده ضعيف .**

أخرجه الترمذي (٢٤٧٣) وقال : هذا حديث حسن غريب ، من طريق محمد بن إسحاق حدثنا يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي حدثنا من سمع علي بن أبي طالب .

وفي إسناده يزيد بن زياد الهاشمي مولاهم ، قال الحافظ بن حجر في " التقريب " ضعيف .

٤١ أخرجه البخاري في " صحيحه " كتاب " الرقاق " (٦٤٥٣) مسلم في كتاب" الزهد والرقائق " (٢٩٦٦) .

وكان ﷺ يصلي من الليل أحياناً وعليه كساء صوف بعضه عليه وبعضه على عائشة [٤٢]. قال الحسن : أثمان ستة دراهم أو سبعة .

وقال أحمد : حدثنا أبو أسامة أنبأنا زائدة حدثنا عطاء عن أبيه عن علي قال : " جهز رسول الله ﷺ فاطمة فى خميل وقربة ووسادة من أدم حشوها ليف " [٤٣] والخميل : الكساء الذى خمل .

قال : وحدثنا بهز بن أسد حدثنا سليمان بن المغيرة عن حميد قال : قال أبو بردة دخلت على عائشة فأخرجت إلينا إزاراً غليظاً مما

---

٤٢ **إسناده ضعيف جداً .**

أخرجه الطبرانى فى " الأوسط " (٥٦٩٥) ، من طريق يزيد بن أبي زياد عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله بن مسعود .

قلت : وفى إسناده يزيد بن أبي زياد ضعيف ، وأورده الهيثمى فى " مجمع الزوائد " (٥٠/٢) ، وقال : رواه الطبرانى فى " الأوسط " وفيه ضرار بن هود أبو نعيم وهو ضعيف .

٤٣ **إسناده صحيح .**

أخرجه أحمد (٨٤/١) ، النسائي فى " الصغرى " (١٣٥/٦) ، ابن ماجة (٤١٥٢) ، ابن أبي شيبة فى " مصنفه " (٣٣٢/١٠ ، ٣٣٣) ، ابن سعد فى " الطبقات " (٢٥/٨) ، البزار فى " كشف الأستار "(٧٥٧) ، البيهقى فى " دلائل النبوة " (١٦١/٣) كلهم من طرق عن طريقين عن عطاء بن السائب عن أبيه عن علي .

قلت : وإحدى الطرق عن زائدة بن قدامة ، وقد روى عنه قبل الاختلاط . انظر " نهاية الاغتباط " .

يصنع باليمن وكساء من هذه التى تدعونها الملبدة ، فقالت : " قُبض رسول الله ﷺ فى هذين الثوبين " [٤٤] .

قالوا : ولو كان الغنى مع الشكر أفضل من الفقر مع الصبر لاختاره رسول الله ﷺ إذ عرضت عليه الدنيا ، ولأمره ربه أن يسأله إياه كما أمره أن يسأله زيادة العلم ، و لم يكن رسول الله ﷺ ليختار إلا ما اختاره الله له ولم يكن الله ليختار له إلا الأفضل إذ كان أفضل خلقه وأكملهم .

قالوا : وقد أخبر النبي ﷺ أن خير الرزق ما كان بقدر كفاية العبد فلا يعوزه ما يضره ولا يفضل عنه ما يطغيه ويلهيه .

قال الإمام أحمد : حدثنا ابن مهدي حدثنا هشام عن قتادة عن خليد العصري عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله ﷺ : " **ماطلعت شمس قط إلا بعث بجنبيها ملكان يناديان يسمعان أهل الأرض إلا الثقلين : يا أيها الناس هلموا إلى ربكم فإن ما قل وكفى خير مما كثر وألهى ، ولا آبت شمس قط إلا بعث بجنبيها ملكان يناديان يسمعان أهل الأرض إلا الثقلين : اللهم أعط منفقاً خلفاً ، وأعط ممسكاً تلفاً** " [٤٥] .

---

٤٤ أخرجه البخارى فى كتاب " اللباس " (٥٨١٨) ، مسلم فى " صحيحه " كتاب " اللباس والزينة " (٢٠٨٠) من حديث عائشة رضى الله عنها .

٤٥ **إسناده صحيح .**

أخرجه أحمد (١٩٧/٥) ، وفى" الزهد " (صـ١٩) ، الطيالسي فى " مسنده " (٩٧٩) ، وابن جرير فى " تفسيره " (١٢/ ٢٥٤) ، عبد بن حميد فى " مسنده " (٢٠٧) ، الحاكم (٤٤٤/٢٠ ، ٤٤٥) ، البغوى فى " شرح السنة " (٤٠٤٥) ، ابن حبان كما فى " الإحسان " (٢٦٣٤) أبو نعيم فى " حلية الأوليـاء " =

وقال الإمام أحمد : حدثنا وكيع حدثنا أسامة بن زيد عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي لبيبة عن سعد بن مالك ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : " **خير الرزق ما يكفي وخير الذكر الخفي** " (٤٦) .

وتأمل جمعه في هذا الحديث بين رزق القلب والبدن : رزق الدنيا والآخرة وإخباره أن خير الرزقين ما لم يتجاوز الحد فيكفى من الذكر إخفاؤه ، فإن زاد على الإخفاء خيف على صاحبه الرياء والتكبر به على الغافلين ، وكذلك رزق البدن إذا زاد على الكفاية خيف على صاحبه الطغيان والتكاثر .

قالوا : وقد غبط رسول الله ﷺ المتقلل من الدنيا ما لم يغبط به الغني . قال الإمام أحمد : حدثنا وكيع حدثنا علي بن صالح عن

= (٢٢٦/١ ، ٦٠/٩) ، القضاعي فى " مسند الشهاب " (٨١٠) ، البيهقى فى " شعب الإيمان " (١٠٣٧٣) ، ابن شاهين فى " الترغيب " (٣١٠) كلهم من طرق عن قتادة عن خليد العصرى عن أبي الدرداء .

قلت : وقد صرح قتادة بالتحديث كما عند ابن جرير الطبرى فى " تفسيره " وعند الحاكم .

٤٦ **إسناده ضعيف .**

أخرجه أحمد (١٧٢/١ ، ١٧٨) ، وفى " الزهد " (صـ١٠) ، ابن حبان كما فى " الإحسان " (٨٠٩) ، ابن أبي شيبة فى " مصنفه " (٣٧٥/١٠ ، ٢٤٠/١٣) وكيع فى " الزهد " (١١٨ ، ٣٣٩) ، الهيثم بن كليب فى " مسنده " (١٨٣) ، الدورقى فى " مسنده " (٧٤) ، القضاعى فى " مسند الشهاب " (١٢٢٠) ، الطبرانى فى " الدعاء" (٨٨٣) ، عبد بن حميد فى " مسنده " (١٣٧) كلهم من طرق عن محمد بن عبد الرحمن بن لبيبه عن سعد بن مالك .

وإسناده ضعيف من أجل محمد بن عبد الرحمن بن لبيبه .

أبي المهلب عن عبيد الله بن زحر عن علي بن يزيد عن القاسم عن أبي أمامة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : " **إن أغبط أوليائي عندي مؤمن خفيف الحاذ ذو حظ من صلاة ، أحسن عبادة ربه وكان غامضاً في الناس لا يشار إليه بالأصابع ، فعجلت منيته وقل تراثه ، وقلت بواكيه** " (٤٧) .

قال عبد الله بن أحمد : سألت أبي : ما تراثه ؟ ، قال : ميراثه .

قالوا : وحمية الله لعبده المؤمن عن الدنيا إنما هو من محبته له وكرامته .

قال الإمام أحمد : حدثنا أبو سعيد حدثنا سليمان بن بلال عن عمرو بن أبي عمرو عن عاصم بن عمر بن قتادة عن محمود بن لبيد ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : " **إن الله تبارك وتعالى يحمي عبده المؤمن من الدنيا وهو يحبه كما تحمون مرضاكم الطعام والشراب تخافون عليهم** " (٤٨) .

---

٤٧ **ضعيف جداً .**

أخرجه أحمد (٥/٢٥٢ ، ٢٥٥) ، الترمذى (٢٣٤٧) ، وقال هذا حديث حسن ، الحميدى فى " مسنده " (٩٠٩) ، الطبرانى فى " الكبير " (٧٨٢٩ ،٧٨٦٠) ، وكيع فى " الزهد " (١٣٣) ، الرويانى فى" مسنده " (١٢٠٥ ، ١٢١٩) أبو نعيم فى " حلية الأولياء " (١/٢٥) ، الحاكم (٤/١٢٣) ، البيهقى فى " شعب الإيمان" (١٠٣٥) ، وفى " الزهد الكبير" (١٩٦ ، ١٩٧) ، كلهم من طرق عن عبد الله بن زحر عن علي بن يزيد عن القاسم عن أبي أمامة .

وهذا إسناد مسلسل بالضعفاء والمتروكين .

٤٨ **إسناده صحيح .**

=

قالوا : وقل أن يقع إعطاء الدنيا وتوسعتها إلا استدراجاً من الله لا إكراماً ومحبة لمن أعطاه .

قال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن غيلان حدثنا رشدين بن سعد عن حرملة بن عمران التجيبي عن عقبة بن مسلم عن عقبة بن عامر ﷺ عن النبي ﷺ قال : " **إذا رأيت الله يعطى العبد من الدنيا على معاصية وما يحب فإنما هو استدراج ثم تلى قوله تعالى ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ ﴾** [الأنعام : ٤٤] [(٤٩)].

قال : ولهوان الدنيا على الله منعها أكثر أوليائه وأحبائه .

= أخرجه أحمد فى" الزهد " (صــ١٧) ، الترمذى (٢٠٣٦) وقال : وهذا حديث حسن غريب ، الحاكم (٢٠٧/٤) ، وعبد الله بن أحمد فى" زوائد الزهد " (صــ١١) ، ابن أبي الدنيا فى " ذم الدنيا " (٣٨) ، وابن أبي شيبة فى " مصنفه " (٥٧/١٤) ، ابن حبان كما فى " الإحسان " (١٦٩) ، أبويعلي فى " مسنده " (٦٨٦٥) ، القضاعى فى " مسند الشهاب " (١٣٩٧) ، البغوى فى " شرح السنة " (٤٠٦٥) ، الطبرانى فى " الكبير " (١٧/١٩) ، البيهقى فى " شعب الإيمان " (١٠٤٤٨) كلهم من طرق عن عمرو بن عمرو عن عاصم بن عمر بن قتادة عن محمود بن لبيد .

٤٩ **إسناده حسن .**

أخرجه أحمد (١٤٥/٤) ، وفى " الزهد " (صــ١٢) ، ابن أبي الدنيا فى " الشكر" (٣٢) ، ابن جرير الطبرى فى " تفسيره " (١٩٣/٥) ، ابن الأعرابي فى " معجمه " (١٧٢ ، ١٧٣) ، الطبرانــى فى " الكــبير" (٢٨٣/١٧) ، " الأوسط " (٩٤٧٢) ، البيهقى فى " شعب الإيمان " (٤٥٤٠) ، وفى " الأسماء والصفات " (صــ٤٤٨) ، الدولابي فى " الكنى والأسماء " (١١١/١) كلهم من طريق حرملة ابن يحيى التجيبي عن عقبة بن مسلم عن عقبة بن عامر .

قال الإمام أحمد : حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن سالم بن أبي الجعد قال : قال رسول الله ﷺ " **إن من أمتى من لو أتى باب أحدكم فسأله ديناراً لم يعطه إياه ، ولو سأله فلساً لم يعطه إياه ، ولو سأل الله تعالى الجنة لأعطاها إياه ، ولو سأله الدنيا لم يعطها إياه ، وما يمنعها إياه لهوانه عليه ، ذو طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره** " (٥٠) . وهذا يدل على أنه إنما يمنعه إياها لهوانها عليه لا لهوانه هو عليه ، ولهذا يعطيه أفضل منها وأجلّ ، فإن الله تعالى يعطى الدنيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطى الآخرة إلا من يحب .

قالوا : وقد أخبرهم النبي ﷺ أن أقربهم منه مجلساً ذو التقلل من الدنيا الذين لم يستكثروا منها. قال الإمام أحمد : حدثنا يزيد بن هارون أخبرنا محمد بن عمرو قال : سمعت عراك بن مالك يقول : قال أبو ذر : إني لأقربكم مجلساً من رسول الله ﷺ مجلساً يوم القيامة وذلك أني سمعته يقول : " **إن أقربكم مني مجلساً يوم القيامة من خرج من الدنيا كهيئة ما تركته فيها** " (٥١) وإنه والله ما منكم من أحد إلا وقد تشبث منها بشيء غيري .

---

٥٠ **مرسل .**

أخرجه أحمد فى " الزهد " (صـــ١٨) ، ابن أبي الدنيا فى " التواضع " (١) وهناد بن السرى فى " الزهد " من طريق أبو معاوية حدثنا الأعمش عن سالم ابن أبي الجعد قوله مرسلاً .

٥١ **إسناده ضعيف .**

أخرجه أحمد (١٦٥/٥) ، وفى " الزهد " (صـــ١٨٣) ، هناد بن السرى فى " الزهد " (٥٥٤) ، أبو نعيم فى "حلية الأولياء " (١٦١/١) ، ابن سعـــد =

قالوا : وقد غبط النبي ﷺ من كان عيشه كفافاً وأخبر بفلاحه .

قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الله بن يزيد حدثنا حيوة قال : أخبرني أبو هانئ أن أبا علي الجنبي أخبره أنه سمع فضالة بن عبيد يقول أنه رسول الله ﷺ يقول : " **طوبى لمن هدي إلى الإسلام ، وكان عيشه كفافاً وقنع** " (٥٢) . وذكر أيضاً من حديث عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال : " **قد أفلح من أسلم ورزق كفافاً وقنعه الله بما أتاه** " (٥٣)

قالوا : ولو لم يكن فى التقلل إلا خفة الحساب لكفى به فضلاً على الغنى . قال عبد الله بن الإمام أحمد : حدثنا بيان بن الحكم حدثنا محمد بن حاتم قال حدثنا بشر بن الحارث حدثنا عيسىبن يونس عن هشام عن الحسن قال : قال رسول الله ﷺ " **ثلاثة لا يحاسب بهن العبد**

= فى " الطبقات " (٤/٢٢٨ – ٢٢٩) ، الطبرانى فى " الكبير " (١٦٢٧) كلهم من طرق عن محمد بن عمرو بن علقمة عن عراك بن مالك قال : قال أبو ذر .

قلت : وهذا إسناد معل بالانقطاع بين عراك بن مالك وأبي ذر لم يسمع منه

٥٢ **صحيح** .

أخرجه أحمد (٦/١٩) ، وفى " الزهد " (صـ١٤) ، الترمذى (٢٣٤٩) ، وقال : هذا حديث حسن صحيح ، ابن حبان كما فى " الإحسان " (٧٠٥) ، الحاكم (١/٣٤ ، ٣٥) ، الطبرانى فى " الكبير" (١٨/٢٥٦) ، القضاعى فى " مسند الشهاب " (٦١٦ ، ٦١٧) ، ابن المبارك فى " الزهد " (٥٥٣) ، النسائي فى " الرقائق " كما فى التحفة . كلهم من طرق عن حيوه بن شريح ، أخبرنى أو هانئ الخولانى أن أبا علي عمرو بن مالك الجنبي أخبره عن فضالة بن عبيد

٥٣ أخرجه مسلم فى " صحيحه " كتاب" الزكاة " (١٠٥٤) ، أحمد (٢/١٦٨) .

ظل خص يستظل به ، وكسرة يشد بها صلبه ، وثوب يوارى عورته " [٥٤] .

وقال الإمام أحمد : حدثنا سيار حدثنا جعفر حدثنا ليث عن أبي عثمان قال : لما افتتح المسلمون جوجي دخلوا يمشون فيها وأكداس الطعام فيها أمثال الجبال ، وكان رجل يمشى إلى جنب سلمان فقال : " يا أبا عبد الله ألا ترى إلى ما فتح الله علينا ، ألا ترى إلى ما أعطانا الله " ، فقال سلمان : وما يعجبك مما ترى إلى جنب كل حبة مما ترى حساب " [٥٥] .

قالوا : وقد شهد النبي ﷺ لأصحابه أنهم يوم فقرهم وفاقتهم خير منهم يوم غناهم وبسط الدنيا عليهم .

قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الصمد حدثنا أبو الأشهب عن الحسن قال : قال نبي الله ﷺ : " **يا أهل الصفة كيف أنتم ؟** " قالوا : نحن بخير ، قال : " **أنتم اليوم خير أم يوم تغدوا على أحدكم جفنة ،**

---

٥٤ **مرسل** .

أخرجه إسحاق بن راهوية فى " مسنده " (٢٤٩/٧) ، عبد الله بن أحمد فى " زوائد الزهد " (صـ١٦) ، البيهقى فى " شعب الإيمان " (١٠٣٦٨) ، وقال : هكذا جاء مرسلاً ، وهو مرسل جيد فى هذا المعنى شاهد كما تقدم من طرق عن الحسن البصرى قوله .

٥٥ **إسناده ضعيف** .

أخرجه البيهقى فى " الشعب " (١٠٦٥٤) ، من طريق جعفر بن سليمان عن ثابت عن أبي عثمان .

قلت : رواية جعفر بن سليمان عن ثابت فيها كلام .

وتروح أخرى ، ويغدو فى حله ، ويروح فى أخرى ، وتسترون بيوتكم مثل أستار الكعبة ؟ " قالوا : يا نبي الله نحن يومئذ خير يعطينا ربنا تبارك وتعالى فنشكر . قال : " **بل أنتم اليوم خير** " [٥٦] .

فهذا صريح فى أنهم فى وقت صبرهم على فقرهم خير منهم فى وقت غناهم مع الشكر .

وقال عبد الله بن أحمد حدثنا ابن ذر حدثنا حفص بن غياث عن داود بن أبي هند عن أبي حرب بن أبي الأسود عن طلحة البصرى قال : قدمت المدينة ولم يكن لي بها معرفة ، فكان يجرى علينا مد من تمر بين اثنين ، فصلى بنا رسول الله ﷺ صلاة فهتف به هاتف من خلفه فقال : يا رسول الله قد حرق بطوننا التمر وعزفت عنا الكنف فخطب فحمد الله وأثنى عليه وقال : " **والله لو أجد لكم اللحم والخبز لأطعمتكموه ، وليأتين عليكم زمان تغدوا على أحدكم الجفان وتراح ، ولتلبسن بيوتكم مثل أستار الكعبة** " قالوا : يا رسول الله : نحن اليوم خير منا أو يومئذ ؟ قال : " **بل أنتم اليوم خير منكم يومئذ ، أنتم اليوم خير منكم يومئذ ، يضرب بعضكم رقاب بعض** " [٥٧] .

---

٥٦ **صحيح إلى قتادة .**

أخرجه أحمد فى" الزهد " (صـ٤٨) من طرق عبد الوهاب عن سعيد عن قتادة قوله .

٥٧ **إسناده صحيح .**

أخرجه أحمد (٤٨٧/٣) ، عبد الله ابنه فى " زوائد الزهد" (صـ٣٢) ، البزار كما فى " كشف الأستار " (٣٦٧٣) ، الفسوي فى " تاريخه " (٢٧٧/١ – ٢٧٨) ، ابن حبان كما فى " الإحسان " (٦٦٨٤) ، الحاكم (٥٤٨/٤) ، =

قال الإمام أحمد : وحدثنا عبد الوهاب عن سعيد عن قتادة قال : ذكر لنا أن نبي الله ﷺ دخل على أهل الصفه فذكر نحوه (٥٨) .

قالوا : ولم يكن فى الغنى والمال إلا أنه فتنة ، وقل من سلم من إصابتها له وتأثيرها فى دينه ، كما قال تعالى : ﴿ **أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ** ﴾ [الأنفال : ٢٨] .

وفى الترمذى من حديث كعب بن عياض قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " **إن لكل أمة فتنة ، وفتنة أمتى المال** " (٥٩) . قال : هذا حديث حسن صحيح .

= أبو نعيم فى " حلية الأولياء " (٣٧٤/١ -٣٧٥) ، الطبرانى فى " الكبير " (٨١٦) أبي عاصم فى " الآحاد والمثانى " (١٤٣٤ ، ١٤٣٥) كلهم من طرق عن أبي حرب أن طلحة حدثه وكان من أصحاب رسول الله ﷺ وله طريق من حديث ابن مسعود كما عند البزار فى " كشف الأستار " (٣٦٧٢) .

٥٨ أخرجه أحمد فى" الزهد " (صـــ٤٨) . وانظره فى الباب .

٥٩ **صحيح** .

أخرجه أحمد (١٦٠/٤) ، الترمذى (٢٣٣٦) ، وقال : هذا حديث حسن صحيح غريب ، البخارى فى " تاريخه " (٢٢٢/٧) ، النسائي فى " الكبرى " (٣٠٩/٨) كما فى" تحفة الأشراف " ، الطبرانى فى " الكبير " (١٦١/١٧) وفى " الأوسط " (٣٣١٩) ابن حبان كما فى " الإحسان " (٣٢٢٣) ، البيهقى فى " شعب الإيمان " (١٠٣٠٩) ، القضاعى فى " مسند الشهاب " (١٠٢٢ ، ١٠٢٣) الحاكم (٣١٨/٤) ، الطحاوى فى " شرح مشكل الآثـــار " (٤٣٢٥) ، ابن أبي عاصم فى " الآحاد والمثانى " (٢٥١٦) ، كلهم من طرق عن ليث بن سعد عن معاوية بن صالح عن عبد الرحمن بن جبير بن نضير عن أبيه عن كعب ابن عيـــاض .

قالوا : والمال يدعوا إلى النار ، والفقر يدعوا إلى الجنة .

قال الإمام أحمد : حدثنا يزيد حدثنا أبو الأشهب حدثنا سعيد بن أيمن مولي كعب بن سور قال : بينا رسول الله ﷺ يحدث أصحابه إذ جاء رجل من الفقراء فجلس إلي جنب رجل من الأغنياء فكأنه قبض من ثيابه عنه فقال رسول الله ﷺ : " **أخشيت يا فلان أن يغدو غناك عليه أو يغدو فقره عليك** ؟ " قال : يا رسول الله ! وشر الغني ؟! قال : " **نعم إن غناك يدعوك إلي النار و إن فقره يدعوه إلي الجنه** " قال : فما ينجيني منه ، قال " **تواسيه** " قال : إذن أفعل ، فقال الأخر : لا إرب لي فيه ، قال " **فاستغفر وادع لأخيك** " [٦٠] .

قال و حق الغني أعظم من أن يقوم العبد بشكره . و قد روي " الترمذي في جامعه " من حديث عثمان بن عفان ﷺ : أن النبي ﷺ قال : " **ليس لابن آدم حق في سوى هذه الخصال : بيت يسكنه ، وثوب يواري به عورته ، وجلف [٦١] الخبز و الماء** " [٦٢] .

---

٦٠ أخرجه أحمد فى " الزهد "صــ ٤٩) من طريق يزيد حدثنا أبو الأشهب حدثنى سعيد بن أيمن مولى كعب بن سوار قال . وإسناده ضعيف .

٦١ هو الخبز ليس معه إدام .

٦٢ **ضعيف .**

أخرجه أحمد (٦٢/١) ، الترمذى (٢٣٤١) ، وقال : هذا حديث حسن صحيح ، البزار فى " مسنده " (٤١٤) ، أبو داود الطيالسي فى " مسنده " (٨٣) ، عبد بن حميد فى " مسنده " (٤٦)، الطبرانى فى " الكبير " (١٤٧) ، أبو نعيم فى " حلية الأولياء " (٦١/١) ، الحاكم (٣١٢/٤) ، البيهقى فى " شعب الإيمان " (١٠٣٦٧) ، أبو نعيم فى " أخبار أصبهان " (٢٥٤/١) ، كلهم من طريق حريث ابن السائب قال : سمعت الحسن يقول : حدثنى حمران عن عثمان بن عفان . =

قال هذا حديث حسن صحيح .

وفي" صحيح مسلم " عن أبي أمامه ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : " **يا ابن آدم إنك إن تبذل الفضل خير لك ، وإن تمسكه شر لك ، ولا تُلام علي كفاف وابدأ بمن تعول ، واليد العليا خير من اليد السفلى** " (٦٣) .

وفى صحيحه أيضاً من حديث أبي نضرة عن أبي سعيد ﷺ قال : بينما نحن فى سفر مع رسول الله ﷺ إذ جاء رجل على راحلة له فجعل يضرب يميناً وشمالاً ، فقال رسول الله ﷺ : " **من كان معه فضل من ظهر فليعد به على من لا ظهر له ، ومن كان له فضل من زاد فليعد به على من لا زاد له** " . قال : فذكر من أصناف المال ما ذكر حتى ظننا أنه لا حق لأحد منا فى فضل (٦٤) .

قالوا : فهذا موضع النظر فى تفضيل الغني الشاكر ببذل الفضل كله ، وأما غني يمتع بأنواع الفضل ويشكر بالواجب وبعض المستحب فكيف يفضل على فقير صابر راضٍ عن الله فى فقره ؟

قالوا : وقد أقسم رسول الله ﷺ لأصحابه وهم أئمة الشاكرين : أنه لا يخاف عليهم الفقر ، وإنما يخاف عليهم الغنى . ففى الصحيحين من

= وفى إسناده حريث بن السائب مختلف فيه .

وأورده ابن الجوزي فى " العلل المتناهية " (٧٩٩/٢) ، وقال : هذا حديث لا يصح ، وأورده الدارقطني فى " العلل " (٩/٣) وقال : وهم حريث فى هذا الحديث ، والصواب عن الحسن عن حمران عن بعض أهل الكتاب .

٦٣ أخرجه مسلم فى كتاب " الزكاة " (١٠٣٦) .

٦٤ أخرجه مسلم فى كتاب " اللقطة " (١٧٢٨) .

حديث عمرو بن عوف وكان شهد بدراً أن رسول الله ﷺ بعث أبا عبيدة بن الجراح إلى البحرين يأتي بجزيتها ، وكان رسول الله ﷺ صالح أهل البحرين وأمَّر عليهم العلاء بن الحضرمي ، فقدم أبو عبيدة بمال من البحرين ، فسمعت الأنصار بقدوم أبي عبيدة فوافو صلاة الفجر مع رسول الله ﷺ . فلما صلى رسول الله ﷺ انصرف ، فتعرضوا له ، فتبسم رسول الله ﷺ حين رآهم ، ثم قال : " **أظنكم سمعتم أن أبا عبيدة قدم بشيء من البحرين** " فقالوا : أجل يا رسول الله . قال : " **أبشروا وأملوا ما يسركم فوالله ما الفقر أخشى عليكم ولكنى أخشى أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم ، فتتنافسوا فيها كما تنافسوها ، وتلهيكم كما ألهتهم** " (٦٥) .

قال الإمام أحمد : حدثنا روح حدثنا هشام عن الحسن قال : قيل لأبي ثعلبة الخشنى أين دنياكم والتى كنتم تعدون يا أصحاب محمد ؟ قال : " ليبشر الآخر بدنيا قد ظلت تأكل – والله الذى لا إله إلا هو – الإيمان كما تأكل النار الحطب الجزل .

وقال أحمد : حدثنا يزيد حدثنا هشام بن حسان قال : سمعت الحسن يقول : " والله ما أحد من الناس بسط الله له دنياه فلم يخف أن يكون قد مكر به فيها إلا كان قد نقص علمه وعجز رأيه ، وما أمسكها الله عن عبد فلم يظن أنه قد خير له فيها إلا كان قد نقص علمه وعجز رأيه " (٦٦) .

---

٦٥ أخرجه البخارى فى " صحيحه " كتاب " الرقاق " (٦٤٢٥) ، مسلم كتاب " الحيض " (٢٩٦) .

٦٦ أخرجه أحمد فى " الزهد " (صـــ٤٧) وإسناده ضعيف .

قالوا : وقد مر على النبي ﷺ فقير وغني فقال عن الفقير : " **هذا خير من ملئ الأرض مثل هذا** " [٦٧] . وروى البخارى فى صحيحه عن سهل بن سعد ﷺ قال : مر رجل على رسول الله ﷺ فقال : " **ما تقولون فى هذا** " فقالوا : حري إن خطب أن يُنكح ، وإن شفع أن يُشفع ، وإن قال أن يُسمع ، قال : ثم سكت ، فمر رجل من فقراء المسلمين فقال : " **ما تقولون فى هذا ؟** " قالوا : حري إن خطب أن لا يُنكح ، وإن شفع أن لا يُشفع ، وإن قال أن لا يُسمع لقوله ، فقال رسول الله ﷺ : " **هذا خير من ملئ الأرض مثل هذا** " [٦٨] .

وقد بشر رسول الله ﷺ الفقراء الصابرين بما لم يبشر به الأغنياء ففى الترمذى من حديث فضالة بن عبيد أن رسول الله ﷺ كان إذا صلى بالناس يخر رجال من قامتهم فى الصلاة من الخصاصة وهم أصحاب الصفة حتى يقول الأعراب : هؤلاء مجانين . فإذا صلى رسول الله ﷺ انصرف إليهم وقال : " **لو تعلمون ما لكم عند الله لأحببتم أن تزدادوا فاقة وحاجة** " [٦٩] . قال فضالة : وأنا يومئذ مع رسول الله ﷺ .

---

٦٧ أخرجه أحمد فى " الزهد " (صـ٤٨) من طريق يزيد أنبأنا هشام ابن حسان قال : سمعت الحسن يقول وإسناده صحيح .

٦٨ أخرجه البخارى فى " صحيحه " كتاب " النكاح " (٥٠٩١) .

٦٩ **إسناده صحيح .**

أخرجه أحمد (١٩/٦) ، الترمذي (٣٢٦٨) وقال هذا حديث صحيح ، ابن حبان كما في " الإحسان " (٧٢٤) أبو نعيم في " حلية الأولياء " (١٧/٢) ، الطبراني في " الكبير " (٧٩٨/١٨) ، البزار في" مسنده " (٣٧٥٠) ، =

وبشّرهم بسبقهم الأغنياء إلى الجنة . وقد اختلفت الروايات فى مدة هذا السبق ، ففى صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو : أنه جاءه ثلاثة نفر فقالوا : يا أبا محمد والله ما نقدر على شيء : لا نفقه ولا دابة ولا متاع ، فقال لهم : ما شئتم ، إن شئتم رفعتم إلينا فأعطيناكم ما يَسَّرَ الله لكم ، وإن شئتم ذكرنا أمركم للسُّلطان ، وإن شئتم صبرتم فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : " **إن فقراء المهاجرين يسبقون الأغنياء يوم القيامة بأربعين خريفاً** " . قالوا : نصبر ، ولا نسألُ شيئاً [٧٠] .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : " **يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل أغنيائهم بنصف يوم وهو خمسمائة عام** " [٧١] ، قال الترمذى : حديث حسن صحيح .

وفى الترمذى أيضاً من حديث أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ : " **فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بخمسمائة سنة** " [٧٢]. وهو حديث حسن .

= البيهقي في " شعب الإيمان " (١٠٣١٦، ١٠٤٤٠، ١٠٤٤١) كلهم من طرق عن حيوه قال أخبرني أبو هانيء ، عمرو بن مالك حدثه أنه سمع فضاله ابن عبيد يقول :

٧٠ تقدم في الباب الحادي والعشرون .

٧١ أنظره في بداية الباب الحادي والعشرون .

٧٢ **صحيح** .

أخرجه أحمد (٣/٦٣) ، أبو داود (٣٦٦٦) ، الترمذى (٢٣٥١) ، وقال : حديث حسن غريب من هذا الوجه ، ، أبو يعلي فى " مسنده " (١١٥١) ، =

وفيه أيضاً من حديث جابر بن عبد الله رضى الله عنهما عن النبي ﷺ قال : " **يدخل فقراء أمتي الجنة قبل أغنيائهم بأربعين خريفاً** " [٧٣] وهو حديث حسن .

وهو موافق لحديث عبد الله بن عمرو ولحديث أنس الذى فى الترمذي : " **إن المساكين يدخلون قبل الأغنياء بأربعين خريفاً** " [٧٤] ، فهؤلاء ثلاثة : جابر وأنس وعبد الله بن عمرو قد اتفقوا على الأربعين وهذا أبو هريرة وأبو سعيد قد اتفقا على التقدير بخمسمائة سنة ، ولا تعارض بين هذه الأحاديث إذ التأخر والسبق درجات بحسب الفقر والغنى فمنهم من يسبقُ بأربعين ، ومنهم من يسبق بخمسمائة ، ولا يتقيد السبق بهذا المقدار بل يزيد عليه وينقص .

= ابن ماجة (٤١٢٢، ٤١٢٣) ، البغوى فى " شرح السنة " (٣٩٩٢) ، الطبرانى فى " الأوسط " (٨٤) ، من حديث أبي سعيد الدرى ، وله شاهد عند الترمذى (٢٣٥٣ ، ٢٣٥٤) ، ابن ماجة من حديث أبي هريرة ، وإسناده حسن ، ومن حديث عبد الله بن عمرو كما عند مسلم فى " صحيحه " (٢٩٧٩) .

٧٣ تقدم فى هذا الباب .

٧٤ **إسناده ضعيف .**

أخرجه الترمذى (٢٣٥٢) وقال : حديث غريب ، الطبرانى فى " الكبير" (٣١٥/١٢، ٣١٦) ، " الأوسط " (٤٩٧) ، ابن عدي فى " الكامل " (٦٩٤/٢) من طرق عن قتادة بن الفضيل الرهـــاوى قال : سمعت أبا حاضر يحدث عن الوضين بن عطاء الدمشقى عن سالم عن أبيه .

وفى إسناده قتادة بن الفضيل مقبول ، والوضين بن عطاء صدوق سيء الحفظ ، وأورده الهيثمى فى مجمع الزوائد (٢٦/١٠) ، وقال : رجاله ثقات .

وقد روى أبو داود فى " سننه " من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ " **أن أول الأمة دخولاً إلى الجنة أبو بكر الصديق** ﷺ " [٧٥] . ومعلوم أن المدة التى بينه وبين إخوانه من فقراء المهاجرين لا تطول ، وإنها أطول مدة بين دخوله وبين دخول آخر من يدخل الجنة .

وقد روى الإمام أحمد فى " مسنده " من حديث عبد الله بن عمرو ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال : " **هل تدرون أول من يدخل الجنة ؟** " قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : " **فقراء المهاجرين الذين تُتَّقى بهم المكاره ، يموتُ أحدُهم وحاجتُه فى صدره لا يستطيع لها قضاءً ، تقول الملائكة : يا ربنا نحن ملائكتُك وخزنتُك وسُكانُ سماواتك لا تدخلهم الجنة قبلنا ، فيقول عبادي لا يشركون بي شيئاً يُتَّقى بهم المكاره يموت أحدُهم وحاجتُه فى صدره لا يستطيع لها قضاء ، فعند ذلك تدخلُ عليهم الملائكة من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار** " [٧٦] .

---

٧٥ **إسناده حسن .**

أخرجه أبو داود (٤٦٥٢) ، عبد الله بن أحمد فى" فضائل الصحابة " (٢٥٨) العشارى فى " فضائل أبو بكر " (٢) ، الحاكم (٣/٧٣) ، وقال : صحيح على شرط الشيخين ، ووافقه الذهبي من طريق أبو خالد الدلانى قال : حدثنى أبو خالد مولى آل جعدة بن هبيرة عن أبي هريرة .

وفى إسناده أبو خالد الدلانى وهو يزيد بن عبد الرحمن الأسدي وهو صدق فيه ضعف يسير لا ينزل حديثه عن الحسن إذ لم يخالف أو يتفرد .

٧٦ تقدم فى الباب الحادى والعشرون .

وقال الإمام أحمد : حدثنا حسين بن محمد حدثنا دويد عن سلم بن بشر عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : " **التقى مؤمنان على باب الجنة : مؤمن غني ، ومؤمن فقير كانا فى الدنيا ، فأُدخل الفقير الجنة وحُبس الغني ماشاء الله أن يُحبس ثم أدخل الجنة ، فلقيه الفقير فيقول : أي أخي ماذا حبسك ؟ والله لقد احتبست حتى خفت عليك ، فيقول : أي أخي : إني حُبست بعدك محبساً فظيعاً كريهاً ما وصلت إليك حتى سال مني من العرق ما لو ورده ألف بعير كلها أكلت حمضاً** [٧٧] **وصدرت عنه رواء** " [٧٨] .

وقال الطبراني فى " معجمه " : حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمي وعلي بن سعيد الرازي قالا : حدثنا علي بن بهرام العطار حدثنا عبد الملك بن أبي كريمة عن الثوري عن محمد بن زيد عن أبي حازم عن أبي هريرة ﷺ عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " **إن فقراء المؤمنين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بنصف يوم وذلك خمسمائة سنة** " فقال رجل : أمنهم أنا يا رسول الله ؟ قال : " **إن تغدَّيت رجعت على عشاء ، وإذا تعشيت يبيت معك غداء ؟** " قال : نعم . قال : " **لست منهم** " فقام رجل فقال : أمنهم أنا يا رسول الله ؟ قال : " **هل سمعت ماقلنا لهذا ؟** " قال : نعم . ولست كذلك . قال : " **هل تجد ثوباً**

---

٧٧ نبات فيه ملوحة .

٧٨ **إسناده ضعيف .**

أخرجه أحمد (٣٠٤/١) ، وفى " الزهد " (صــ٤٧٣) ، عبد الله بن المبارك فى " الزهد " (٥٥٦) ، من طرق عن دويد ، عن سالم بن بشير عن عكرمة عن ابن عباس . وفى إسناده دويد وسالم بن بشير مجهولان .

ستيراً سوى ما عليك ؟ " فقال : نعم . قال : " **فلست منهم** " ، فقام آخر فقال : أمنهم أنا يا رسول الله ؟ فقال : " **هل سمعت ما قلت لهذين قبلك ؟** " قال : نعم . قال :" **هل تجد قَرْضاً كلما شئت أن تستقرض؟** " قال : نعم . قال : " **فلست منهم** " . فقام آخر فقال : أمنهم أنا يا رسول الله ؟ فقال :" هل سمعت ما قلت لهؤلاء ؟" قال : نعم . قال : " **تقدر أن تكتسب ؟** " قال : نعم . قال : " **فلست منهم** " قال : فقام خامس فقال : أنا منهم يا رسول الله ؟ فقال : " **هل سمعت ما قلت لهؤلاء ؟** " قال : نعم . قال : " **هل تمسي عن ربك راضياً وتصبح كذلك ؟** " قال : نعم . قال : " **فأنت منهم** " فقال النبي ﷺ : " **إن سادات المؤمنين فى الجنة من إذا تغدى لم يجد عشاءً ، وإذا تعشى لم يبت عنده غداء ، واستقرض لم يجد قرضاً ، وليس له فضل كسوة إلا ما يواري به ما لا يجد منه بُدّاً ، ولا يقدر على أن يكتسب ما يعيشه ، ويمسي عده الله راضياً ويصبح راضياً ﴿ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴾** [النساء : ٦٩] (٧٩).

قال الطبراني : هذا حديث غريب من حديث سفيان الثوري عن محمد بن زيد ، يقال : هو العبدي تَفَرَّد به عبد الملك .

---

٧٩ **إسناده ضعيف .**

أخرجه أبو نعيم فى " حلية الأولياء " (٧/٩٩ -١٠٠) ، الطبرانى فى " الكبير" (١٣٢٢٣) ، " الأوسط " (٤٩٧) ، ابن عدي فى " الكامل " (٢/٦٩٤) وفى إسناده محمد العابدي ضعيف .

قلت : محمد هذا هو العبدي ، وثقه قوم ، وضعّفه آخرون . قال الدارقطني : ليس بالقوي ، وقال أبو حاتم : صالح الحديث ، وذكره ابن حبان فى الثقات ، وروى له الترمذى وابن ماجة .

وفى هذ الطبقة محمد بن زيد الشامي يروى عن أبي سلمة بن عبد الرحمن وهو متروك ، ونخاف أن يكون هذا هو الثورى لم ينسبه ، وإنما يقال : هو العبدي ، والله أعلم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا إسماعيل بن إبراهيم حدثنا هشام الدستوائي عن يحيى بن أبي كثير عن عامر العقيلي عن أبيه عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : " **عُرِض عليَّ أول ثلاثة يدخلون الجنة وأول ثلاثة يدخلون النار : فأما أول ثلاثة يدخلون الجنة : فالشهيد وعبدٌ مملوك لم يشغله رقُّ الدنيا عن طاعة ربه ، وفقير متعفف ذو عيال . وأما أول ثلاثة يدخلون النار : فأمير مُتسلط ، وذو ثروة من مال لا يؤدي حق الله فى ماله ، وفقير فخور** " (٨٠) .

وروى الترمذى منه ذكر الثلاث الذين يدخلون الجنة فقط .

---

٨٠ **ضعيف .**

أخرجه أحمد (٤٢٥/٢ -٤٧٩) ، الترمذى (١٦٤٢) وقال : حديث حسن ، الطيالسي فى " مسنده " (٢٥٦٧) ، ابن حبان كما فى " الإحسان " (٤٣١٢) ، ابن خزيمة فى" صحيحه " (٢٢٤٩) ، الحاكم (٣٨٧/١) ، البيهقى فى" السنن الكبير " (٨٢/٤) ، " شعب الإيمان" (٨٦١٠) ، ابن أبي شيبة فى " مصنفه " (١٢٤/١٤ ،٢٩٦/٥) ، عبد بن حميد (١٤٤٦) ، ابن عدي فى " الكامل " (١٤٢٩/٤) ، أبو نعيم فى " صفة الجنة " (٨٠) كلهم من طرق عن عامر العقيلي عن أبيه عن أبي هريرة . وفى إسناده عامر العقيلي وأباه مجهولان .

قالوا : ويكفي فى فضل الفقير أن عامة أهل الجنة الفقراء ، وعامة أهل النار الأغنياء . قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الله بن محمد بن أبي شيبة حدثنا شريك عن أبي إسحاق عن السائب بن مالك عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : " **اطّلعت فى الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء واطّلعت فى النار فرأيت أكثر اهلها الأغنياء والنساء** " (٨١) .

وفى صحيح البخارى عن أبي رجاء قال : جاء عمران بن حصين إلى امرأته من عند رسول الله ﷺ فقالت : حدّثنا ما سمعت من النبي ﷺ فقال : إنه ليس من حديث فلم تدعه أو قال ، فأغضبته ، فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " **نظرت فى الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء ، ونظرت فى النار فرأيت أكثر أهلها النساء** " (٨٢) .

وفى " الصحيحين " من حديث أسامة بن زيد : أن رسول الله ﷺ قال : " **قمت على باب الجنة فإذا عامة من دخلها المساكين ، وقمت على باب النار فإذا عامة من دخلها النساء** " (٨٣) .

---

٨١ **إسناده ضعيف .**

أخرجه أحمد (١٧٣/٢) ، ابن أبي شيبة فى " مصنفه " ، ابن حبان كما فى " الإحسان " (٧٤٨٩) ، من طريق شريك وهو ابن عبد الله النخعي ضعيف .

٨٢ أخرجه البخارى فى " صحيحه " كتاب " بدء الخلق " (٣٢٤١) .

٨٣ أخرجه البخارى فى " صحيحه " كتاب" النكاح " (٥١٩٦) ، مسلم فى كتاب " الذكر والدعاء " (٢٧٣٦) .

وفى " صحيح مسلم " عن ابن عباس : " **أن النبي ﷺ اطلع فى النار فرأى أكثر أهلها النساء ، واطلع فى الجنة فرأى أكثر أهلها الفقراء** " (٨٤) .

قالوا : ويكفي فى فضل الفقر أن كل أحدٍ يتمناه يوم القيامة من الأغنياء .

قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الله بن نمير حدثنا إسماعيل يعني ابن أبي خالد عن نفيع عن أنس بن مالك ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : " **ما من أحد يوم القيامة غَنِيٌّ ولا فقير إلا ودَّ أن ماكان أوتي فى الدنيا قوتاً** " (٨٥) قال البخاري : يتكلمون فى نفيع ، وهذا أليق ما قيل فيه . قالوا : وقد صرّح رسول الله ﷺ فى تفضيل الفقراء فى غير حديث ، فمنها : ما تقدم من حديث سهل بن سعد .

---

٨٤ أخرجه مسلم فى " صحيحه " كتاب " الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار " (٢٧٣٧) .

٨٥ **ضعيف جداً** .

أخرجه أحمد (١١٧/٣) ، ابن ماجة (٤١٤٠) ، عبد بن حميد فى " مسنده " (١٢٣٣) ، هناد بن السرى فى " الزهد " (٥٩٩) ، ابن الجوزى فى " الموضوعات " (١٣١/٣) ، وكيع بن الجراح فى " الزهد " (١١٧) ، أبو يعلي فى " مسنده " (٣٧١٣، ٤٣٤١ ، ٤٣٣٩) ، أبو نعيم فى " حلية الأولياء " (٦٩/١٠ -٧٠) ، البيهقى فى " شعب الإيمان "(١٠٣٧٨) ، كلهم من طرق عن نفيع عن أنس . وإسناده ضعيف من أجل نفيع وهو ابن الحارث أبو داود الأعمى متروك الحديث .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن زيد بن وهب عن أبي ذر ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : " **يا أبا ذر ارفع بصرك فانظر أرفَع رَجُلٍ تراه فى المسجد** " ، قال : فنظرت فإذا رجل جالس عليه حلّةٌ (٨٦) له ، فقلت هذا ، قال : فقال : " **يا أبا ذر ارفع بصرك فانظر أوضع** (٨٧) **رَجُل تراه فى المسجد** " قال : فنظرت فإذا رَجُلٌ ضعيفٌ عليه أخلاقٌ (٨٨) فقلت : هذا ؟ . قال : فقال رسول الله ﷺ : " **والذى نفسي بيده لهذا أفضل عند الله يوم القيامة من قُراب الأرض من هذا** " .

قال : حدثنا وكيع ووافقه زائده حدثنا الأعمش عن سليمان بن مسهر عن خَرْشة بن الحر عن أبي ذر فذكره ، وقال : " **لهذا خير عند الله يوم القيامة من ملء الأرض مثل هذا** " قال الإمام أحمد : وحدثنا أبو معاوية ووافقه يعلي قال : حدثنا الأعمش عن زيد بن وهب عن أبي ذر فذكره (٨٩) . قالوا : والذى يفصل بيننا فى هذه المسألة

---

٨٦ ثوب ثمين .

٨٧ أى مخطوط القدر .

٨٨ ثوب بالي .

٨٩ **إسناده صحيح .**

أخرجه أحمد (١٥٧/٥) ، ابن أبي شيبة فى " مصنفه " (٢٢٢/١٣) ، وكيع ابن الجراح فى " الزهد "(١٤٤) ، البزار كما فى " كشف الأستار "(٣٦٢٩ ،٣٦٢٠) ، وفى " مسنده " (٣٩٧٩) ، الطبرانى فى " الأوسط " (٥٨٦٢) ، ابن حبان كما فى " الإحسان " (٦٨١) ، " زوائد مسند الحارث " (١٠٢٤) ، أبو نعيم فى " حلية الأولياء "(١١٥/٨ –١١٦) ، هناد بن السرى فى "الزهد " (٨١٥) .

ويشفى العليل : أن الفقر يوفر أجر صاحبه ومنزلته عند الله ، والغنى ولو شكر ، فإن ما ناله فى الدنيا بغناه يحسب عليه من ثوابه يوم القيامة ، وإن تناوله بأحل وجه ، فقليل الفضل فى الدنيا ناقص من كثير الآخرة .

وفى صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال : " **ما من غازية تغزو فى سبيل الله فيصيبون الغنيمة إلا تعجلوا ثلثي أجرهم من الآخرة ، ويبقى لهم الثلث ، وإن لم يصيبوا غنيمة تم لهم أجرهم** " (٩٠) .

وفى الصحيحين عن خباب بن الأرت ﷺ قال : هاجرنا مع رسول الله ﷺ نلتمس وجه الله ، فوقع أجرنا على الله ، فمنا من مات لم يأكل من أجره شيئا ، منهم مصعب بن عمير ﷺ قتل يوم أحد وترك بردة فكنا إذا غطينا بها رأسه بدت رجلاه وإذا غطينا رجليه بدا رأسه ، فأمرنا رسول الله ﷺ أن نغطى رأسه ونجعل على رجليه شيئاً من الإذخر ، ومنا من أينعت له ثمرته فهو يهدبها " (٩١) .

وفى الصحيحين عن قيس بن أبي حازم قال : دخلنا على خباب نعوده وقد اكتوى سبع كيات . فقال : " إن أصحابنا الذين سلفوا مضوا

---

٩٠ أخرجه مسلم فى كتاب " الإمارة " (١٩٠٦) ، من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص .

٩١ أخرجه البخارى فى " صحيحه " كتاب الجنائز " (١٢٧٦) ، مسلم فى كتاب " الجنائز " (٩٤٠) .

ولم تنقصهم الدنيا " وذكر الحديث [٩٢] . وقال سعيد بن منصور : حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن مجاهد عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : " ما أوتي عبد من الدنيا شيئا إلا نقص من درجاته عند الله وإن كان عليه كريما " .

وفى صحيح البخارى عن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف قال : أتى عبد الرحمن ﷺ بطعام ، وكان صائماً . فقال : " قتل مصعب بن عمير وهو خير مني ، وكفن فى بردة إن غطي رأسه بدت رجلاه ، وإن غطي رجلاه بدا رأسه ، وقتل حمزة وهو خير مني فلم يوجد له كفن إلا بردة ، ثم بسط لنا من الدنيا ما بسط ، أو قال : أعطينا من الدنيا ما أعطينا ، وقد خشيت أن تكون عجلت لنا طيباتنا فى حياتنا الدنيا . ثم جعل يبكي حتى ترك الطعام " [٩٣] .

قال أبو سعيد بن الأعرابي : وليس عبد الرحمن بن عوف وخباب قالا ذلك دون غيرهما ، لقد قاله الأكابر من أصحاب رسول الله ﷺ وكرهوا ما فتح الله عليهم من الدنيا ، وأشفقوا منه ، وعلموا أن ما اختاره الله لنبيه كان أفضل ، وأن ما أخروا له كان أنقص ، منهم : أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، وأبو عبيدة ، وعمار بن ياسر ، وسلمان ، وعبد الله بن مسعود ، وعائشة أم المؤمنين ، وأبو هاشم بن عتبة وجماعة لم نذكرهم للاختصار رضى الله عنهم .

---

٩٢ أخرجه البخارى فى " صحيحه " كتاب " المرض " (٥٦٧٢) ، مسلم فى كتاب " الذكر والدعاء والتوبة " .

٩٣ أخرجه البخارى فى " صحيحه " كتاب " المغازى " (٤٠٤٥) .

فأما أبو بكر ﷺ فحدثنا ابن أبي الدنيا حدثنا عبد الرحمن بن ريان الطائي حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث حدثنا عبد الواحد بن زيد حدثني أسلم عن مرة عن زيد بن أرقم ﷺ قال : كنا مع أبي بكر الصديق ﷺ فدعا بشراب فأتي بماء وعسل فلما أدناه من فيه بكى وبكي حتى أبكى أصحابه فسكتوا وما سكت ، ثم عاد وبكى حتى ظنوا أنهم لم يقدروا على مسألته ، قال : ثم مسح عينيه فقالوا : يا خليفة رسول الله ما أبكاك ؟ فقال : كنت مع رسول الله ﷺ فرأيته يدفع عن نفسه شيئاً ولم أر معه أحداً فقلت : يا رسول الله ما الذى تدفع عن نفسك ؟ قال : " **هذه الدنيا مثلت لي ، فقلت لها : إليكِ عني ، ثم رجعت فقالت : إنك إن أفلت مني فلن يفلت مني من بعدك** " (٩٤) .

وذكر ليث بن سعد عن صالح بن كيثان عن حميد بن عبد الرحمن ابن عوف عن أبيه : أن أبا بكر ﷺ قال فى مرضه الذى مات فيه : " إني وليت أمركم وإني لست بخيركم ، وكلكم ورم أنفه من ذلك أن يكون هذا الأمر له ، وذلك لما رأيت الدنيا أقبلت وأقبلت ولم تقبل حتى يتخذوا نضائد الحرير وستور الديباج ، حتى يألم أحدكم من الإضطجاع على الصوف كما يألم من الإضطجاع على الحسك والسعدان ، ثم أنتم أول ضال بالناس تصفقون يميناً وشمالاً ،

---

٩٤ أخرجه ابن أبي الدنيا فى " ذم الدنيا " (١١) ، الحاكم (٣٠٩/٤) ، أبو نعيم فى "حلية الأولياء " (٣٠/١) ، البهيقى فى " شعب الإيمان " (١٠٥٨) ، كلهم من طرق عن عبد الواحد بن زيد الزاهد ، مجمع على تضعيفه ، وأورده الهيثمى فى " مجمع الزوائد " (٢٥٤/١٠) وقال : رواه البزار وفيه عبد الواحد بن زيد الزاهد وهو ضعيف عند الجمهور .

ما هذا الطريق أخطأت إنما هو البحر أو الفجر ، والله لئن يقدم أحدكم فتضرب عنقه فى غير حد خير له من أن يخوض غمرات الدنيا " (٩٥) .

وذكر محمد بن عطاء بن خباب قال : كنت جالساً مع أبي بكر فرأى طائراً فقال : " طوبى لك يا طائر تأكل من هذا الشجر ، ثم تبعر ثم لا تكون شيئاً ، وليس عليك حساب ، وددت أني مكانك " (٩٦) .

فقلت له : أتقول هذا وأنت صديق رسول الله ﷺ ؟

وأما عمر ﷺ فإنه لما أتى بكنوز كسرى بكى ، فقال له عبد الرحمن بن عوف : ما الذى يبكيك يا أمير المؤمنين ؟ فوالله إن هذا ليوم شكر ويوم سرور ويوم فرح ، فقال عمر : إن هذا لم يعطه قوم إلا ألقى الله بينهم العداوة والبغضاء " (٩٧) . ودخل عليه أبو سنان الدؤلي وعنده نفر من المهاجرين ، فأرسل عمر إلى سفط أتى به من قلعة بالعراق وكان فيه خاتم فأخذه بعض ولده فأدخله فى فيه فانتزعه عمر منه ثم بكى ، فقال له من عنده : لم تبكي وقد فتح الله لك

---

٩٥ **إسناده ضعيف .**

أخرجه أبو نعيم فى "حلية الأولياء" (٣٤/١) ، الطراني فى" الكبير" (٦٢/١) من طريق علوان بن داود البجلي ضعيف ، وأورده الهيثمى فى " مجمع الزوائد " (٢٠٣/٥) ، وقال : وفيه علوان بن داود البجلي وهو ضعيف .

٩٦ أخرجه عبد الله بن المبارك فى " الزهد " (٢٤٠) ، البيهقى فى " شعب الإيمان "(٧٨٦) ، من طريق رجل عن الحسن وإسناده ضعيف لإبهام الرجل ، وأخرجه البيهقى فى " الشعب "(٧٨٥) من حديث أنس بن مالك وإسناده ضعيف .

٩٧ أخرجه عبد الله بن أحمد فى " الزهد " (صـ١٤٣) .

وأظهرك وأقر عينك ؟ فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " **لا تفتح الدنيا على أحد إلا ألقى الله بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة** " وأنا مشفق من ذلك . [٩٨]

قال أبو سعيد : وجدت في كتاب بخط يدي عن أبي داود قال : " حدثنا محمد بن عبيد حدثنا حماد حدثنا يونس عن الحسن : أن عمر ابن الخطاب ﷺ أتى بقلنسوة – بغزوة كسرى – بين يديه ، وفى القوم سراقة بن مالك فألقى إليه سوارى كسرى فجعلهما في يديه فبلغا منكبيه فلما رآهما في يدي سراقة قال : الحمد لله سوارى كسرى بن هرمز في يدي سراقة بن مالك بن جعشم أعرابي من بني مدلج ، ثم قال : اللهم قد علمت أن رسولك قد كان يحب أن يصيب مالاً فينفقه في سبيلك وعلى عبادك فزويت ذلك عنه نظراً منك له واختيارا ، اللهم إني أعوذ بك أن يكون هذا مكراً منك بعمر ، ثم قال : ﴿ **أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ (٥٥) نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ (٥٦)** ﴾ [المؤمنون : ٥٥ – ٥٦] [٩٩].

---

٩٨ **ضعيف** .

أخرجه أحمد (١٦/١) ، أبو يعلي في " مسنده " (١٩٧١) ، عبد بن حميد في " المنتخب " (٤٤) ، البزار كما في " كشف الأستار "(٣/١) من طريق محمد ابن عبد الرحمن بن لبيبه ، يحدث عن أبي سنان الدولى أنه دخل على عمر ابن الخطاب .

قلت : وفى إسناده محمد بن عبد الرحمن بن لبيبه ضعيف ، والانقطاع من أبو سنان الدؤلي وعمر بن الخطاب لم يسمع منه .

٩٩ **إسناده ضعيف** .

والمقصود : أن سعة الدنيا وبسطها تعجيل من أجل الآخرة ، وتضييق من سعتها .

قال عبد الرزاق : أنبأنا معمر عن الزهري عن ابن أبي صُعير عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال : لما كان يوم أحد أشرف النبي ﷺ على الشهداء الذين قتلوا يومئذ فقال : " **إني شهيد على هؤلاء فزملوهم بدمائهم** " (١٠٠) . قال معمر : وأخبره من سمع الحسن يقول قال النبي ﷺ : " **هؤلاء قد مضوا وقد شهدت عليهم لم يأكلوا من أجورهم شيئاً ، وإنكم قد أكلتم من أجوركم وإنى لا أدرى ماتحدثون بعدي** " (١٠١) . وقال ابن المبارك : أخبرنا جرير بن حازم قال : سمعت الحسن يقول : خرج رسول الله ﷺ بأصحابه إلى بقيع

= أخرجه البيهقى فى " دلائل النبوة " (٣٢٥/٦) من طريق الحسن عن عمر ابن الخطاب .

قلت : وهذا إسناد منقطع ، الحسن لم يسمع من عمر بن الخطاب .

١٠٠ **إسناده صحيح .**

أخرجه أحمد (٤٣١/٥) ، الشافعى فى " مسنده " (٢٠٤/١) ، البيهقى فى " السنن الكبير "(١١/٤) ، عبد الرزاق فى " مصنفه " (١٦٣٣، ٩٥٨٠) ، وسعيد ابن منصور فى " سننه " (٢٥٨٣) من طرق عن معمر عن الزهرى عن ابن أبي صُعُير عن جابر بن عبد الله .

قلت : وهذا إسناد صحيح .

١٠١ **إسناده مرسل .**

أخرجه عبد الرزاق فى " مصنفه " (٦٦٣٤، ٩٥٨١) ، من طريق معمر قال : وأخبرنى من سمع الحسن يقول .

قلت : وفى إسناده جهالة الراوى عن الحسن .

الغرقد فقال : " **السلام عليكم يا أهل القبور لو تعلمون مانجاكم الله منه مما هو كائن بعدكم** " . ثم أقبل على أصحابه فقال : " **هؤلاء خير منكم** " فقالوا : يا رسول الله إخواننا أسلمنا كما أسلموا ، وهاجرنا كما هاجروا ، وجاهدنا كما جاهدوا ، وأتوا على آجالهم فمضوا فيها وبقينا في آجالنا فما يجعلهم خيرًا منا ؟ فقال : " **إن هؤلاء خرجوا من الدنيا ولم يأكلوا من أجورهم شيئاً ، وخرجوا وأنا شهيد عليهم ، وأنتم قد أكلتم من أجوركم ولا أدري ما تحدثون بعدى** " قال : فلما سمعها القوم والله عقلوها وانتفعوا بها فقالوا : وإنا لمحاسبون بما أصبنا من الدنيا بعدهم ، وإنه لمنتقص به من أجورنا ، فأكلوا طيباً ، وأنفقوا قصداً ، وقدموا فضلاً [١٠٢] .

وقال عبد الله بن أحمد : قرأت على أبي هذا الحديث : حدثنا أسود ابن عامر حدثنا إسرائيل عن ثوير عن مجاهد عن ابن عمر قال : " ما أعطى رجل من الدنيا إلا نقص من درجته " [١٠٣] .

قالوا : وقد صرح سادات الأغنياء بأنهم ابتلوا بالضراء فصبروا ، وابتلوا بالسراء فلم يصبروا ، قال ذلك عبد الرحمن وغيره ، وكان هذا مصداقاً لما رواه مصعب بن سعد عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ : " **لأنا من فتنة السراء أخوف عليكم من فتنة الضراء ، إنكم ابتليتم بالضراء فصبرتم ، وإن الدنيا حلوة خضرة** " [١٠٤] . قالوا : وهاهنا قضيتان صادقتان بهما يتبين الفضل .

---

١٠٢ أخرجه عبد الله بن المبارك في " زهده "(٤٩٨) ، وهو مرسل .

١٠٣ تقدم في هذا الباب .

١٠٤ **إسناده ضعيف .**

إحداهما : إن الأكثرين هم الأقلون ، وقد تقدم الدليل عليها بما فيه الكفاية . وأما **الثانية** : ففى الصحيحين من حديث أبي ذر ﷺ قال : خرجت ليلة من الليالي فإذا رسول الله ﷺ يمشي وحده ليس معه إنسان قال : فظننت أنه يكره أن يمشي معه أحد فجعلت أمشي فى ظل القمر فالتفت فرآني فقال : " **من هذا ؟** " قلت : أبو ذر جعلنى الله فداك . قال : " **يا أبا ذر تعال** " فمشيت معه ساعة فقال : " **إن المكثرين هم المقلون يوم القيامة إلا من أعطاه الله خيراً فنفخ فيه يمينه وشماله وبين يديه ووراءه وعمل فيه خيرا** " وذكر الحديث [١٠٥] .

قالوا : ولو كان الغنى أفضل من الفقر لما حض الله رسوله على الزهد فى الدنيا والإعراض عنها ، وذم الحرص عليها والرغبة فيها ، بل كان ينبغي أن يحض عليها وعلى اكتسابها والإكثار منها ، كما حض على اكتساب الفضائل التى بها كمال العبد من العلم والعمل فلما حض على الزهد فيها والتقلل دل على أن الزاهدين فيها المتقللين منها أفضل الطائفتين .

= أخرجه أبو يعلي فى " مسنده " (٧٨٠) ، البزار فى " مسنده " (١١٦٨) ، أبو نعيم فى " حلية الأولياء "(٩٣/١) البيهقى فى " شعب الإيمان " (١٠٣٠٨) من طريق جرير عن المغيرة عن رجل من بنى عامر عن مصعب بن سعد عن أبيه. وفى إسناده رجل مبهم .

١٠٥ أخرجه البخارى فى كتاب " الرقاق " (٦٤٤٣) ، مسلم فى كتاب " الإيمان " (٩٤) .

وقد أخبر : أنها لو ساوت عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء [١٠٦] . وأنها أهون على الله من السخلة الميتة على أهلها [١٠٧]. وأن مثلها فى الآخرة كمثل ما يعلق بأصبع من أدخل أصبعه فى البحر [١٠٨]. وأنها ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه وعالم ومتعلم [١٠٩] . وأنها سجن المؤمنين وجنة الكافرين .

وأمر العبد أن يكون فيها كأنه غريب أو عابر سبيل ، ويعد نفسه من أهل القبور ، وإذا أصبح فلا ينتظر المساء وإذا أمسى لا ينتظر الصباح [١١٠] .

ونهى عن اتخاذ ما يرغب فيها ، ولعن عبد الدينار وعبد الدرهم ، ودعا عليه بالتعس والانتكاس وعدم إقالة العثرة بالانتقاش [١١١]

وأخبر : أنها خضرة حلوة ، أي : تأخذ العيون بخضرتها والقلوب بحلاوتها ، وأمر بإتقائها والحذر منها ، كما يتقي النساء ويحذر منهن .[١١٢]

---

١٠٦ انظره فى أواخر الباب الحادى والعشرون .

١٠٧ راجع أواخر الباب الحادى والعشرون .

١٠٨ انظر ما قبله .

١٠٩ تقدم تخريجه .

١١٠ أخرجه مسلم فى كتاب " الزهد والرقائق "(٢٩٥٦) من حديث أبي هريرة

١١١ أخرجه البخارى فى " صحيحه " " كتاب الرقاق " (٦٤١٦) .

١١٢ **إسناده ضعيف** .

أخرجه الترمذى (٢٣٧٥) ، وقال : حسن غريب من طريق الحسن عن أبي هريرة وهو منقطع .

وأخبر : أن الحرص عليها وعلي الرياسة والشرف يفسد الدين كإفساد الذئبين الضاريين إذا أرسلا في زريبة غنم أو أشد إفسادا. (١١٣)

وأخبر : أنه في الدنيا كراكب إستظل تحت شجرة في يوم صائف ثم راح وتركها .(١١٤)

وهذه في الحقيقه حال سكان الدنيا كلهم ، ولكن هو ﷺ شهد هذه الحال وعمي عنها بنو الدنيا ، ومر بهم وهم يعالجون خصاً لهم قد وهي فقال : " **ما أري الأمر إلا أعجل من ذلك** " .(١١٥) وأمر بستر علي بابه فنزع ، وقال : " **إنه يذكرني الدنيا** " (١١٦)

---

١١٣ أخرجه مسلم فى كتاب " الذكر والدعاء " (٢٧٤٢) من حديث أبي سعيد الخدرى .

١١٤ **إسناده صحيح .**

أخرجه أحمد (٤٥٦/٣) ، الترمذى (٢٣٧٦) وقال : هذا حديث حسن صحيح ابن أبي شيبة فى " مصنف " (٢٤١/٣) ، ابن حبان كما فى " الإحسان " (٣٢٢٨) ، الطبرانى فى " الكبير " (١٨٩/١٩) ، ابن المبارك فى " الزهد " (١٨١) ، الدارمى فى " سننه " (٣٠٤/٢) ، البغوى فى " شرح السنة " (٤٠٥٤) من طريق عيسى بن يونس عن زكريا عن محمد بن عبد الرحمن عن سعد بن زرارة بن أبي كعب بن مالك حدثه عن أبيه .

قلت : رجاله ثقات .

١١٥ تقدم فى الباب الحادى والعشرون وهو صحيح .

١١٦ **إسناده صحيح .**

أخرجه أحمد (١٦١/٢) ، أبو داود (٥٢٣٥ ، ٥٢٣٦) ، الترمذى (٢٢٣٢٥) ابن ماجة (٤١٦٠) ، ابن حبان كما فى " الإحسان " (٢٩٩٧) ، =

وأعلم الناس أنه ليس لأحد منهم حق في سوي بيت يسكنه ، وثوب يواري عورته ، وقوت يقيم صلبه .(١١٧)

وأخبر : أن الميت يتبعه أهله وماله عمله ، فيرجع أهله وماله ، ويبقي عمله . (١١٨)

وأخبر : أن للمتخوض فيما شاءت نفسه من مال الله بغير حق النار يوم القيامه . (١١٩)

وأقسم : أنه لا يخاف الفقر علي أصحابه ، وإنما يخاف عليهم الدنيا وتنافسهم فيها ، وإلهائها لهم .(١٢٠)

وأخبر : أنه ليس لإبن آدم من ماله إلا ما أكل فأفنى ، أو لبس فأبلى ، أو تصدق فأمضى . (١٢١)

= البغوى فى " شرح السنة " (٤٠٣٠) ، ابن أبي شيبة فى " مصنفه " (٢١٨/١٣) ، من طرق عن أبي معاوية عن الأعمش عن أبي السفر عن عبد الله ابن عمرو .

١١٧ أخرجه مسلم فى كتاب " اللباس والزينة " (٢١٠٧) ، الترمذى (٢٤٦٨) واللفظ له .

١١٨ تقدم قريباً .

١١٩ أخرجه البخارى فى كتاب " الرقاق " (٦٤١٤) ، مسلم كتاب " الفتن وأشراط الساعة " (٢٩٦٠) .

١٢٠ أخرجه البخارى فى كتاب " فرض الخمس " (٣١١٨) .

١٢١ تقدم فى نفس الباب .

وأخبر : أن حسب ابن آدم من الدنيا لقيمات يقمن صلبه ، فإن لم يقتصر عليها فثلث بطنه لطعامه ، وثلثه لشرابه ، وثلثه لنفسه . وفي هذا الحديث الإرشاد إلي صحة القلب والبدن والدين والدنيا .

وأخبر : أن غنى العبد فيه غنى نفسه لا كثرة عرضه. [١٢٢]

وسأل الله أن يجعل رزقه فيها قوتا . [(١٢٣)]

وغبط من كان رزقه فيها كفافا بعد أن هُدي للإسلام . [(١٢٤)]

وأخبر : من كانت الدنيا همَّه جعل الله فقره بين عينيه ، وشتت عليه شمله ، ولم يأته منها إلا ما كُتب له . [(١٢٥)]

وعرض عليه ربُّه أن يجعل له بطحاء مكة ذهباً ، فقال : " **لا يا رب ولكن أشبع يوماً وأجوع يوماً ، فإذا جعتُ تضرعتُ إليك وذكرتك ، وإذا شبعتُ حمدتُك وشكرتُك** " . [(١٢٦)]

وأعلمهم أن من أصبح منهم آمناً في سربه ، معافى في جسده، عنده قوتُ يومه ، فكأنما حيزت له الدنيا . [(١٢٧)]

---

١٢٢ أخرجه مسلم فى كتاب " الزهد والرقائق " (٢٩٥٨) .

١٢٣ سبق الكلام عليه .

١٢٤ أخرجه البخارى فى " صحيح " كتاب " الرقاق " (٦٤٤٦) ، مسلم فى كتاب " الزكاة " (١٠٥١) .

١٢٥ أخرجه البخارى فى " صحيحه " كتاب " الرقاق " (٦٤٦٠) ، مسلم فى كتاب " الزكاة " (١٠٥٥) .

١٢٦ أخرجه مسلم فى كتاب الزكاة " (١٠٥٤) ، أحمد (٢/١٦٨) .

١٢٧ **إسناده صحيح .**

وأخبر : أن بذل العبد ما فضل عن حاجته خيرٌ له ، وإمساكه شرّ له وأنه لا يلامُ على الكفاف .(١٢٨)

ونهى أمته أن ينظر أحدهم إلى من هو فوقه فى الدنيا ، وأمره أن ينظر إلى من دونه فى الدنيا .(١٢٩)

وأخبر : أنه لم يبق من الدنيا إلا بلاءٌ وفتنةٌ وضرٌّ ، مثلها مثل ما يخرج من ابن آدم عند خلائه ، وإن كان أوّله طيباً فهذا آخرُه .(١٣٠)

وأخبر : أن عباد الله ليسوا بالمتنعمين فيها ، فإن أمامَهم دارُ النعيم فهم لا يرضون بنعيمهم فى الدنيا عوضاً من ذلك النعيم .

وأخبر : أن نجاة أول هذه الأمة بالزهد واليقين ، وهلكة آخرها بالبُخل وطول الأمل .(١٣١)

= أخرجه أحمد (١٨٣/٥) ، أبو داود (٣٦٦٠) ، ابن ماجة (٤١٠٥) ، الترمذى (٢٦٥٦) ، الدارمى فى " سننه " (٢٢٩) ، ابن حبان كما فى" الإحسان " (٦٧ -٦٨) ، الطحاوى فى " شرح مشكل الآثار " (١٦٠٠) ، الطبرانى فى " الكبير" (٤٨٩٠ ، ٤٨٩١) ، البيهقى فى " شعب الإيمان " (١٧٧٦) ابن أبي عاصم فى " السنة " (٩٤) ، كلهم من طرق عن شعبة حدثنا عمر بن سليمان من ولد عمر بن الخطاب عن عبد الرحمن بن أبان بن عثمان بن عفان عن أبيه عن أم زيد بن ثابت .

١٢٨ انظره فى بداية الباب العشرون .

١٢٩ **حسن لغيره** . وانظر " بهجة الناظرين شرح رياض الصالحين " .

١٣٠ أخرجه مسلم فى كتاب " الزكاة " (١٣٠٦) .

١٣١ تقدم الكلام عليه فى الباب العشرون وهو ضعيف .

وكان يقول : " **لبيك لا عيش إلا عيش الآخرة** " . (١٣٢)

وأخبر : أنه تعالى إذا أحب عبداً حماه الدنيا كما يحمي الإنسان مريضه من الطعام والشراب . (١٣٣)

ودخل على عثمان بن مظعون وهو فى الموت فأكب عليه يقبله ويقول : " **رحمك الله يا عثمان ماأصبت الدنيا ولا أصابت منك** " ، فغبطه بذلك . (١٣٤)

وكان يقول : " **الزهد فى الدنيا يريح القلب والبدن ، والرغبة فى الدنيا تَطيل الهموم والحزن** " . (١٣٥)

وكان يقول : " **من جعل الهموم كلها هماً واحداً كفاه الله سائر همومه ، ومن تشعبت به الهموم فى أحوال الدنيا لم يبال الله فى أوديتها هلك** " . (١٣٦)

---

١٣٢ سبق فى الباب الثانى والعشرون وهو صحيح .

١٣٣ **إسناده حسن .**

أخرجه ابن أبي الدنيا فى " اليقين " (٣) ، الطبرانى فى " الأوسط " (٧٦٥٠) ابن الجوزى فى " الترغيب والترهيب " (٢/٢٤٢) من طريق عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده .

قلت : إسناده حسن من أجل رواية عمرو بن شعيب فهو حسن الحديث .

١٣٤ أخرجه ابن خزيمة فى " صحيحه " (٢٨٣١) ، الطبرانى فى " الأوسط " (٥٤١٩) ، الحاكم (١/٤٦٥) ، البيهقى فى " السنن الكبير " (٥/٤٥) .

١٣٥ تقدم الكلام عليه فى هذا الباب وهو صحيح .

وأخبر : أنه " **يؤتى يوم القيامة بأنعم الناس فيقول : يا ابن آدم هل أصبت نعيماً قط ، هل رأيت قرة عين قط ، هل أصبت سروراً قط فيقول : لا وعزتك ، ثم يقول** : ردوه إلى النار ، **ثم يؤتى باشد الناس بلاءً فى الدنيا وأجهدهم جهداً ، فيقول تبارك وتعالى : اصبغوه فى الجنة صبغة فيصبغ فيها ، ثم يؤتى به فيقول يا ابن آدم هل رأيت ما تكره قط فيقول : لا وعزتك ما رأيت شيئاً قط أكرهه** ". (١٣٧)

وفى حديث مناجاة موسى الذى رواه الإمام أحمد فى كتاب" الزهد " حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم بن معقل حدثنا عبد الصمد بن معقل قال : سمعت وهب بن منبه فذكره وفيه : ولا تعجبكما زينته ولا ما متع به ولا تمدان إلى ذلك أعينكما ، فإنها زهرة الحياة الدنيا وزينة المترفين ، وإني لو شئت أن أزينكما من الدنيا بزينة يعلم فرعون حين ينظر إليها أن مقدرته تعجز عن مثل ما أوتيتما فعلت ، ولكنى أرغب بكما عن نعيمها ذلك وأزويه عنكما ، وكذلك أفعل بأوليائي ، وقديماً ما خرت لهم فى ذلك فإنى لأذودهم عن نعيمها ورخائها كما يذود الراعي الشفيق غنمه عن مراعي الهلكة ، وإني لأجنبهم سلوتها وعيشها كما يجنب الراعي الشفيق إبله عن مبارك الغرة ، وما ذلك لهوانهم علي ولكن ليستكملوا نصيبهم من كرامتي سالماً موفراً لم تكلمه الدنيا ولم

---

١٣٦ أخرجه أحمد فى " الزهد " (صـ١٧) ، أبو نعيم فى "حلية الأولياء" (١٠٥/١) من طريق سيار بن الحكم حدثنا جعفر حدثنا أيوب عن عبد ربه ابن سعيد المدنى وإسناده معضل .

١٣٧ أخرجه ابن أبي الدنيا فى " ذم الدنيا " (١٣١) من طريق طاوس مرسلاً (٢٨٩) ، عن الفضيل بن عياض معضلاً .

يطغه الهوى ، واعلم أنه لم يتزين لي العباد بزينة هى أبلغ من الزهد فى الدنيا ، فإنها زينة المتقين عليهم ، منها لباس يعرفون به من السكينة والخشوع ، سيماهم فى وجوههم من أثر السجود أولئك أوليائي حقاً ، فإذا لقيتهم فاخفض لهم جناحك وذلل لهم قلبك ولسانك " وذكر الحديث . [١٣٨]

وقال أحمد : حدثنا عوف بن جابر قال : سمعت محمد بن داود عن أبيه عن وهب قال : " قال الحواريون : يا عيسى ، من أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ؟ قال : " الذين نظروا إلى باطن الدنيا حين نظر الناس إلى ظاهرها ، والذين نظروا إلى آجل الدنيا حين نظر الناس إلى عاجلها ، فأماتوا منها ما يخشون أن يميتهم وتركوا

---

١٣٨ **حسن بمجموع طرقه .**

أخرجه ابن ماجة (٢٥٧ ، ٤١٠٦) ، أبو نعيم فى" حلية الأولياء " (١٠٥/٢) ابن أبي عاصم فى " الزهد " (٢٤٧) ، الآجرى فى " أخلاق القرآن " (٥٩) ، ابن عبد البر فى " جامع بيان العلم وفضله " (٣٢٩/١) كلهم من طرق عن نهشل ابن سعيد عن الضحاك عن الأسود بن يزيد عن عبد الله بن مسعود يرفعه .

قلت : وفي إسناده نهشل بن سعيد متروك الحديث .

وأورده ابن أبي حاتم فى " العلل " (١٢٢/٢) ، وقال : هذا حديث منكر ونهشل ابن سعيد متروك الحديث ، وأخرجه الحاكم (٤٤٣/٢) ، ابن أبي عاصم فى " الزهد " (١٦٦) ، البيهقى فى " الزهد (١٦) ، وفى " الآداب " (١١٢٠) ، من طريق يحيى بن المتوكل ثنا عمر بن محمد بن زيد العمري عن نافع وعبد الله ابن دينار عن ابن عمر .

قلت : وفى إسناده يحيى بن المتوكل ضعيف ، وأخرجه أبو نعيم فى " حلية الأولياء " (١٥١/٣) عن محمد بن المنكدر مرسلاً .

ما علموا أن سيتركهم ، فصار استكثارهم منها استقلالاً ، وذكرهم إياها فواتاً ، وفرحهم بما أصابوا منها حزناً ، فما عارضهم من نائلها رفضوه ، وما عارضهم من رفعتها بغير الحق وضعوه ، خلقت الدنيا عندهم فليسوا يجددونها ، وخربت بينهم فليسوا يعمرونها ، وماتت في صدورهم فليسوا يحيونها ، يهدمونها فيبنون بها آخرتهم ، ويبيعونها فيشترون بها ما يبقى لهم ، رفضوها فكانوا بها هم الفرحين ، ونظروا إلى أهلها صرعى قد حلت بهم المثلات فأحيوا ذكر الموت وأماتوا ذكر الحياة ، يحبون الله ويحبون ذكره ، ويستضيئون بنوره ويضيئون به ، لهم خبر عجيب ، وعندهم الخبر العجيب ، بهم قام الكتاب وبه قاموا ، وبهم نطق الكتاب وبه نطقوا ، وبهم علم الكتاب وبه عملوا ، ليس يرون نائلاً ما نالوا ، ولا أماناً دون ما يرجعون ، ولا خوفاً دون ما يحذرون " (١٣٩) .

وحدثنا روح حدثنا سليمان بن المغيرة عن ثابت قال : قيل لعيسى ابن مريم : يا رسول الله ، لو اتخذت حماراً تركبه لحاجتك ، قال : " أنا أكرم على الله من أن يجعل لي شيئاً يشغلني به " (١٤٠) .

وقال : " اجعلوا كنوزكم في السماء ، فإن قلب المرء عند كنزه " (١٤١) .

---

١٣٩ أخرجه مسلم في كتاب" صفات المنافقين وأحكامهم " (٢٨٠٧) ، من حديث أنس بن مالك ﷺ .

١٤٠ أخرجه أحمد في " الزهد " (صـ٧٩- ٨٤) من طريق سفيان بن وكيع حدثنا إبراهيم بن عيينه عن ورقاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس .
وفي إسناده سفيان بن وكيع ضعيف .

وقال : " اتقوا فضول الدنيا ، فإن فضول الدنيا عند الله رجز " (١٤٢)

وقال : " يا بنى إسرائيل اجعلوا بيوتكم كمنازل الأضياف فما لكم فى العالم من منزل إن أنتم إلا عابري سبيل " .

وقال : " يا معشر الحواريين أيكم يستطيع أن يبنى على موج البحر دارا ؟ قالوا : يا روح الله من يقدر على ذلك ؟ قال : إياكم والدنيا فلا تتخذوها قرارا . (١٤٣)

وقال : أكل خبز البر ، وشرب ماء عذب ، ونوم على المزابل مع الكلاب كثير لمن يريد أن يرث الفردوس " (١٤٤) .

قال أحمد : وحدثنا بهز عن الأعمش عن خيثمة قال : قال المسيح : " بشدة ما يدخل الغني الجنة " .

قال المسيح ﷺ : " حلاوة الدنيا مرارة الآخرة ، ومرارة الدنيا حلاوة الآخرة " (١٤٥) .

---

١٤١ أخرجه أحمد فى " الزهد " (٧٨) من طريق عوف بن جابر قال سمعت محمد بن داود عن أبيه عن وهب قال .

١٤٢ **إسناده صحيح .**

أخرجه أحمد فى " الزهد " (٧٣) من طريق روح بن عبادة حدثنا سليمان ابن لمغيرة عن ثابت قال .

١٤٣ **إسناده صحيح .**

أخرجه أحمد فى " الزهد " (صـ٧٤) من طريق عبد الرزاق أنبأنا سفيان عن أبيه عن إبراهيم التيمي قوله .

١٤٤ أخرجه ابن أبي الدنيا فى " ذم الدنيا " (١٥) ، عبد الله بن المبارك فى " زهده " (٨٤٨) .

وقال : " يا بنى إسرائيل تهاونوا بالدنيا تهن عليكم ، وأهينوا الدنيا تكرم عليكم الآخرة ، ولا تكرموا الدنيا تهن عليكم الآخرة ، فإن الدنيا ليست بأهل الكرامة ، وكل يوم تدعوا إلى الفتنة والخسارة .

وقال إسحاق بن هانئ فى " مسائله " قال أبو عبد الله – وأنا أخرج من داره – : قال الحسن : " أهينوا الدنيا فوالله لأهنأ ما تكون حين تهان " (١٤٦) .

وقال الحسن : " والله ما أبالي شرقت أم غربت " (١٤٧) .

قال : وقال لي أبو عبد الله : " يا أبا إسحاق ما أهون الدنيا على الله عز وجل " (١٤٨) .

وقال : " الدنيا قليلها يجزى وكثيرها لا يجزى " .

قالوا : وقد تواتر عن السلف أن حب الدنيا رأس الخطايا وأصلها .

وقد روي فيه حديث مرفوع لا يثبت (١٤٩) ، ولكنه يروى عن المسيح .

قال عبد الله بن أحمد : حدثنا عبيد الله بن عمر القواريري حدثنا معاذ بن هشام حدثني أبي عن بديل بن ميسرة قال حدثنى جعفر بن خرفاش : أن عيسى بن مريم عليه السلام قال :

---

١٤٥ تقدم فى أواخر الباب الثانى والعشرون .

١٤٦ انظر ما قبله .

١٤٧ انظر فى نفس الباب .

١٤٨ أخرجه أحمد فى " مسائل ابن هانئ " (٢/١٨١) .

١٤٩ انظر ما قبله .

" رأس الخطيئة حب الدنيا ، والنساء حبالة الشيطان ، والخمر جماع كل شر " [١٥٠] .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عمر بن سعد أبو داود الحفري عن سفيان قال : كان عيسى بن مريم يقول : " حب الدنيا أصل كل خطيئة والمال فيه داء كثير " . قالوا : وما داؤه ؟ قال : " لا يسلم صاحبه من الفخر والخيلاء " ، قالوا : فإن سلم ؟ قال : " يشغله إصلاحه عن ذكر الله عز وجل . [١٥١]

قالوا : وذلك معلوم بالتجربة والمشاهدة ، فإن حبها يدعوا إلى خطيئة ظاهرة وباطنة ، ولاسيما خطيئة يتوقف تحصيلها عليها ، فيسكر عاشقها حبها عن عمله بتلك الخطيئة وقبحها وعن كراهتها واجتنابها ، وحبها يوقع فى الشبهات ثم فى المكروهات ثم فى المحرمات وطالما أوقع فى الكفر ، بل جميع الأمم المكذبة لأنبيائهم إنما حملهم على كفرهم وهلاكهم حب الدنيا ، فإن الرسل لما نهوهم عن الشرك والمعاصي التى كانوا يكسبون بها الدنيا حملهم حبها على مخالفتهم وتكذيبهم فكل خطيئة فى العالم أصلها حب الدنيا ، ولا تنس خطيئة الأبوين قديماً ، فإنما كان سببها حب الخلود فى الجنة ، ولا تنس ذنب إبليس وسببه حبُّ الرياسة التى محبتها شرٌّ من محبة الدنيا ، وبسببها كَفَر فرعون وهامان وجنودهما وأبو جهل وقومه واليهود ،

---

١٥٠ أخرجه أحمد فى " مسائل ابن هانئ " (٢/١٨١) .

١٥١ **موضوع** .

أخرجه أحمد فى " الزهد " (صـ٩٢) ، البيهقى فى " شعب الإيمان " (١٠٤٥٨ ، ١٠٥٠١) ، وإسناده ضعيف ، وانظر " الضعيفة " (١٢٢٦) .

فحب الدنيا والرياسة هو الذى عَمَرَ النار بأهلها ، والزهدُ فى الدنيا والرياسة هو الذى عَمَر الجنة بأهلها ، والسُكر بحب الدنيا أعظمُ من السكر بشرب الخمر بكثير ، وصاحب هذا السكر لا يفيقُ منه إلا ظُلمة اللحد ، ولو انكشف عنه غطاؤُه فى الدنيا لعلم ما كان فيه من السكر وأنه أشدُّ من سُكر الخمر ، والدنيا تسحر العقول أعظم سحر .

قال الإمام أحمد : حدثنا سيار حدثنا جعفر قال : سمعت مالك بن دينار يقول : " اتقوا السَّحّارة ، فإنها تسحَرُ قلوب العلماء " (١٥٢) .

وقال يحيى بن معاذ الرازي : " الدنيا خمرُ الشيطان ، من سكر منها فلا يفيق إلا فى عسكر الموتى نادماً من الخاسرين " .

وأقل ما فى حبها أنه يلهي عن حُب الله وذكره ، ومن ألهاه مالُهُ عن ذكر الله فهو من الخاسرين . وإذا ألهاه القلبُ عن ذكر الله سكنه الشيطان وصرفه حيث أراد ، ومن فقهه فى الشرِّ أن يرضيه ببعض أعمال الخير ليريه أنه يفعل فيها الخير ، قد تعبّد لها قلبه فأين يقع ما يفعله من البرِّ مع تعبُّده لها وقد لعنه رسول الله ﷺ ودعا عليه فقال: " **لعن عبد الدينار والدرهم** ". (١٥٣)

---

١٥٢ أخرجه أحمد فى " زوائد الزهد " (صـ١١٧) من طريق عبيد الله بن عمر القواريرى حدثنا معاذ بن هشام حدثنى أبي عن بديل بن ميسرة قال : حدثنى جعفر بن خرفاش .

قلت : إسناده صحيح إلى بديل بن ميسرة .

١٥٣ **إسناده صحيح** .

أخرجه أحمد فى " الزهد " (صـ١١٧) من طريق عمر بن سعد أبو داود الحفرى عن سفيان قوله .

وقال : " **تعس عبدُ الدينار ، ، تعس عبد الدرهم ، أن أعطي رضي ، وإن منع سخط** " [١٥٤] . وهذا تفسير منه ﷺ ، وبيانٌ لعبوديتها

وقد عرضت الدنيا على النبي ﷺ بحذافيرها ، وتعرضت له فدَفع في صدرها باليدين ، وردّها على عقبيها .

ثم عُرضت بعده على أصحابه وتعرضت لهم ، فمنه من سلك سبيله ودفعها عنه وهم القليل ، ومنهم من استعرضها وقال : ما فيك ، قالت : فِيَّ الحلال والشبهة والمكروه والحرام ، فقالوا : هاتي حلالك ولا حاجة لنا فيما عداه فأخذوا حلالها .

ثم تعرضت لمن بعدهم فطلبوا حلالها فلم يجدوه ، فطلبوا مكروهها وشبَهَهَا ، فقالت : قد أخذه من قبلكم ، فقالوا : هاتي حرامك فأخذوه . فطلبه من بعدهم ، فقالت : هو في أيدي الظَّلَمة ، قد استأثروا به عليكم فتحيلوا على تحصيله منهم بالرغبة والرهبة ، فلا يمدُّ فاجرٌ يده إلى شيء من الحرام إلا وجد أفجر منه وأقوى قد سبقه إليه ، هذا وكلهم ضيوف وما بأيديهم عارية ، كما قال ابن مسعود ﷺ : " ما أصبح أحد في الدنيا إلا ضيف وماله عارية ، فالضيف مرتحل ، والعارية مؤداه " . [١٥٥]

---

١٥٤ **إسناده صحيح .**

أخرجه أحمد في " الزهد " (صـــ٣٨٧) ، من طريق سيار حدثنا جعفر قال : سمعت مالكاً يقول .

١٥٥ **إسناده ضعيف .**

أخرجه الترمذي (٢٣٧٥) وقال : هذا حديث حسن غريب من طريق الحسن عن أبي هريرة .

قلت : وهذا إسناد معل بالانقطاع بين الحسن لم يسمع من أبي هريرة .

قالوا : وإنما كان حب الدنيا رأس الخطايا ، ومُفسداً للدين من وجوه :

أحدها : أن حُبها يقتضى تعظيمها وهى حقيرة عند الله ، ومن أكبر الذنوب تعظيم ما حقَّرَ اللهُ .

وثانيها : أن الله لعنها ومقتها وأبغضها إلا ما كان له فيها ، ومن أحبَّ ما لعنه اللهُ ومقته وأبغضهُ فقد تعرَّض للفتنة ومقتى وغضبه .

وثالثهما : أنه إذ أحبها صيَّرها غايته وتوسَّل إليها بالأعمال التى جعلها الله وسائل إليه وإلى الدار الآخرة ، فعكس الأمر ، وقلب الحكمة فانتكس قلبه ، وانعكس سيره إلى وراء .

فهاهنا أمران :

أحدهما : جعلُ الوسيلة غاية .

والثاني : التوسّلُ بأعمال الأخرة إلى الدنيا .

وهذا شرٌّ معكوس من كل وجه ، وقلبٌ منكوس غاية الانتكاس ، وهذا هو الذى انطبق عليه حذو القذَّة بالقذَّة قوله تعالى : ﴿ **مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ (١٥) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٦)** ﴾ [هود : ١٥ - ١٦] ، وقوله تعالى : ﴿ **مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا (١٨)** ﴾ [الإسراء : ١٨] ، وقوله تعالى : ﴿ **مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ (٢٠)** ﴾ [الشورى : ٢٠] .

فهذه ثلاث آيات يشبه بعضها بعضاً ، وتدل على معنى واحد وهو أن من أراد بعمله الدنيا وزينتها دون الله والدار الآخرة فحصتُه ما أراد وهو نصيبه ليس له نصيب غيره ، والأحاديث عن رسول الله ﷺ مطابقة لذلك مُفسرة له ، كحديث أبي هريرة ﷺ فى الثلاثة الذين هم أوّل من تُسعَّر بهم النارُ : الغازي ، والمتصدق ، والقارئ الذين أرادوا بذلك الدنيا والنَّصيب ، وهو فى " صحيح مسلم " [١٥٦].

وفى " سنن النسائي " عن أبي أمامة ﷺ قال : جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله رجلٌ غزا يلتمسُ الأجر والذِّكر ما له ؟ فقال رسول الله ﷺ : " **لا شيء له** " ، فأعادها ثلاث مرات ، يقول له رسول الله ﷺ : " **لا شيء له** " ، ثم قال : " **إن الله تعالى لا يقبلُ إلا ماكان خالصاً وابتُغي به وجهُه** " [١٥٧]. فهذا قد بطل أجره وحبط عمله مع أنه قصد حصول الأجر لما ضم إليه قصد الذكر بين الناس ، فلم يخلص عمله لله فبطل كله .

وفى " مسند " الإمام أحمد عن أبي هريرة أن رجلاً قال : يا رسول الله الرجل يُريد الجهاد فى سبيل الله وهو يبتغي عرض الدنيا فقال له رسول الله ﷺ : " **لا أجر له** " فأعظم الناس ذلك ، وقالوا

---

١٥٦ أخرجه البخارى فى " صحيحه " كتاب " الرقاق " (٦٤٣٥) من حديث أبي هريرة .

١٥٧ أخرجه البيهقى فى " شعب الإيمان " (١٠٦٤٤) من طريق أبوعبد الرحمن السلمي أنا علي بن بندار حدثنا الفضل بن حباب ثنا مسلم بن إبراهيم عن قرة قال : سمعت الضحاك بن مزاحم يقول : قال عبد الله بن مسعود وإسناده حسن .

للرجل : عُد لرسول الله ﷺ لعله لم يَفْهم ، فعاد فقال : يا رسول الله الرجل يريد الجهاد فى سبيل الله وهو يبتغي عَرَض الدنيا ، فقال رســول الله ﷺ : " **لا أجــر له** " ثم أعاد الثالثة فقال رسول الله ﷺ : " **لا أجــر له** " (١٥٨) .

وفى " المسند " أيضاً و " سنن النسائي " عن عبادة بن الصامت ﷺ قال : إن رسول الله ﷺ قال : " **من غزا فى سبيل الله عز وجل وهولا ينوي فى غزاته إلا عقالاً فله مانوى** " (١٥٩) .

وفى " المسند " و " السنن " عن يعلى بن مُنْيَة قال : كان رسول الله ﷺ يبعثُني فى سريّة وكان رجلٌ يركب بغلاً فقلت له : ارحل ، فإن النبي ﷺ قد بعثني فى سرية ، فقال : ما أنا بخارج معك حتى تجعل لي ثلاثة دنانير ففعلت ، فلما رجعت من غزاتي ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فقال النبي ﷺ : " **ليس له من غزاته هذه ومن دنياه وآخرته إلا ثلاثة دنانير** " (١٦٠) .

---

١٥٨ تقدم فى بداية الباب العاشر .

١٥٩ **إسناده حسن .**

أخرجه النسائي فى " الصغرى " (٦/٢٥) ، من طريق عيسى بن هلال الحمصي قال : حدثنا محمد بن حميد قال : حدثنا معاوية بن سلام عن عكرمة بن عمار عن شداد بن أبي عمار عن أبي أمامة الباهلي .

قلت : وهذا إسناد حسن ، وانظر الصحيحة رقم (٥٢)

١٦٠ **حسن لغيره .**

أخرجه أحمد (٢/٢٩٠، ٣٦٩) ، أبو داود (٢٥١٦) ، ابن حبان كما فى " الإحسان " (٤٦٣٧) ، الحاكم (٢/٨٥) ، البيهقى فى " السنن الكبير " =

وفى " سنن أبي داود " أن عبد الله بن عمرو ﷺ قال : يا رسول الله أخبرنى عن الجهاد والغزو ، فقال : " **يا عبد الله بن عمرو إن قاتلت صابراً محتسباً بعثك الله صابراً محتسباً ، وإن قاتلت مرائياً مكاثراً بعثك الله مرائياً مكاثراً ، يا عبد الله بن عمرو على أي حال قاتلت أوقُتلت بعثك الله على تلك الحال** " (١٦١) .

وفى " المسند " و " السنن " عن أبي أيوب ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " **إنها ستُفتح عليكم الأمصارُ ، وتضربون فيها بُعوثاً ، فيكره الرجلُ منكم البعث ، ، فيخلص من قومه ، ويعرضُ نفسه على القبائل يقول : من أكفيه بعث كذا وكذا ، ألا وذلك الأجير إلى آخر قطرة من دمه** " (١٦٢) .

= (١٦٩/٩) وابن المبارك فى " الجهاد " (٢٢٧) من طريق بكر بن عبد الله الأشج عن ابن مكرز عن أبي هريرة وإسناد ضعيف من أجل ابن مكرز وهو مجهول . وانظر ما قبله وهو شاهد له .

١٦١ **حسن لشواهده .**

أخرجه أحمد (٣١٥/٥، ٣٢٠) ، النسائي فى " الصغرى " (٢٤/٦) ، الدارمى فى " سننه "(٢٠٨/٢) ، ابن حبان كما فى " الإحسان " (٤٦٣٨) ، الحاكم (١٠٩/٢) ، البخارى فى " التاريخ الكبير " (٢١٩/٢ –٢٢٠) من طريق جبلة بن عطيـــة عن يحيى بن الولـــيد بن عبادة بن الصامت عن جده عبـــادة ابن الصامت

قلت : وفى إسناده جبلة بن عطية مجهول . وانظر رقم (١٥٧، ١٥٨) وهما شاهدان للحديث .

١٦٢ أخرجه أحمد (٢٢٣/٤) ، الطبرانى فى " الكبير " (١٤٦/٨ ، ٦٦٧/٢٢) الحاكـــم (١٠٩/٢) ، البيهقى فى " السنن الكـــبير " (٢٩/٩) من طريق =

فانظر محبة الدنيا ماذا حرمت هذا المجاهد من المجاهدين من الأجر ، وأفسدت على عمله ، وجعلته أول الداخلين إلى النار .

ورابعها : أن محبتها تعترض بين العبد وبين فعل ما يعودُ عليه نفعُه فى الآخرة لاشتغاله عنه بمحبوبة .

والناس ها هنا مراتب :

فمنهم : من يشغله محبوبه عن الإيمان وشرائعه .

ومنهم : من يشغله عن الواجبات التى تجبُ عليه لله ، ولخلقه ، فلا يقومُ بها ظاهراً ولا باطناً .

ومنهم : من يشغله حبها عن كثير من الواجبات .

ومنهم : من يشغله عن واجب يعارضُ تحصيلها وإن قام بغيره .

ومنهم : من يشغله عن القيام بالواجب فى الوقت الذى ينبغي على الوجه الذى ينبغي ، فيُفرط فى وقته وفى حقوقه .

ومنهم : من يشغله عن عبودية قلبه فى الواجب وتفريغه لله عند أدائه فيؤيده ظاهراً لا باطناً ، وأين هذا من عُشّاق الدنيا ومحبيها ؟ هذا من أندرهم .

وأقل دجات حبها أن يشغل عن سعادة العبد وهو تفريغ القلب لحب الله ، ولسانه لذكره ، وجمع قلبه على لسانه ، وجمع لسانه وقلبه على

= خالد بن دريك عن يعلي بن منبه .

قلت : وهذا إسناد منقطع خالد بن دريك لم يسمع من يعلي بن منبه ، وتابع خالد بن دريك عبد الله بن فيروز الديلمى كما عند أبي داود (٢٥٢٧) ، والبيهقى فى " السنن الكبير " وإسناده حسن .

ربه ، فعشقها ومحبتها تضر بالآخرة ولابد ، كما أن محبة الآخرة تضر بالدنيا ، وفى هذا حديث قد روي مرفوعاً : " **من أحب دنياه أضر بآخرته ، ومن أحب آخرته أضر بدنياه ، فآثروا ما يبقى على ما يفنى** " (١٦٣) .

وخامسها : أن محبتها تجعلها أكبر هم العبد ، وقد روى الترمذى من حديث أنس بن مالك ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : " **من كانت الآخرة أكبر همه جعل الله غناه فى قلبه وجمع عليه شمله ، وأتته الدنيا وهى راغمة ، ومن كانت الدنيا أكبر همه جعل الله فقره بين عينيه وفرّق عليه شمله ، ولم يأته من الدنيا إلا ما قُدِّر له** " (١٦٤) .

وسادسها : أن محبها أشد الناس عذاباً بها ، وهو معذب فى دوره الثلاث ، يعذب فى الدنيا بتحصيلها والسعي فيها ومنازعة أهلها ، وفى دار البرزخ بفواتها والحسرة عليهاو كونه قد حيل بينه وبين محبوبه

---

١٦٣ **إسناده ضعيف جداً** .

أخرجه أبو داود (٢٥١٩) ، الحاكم (٨٥/٢) ، البيهقى فى " السنن الكبير" (١٦٨/٩) ، من طرق العلاء بن عبد الله بن رافع عن حنان بن خارجه عن عبد الله بن عمرو . والعلاء بن رافع ، وحنان بن خارجه مجهولان .

١٦٤ **ضعيف** .

أخرجه أحمد (٤١٣/٥) ، أبو داود (٢٥٢٥) ، الهيثم بن كليب فى " مسنده " (١١٣٠) ، البيهقى فى " السنن الكبير "(٢٧/٩) ، الطبرانى فى " مسند الشاميين " (١٣٨٠) من طريق يحيى بن جابر قال : سمعت ابن أبي أيوب الأنصارى يذكر عن أبي أيوب . وفى إسناده ابن أبي أيوب منكر الحديث ، ولا يعرف له سماع من أبي أيوب . قاله البخارى فى " تاريخه " .

على وجه لا يرجوا اجتماعه به أبداً ، ولم يحصل له هناك محبوب يعوضه عنه ، فهذا أشد الناس عذاباً فى قبره ، يعمل الهم والغم والحزن والحسرة فى روحه ما تعمل الديدان وهوام الأرض فى جسمه كما قال الإمام أحمد : حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم حدثنا عبد الصمد بن معقل عن وهب بن منبه : " أن حزقيل كان فيمن سبى بُخْتَنَصَر " ، فذكر عنه حديثاً طويلاً وفى آخره ، قال : " فبينا أنا نائم على شط الفرات إذ اتاني ملك فأخذ برأسي فاحتملني حتى وضعني بقاع من الأرض ، قد كانت معركة : وإذا فيه عشرة آلاف قتيل قد بددت الطير والسباع لحومهم وفرقت أوصالهم . قال لي : إن قوماً يزعمون أن من مات منهم أو قُتل فقد انفلت مني وذهبت عنه قدرتي فادعُهم . قال حزقيل : فدعوتهم فإذا كل عظم قد أقبل إلى مفصله الذى انقطع منه ، ما الرَّجل بصاحبه بأعرف من العظم بمفصله الذى فارق حتى أمَّ بعضُها بعظائم نبت عليها اللحم ثم نبتت عليها العروق ثم انبسطت الجلود وأنا أنظر إلى ذلك ، ثم قال : ادع أرواحهم قال : فدعوتها فإذا كل روح قد أقبل إلى جسده الذى فارق فلما جلسوا سألتهم : فيما كنتم ؟ قالوا : إنا لما متنا وفارقنا الحياة لقينا مَلَكٌ فقال : هلموا أعمالكم وخذوا أجوركم كذلك سُنَّتُنا فيكم وفيمن كان قبلكم وفيمن هو كائن بعدكم ، قال: فنظر فى أعمالنا فوجدنا نعبدُ الأوثان فسلط الدود على أجسادنا وجعلت الأرواح تألمه ، وسلط الغمَّ على أرواحنا وجعل أجسادنا تألمه فلم نزل كذلك نُعَذَّبُ حتى دعوتنا ولا يستريحُ عاشقُ الدنيا " [١٦٥] .

---

١٦٥ حسن لغيره .

فقولهم : كنا نعبدُ الأوثان ، فسيان عبادة الأثمان وعبادة الأوثان ، تعس عبد الدينار ، تعس عبد الدرهم .

والمقصود : أن محب الدنيا يُعذب فى قبره ويعذب يوم لقاء ربه .

قال تعالى : ﴿ **فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ** ﴾ [التوبة : ٥٥] .

قال بعض السلف : " يعذبهم بجمعها ، وتزهق أنفسهم بحبها ، وهم كافرون بمنع حق الله فيها " .

وسابعها : أن عاشقها ومحبها الذى يؤثرها على الآخرة من أسفه الخلق وأقلهم عقلاً ، إذ آثر الخيال على الحقيقة ، والمنام على اليقظة ، والظل الزائل على النعيم الدائم ، والدار الفانية عل الدار الباقية ، وباع حياة الأبد فى أرغد عيش بحياة إنما هى أحلام نوم أو كظل زائل ، إن اللبيب بمثلها لا يخذع ، كما نزل أعرابي بقوم فقدّموا له طعاماً فأكل ، ثم قام إلى ظل خيمة فنـــام ، فاقتلعـــوا الخيمة فأصابته الشمس ؛ فانتبه وهو يقول :

وإن امرؤ دُنيـــاه أكْبَرُ هَمِّـــه ... لَمُستَمْسِكٌ منها بِحَبْلِ غَرور

- أخرجه أحمد (٤/٤١٢) ، عبد بن حميد فى " مسنده" (٥٦٥) ، ابن حبان كما فى " الإحسان " (٧٠٩، الحاكم (٤/٣٠٨) ، البغوى فى " شرح السنة " (٤٠٣٨) البيهقى فى " السنن الكبير " (٣/٣٧٠) ، " شعب الإيمان " (١٠٣٣٧) ، وفى الآداب " (١١٣٢) ، القضاعي فى " مسند الشهاب " (٤١٨) ، ابن أبي الدنيا فى " ذم الدنيا " (٨) ، ابن أبي عاصم فى " الزهد " (١٦٢) وله شاهد من حديث أبي هريرة بإسناد حسن كما عند ابن أبي عاصم فى " الزهد " (١٦١) .

وكان بعض السلف يتمثل بهذا البيت :

يا أهْلَ اللذّاتِ دُنيا لا بقاءَ لها   إن اغتراراً بِظِلٍّ زائلٍ حُمْقُ

قال يونس بن عبد الأعلى : " ما شبهت الدنيا إلا كرجل نام فرأى فى منامه ما يكره وما يحب ، فبينما هو كذلك انتبه " (١٦٦) .

وقال ابن أبي الدنيا : حدثنى أبو علي الطائي حدثنا عبد الرحمن المحاربي عن ليث قال : رأى عيسى بن مريم الدنيا فى صورة عجوز عليها من كل زينة ، فقال : كم تزوَّجت ؟ قالت : لا أحصيهم ، قال : فكلُّهم مات عنك أو كلهم طلقك ؟ قالت : بل كلهم قتلتُه . فقال عيسى : " بؤساً لأزواجك الباقين ، كيف لا يعتبرون بأزواجك الماضين تُهلكينهم واحداً واحداً ولا يكونون منك على حذر " (١٦٧) .

أرى أشقياء النّاس لا يسأمونها   على أنهم فيها عُراةٌ وَجــُوَّعُ

أراها وإن كانت تُحَبُّ فإنهــا   سَحابةُ صَيفٍ عَن قليل تَقَشَّعُ

أشبه الأشياء بالدنيا الظل ، تحسب له حقيقة ثابتة وهو فى تقلص وانقباض إن تتبعه لتدركه فلا تلحقه . وأشبه الأشياء بها السراب **﴿ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾** [النور : ٣٩] . وأشبه الأشياء بها المنامُ يرى فيه العبد ما يحب وما يكره ، فإذا استيقظ علم أن ذلك لا حقيقة له

---

١٦٦ تقدم قريباً فى هذا الباب وإسناده صحيح .

١٦٧ أخرجه أحمد فى " الزهد " (صــ١٠٤ –١٠٦) ، من طريق إسماعيل ابن عبد السلام حدثنى عبد الصمد بن معقل حدثنى وهب بن منبه وإسناده حسن من أجل عبد الصمد بن معقل وهو صدوق .

وأشبه الأشياء بها عجوز شوهاء قبيحة المنظر والمخبر ، غدّارة بالأزواج تزينت للخُطّاب بكل زينة ، وسترت كل قبيح فاغتر بها من لم يجاوز بصره ظاهرها فطلب النكاح ، فقالت : لا مهر إلا نقد الآخرة فإننا ضُرّتان واجتماعنا غير ماذون فيه ولا مستباح ، فآثر الخُطّاب العاجلة وقالوا : ما على من واصل حبيبته من جناح ، فلما كشف قناعها وحل إزارها إذا كل آفة وبلية ، فمنهم من طلّق واستراح ، ومنهم من اختار المُقام فما استتمت ليلة عرسه إلا بالعويل والصياح تالله لقد أذَّنَ مؤنها على رؤوس الخلائق بحي على خير الفلاح ، فقام المجتهدون والمُصلون لها فواصلوا فى طلبها الغدو بالرواح ، وسروا ليلهم فلم يحمد القوم السُّرى عند الصباح ، طاروا فى صيدها فما رجع أحد منهم إلا وهو مكسور الجناح ، فوقعوا فى شبكتها فأسلمتهم للذَّبّاح .

قال ابن أبي الدنيا : حدثنا محمد بن علي بن شقيق حدثنا إبراهيم ابن الأشعث قال : سمعت الفضيل بن عياض قال : قال ابن عباس رضى الله عنهما : " يؤتى بالدنيا يوم القيامة فى صورة عجوز شمطاء زرقاء أنيابها باديةٌ مشوَّهٌ خلقها ، فتشرف على الخلائق ، فيقال : أتعرفون هذه ؟ فيقولون : نعوذ بالله من معرفة هذه فيقال : هذه الدنيا التى تشاجرتم عليها ، بها تقاطعتم الأرحام ، ، وبها تحاسدتم ، وتباغضتم واغتررتم ، ثم يُقذف بها فى جهنم فتنادي : يا رب أين أتباعي وأشياعي ، فيقول الله عز وجل : ألْحِقوا بها أتباعها وأشياعها " (١٦٨) .

---

١٦٨ أخرجه ابن أبي الدنيا فى " ذم الدنيا " .

قال ابن أبي الدنيا : وحدثنا إسحاق بن إسماعيل حدثنا روح بن عبادة حدثنا عوف عن أوفى عن أبي العلاء قال : " رأيت في النوم عجوزاً كبيرة عليها من كل زينة ، والناس عكوف عليها متعجبون ينظرون إليها ، فجئت فنظرت فتعجبت من نظرهم إليها وإقبالهم عليها فقلت لها : ويلك من أنت ؟ قالت : أما تعرفني ؟ قلت : لا ، قالت : أنا الدنيا ، قال قلت : أعوذ بالله من شرِّك ، قالت : فإن أحببت أن تُعاذَ من شرِّي فابغض الدرِّهم " (١٦٩) .

قال ابن أبي الدنيا : حدثني إبرهيم بن سعيد الجوهري حدثنا سفيان ابن عيينة قال : قال لي أبو بكر بن عياش : رأيت الدنيا في النوم عجوزاً مشوه شمطاء تصفق بيديها ، وخلفها خلق يتبعونها ، ويصفقون ويرقصون ، فلما كانت بحذائي أقلبت عليَّ فقالت : لو ظفرت بك صنعت بك ما صنعت بهؤلاء ثم بكى أبو بكر " (١٧٠) .

قال : وحدثنا محمد بن علي حدثنا إبراهيم بن الأشعث قال : سمعت الفضيل قال : " بلغني أن رجلاً عُرج بروحه ، فإذا امرأة على قارعة الطريق عليها من كل زينة : الحُليِّ والثِّياب ، وإذا هي لا يمر بها أحد إلا جَرَحَته ، وإذا هي أدبرت كانت أحسن شيء رآه الناس ، وإذا أقبلت أقبح شيء عجوز شمطاء زرقاء عمشاء ، فقلت : أعوذ بالله

---

١٦٩ أخرجه ابن أبي الدنيا في " ذم الدنيا " (٢٧) وفيه ليث بن سليم ضعيف .

١٧٠ أخرجه ابن أبي الدنيا في " ذم الدنيا " (١٢٣) ، من طريق الفضيل ابن عياض عن ابن عباس .

قلت : في إسناده الفضيل بن عياض الخولاني مجهول كما في " التقريب " .

قالت : لا والله ، لا يُعذك الله حتى تُبغض الدرهم ، قال قلت : من أنت ؟ قالت : أنا الدنيا " (١٧١) .

ووصف عليّ ﷺ الدنيا فقال : " دار من صح فيها هرِم ، ومن سقم فيها ندم ، ومن افتقر فيها حزن ، ومن استغني فيها فُتن ، فى حلالها الحِسابُ ، وفى حرامها النّار " (١٧٢)

وقال ابن مسعود ﷺ : " الدنيا دار من لا دار له ، ومالُ من لا مال له ، ولها يجمعُ من لا عقل له " (١٧٣) .

وذكر ابن أبي الدنيا : أن الحسن كتب إلى عمر بن عبد العزيز : " أما بعد : فإن الدنيا دار ظَعنٍ ليست بدار إقامة ، وإنما أُنزل آدم إليها عقوبة ، فاحذرها يا أمير المؤمنين ، فإن الزاد منها تركها ، والغنى فيها فقرُها ، لها فى حال قتيل ، تذل من أعزها ، وتفقر من جمعها ، هي كالسم يأكله من لا يعرفه وفيه حتفه ، فكن فيها كمداوٍ جراحاته يحتمي قليلاً ، مخافة ما يكره طويلاً ، ويصبر على شدة الدواء مخافة طول البلاء ، فاحذر هذه الدار الغرّارة الخيّالة الخدّاعة التى قد تزينت

---

١٧١ إسناده حسن .

أخرجه أحمد فى " الزهد " (صـ٣١٢) ، ابن أبي الدنيا فى " ذم الدنيا " (١٢٨) ، أبو نعيم فى " حلية الأولياء " ((٢/٢٤٣ -٢٤٤) ، من طريق حميد ابن هلال يحدث عن العلاء بن زياد قال : رأيت الناس فى النوم .

١٧٢ أخرجه ابن أبي الدنيا فى " ذم الدنيا " (٢٩ ،٣٠) أبو نعيم فى " حلية الأولياء "٨/٣٠٤) كلاهما عن أبو بكر بن عياش قوله وإسناده صحيح .

١٧٣ أخرجه ابن أبي الدنيا فى " ذم الدنيا " (١٢٤) ، وإسناده صحيح إلى الفضيل .

بخدعها وفتنت بغرورها ، وخيّلت بآمالها ، وشوّقت لخطابها ، فأصبحت كالعروس المجلوة ، فالعيون إليها ناظرة ، والقلوب عليها والهة ، والنفوس لها عاشقة ، وهي لأزواجها كلهم قاتلة ، فلا الباقي بالماضي معتبر ، ولا الآخر بالأول مزدجر ، والعارف بالله حين أخبره عنها مذّكر ، فعاشق لها قد ظفر منها بحاجته فاغتر ، وطغى ، ونسى المعاد ، فشغل فيها لبه ، حتى زلت عنها قدمه ، فعظمت ندامته وكبرت خسارته ، واجتمع عليه سكرات الموت وألمه ، وحسرات الفوت ونغصه ، فذهب منها فى كمد ، ولم يدرك منها ما طلب ، ولم يرح نفسه من التعب ، فخرج بغير زاد ، وقدم على غير مهاد ، فاحذرها يا أمير المؤمنين ، واسر ما تكون فيها ، واحذر ما تكون لها فإن صاحب الدنيا اطمأن منها إلى سرور أشخصته إلى مكروه ، السّارُ فيها غذاء ضارٌ ، وقد وُصل الرخاء منا بالبلاء ، وجعل البقاء فيها إلى فناء ، فسرورها مشوب لحزن ، لا يرجع منها ما ولّى فأدبر ولايُدرى ما هو آت فينتظر ، أمانيها كاذبة ، وآمالها باطلة ، وصفوها كدر ، وعيشها نكد ، فلو كان الخالق لها لم يخبر عنها خبراً ، ولم يضرب لها مثلاً لكانت قد أيقظت النائم ، ونبهت الغافل فكيف وقد جاء من الله عز وجل عنها زاجر ، وفيها واعظ ، فما لها عند الله عز وجل قدر ولا وزن ، وما نظر إليها منذ خلقها ، ولقد عُرضت على نبينا ﷺ بمفاتيحها وخزائنها لا تنقصه عند الله جناح بعوضة فأبى أن يقبلها ، وكره أن يُحب ما أبغض اللهُ خالقُه ، أو يرفع ما وضع مليكُه فزواها عن الصالحين اختياراً ، وبسطها لأعدائه اغترارا ، فيظن المغرور بها

القادر عليها أنه أكرم بها ، ، ونسى ما صنع الله بمحمد ﷺ حين شد الحجر على بطنه " (١٧٤) .

وقال الحسن أيضاً : " ابن آدم لا تعلق قلبك فى الدنيا ، فتعلقه بشر معلق ، اقطع حبالها ، وغلِّق أبوابها ، حسبُك يا ابن آدم منها منا يبلغك المحل " (١٧٥) .

وكان يقول : " إن قوماً أكرموا الدنيا فصلبتهم على الخشب ، فأهينوها ، فأهنأ ما تكون إذا أهنتموها ، هيهات هيهات ذهبت الدنيا ، وبقيت الأعمال قلائد في الأعناق " (١٧٦) .

وقال المسيح عليه السلام : " لا تتخذوا الدنيا ربّاً فتتخذكم عبيداً ، واعبرُوها ، ولا تعمروها ، واعلموا أن أصل كل خطيئة حبُّ الدنيا ، ورب شهوة أورثت أهلها حزناً طويلاً ، ما سكنت الدنيا فى قلب عبد إلا أناط قلبه منها بثلاثة : شغل لا ينفك عناؤه ، وفقر لا يُدرك غناؤه ، وأمل لا يدرك منتهاه ، الدنيا طالبة مطلوبة فطالب لآخرة تطلبه الدنيا حتى يستكمل فيها رزقه ، وطالب الدنيا تطلبه الآخرة حتى يجيء

---

١٧٤ أخرجه ابن أبي الدنيا فى " ذم الدنيا " (١٨) ، وإسناده صحيح .

١٧٥ أخرجه أحمد فى " الزهد " (صـــ ٢٠٠) ، ابن أبي الدنيا فى " ذم الدنيا " (١٦) ، البيهقى فى " شعب الإيمان " (١٠٦٣٧) ، من طريق عبد الله بن نمير عن مالك بن مغول قال عبد الله . وإسناده صحيح .

١٧٦ أخرجه ابن أبي الدنيا فى" ذم الدنيا " (١٥) ، أبو نعيم فى" حلية الأولياء " (١٣٤/٢ -١٤٢) كلاهما من طريق يعقوب بن سفيان قال: ثنا محمد بن يزيد الليثي قال : ثنا معن بن عيسى قال : ثنا إبراهيم عن عبد الله بن أبي الأسود عن الحسن أنه كتب إلى عمر بن عبد العزيز .

الموت فيأخذ بعنقه ، يا معشر الحواريين ارضوا بدنئ الدنيا مع سلامة الدين ، كما رضي أهل الدنيا بدنئ الدين مع سلامة الدنيا " (١٧٧) .

وقال ابن أبي الدنيا حدثنا هارون بن عبد الله حدثنا سيار حدثنا جعفر حدثنا مالك بن دينار قال : قال أبو هريرة ﷺ : " الدنيا موقوفة بين السماء والأرض منذ خلقها الله تعالى إلى يوم يفنيها ، تنادي ربها يا رب لم تبغضني ، فيقول : اسكتى يا لا شيء ، اسكتى يا لا شيء " (١٧٨) .

وقال الفضيل : " تجيء الدنيا يوم القيامة فتتبختر فى زينتها ونضرتها ، فتقول : يا رب اجعلنى لأحسن عبادك داراً ، فيقول : لا أرضاك له ، أنت لا شيء فكوني هباءً منثوراً " (١٧٩) .

❁ ❁ ❁

١٧٧ أخرجه ابن أبي الدنيا فى " ذم الدنيا " (٤٠٥) .
١٧٨ أخرجه ابن أبي الدنيا فى " ذم الدنيا " (٣١ ، ٣٥) .
١٧٩ أخرجه ابن أبي الدنيا فى " ذم الدنيا " (٣٦٠) .

فصل

فى ذكر أمثلة تُبيِّن حقيقة الدّنيا ..

المثال الأول : للعبد ثلاثة أحوال : حالة لم يكن فيها شيئاً ، وهى ما قبل أن يوجد ، وحالة أخرى وهى من ساعة موته إلى مالا نهاية له فى البقاء السرمدي ، فلنفسه وجود بعد خروجها من البدن : إما فى الجنة ، وإما فى النار ، ثم تعاد إلى بدنه فيجازى بعمله ، ويسكن إحدى الدارين فى خلود دائم .

ثم ما بين هاتين الحالتين – وهى ما بعد وجوده وما قبل موته – حالة متوسطة وهى أيامُ حياته ، فلينظر إلى مقدار زمانها وأنسبه إلى الحالتين يعلمُ أنه أقل من طرفة عين فى مقدار عمر الدنيا .

ومن رأى الدنيا بهذه العين لم يركن إليها ، ولم يبال كيف تقضت أيامه فيها فى ضُرٍّ وضيق أو فى سعة ورفاهية .

ولهذا لم يضع رسول الله ﷺ لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة وقال : " **مالى وللدنيا إنما مثلي ومثل الدنيا إلا كراكب قال فى ظل شجرة ثم راح وتركها** " (١٨٠) . وقال : " **ما الدنيا فى الآخرة إلا كما يجعل أحدُكم إصبعه فى اليم فلينظر بما يرجع** " (١٨١) .

وإلى هذ أشار المسيح عليه السلام بقوله : " الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمُروها " (١٨٢)

---

١٨٠ أخرجه ابن أبي الدنيا فى " ذم الدنيا " (١٢٥) .

١٨١ تقدم فى أواخر الباب الحادى والعشرون .

١٨٢ انظر ما قبله .

وهذا مثل صحيح ، فإن الحياة معبر إلى الآخرة ، والمهد هو الركن الأول على أول القنطرة ، واللحد هو الركن الثاني على آخرها ، ومن الناس من قد قطع نصف القنطرة ، ومنهم من قطع ثُلُثيها ، ومنهم من لم يبق له إلا خطوة واحدة وهو غافل عنها ، وكيف ما كان فلابد من العبور ، فمن وقف يبني على القنطرة ويزينها بأصناف الزينة وهو يستحث العبور ، فهو فى غاية الجهل والحُمق .

المثال الثاني : شهوات الدنيا فى القلب كشهوات الأطعمة فى المعدة وسوف يجد العبد عند الموت لشهوات الدنيا فى قلبه من الكراهة والنتن والقبح ما يجده للأطعمة اللذيذة إذا انتهت فى المعدة غايتها ، وكما أن للأطعمة كلما كانت ألذ طعماً وأكثر دسماً وأكثر حلاوة كان رجيعها أقذر ، فكذلك كل شهوة كانت فى النفس ألذ وأقوى فالتأذي بها عند الموت أشد ، كما أن تفجُّع الإنسان بمحبوبه إذا فقده يقوى بقدر محبة المحبوب .

وفى " المسند " أن النبي ﷺ قال للضحاك بن سفيان : " **ألست تؤتى بطعامك وقد مُلّح وقُزّح ثم تشرب عليه الماء واللبن** " قال : بلى ، قال : " **فإلى ماذا يصير ؟** " قال : إلى ما قد علمت ، قال : " **فإن الله عز وجل ضرب مثل الدنيا لما يصيرُ إليه طعام ابن آدم** " (١٨٣) .

---

١٨٣ **حسن لغيره .**

أخرجه أحمد (٣/٤٥٢) ، ابن أبي الدنيا فى كتاب " الجوع " (١٦٤) ، " التواضع والخمول " (١٠)، الطبرانى فى" الكبير " (٨١٣٨) من طريق الحسن البصرى عن الضحاك بن سفيان الكلابي .

قلت : وهذا إسناد منقطع الحسن لم يسمع من الضحاك بن سفيان .

كان بعض السلف يقول لأصحابه : " انطلقوا حتى أريكم الدنيا ، فيذهب بهم إلى مزبلة ، فيقول : انظروا إلى ثمارهم ودجاجهم وعسلهم وسمنهم " .

المثال الثالث : لها ولأهلها فى اشتغالهم بنعيمها عن الآخرة وما يعقبهم من الحسرات ، مثل أهلها فى غفلتهم مثل قوم ركبوا سفينة فانتهت بهم إلى جزيرة فأمرهم الملاح بالخروج لقضاء الحاجة وحذَّرهم الإبطاء وخوفهم مرور السفينة ، فتفرقوا فى نواحي الجزيرة فقضى بعضهم حاجته وبادر إلى السفينة فصادف المكان خالياً ، فأخذ أوسع الأماكن وألينها وأوفقها لمراده . ووقف بعضهم فى الجزيرة ينظر إلى أزهارها وأنوارها العجيبة ، ويسمع نغمات طيورها ، ويعجبه حسن أحجارها ، ثم حدثته نفسه بفوت السفينة وسرعة مرورها وخطر ذهابها فلم يصادف إلا مكاناً ضيقاً فجلس فيه . وأكب بعضهم على تلك الحجارة المستحسنة والأزهار الفائقة فحمل منها حمله ، فلما جاء لم يجد فى السفينة إلا مكاناً ضيقاً فصار محموله ثقلاً عليه ووبالاً ولم يقدر على نبذه بل لم يجد من حمله بداً ولم يجد له فى السفينة موضعاً فحمله على عنقه وندم على أخذه فلم تنفعه الندامة ، ثم ذبلت الأزهار وتغيرت رائحتها وآذاه نتنها . وتولَّج بعضهم فى تلك الغياض ونسى السفينة وأبعد فى نزهته ، حتى أن الملاح نادى بالناس عند دفع

= وأخرجه ابن أبي الدنيا فى " الجوع " (١٦٥) عن الحسن عن أوبى بن كعب مرفوعاً ، وأخرجه عبد الله بن المبارك فى " الزهد " (٤٩٥) مرسلاً عن أبي عثمان ، وله شاهد تقدم من حديث سلمان أخرجه الطبرانى فى " الكبير " (٦١١٠) وإسناده حسن .

السفينة فلم يبلغه صوته لاشتغاله بملاهيه فهو تارة يتناول من الثمر ، وتارة يشم تلك الأزهار ، وتارة يُعجَبُ من حُسن الأشجار وهو على ذلك خائف من سبع يخرج عليه غير منفك من شوك يتشبث فى ثيابه ويدخل فى قدميه ، أو غصن يجرح بدنه ، أو عوسج يغرق ثيابه ويهتك عورته ، أو صوت هائل يفزعه . ثم من هؤلاء من لحق السفينة ولم يبق فيها موضع فمات على الساحل ، ومنهم من شغله لهوه فافترسته السباع ونهشته الحيات ، ومنهم من تاه فهام على وجهه حتى هلك .

فهذا مثال أهل الدنيا فى اشتغالهم بحظوظهم العاجلة ونسيانهم موردهم وعاقبة أمرهم ، وما أقبح بالعاقل أن تغره أحجار ونبات يصير هشيماً قد شغل باله وعوّقه عن نجاته ولم يصحبه .

المثال الرابع : لاغترار ألناس بالدنيا وضعف إيمانهم بالآخرة .

قال ابن أبي الدنيا : حدثنا إسحاق بن إسماعيل حدثنا روح بن عبادة حدثنا هشام بن حسان عن الحسن قال : بلغنى أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه : " **إنما مثلي ومثلكم ومثل الدنيا كمثل قوم سلكوا مفازةً غبراء ، حتى إذا لم يدروا ما سلكوا منها أَكْثَرُ أم ما بقي أنفدوا الزّاد وحسروا الظَّهر ، وبقوا بين ظهراني المفازة لا زاد ولا حمولة ، فأيقنوا بالهلكة ، فبينما هم كذلك إذ خرج عليهم رجل فى حُلّة يقطر رأسه ، فقالوا : إن هذا قريب عهد بريف ، وما جاءكم هذا إلا من قريب فلما انتهى إليهم قال : يا هؤلاء علام أنتم ؟ قالوا : على ما ترى ، قال : أرأيتم إن هديتكم على ماءٍ رواءٍ ورياض خُضر ، ما تجعلون لي ؟ قالوا : لا نعصيك شيئاً ، قال عهودكم ومواثيقكم بالله ،**

قال : فأعطوه عهودهم ومواثيقهم بالله لا يعصونه شيئاً ، قال : فأوردهم ماءً ورياضاً خضراء ، قال : فمكث فيهم ما شاء الله ، ثم قال : يا هؤلاء الرَّحيل ، قالوا : إلى أين ، قال : إلى ماء ليس كمائكم ورياض ليست كرياضكم ، قال : فقال جُلُّ القوم وهم أكثرهم ، والله ما وجدنا هذا حتى ظننا أن لن نجده وما نصنع بعيش هو خير من هذا ، قال : وقالت طائفة وهم أقلهم : ألم تعطوا هذا الرجل عهودكم ومواثيقكم بالله لا تعصونه شيئاً ، وقد صدقكم فى أول حديثه فوالله ليصدقنكم فى آخره فراح بمن اتبعه وتخلف بقيتهم فبادرهم عدوهم فأصبحوا بين أسير وقتيل " (١٨٤) .

المثال الخامس : للدنيا وأهلها مامثلها به النبي ﷺ كظل شجرة ، والمرء مسافر فيها إلى الله ، فاستظل فى ظل تلك الشجرة فى يوم صائف ثم راح وتركها .(١٨٥)

فتأمل حُسن هذا المثال ومطابقه للواقع سواء ، فإنها فى خضرتها كشجرة ، وفى سرعة انقضائها وقبضها شيئاً فشيئاً كالظل ، والعبد مسافر إلى ربه ، والمسافر إذا رأى شجرة فى يوم صائف لا يحسن به أن يبني تحتها داراً ولا يتخذها قراراً ، بل يستظل بها بقدر الحاجة ، ومتى زاد على ذلك انقطع عن الرّفاق .

---

١٨٤ **ضعيف** .

أخرجه عبد الله بن المبارك فى " الزهد " (٥٠٧) ، وابن أبي الدنيا فى " ذم الدنيا " (٨٨) ، وإسناده ضعيف .

١٨٥ تقدم فى أواخر الباب الحادى والعشرون .

المثال السادس : تمثيله لها ﷺ بمدخل إصبعه فى اليم [١٨٦] ، فالذى يرجع به إصبعه من البحر هو مثلُ الدنيا بالنسبة إلى الآخرة .

وهذا أيضاً من أحسن الأمثال ، فإن الدنيا منقطعة فانية ، ولو كانت مدتها أكثر مما هى والآخرة أبدية لا انقطاع لها ، ولا نسبة للمحصور إلى غير المحصور ، بل لو فُرض أن السموات والأرض مملوءتان خردلاً ، وبعد كل ألف سنة طائر ينقل خردلة لفنى الخردل والآخرة لا تفنى ، فنسبة الدنيا على الآخرة فى التمثيل كنسبة خردلة واحدة إلى ذلك الخردل .

ولهذا لو أن البحر يمده من بعده سبعة أبحر ، وأشجار الأرض كلها أقلام يُكتب بها كلام الله ، لنفدت الأبحر والأقلام ولم تنفد كلمات الله ، لأنها لا بداية لها ولا نهاية لها ، والأبحر والأقلام متناهية .

قال الإمام أحمد وغيره : لم يزل الله متكلماً إذا شاء ، وكماله المقدّسُ مقتض لكلامه ، وكماله من لوازم ذاته فلا يكون إلا كاملاً ، والمتكلم أكمل ممن لا يتكلم ، وهو سبحانه لم يلحقه كلل ولا تعب ولا سآمة من اكلام ، وهو يخلق ويدبر خلقه بكلماته ، فكلماته هى التى أوجد بها خلقه وأمره ، وذلك حقيقة ملكه وربوبيته وإلهيته ، وهو لا يكون إلا ربا ملكاً إلهاً لا إله إلا هو .

والمقصود : إن الدنيا نفسٌ من أنفاس الآخرة ، وساعة من ساعاتها .

---

١٨٦ انظر ما قبله .

المثال السابع : مامثَّلها به ﷺ فى الحديث المتفق على صحته من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قام رسول الله ﷺ فخطب الناس فقال : " **لا والله ما أخشى عليكم إلا ما يخرج الله لكم من زهرة الدنيا** " فقال رجل : يا رسول الله ، أو يأتي الخيرُ بالشرِّ ؟ فصمت رسول الله ﷺ ثم قال : " **كيف قلت ؟** " قال : يا رسول الله : أو يأتي الخيرُ بالشرِّ ؟ فقال رسول الله ﷺ : " **إن الخير لا يأتي إلا بالخير ، وإن مما يُنبت الربيعُ ما يقتُلُ حبَطاً أو يُلمُّ ، إلا أكله الخضر أكلت حتى إذا امتلأت بحرارتها انضاج ما أكلته ، وإخراجه الثالثة إنها استفرغت بالبول والثَّلط خاصرتها استقبلت الشمس فثلطت وبالت ، ثم اجترت فعادت فأكلت ، ومن أخذ مالاً بحقه بُورك له فيه ، ومنأخذ مالاً بغير حقِّه فمثله كمثل الذى يأكل ولا يشبع** " (١٨٧) .

فأخبر ﷺ أنه إنما يخافُ عليهم الدنيا ، وسمّاها زهرةً ، فشبهها بالزهر فى طيب رائحته وحُسن منظره وقلة بائه ، وأن وراءه ثمراً خيراً وأبقى منه .

وقوله : " **إن مما ينبت الربيع ما يقتل حبطاً أو يُلمّ** " هذا من أحسن التمثيل المتضمن للحذير من الدنيا والإنهماك عليها والمسرة فيها وذلك أن الماشية يروقُها نبت الربيع ، فتأكل منه بأعينها ، فربما هلكت حبطاً ، و " **الحبط** " انتفاخ بطن الدابة من الامتلاء أو من المرض ، يقال : حَبِطَ الرَّجل والدابةُ تحبطاً حبطاً إذا أصابه ذلك . ولما أصاب الحارث بن مازن بن تميم ذلك فى سفره فمات حبطاً ، فنسب الحبط ،

---

١٨٧ أخرجه البخارى فى كتاب " الرقاق " (٦٤٢٧) ، مسلم فى كتاب" الزكاة " (١٠٥٢) .

كما يقال : " السُّلمي ، فكذلك الشَّره فى المال يقتله شرهُه وحِرصه ، فإن لم يقتله قارب أن يقتله ، وهو قوله : " **أو يلم** " ، وكثير من أرباب الأموال إنما قتلتهم أموالهم فإنهم شرهوا فى جمعها ، واحتاج إليها غيرهم فلم يصلوا إليها إلا بقتلهم ، أو ما يقاربه من إذلالهم وقهرهم .

وقوله : " **إلا آكلة الخضر** " هذا تمثيل لمن أخذ من الدنيا حاجته مثَّله بالشاة الآكلة من الخضر بقدر حاجتها أكلت حتى إذا امتلأت خاصرتها وفى لفظ آخر ، " **امتدت خاصرتها** " وإنما تمتد من امتلائها من الطعام ، وثنّى الخاصرتين ، لأنهما جانبا البطن .

وفى قوله : " **استقبلت عين الشمس فثلطت وبالت** " ثلاث فوائد :

إحداها : أنها لم أخذت حاجتها من المرعى تركته وبركت مستقبلة الشمس لتستمرئ بذلك ما أكلته .

الثانية : أنها عرضت عما يضُرُّها من الشَّره فى المرعى ، وأقبلت على ما ينفعها من استقبال الشمس التى يحصل لها بحرارتها إنضاج ما أكلته وإخراجه .

الثالثة : أنها استفرغت بالبول والثلط ماجمعته من المرعى فى بطنها فاستراحت بإخراجه ولو بقي فيها لقلتها ، فكذلك جامعُ المال مصلحتُه أن يفعل به كما فعلت هذه الشاة .

وأوَّل الحديث مثلٌ للشَّرِه فى جمع الدنيا الحريص على تحصيلها ، فمثاله : مثالُ الدابة التى حملها شره الأكل على أن يقتلها حبطاً أو يلم إذا لم يقتلها ، فإن الشرهِ الحريص إما هالكٌ وإما قريب من الهلاك ، فإن الربيع يُنبت أنواع البقول والعشب ، فتستكثر منه الدابة حتى ينتفخ

بطنها لما جاوزت حد الاحتمال ، فتنشق أمعاؤها وتهلك ، كذلك الذى يجمع الدنيا من غير حلها ، ويحبسُها أو يصرفُها فى غير حقها .

وآخر الحديث مثلٌ للمقتصد بآكلة الخَضر الذى تنتفع الدابةُ بأكله ، ولم يحملها شرهها وحرصها على تناولها منه فوق ما تحتمله ، بل أكلت بقدر حاجتها ، وهكذا هذا أخذ ما يحتاج إليه ثم أقبل على ما ينفعه ، وضرب بول الدابة وثلطها مثلاً لإخراجه المال فى حقه ، حيث يكون حبسه وإمساكه مُضراً به ، فنجا من وبال جمعه بأخذ قدر حاجته منه ، ونجا من وبال إمساكه بإخراجه ، كما نجت الدابة من الهلاك بالبول والثَّلط .

وفى هذا الحديث إشارة إلى الاعتدال والتوسط بين الشَّره فىالمرعى القاتل بكثرته ، وبين الإعراض عنه وتركه بالكلية ، فتهلك جوعاً .

وتضمن الخبر أيضاً إرشاد المُكثر من المال إلى ما يحفظ عليه قوته وصحته فى بدنه وقلبه ، وهو الإخراج منه وإنفاقه ، ولا يحبسه ، فيضُرُّ حبسُه ، وبالله التوفيق .

المثال الثامن : ما رواه عمرو بن شعيب عن أبيه عن سليمان بن يسار عن ميمونة قالت : قال رسول الله ﷺ لعمرو بن العاص : " **الدنيا خضرة حلوة ، فمن اتقى الله فيها وأصلح وإلا فهو كالآكل ولا يشبع ، وبين الناس فى ذلك كبعد الكوكبين : أحدهما يطلع فى المشرق ، والآخر يغيب فى المغرب** " (١٨٨) .

---

١٨٨ **ضعيف** .

أخرجه أبو يعلي فى " مسنده " (٧٠٩٩) ، الطبرانى فى " الكبير " (٢٠/٢٤) وإسناده ضعيف .

فنبه بخضرتها على استحسان العيون لها ، وبحلاوتها على استجلاء الصدور لها، وبتلك الخضرة والحلاوة زُينت لأهلها ، وحببت إليهم لا سيما وهم مخلوقون منها وفيها ، كما قيل :

ونحن بنو الدنيا ومنها نباتُنا وما أنت منه فهو شيء مُحَبَّبُ

وجعل الناس فيها قسمين :

أحدهما : مُصلح متقي ، فهذا تقواه وإصلاحه لا يدعانه ينهمك عليها ، ويَشْرَه فيها ، ويأخذُها من غير حلِّها ، ويضعُها فى غير حقِّها فإن لم يتق ويصلح صرف نهمته وقواه وحرصه إلى تحصيلها ، فكان الذى يأكل ولا يشبع .

وهذا من أحسن الأمثلة ، فإن المقصود من الأكل حفظ الصحة والقوة وذلك تابع لقدر الحاجة ، وليس المقصود منه ذاته ونفسه فمن جعل نهمته فوق مقصود لم يشبع . ولهذا قال الإمام أحمد : " الدنيا قليلها يجزي ، وكثيرُها لا يجزي " .

وأخبر عن تفاوت الناس فى المنزلتين : أعنى منزلة التقوى والإصلاح ومنزلة الأكل والشره ، وأن بين الرَّجلين فى ذلك كما بين الكوكبين الغارب فى الأفق والطالع منه ، وبين ذلك منازل متفاوتة .

المثال التاسع : ما تقدم من حديث المستورد بن شداد قال : كنت مع الرَّكب الذين وقفوا مع رسول الله ﷺ على السَّخْلَة المَيْتَة ، فقال رسول الله ﷺ : " **أترون هذه هانت على أهلها حتى ألقوها ؟** " قالوا : ومن هوانها ألقوها يا رسول الله ، قال : " **فوالذى نفس محمد**

بيده للدنيا أهون على الله من هذه على أهلها " [١٨٩] . قال الترمذى : حديث حسن صحيح . فلم يقتصر ﷺ على تمثيلها بالسخلة الميتة بل جعلها أهوَن على الله منها .

وفى " مسند الإمام أحمد " فى هذا الحديث : " **فوالذي نفسي بيده للدنيا عند الله أهون عليه من تلك السخلة على أهلها** " ، فأكد ذلك بالقسم الصادق ، فإذا كان مثلُها عند الله أهون وأحقر من سخلةٍ ميتة على أهلها ، فمحُبها وعاشقُها أهونُ على الله من تلك السخلة ، وكونها سخلة أهونُ عليهم من كونها شاة كبيرة لأن تلك ربما انتفعوا بصوفها أو دبغوا جلدها ، وأما ولدُ شاة صغيرة ميت ففى غاية الهوان ، والله المستعان .

المثال العاشر : مثلُها مثل البحر الذى لا بُد للخلق كُلهم من ركوبه ليقطعوه إلى الساحل الذى فيه دورهم وأوطانهم ومستقرهم ، ولا يمكن قطعه إلا فى سفينة النجاة ، فأرسل الله رسله لتُعرِّف الأمم اتخاذ سُفن النجاة ، وتأمرهم بعملها وركوبها ، وهي طاعته ، وطاعةُ رسله ، وعبادتُه وحده ، وإخلاص العمل له ، والتشمير للآخرة وإرادتُها والسَّعيُ لها سعيها ، فنهض الموفقون وركبوا السفينة ورغبوا عن خوض البحر لما علموا أنه لا يُقطعُ خوضاً ولا سباحة .

وأما الحُمقاء فاستصعبوا عمل السفينة وآلاتها والرُكوب فيها ، وقالوا : نخوض البحر فإن عجزنا قطعناه سباحةً وهم أكثر أهل الدنيا فخاضوه ، فلما عجزوا عن الخوض أخذوا فى السباحة حتى أدركم

---

١٨٩ تقدم الكلام عليه فى أواخر الباب الحادى والعشرون .

الغرق ، ونجا أصحاب السفينة كما نجوا مع نوح عليه ال سلام وغرق أهل الأرض .

فتأمل هذا المثل ، وحال أهل الدنيا فيها ، يتبين لك مطابقته للواقع وقد ضُرب هذا المثل للدنيا والآخرة والقدَرِ والأمْرِ ، فإن القَدَر بَحْرٌ ، والأمْرُ فيه سفينةٌ لا ينجو إلا من ركبها .

المثال الحادي عشر : مثالها مثال إناء مملوء عسلاً رآه الذباب ، فأقبل نحوه ، فبعضه قعد على حافة الإناء وجعل يتناول منه العسل حتى أخذ حاجته ثم طار ، وبعضُه حمله الشره على أن رمى بنفسه فى لُجَّةِ الإناء ووسطه فلم يدعه انغماسه فيه أن يتهنأ به إلا قليلاً حتى هلك فى وسطه .

المثال الثاني عشر : مثال حَبٌ قد نُثِرَ على وجه الأرض ، وجُعلت كل حبة فى فخ ، وجُعل حول ذلك الحبُّ حب ليس فى فخاخ فجاءت الطير : فمنها من قنع بالجوانب ولم يرم نفسه فى وسط الحبِّ فأخذ حاجته ومضى . ومنهامن حمله الشَّره على اقتحام مُعظم الحَبِّ ووسط الحبِّ ، فما استتم اللِّقاطَ إلا وهو يصيحُ من أخذة الفخِّ له .

المثال الثالث عشر : كمثل رجُلٍ أوقد ناراً عظيمة فجعلت الفراشُ والجنادبُ يرون ضوءَها فيقصدُونها ويتهافتون فيها ، ومن له علم بحالها جعل يستضيء ويستدفئ من بعيد .

وقد أشار النبي ﷺ إلى هذا المثل بعينه فى الحديث الذى رواه مالك ابن إسماعيل عن حفص بن حُميد عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما عن عمر ﷺ عن النبي ﷺ قال : " **إنّي مُمْسِكٌ بحُجزكم عن**

النار وتتقاحمون فيها تقاحُم الفَراش والجنادب ، ويوشك أن أُرسل بحُجزكم " (١٩٠) .

وفى لفظ آخر : " **مثلي ومثلكم كمثل رجل استوقد ناراً فلما أضاءت ماحوله جعلت الفراشُ والجنادِبُ يقتحمن فيها فأنا آخذ بحجزكم عن النار وأنتم تغلبوني وتتقاحمون فيها** " (١٩١) .

وهذا المثال منطبق على أهل الدنيا المُنهمكين فيها ، فالرُسُلُ تدعوهم إلى الآخرة ، وهم يتقامحون فى الدنيا تقاحُم الفراش .

المثال الرابع عشر : مَثَلُ قوم خرجوا فى سفر بأموالهم وأهليهم فمرّوا بوادٍ مُشعب كثير المياه والفواكه ، فنزلوا به وضربوا خيمهم ، وبنوا هنالك الدور والقصور ، فمرَّ بهم رجل يعرفون نُصحه وصدقه وأمانته ، فقال : إني رأيت بعينى هاتين الجيش خلف الوادي وهو قاصدكم فاتَّبعوني أسلُك بكم على غير طريق العدو فتنجوا منه ، فأطاعته طائفة قليلة ، فصاح فيهم : يا قوم النجاة النجاة أُتيتُم أُتيتُم ، وصاح السامعون له بأهليهم وأولادهم وعشائرهم فقالوا : كيف نرحل من هذا الوادي وفيه مواشينا وأموالُنا ودورُنا وقد استوطناه ، فقال لهم الناصح : لينج كل واحد منكم بنفسه مما خف عليه من متاعه وإلا فهو مأخوذٌ مالُه ومجتاح ، فثقل على أصحاب الجدّ والأموال ورؤساء القوم

---

١٩٠ **إسناده ضعيف .**

أخرجه البزار كما فى " مسنده " (٢٠٤) ، يعقوب بن شيبة فى " مسند عمر" (صــ٧٤) وفى إسناده رجل مجهول .

١٩١ أخرجه البخارى فى " صحيحه " كتاب" الرقاق " (٦٤٨٣) ، مسلم فى كتاب " الفضائل " (٢٢٨٤) ، من حديث أبي هريرة ﷺ .

النقلةُ ومفارقةُ ما هم فيه من النعيم والرفاهية والدَّعة ، وقال كل أحمق : لي أسوة بالقاعدين فهم أكثر مني مالاً وأهلاً فماأصابهم أصابني معهم ، ونهض الأقلون مع الناصح ففازوا بالنجاة وصبَّح الجيشُ أهل الوادي فقتلهم واجتاح أموالهم .

وقد أشار النبي ﷺ إلى هذا المثل بعينه فى الحديث المتفق على صحته من حديث أبي بردة عن أبي موسى عن النبي ﷺ قال : " **إنما مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل أتى قومه فقال : يا قوم إني رأيت الجيش بعيني وأنا النّذيرُ العريان فالنجاة النجاة ، فأطاعه طائفة من قومه فأدلجوا وانطلقوا على مهلهم فنجوا ، وكذبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم ، فصبَّحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم ، فذلك مثل من أطاعني واتبع ما جئت به ، ومثلُ من عصاني وكذّب بما جئت به من الحق** " [١٩٢] .

المثال الخامس عشر : رجل هيأ داراً وزينها ، ووضع فيها من جميع الآلات ، ودعى الناس إليها فكلما دخل داخل أجلسه على فراش وثير وقدَّم إليه طبقاً من ذهب عليه لحم ، ووضع بين يديه أوان مفتخرة فيهامن كل ما يحتاج إليه وأخدمه عبيده ومماليكه فعرف العاقل أن ذلك كله متاع صاحب الدار ومُلكه وعبيده فاستمتع بتلك الآلات والضيافة مدة مقامه فى الدار ، ولم يعلق قلبه بها ، ولا حدث نفسه بتملكها ، بل اعتمد مع صاحب الدار ما يعتمده الضيف يجلس حيث أجلسه ، ويأكل ما قدمه له ، ولا يسأل عما وراء ذلك ، اكتفاءً منه بعلم

---

١٩٢ أخرجه البخارى فى كتاب " الاعتصام بالسنة " (٧٢٨٣) ، مسلم فى كتاب " الفضائل " (٢٢٨٣) .

صاحب الدار وكرمه ، وما يفعله مع ضيوفه ، فدخل الدار كريماً ، وتمتَّع فيها كريماً ، وفارقها كريماً ، وَرَبُّ الدار غير ذامٍّ له .

وأما الأحمق فحدَّث نفسه بسكنى الدار ، وَحَوّز تلك الآلات إلى مُلكه ، وتصرفه فيها بحسب شهوته وإرادته ، فتخيَّر المجلس لنفسه ، وجعل ينقُل تلك الآلات إلى مكان فى الدار يخبؤها فيه ، وكلما قَدَّم إليه ربُّها شيئاً أو آلة حدَّث نفسه بملكه واختصاصه به عن سائر الأضياف وَرَبُّ الدار يُشاهدُ ما يصنعُ وكرمُه يمنعه من إخراجه من داره ، حتى إذا ظن أنه قد استبد بتلك الآلات وملك الدار وتصرَّف فيها وفى آلاتها تصرُف المالك الحقيقي ، واستوطنها واتخذها داراً له ، أرسل إليه مالكها عبيده فأخرجوه منها إخراجاً عنيفاً ، وسلبوه كل ما هو فيه ولم يصحبه من تلك الآلات شيء ، وحصل على مقت رب الدار له وافتضاحه عنده وبين مماليكه وحشمه وخدمه .

فليتأمل اللبيبُ هذا المثال حقَّ التأمُل ، فإنه مطابقٌ للحقيقة ، والله المستعان .

قال عبد الله بن مسعود ﷺ : " كل أحد فى هذه الدنيا ضيفٌ ، وماله عارية ، فالضيفُ مرتحلٌ ، والعاريةُ مُؤَداةٌ " (١٩٣) .

وفى " الصحيحين " عن أنس بن مالك ﷺ قال : مات ابن لأبي طلحة من أم سُليم ، فقالت لأهلها : لا تحدثوا أبا طلحة حتى أكون أنا أحدثه ، فجاء فقربت إليه عشاء ، فأكل وشرب ، وقال : ثم تَصَنَّعت له أحْسَن ما كانت تَصَنَّع قبل ذلك ، فوقع بها ، فلما رأت أنه قد شبع

---

١٩٣ تقدم الكلام عليه قريباً فى هذا الباب .

وأصاب منها ، قالت يا أبا طلحة : أرأيت لو أن قوماً أعاروا عاريتهم أهل بيت ، فطلبوا عاريتهم ، ألهم أن يمنعوهم ؟ قال : لا ، قالت : فاحتسب ابنك ، قال : فغضب ، قال : تركتيني تَلَطَّختُ ثم أخبرتيني بابني ، فانطلق حتى أتى رسول الله ﷺ فأخبره بما كان منها ، فقال رسول الله ﷺ : " **بارك الله لكما فى ليلتكما** " وذكر الحديث . (١٩٤)

المثال السادس عشر : قومٌ سلكوا مفازة ، فاجأهم العطش ، فانتهوا إلى البحر وماؤه أَمَرُّ شيءٍ وأملحُه ، فلشدة عطشهم لم يجدوا طعم مرارته وملوحته ، فشربوا منه فلم يرووا ، وجعلوا كلماازدادوا شُرباً ازدادوا ظمأً حتى تقطعت امعاؤهم وماتوا عطشى .

وعلم عقاؤهم أنّه مُرٌّ مالحٌ ، وأنه كلما ازداد الشارب منه ازداد ظمؤه ، فتباعدوا عنه مسافة حى وجدوا أرضاً حلوة ، فحفروا فيها قليباً ، فنبع لهم ماءٌ عذبٌ فرات ، فشربوا ، وعجنوا ، وطبخوا ، ونادوا إخوانهم الذين على حافة البحر هلموا إلى الماء الفرات ، وكان منهم المستهزئ ، ومنهم المُعرض الراضي بنا هو فيه ، وكان المُجيب واحداً بعد واحد .

وهذا المثل بعينه ضربه المسيح عليه السلام فقال : " مَثَلُ طالب الدنيا كمثل شارب ماء البحر ، كلما ازداد شُرباً ازداد عطشاً حتى يقتله " (١٩٥) .

---

١٩٤ أخرجه البخارى فى كتاب" الجنائز "(١٣٠١) ، مسلم فى كتاب" الآداب " (٢١٤٤) .

١٩٥ أخرجه ابن أبي الدنيا فى " ذم الدنيا " (٣٤٢) .

المثال السابع عشر : مثل الإنسان ومثل ماله وعمله وعشيرته مثل رجل له ثلاثة إخوة ، فقضى له سفر بعيد طويل لا بد له منه ، فدعا إخوته الثلاثة ، وقال : قد حضر ما ترون من هذا السفر الطويل وأحوج ماكنت إليكم الآن . فقال أحدهم : أنا كنت أخاك إلى هذه الحال ومن الآن فلست بأخ ولا صاحب ، وما عندي غير هذا ، فقال له : لم تُغن عنّي شيئاً . فقال للآخر : ماعندك ؟ فقال : كنت أخاك وصاحبك إلى الآن ، وأنا معك حتى أجهزك إلى سفرك وتركب راحلتك ، ومن هنالك لست لك بصاحب . فقال له : أنا محتاج إلى مرافقتك في مسيري . فقال : لا سبيل لك إلا ذلك . لم تعن عنّي شيئا . فقال الثالث : ما عندك أنت ، فقال : كنت صاحبك في صحتك ومرضك ، وأناصاحبك الآن ، وصاحبُك إذا ركبت راحلتك ، وصاحبُك في مسيرك ، فإن سرتَ سرتُ معك ، وإن نزلت نزلتُ معك ، وإذا وصلت إلى بلدك كنت صاحبك فيها لا أفارقك أبداً ، فقال : إن كنت لأهونُ الأصحابِ علي ، وكنت أوثر عليك صاحبيك ، فليتني عرفتُ حقّك ، وآثرتك عليهما .

فالأول : مالــــه .

والثاني : أقاربه وعشيرته وأصحابه .

والثالث : عملــه .

وقد روي في هذا المثل بعينه حديث مرفوع لكنه لا يثبت ، رواه أبو جعفر العقيلي في كتاب " الضعفاء " من حديث ابن شهاب عن عروة عن عائشة ، وعن ابن المسيب عن عائشة مرفوعاً ، وهو مثلٌ صحيحٌ في نفسه مطابق للواقع .

المثال الثامن عشر : وهو من أحسن الأمثلة : ملكٌ بنى داراً لم يَرَ الراؤون ، ولم يسمع السامعون أحسن ولا أوسع ولا أجمع لكل ملاذٍ النفوس منها ، ونصب إليها طريقاً ، وبعث داعياً يدعو الناس إليها ، وأقعد على الطريق امرأة جميلة قد زُيِّنت بأنواع الزينة ، وألبست أنواع الحليِّ والحُلل ، ومَمَرُّ الناس كلهم عليها ، وجعل لها أعواناً وخدماً ، وجعل تحت يدها ويد أعوانها زاداً للمارين السائرين إلى الملك فى تلك الطريق ، وقال لها ولأعوانها : من غض طرفه عنك ، ولم يشتغل بك عني ، وابتغى منك زاداً يوصله إلي ، فاخدميه وزوديه ولا تعوقيه عن سفره إلي ، بل أعينه بكل ما يبلغه فى سفره .

ومن مدَّ إليك عينيه ورضى بك وآثرك عليَّ ، وطلب وصالك ، فسُوميه سوء العذاب ، وأوليه غاية الهوان ، واستخدميه واجعليه يركض خلفك ركض الوحش ، ومن يأكل نمكِ فاخدعيه به قليلاً ثم استرديه منه واسلبيه إياه كله ، وسلطي عليه أتباعك وعبيدك ، وكلما بالغ فى محبتك وتعظيمك وإكرامك ، فقابليه بأمثاله قِلى وإهانة وهجراً حتى تتقطع نفسُه عليك حسرات .

فتأمل هذا المثال ، وحال خُطاب الدنيا وخُطاب الآخرة ، والله المستعان .

وهذا المثل مأخوذ من الأثر المروي عن الله عز وجل : " **يا دنيا اخدمي من خَدمني ، واستخدمي من خدمك** " [١٩٦] .

---

١٩٦ **موضوع .**

أورده الفُتنى فى " تذكرة الموضوعات " (صــ١٧٥) .

المثال التاسع عشر : ملك خَطّ مدينة فى أصح المواضع وأحسنها هواءً ، وأكثرها مياهاً وشق أنهارها وغرس أشجارها ، وقال لرعيته : تسابقوا إلى أحسن الأماكن فيها ، فمن سبق إلى مكان فهو له ، ومن تخَفَّ سبَقَه الناسُ إلى المدينة ، فأخذوا منازلهم ، وتبوأوا مساكنهم فيها وبقى من أصحاب الحسرات ، ونصب لهم ميدان السباق ، وجعل على الميدان شجرة كبيرة : لها ظل مديد وتحتها مياه جارية ، وفى الشجرة من كل أنواع الفواكه وعليها طيور عجيبة الأصوات ، وقال لهم لا تغتروا بهذه الشجرة وظلها فعن قليل تُجتثُّ من أصلها ، ويذهب ظلها وينقطع ثمرها ، وتموت أطيارها ، وأما مدينة الملك ، فأُكُلُها دائم ، وظلها مديد ، ونعيمها سرمدي ، وفيها ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، فسمع الناس بها فخرجوا فى طلبها على وجوههم ، فمروا بطريقهم بتلك الشجرة على أثر تعب ونصب وحرٍّ وظمأ ، فنزلوا كلهم تحتها ، واستظلوا بظلها ، وذاقوا حلاوة ثمارها ، وسمعوا نغمات أطيارها ، فقيل لهم : إنما نزلتم تحتها لتحموا أنفسكم ، وتضمروا مراكبكم للسباق ، فتهيأوا للركوب وكونوا على أُهبةٍ ، فإذا صاح النفير استدركتم حلبة السباق فقال الأكثرون : كيف ندع هذا الظل الظليل ، والماء السلسبيل ، والفاكهة الناضجة ، والدعة والراحة ، ونقتحم هذه الحلبة والحر والغبار والتعب والنصب والسفر البعيد والمفاوز المعطشة التى تتقطع فيها الأمعاء ؟ وكيف نبيع النقد الحاضر بالنسيئة الغائبة إلى الأجل البعيد ، ونترك مانراه إلى ما لا نراه ، وذرة منقودةٌ فى اليد أولى من دُرّةٍ موعودة بعد غد ، خذ ما تراه ودع شيئاً سمعت به ، ونحن بنو اليوم وهذا عيش حاضر كيف نتركه لعيش غائب فى بلد بعيد لا ندرى متى نصل إليه ؟ ونهض من

كل ألف واحد وقالوا : والله ما مقامنا هذا فى ظل زائل تحت شجرة قد دنى قلعها ، وانقطاع ثمرها ، وموت اطيارها ، وتترك لمسابقة إلى الظل الظليل الذى لا يزول ، والعيش الهنيء الذى لا ينقطع إلا من أعجز العَجَزِ ، وهل يليقُ بالمسافر إذا استراح تحت ظل أن يضرب خباءه عليه ويتخذه وطنه خشية التأذي بالحر والبرد ؟ وهل هذا إلا أسفه السفه ؟ فالسباق السباق والبدارُ البدارُ .

حكمُ المنيَّة فى البَرِيَّة جاري ... ماهذه الدُّنيا بدار قَرار

اقضوا مآربكم سِراعاً إنَّما ... أعمارُكم سَفَرٌ من الأسفارِ

وتراكضوا خَيْلَ السّباق وبادروا ... أن تستَرَدَّ فإنَّهن عَواري

ودعوا الإقامة تحت ظلٍّ زائلٍ ... يبني الرّجاءَ على شَفيرٍ هارِ

والعيشُ كُلُّ العيشِ بعد فِراقِها ... فى دارِ أهْلِ السَّبْقِ أكْرَمِ دارِ

فاقتحموا حلبة السباق ، ولم يستوحشوا من قلة الرّفاق ، وساروا فى ظهور العزائم ، ولم تأخذهم فى سيرهم لومة لائم ، والمُتخلِّفُ فى ظل الشجرة نائم ، فوالله ماكان إلاالقليل حتى ذوت أغصانُ تلك الشجرة ، وتساقطت أوراقها ، وانقطع ثمرها ، ويبست فروعها ، وانقطع مَشربُها ، فقلعها قَيِّمُها من أصلها ، فأصبح أهلُها فى حرِّ السموم يتقلبون ، وعلى ما فاتهم من العيش فى ظلها يتحسرون ، أحرقها قيِّمُها فصارت هى وما حولها نارٌ تلظى ، واحاطت النارُ بمن تحتها فلم يستطع أحدٌ منهم الخروج منها ، فقالوا : أين الركب الذين استظلوا معنا تحت ظلها ثم راحوا وتركوه ؟ فقيل لهم : ارفعوا أبصاركم تروا منازلهم فرأوهم من البُعد فى قصور مدينة الملك وغُرفها يتمتعون بأنواع اللّذات ، فتضاعفت عليهم الحسرات ألا يكونوا

معهم ، وزاد تضاعفها بأن حيل بينهم وبين ما يشتهون ، وقيل هذا جزاءُ المُتَخَلِّفين : **﴿ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾** [النحل : ١١٨] .

المثال العشرون : ما مثَّلها به النبي ﷺ من الثَّوب الذى شُقَّ ، وبقي مُعلقاً بخيط فى آخره ، فما بقاءُ ذلك الخيط ؟

قال ابن أبي الدنيا : حدثنى الفضيل بن جعفر حدثنا وهب بن بيان حدثنا يحيى بن سعيد العطار حدثنا أبو سعيد خلف بن حبيب عن أنس بن مالك ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : " **مثلُ هذه الدنيا مثلُ ثوبٍ شُقَّ من أوله إلى آخره فبقي معلقاً بخيط فى آخره ، فيوشك ذلك الخيط أن ينقطع** " (١٩٧) .

وإن أردت لهذ المثال زيادة إيضاح ، فانظر على ماروواه أحمد فى " مسنده " من حديث أبي نضرة عن أبي سعيد قال : صلى بنا رسول الله ﷺ العصر نهاراً ، ثم قام فخطبنا ، فلم يترك شيئاً قبل قيام الساعة إلا أخبر به ، حفظه من حفظه ، ونسيه من نسيه ، وجعل الناس يلتفتون إلى الشمس هل بقي منها شيء ؟ فقال : " **ألا إنه لم يبق من الدنيا فيما مضى منها إلا كما بقي من يومكم هذا فيما مضى منه** " (١٩٨) .

---

١٩٧ أخرجه ابن أبي الدنيا فى " ذم الدنيا " (٢٢١) ، وفى " قصر الأمل " (١٢٢) ، أبو نعيم فى " حلية الأولياء " (٨/١٣١) ، البيهقى فى " شعب الإيمان " (١٠٢٤٠) ، وإسناده ضعيف .

١٩٨ **إسناده ضعيف .**

وروى حفص بن غياث عن ليث بن المغيرة بن حكيم عن ابن عمر قال : خرج علينا رسول الله ﷺ والشمس على أطراف السَّعف ، فقال : " **ما بقي من الدنيا إلا مثل ما بقي من يومنا هذا فيما مضى منه** " (١٩٩) .

وروى ابن أبي الدنيا عن إبراهيم بن سعد حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا موسى بن خلف عن قتادة عن أنس أن رسول الله ﷺ خطب عند مغرب الشمس فقال : " **ما بقى من الدنيا فيما مضى منها إلا كما بقي من يومكم هذا فيما مضى منه** " (٢٠٠) .

= أخرجه أحمد (١٩/٣ ، ٦١) ، الترمذى (٢١٦١) ، وقال : وهذا حديث حسن صحيح ، الطيالسي فى " مسنده " (٢١٥٦) ، عبد بن حميد فى " المنتخب " (٦٨٤، ٧٥٢) ، أبو يعلي فى " مسنده " (١١٠١) ، ابن ماجة (٤٠٠٠ ، ٢٨٧٣) البغوى فى " شرح السنة " (٤٠٣٩) ، الحاكم (٥٠٥/٤) ، الخطيب فى " تاريخ بغداد " (٢٣٧/١٠ ، ٢٣٨) ، من طرق عن علي بن زيد بن جدعان عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدرى . وفى إسناده علي بن زيد بن جدعان وهو ضعيف .

وأخرجه أبو داود (٤٣٤٤) ، الترمذى (٢١٧٤) ، ابن ماجة (٤٠١١) ، من طريق عطية العوفى عن أبي سعيد الخدرى . وفى إسناده عطية بن سعيد العوفى ضعيف .

١٩٩ **حسن لشواهده .**

أخرجه ابن أبي الدنيا فى " قصر الأمل " (١٢٠) من طريق حفص بن غياث عن المغيرة بن حكيم عن ابن عمر . وفى إسناده ليث وهو ابن أبي سليم ضعيف وانظر ما بعده .

٢٠٠ **حسن لشواهده .**

فالدنيا كلها كيوم واحد ، بُعث رسول الله ﷺ فى آخره قبل غروب شمسه بيسير . وقال جابر وأبو هريرة رضى الله عنهما عنه ﷺ : " **بعثت أنا والساعة كهاتين ، وقرن بين أصابعه : السبابة والوسطى** " [٢٠١] .

وكان بعض السلف يقول : تصبروا فإنما هي أيامكم قلائل ، وإنما أنتم ركب وقوف يوشك أن يدعى أحدُكم فيجيب ولا يلتفت ، وإنه قد نُعيت إليكم أنفسكم ، والموت حبس لا بد منه ، والله بالمرصاد ، وإنما تخرُج هذه النفوس على آخر سورة الواقعة .

المثال الحادي والعشرون : مثال الدنيا كحوض كبير مُلئ ماء ، وجعل مورداً للأنام والأنعام ، فجعل الحوضُ ينقصُ على كثرة الوارد حتى لا يبق منه إلا كَدَرٌ فى أسفله ، قد بالت فيه الدواب ، وخاضته الناس والأنعام ، كما روى مسلم فى " صحيحه " عن عتبة بن غزوان أنه خطبهم ، فقال فى خطبته : " إن الدنيا قد أذنت بصُرم [٢٠٢] وولَّت حذّاءَ [٢٠٣] ، ولم يبق منها إلا صُبابةٌ [٢٠٤] كصُبابة لإناء يَتَصابُّها

= أخرجه ابن أبي الدنيا فى" قصر الأمل " (١٢١) وفى إسناده موسى بن خلف صدوق له أوهام ، ويشهد له الحديثان المتقدمان .

٢٠١ أخرجه البخارى فى " صحيحه " كتاب " الرقاق " (٦٥٠٥) ، مسلم فى كتاب " الجمعة " (٨٦٧) من حديث جابر بن عبد الله .

٢٠٢ أعلمت بانقطاعها وذهابها .

٢٠٣ أى سريعة .

٢٠٤ هى البقايا التى تكون فى أسفل الإناء .

صاحبُها ، وإنكم مُنتقلون عنها إلى دار لا زوال لها ، فانتقلوا بخير ما بحضرتكم " [٢٠٥] .

وقال عبد الله بن مسعود : " إن الله تعالى جعل الدنيا كلَّها قليلاً ، فما بقي منها إلا قليل من قليل ، ومثل ما بقي منها كالثَّغب شُرب ، وبقي كدره " [٢٠٦]. الثغب : الغدير .

المثال الثاني والعشرون : قوم سكنوا مدينة مدة من الزمان ، فكثرت فيها الأحداث والآفات ، وطرقتها المحن ، وأغارت عليها عساكر الجور والفساد فبنى مَلِكُهُمْ مدينة فى محل لا يطرقه آفة ولا عاهة ، وعزم على تخريب المدينة الاولى ، فارسل إلى سكانها فنودي فيهم بالرحيل بعد ثلاث ، ولا يتخلف منهم أحد ، وأمرهم أن ينقلوا إلى مدينة الملك الثانية خير ما فى تلك المدينة وأنفعه وأجله من الجواهر واللآلئ ، والذهب والفضة ، وما خف حمله من المتاع ، وعظم قدره ، وصلح للملوك ، وأرسل عليهم الأدلاء وآلات النقل ، ونهج لهم الطريق ونصب لهم الأعلام ، وتابع الرسل يستحثونهم بعضهم فى أثر بعض ، فانقسموا فرقاً :

فالأقلون علموا قصر مدة مُقامهم فى تلك المدينة ، وتيقنوا إنهم إن لم يبادروا بتحصيل خير ما فيها وحمله إلى مدينة الملك ، وإلا فاتهم ذلك فلم يقدروا عليه فرأوا غبناً أن يقطعوا تلك المدة فى جمع

---

٢٠٥ أخرجه مسلم فى كتاب " الزهد والرقائق " (٢٩٦٧) من حديث عتبة بن غزوان .

٢٠٦ أخرجه البخارى فى " صحيحه " كتاب " الجهاد والسير " (٢٩٦٤) ، من حديث ابن مسعود .

المفضول والاشتغال به عن الفاضل ، فسألوا عن خير ما فى المدينة وأنفسه وأحبه إلى الملك وأنفعه فى مدينته ، فلما عرفوه لم يلتفتوا إلى ما دونه ، ورأوا أن أحدهم إذا وافى جوهرة عظيمة كانت أحبَّ إلى الملك من أن يوافيه بأحمال كثيرة من الفلوس والحديد ونحوها ، فكان همُّهم فى تحصيل ما هو أحبّ إلى الملك وأنفس عنده ولو قلَّ فى رأى العين .

وأقبلت فرقة أخرى على تعبئة الأحمال المحملة وتنافسوا فى كثرتها ، وهم على مراتب فمنهم من أحماله أثمان ، ومنهم من أحمالهم دون ذلك على قدر هممهم وما يليق بهم ، لكن هممهم مصروفة إلى تعبئة الأحمال والانتقال من المدينة .

وأقبلت فرقة أخرى على عمارة القصور فى تلك المدينة والاشتغال بطيباتها ولذاتها ونزهها ، وحاربوا العازمين على النقلة ، وقالوا : لا ندعكم تأخذون من متاعنا شيئاً ، فإن شاركتمونا فى عمارة المدينة واستيطانها وعيشنا فيها ، وإلا لم نمكنكم من النقلة ، ولا من شيء من المتاع ، فوقعت الحرب بينهم فقاتلوا السائرين ، فعمدوا إلى كل أموالهم وأهليهم وما نقموا منهم إلا بسيرهم إلى دار الملك وإجابة داعيه ، والرغبة عن تلك الدار متى أمرهم بتركها .

وأقبلت فرقة أخرى على التنزه والبطالة والراحة والدعة ، وقالوا : لا نُتعب أنفسنا فى عمارتها ، ولا ننقل منها ، ولا نعارض من أراد النقلة ، ولانحاربهم ، ولا نعاونهم ، وكان للملك فيها قصر فيه حريم له وقد أحاط عليه سوراً ، وأقام عليه حرساً ، ومنع أهل المدينة من قربانه ، وطاف به القاعدون فلم يجدوا باباً يدخلون منه ، فغدوا على

جدرانه فنقبوها ووصلوا إلى حريمه فأفسدوهم ، ونالوا منهم ما أسخط الملك وأغضبه وشقّ عليه ، ولم يقتصروا على ذلك حتى دعوا غيرهم إلى فساد حريمه والنّيل منهم ، فبينما هم على تلك الحال ، وإذا بالنفير قد صاح فيهم كلهم فلم يمكن أحداً منهم من التخلف ، فحُملوا على تلك الحال وأحضروا بين يدي الملك ، فاستعرضهم واحداً واحداً وعرضت بضائعهم وماقدموا به من تلك المدينة عليه ، فقبل منها ما يصلح له ، وأعاض أربابه أضعاف أضعاف قيمته ، وأنزلهم منازل قُربه ، وردَّ منها ما لا يصلحُ له وضرب به وجوه أصحابه ، وقابل من نقب حماه وأفسد حريمه بما يقابل به المفسدون ، فسألوا الرّجعة إلى المدينة ليعموا قصره ، ويحفظوا حريمه ، ويقدموا عليه من البضائع بمثل ما قدم به التّجار ، فقال : هيهات قد خربت المدينةُ خراباً لا تعمر بعده أبداً وليس بعدها إلا المدينة التى لا تخربُ أبداً .

المثال الثالث والعشرون : وقد مُثِّلت الدنيا بمنام ، والعيش فيها بالحُلم ، والموتُ باليقظة ، ومثلت بمزرعة ، والعمل فيا بالبذر ، والحصاد يوم المعاد . ومثلت بدر لها بابان : باب يدخل منه الناس ، وباب يخرجون منه . ومثلت بحيّة ناعمة الملمس ، حسنة اللون وضربتها الموتُ ،. ومثلت بطعام مسموم ، لذيذ الطعم ، طيب الرائحة من تناول منه بقدر حاجته كان فيه شفاؤه ، ومن زاد على حاجته كان فيه حتفه . ومثلت بالطعام فى المعدة ، إذا أخذت الأعضاء منه حاجتها فحبسه قاتل أو مؤذ ولا راحة لصاحبه إلا فى خروجه ، كما أشار إليه النبي ﷺ فى آكلة الخضر وقد تقدم [٢٠٧] . ومثلت بامرأة من أقبح

---

٢٠٧ تقدم الكلام عليه فى هذا الباب .

النساء قد انتقبت على عينين فتنت بهما الناس وهى تدعوا الناس إلى منزلها ، فإذا أجابوها كشفت لهم عن منظرها وذبحتهم بسكاكينها وألقتهم فى الحُفر ، وقد سُلطت على عُشّاقها ، تفعل بهم ذلك قديماً وحديثاً ، والعجب أن عشاقها يرون إخوانم صرعى قد حلت بهم الآفات وهم يتنافسون فى مصارعهم ﴿ **وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ (٤٥)** ﴾ [إبراهيم : ٤٥] ، ويكفى فى تمثيلها ما مثلها الله سبحانه فى كتابه فهو المثلُ المنطبقُ عليها .

قالوا : وإذا كان هذا شأنُها فالتقلل منها والزهد فيها خير من الاستكثار منها والرغبة فيها.

قالوا : ومن المعلوم أنه لا تجتمعُ الرغبةُ فيهامع الرغبة فى الله والدار الآخرة أبداً ، ولا تسكن هاتان الرغبتان فى مكان واحد إلا وطردت إحداهما الآخرى ، واستبدت بالمسكن ، ولا تجتمعُ ابنةُ رسول الله ﷺ وابنة عدوِّ الله عند رجل واحدٍ أبداً .

قالوا : ويكفى أن رسول الله ﷺ عُرضت عليه مفاتيحُ كنوزها ، ولو أخذها لكان أشكر خلق الله بها ، ولم تنقصه مما له عند الله شيئاً ، فاختار جوعَ يومٍ وشبع يوم (٢٠٨) . ومات ودرعه مرهونة على طعام لأهله ، كما تقدم ذكره (٢٠٩) .

---

٢٠٨ انظره فى الباب العشرون .

٢٠٩ انظره فى الباب الحادى والعشرون .

قالوا : وقد انقسم الناس بعد رسول الله ﷺ أربعة أقسام : قسم لم يريدوا الدنيا ولم تردهم ، كالصّديق ومن سلك سبيله . وقسم أرادتهم الدنيا ولو يريدوها ، كعمر بن الخطاب ، ومن سلك سبيله . وقسم أرادوا الدنيا وأرادتهم ؛ كخلفاء بني أمية ومسلك سبيلهم ، حاشا عمر ابن عبد العزيز فإنه أرادته ولم يردْها . وقسم أرادوها ولم تردْهم ، كمن أفقر الله منها يَدَه ، وأسكنها فى قلبه ، وامتحنه بجمعها .

ولا يخفى أن خير الأقسام القسمُ الأول ، والثاني إنّما فضّل ، لأنه لم يردها ، فالتحق بالأول .

قالوا : وقد سأل رجل رسول الله ﷺ أن يدُلَّه على عمل إذا فعل أحبه الله وأحبَّه الناس ، فقال له : " ازهد فى الدنيا يُحبك الله ، وازهد فيما فى أيدى الناس يُحبُّك الناس " [٢١٠] . فلو كان الغنى أفضل لَدَلَّه عليه .

---

٢١٠ إسناده ضعيف جداً .

أخرجه ابن ماجة (٤١٠٢) ، الطبرانى فى " الكبير " (٥٩٧٢) ، الحاكم (٣١٣/٤) ، أبو نعيم فى " حلية الأولياء " (٢٥٢/٣، ١٣٦/٧) ، وفى " أخبار أصبهان " (٢٤٤/٢ – ٢٤٥) ، القضاعى فى " مسند الشهاب " (٣٧٣/١) ، ابن عدي فى " الكامل" (٩٠٢/٣) ، العقيلي فى " الضعفاء "(١٠/٢) ، البغوى فى " شرح السنة " (٢٣٨/١٤) ، ابن الجوزى فى " العلل المتناهية " (١٣٥٢) ، ابن حبان فى " روضة العقلاء " (صـ١٤١) كلهم من طرق عن خالد بن عمرو القرشى عن سفيان الثورى عن أبي حازم عن سهل عن سعد الساعدى .

قلت : فى إسناده خالد بن عمرو وضّاع لكنه لم يتفرد به .

قالوا : وقد شرع الله سبحانه قتال الكفار ، وشرع الكفَّ عن الرهبان ، لاعتزالهم عن الدنيا وزهدهم فيها ، فمضت السُّنَّةُ بأن لا يقاتلوا ولا يضربُ عليهم جزية ، هذا وهم أعداؤه وأعداءُ رسُله ودينه فعُلم أن الزُّهد فيها عند الله بمكان .

قالوا : وكذلك استقرت حكمته فى شرعه على أن عقوبة الواجد أعظم من عقوبة الفاقد ، فهذا الزاني المحصن عقوبته الرجم ، وعقوبة من لم يحصن الجلد والتغريب ، وهكذا يكون ثواب الفاقد أعظم من ثواب الواجد .

قالوا : وكيف يستوى عند الله سبحانه ذِلّة الفقر ، وكسرتُه ، وخضوعُه ، وتجرعُ مرارته ، وتحملُ أعبائه ومشاقه ، وعزةُ الغنى ، ولذّته ، وصولته ، والتَّمتعُ بلذّاته ، ومباشرةُ حلاوته ، فبعين الله ما يتحمّل الفقراء من مرارة فقرهم وصبرهم ورضاهم به عن الله ربِّهم تبارك وتعالى . وأين أجرُ مشقة المجاهدين إلى أجر عبادة القاعدين فى الأمن ، والدَّعة ، والرّاحة ؟

قالوا : وكيف يستوي أمــران : أحدُهما : حُفَّــت به الجنَّــة ، والثانى : حُفّت به النار ، فإن أصل الشهوات من قِبل المال ، وأصل المكاره من قبل الفقر .

قالوا : والفقيرُ لا ينفك فى خصاصة من مضض الفقر والجوع والعُريِّ والحاجة وآلام الفقر وكل واحد منها يكفر ما يقارفه من السيئات ، وذلك زيادة على أجره باعمال البر ، فقد شارك الأغنياء بأعمال البر ، وامتاز عنهم بما يُكفِّر سيئاته ، وما امتازوا به عليه من الإنفاق والصدقة والنفع المتعدّي فله سبيل إلى لحاقهم فيه ، وله مثل

أجورهم ، وهو أن يعلم الله من نيته أنه لو أوتي مثل ما أوتوه لفعل كما يفعلون ، فيقول : لو أن لي مالاً لعملت بأعمالهم فهو بنيته وأجرهما سواء ، كما أخبر به الصادق المصدوق فى الحديث الصحيح الذى رواه الإمام أحمد والترمذى من حديث أبي كبشة الأنماري .[٢١١]

قالوا : والفقير فى الدنيا بمنزلة المسجون إذ هو ممنوع عن الوصول إلى شهواته وملاذها ، والغنى متخلص من هذا السجن ، وقد قال النبي ﷺ : " **الدنيا سجن المؤمن ، وجنة الكافر** " [٢١٢] ، فالغني إن لم يَسجُن نفسه عن دواعي الغنى وطغيانه وأرسلها فى ميادين شهواتها كانت الدنيا جنة له ، فإنما نال الفضل بتشبهه بالفقير الذى هو فى سجن فقره .

---

٢١١ **إسناده ضعيف .**

أخرجه أحمد (٤/٢٣٠ ، ٢٣١) ، الترمذى (٢٣٢٥) ، وقال : هذا حديث حسن صحيح ، ابن ماجة (٤٢٢٨) ، يعقوب بن سفيان فى " المعرفة والتاريخ " (٣/١٩١) ، البغوي فى " شرح السنة " (٤٠٩٧) ، ووكيع فى " الزهد " (٢٤٠) ، هناد بن السرى فى " الزهد " (٥٨٦) ، ابن المبارك فى " الزهد "(٩٩٩) ، الطحاوى فى " شرح مشكل الآثار " (٢٦٣) ، البيهقى فى " السنن الكبير " (٤/١٨٩) ، الطبرانى فى " الكبير "(٢٢/٨٥٥ ، ٨٦٨) ، ابن الأعرابي فى " معجمه " (٦٦٢) كلهم من طريقين عن أبي كبشة الأنمارى .

قلت : الطريق الأول سالم بن أبي الجعد بن أبي كبشة الأنمارى وإسناده منقطع ، والطريق الثانى : فيه أزهر بن سعيد الحرازى روى عنه ثلاثة ولم يوثقه إلا ابن حبان .

٢١٢ أخرجه مسلم فى " صحيحه " كتاب " الزهد والرقائق " (٢٩٥٦) .

قالوا : وقد ذمَّ اللهُ ورسولُه من عُجِّلت له طيباتُه فى الحياة الدنيا ، وإنه لحريٌّ أن يكون عوضاً عن طيبات الآخرة أو منقصة لها ، ولابد كما تقدم بيانه بخلاف من استكمل طيباته فى الآخرة لما مُنع منها فى الدنيا ، وأتى رسول الله ﷺ بسويق لوز ، فأبى أن يشربه ، وقال : " **هذا شراب المترفين** " (٢١٣) .

قالوا : وقد سئل الحسن البصري فقيل له : رجلان أحدهُما تارك للدنيا ، والآخرُ يكتسبها ويتصدق بها فقال : " التاركُ لها أحبُ إليَّ " .

قالوا : وقد سئل المسيحُ قبله عن هذه المسألة عن رجلين مر أحدهما بلبنة ذهب ، فتخطاها ولم يلتفت إليها ومر بها الآخر ، فأخذها وتصدق بها ، فقال : " الذى لم يلتفت إليها أفضل " . ويدل على هذا أن رسول الله ﷺ مرّ بها ، ولم يلتفت إليها ، ولو أخذها لأنفقها فى سبيل الله .

قالوا : والفقير الفقيه فى فقره يمكنه لحاق الغنىّ فى جميع ما ناله بغناه بنيته ، وقوله ؛ فيساويه فى أجره ، ويتميز عنه بعدم الحساب بعدم المال ، فساواه بثوابه ، وتخلَّص من حسابه ، كما تميز بسبقه إلى الجنة بخمسمائة عام ، وتميز عنه بثواب صبره على ألم الفقر وخصاصته .

---

٢١٣ **مرسل .**

أخرجه أحمد فى " الزهد " (صـ٦) ، ابن سعد فى " طبقاته " (٣٩٥/١) ، نعيم فى حماد فى " زوائد الزهد " لابن المبارك (٢٠٠) وإسناده مرسل .

قال الإمام أحمد : حدثنا عبادة بن مسلم حدثني يونس بن خباب عن أبي البختري الطائي عن أبي كبشة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " **ثلاث أقسم عليهن ، وأحدثكم حديثاً فاحفظوه ، فأما الثلاث التى أقسم عليهن : فإنه ما نقص مالُ عبدٍ من صدقة ، ولا ظُلم عبدٌ مظلمة فصبر عليها إلا زاده الله عز وجل بها عِزّاً ، ولا يفتح عبدٌ باب مسألة إلا فتح الله له باب فقر .**

وأما الذى أحدثكم حديثاً فاحفظوه فإنه قال : **إنما الدنيا لأربعة نفر: عبد رزقه الله مالاً وعلماً ، فهو يتقي فيه ربه ، ويصل فيه رحمه ، يعلم فيه لله حقاً ، فهذا أفضل المنازل عند الله ، وعبد رزقه الله علماً ولم يرزقه مالاً ، فهو يقول : لو كان لي مال عملت فيه بعمل فلان ، قال : فأجرهما سواء ، وعبد رزقه الله مالاً ، ولم يرزقه علماً ، فهو يتخبط فى ماله بغير علم لا يتقي فيه ربه ، ولا يصل فيه رحمه ، ولا يعلم لله فيه حقاً ، فهذا بأخبث المنازل عند الله ، وعبد لم يرزقه الله مالاً ولا علماً ، فهو يقول : لو كان لي مال لفعلت بفعل فلان . قال : فهو بنيته ووزرهما سواء** " [٢١٤].

فلما فَضَلَ الغَنِيّ بفعله ألحق الفقير الصادق بنيته ، والغنى هناك إنما نقص بتخلفه عن العمل ، والفقير إنما نقص بسوء نيته فلم ينفع الغني غناه مع التخلف ، ولا ضر الفقير فقره مع حسن النية ، ولا نفعه فقره مع سوء نيته .

قالوا : ففى هذا بيانٌ كافٍ شافٍ فى المسألة ، حاكمٌ بين الفريقين وبالله التوفيق .

---

٢١٤ تقدم الكلام عليه .

الباب الرابع والعشرون

فى ذكر ما احتجت به الأغنياء
من الكتاب والسنة والآثار والاعتبار

قالت الأغنياء : لقد أجلبتم علينا أيُّها الفقراء بخيل الأدلة ورجلها ، ونحن نعلم أن عندكم مثلها وأكثر من مثلها ، ولكن توسطتم بين التطويل والاختصار ، وظننتم أنها حكمت لكم بالفضل دون ذوي اليسار ، ونحن نحاكمكم إلى ما حاكمتمونا إليه ، ونعرض بضاعتنا على من عرضتم بضاعتكم عليه ، ونضع أدلتنا وأدلتكم فى ميزان الشرع والعقل الذى لا يعزل ، فحينئذ يتبين لنا ولكم الفاضل من المفضول ، ولكن اخرجوا من بيننا من تشبه بالفقراء الصّادقين الصابرين ، ولبس لباسهم على قلب أحرص الناس على الدنيا وأشحهم عليها وأبعدهم من الفقر والصبر من كل مظهر للفقر مبطن للحرص غافل عن ربه متبع لهواه مُفرِّط فى أمر معاده ، قد جعل زَيَّ الفقر صناعة ، وتحلى بما هو أبعد الناس منه بضاعة أو فقير حاجة فقره اضطراراً لا اختياراً فزهده زهد إفلاس لا زهد رغبة فى الله والدار الآخرة أو فقير يشكو ربه بلسان قاله وحاله غير راضٍ عن ربه فى فقره ، بل إن أعطى رضي وإن مُنع سخط ، شديد اللهف على الدنيا والحسرة عليها ، وهو أفقرُ الناس فيها فهو أرغب شيء فيها ، وهي أزهد شيء فيه ، وأخرجوا من بيننا ذي الثروة الجموع المنوع المتكاثر بماله المستأثر به ، الذى قد عض عليه بناجذه ، وثنى عليه خناصره ، يفرح بزيادته ويأسى على نقصانه ، فقلبه به مشغوف ، وهو على

تحصيله ملهوف ، إن عرض سوق الإنفاق والبذل أعطى قليلاً وأكدى وإن دُعي إلى الإيثار أمعن فى الهرب جداً ، وأخلصونا وإخواننا من سباق الطائفتين وسادات الفريقين الذين تسابقوا إلى الله والدار الآخرة بإيمانهم وأحوالهم ، ونافسوا فى القرب منه بأعمالهم وأموالهم ، فقلوبهم عاكفة عليه ، وهمتُهم إلى المسابقة إليه ، ينظر غنيهم إلى فقيرهم فإذا رآه قد سبقه إلى عمل صالح شمّر إلى اللحاق به ، وينظر فقيرهم إلى غنيهم فإذا رآه قد فاته بإنفاق فى طاعة الله أنفق هو من أعماله وأقواله وصبره وزهده نظير ذلك أو أكثر منه ، فهؤلاء إخواننا الذين تكلم الناس فى التفضيل بينهم وأيهم أعلى درجة ، وأما أولئك فإنما ينظر أيهم تحت الآخر فى العذاب ، وأسفل منه ، والله المستعان .

إذا عُرف هذا ، فقد مدح الله سبحانه فى كتابه أعمالاً ، وأثنى على أصحابها ، ولا تحصل إلا بالغنى ، كالزكاة والإنفاق فى وجوه البر ، والجهاد فى سبيل الله بالمال ، وتجهيز الغُزاة ، وإعانة المحاويج ، وفكّ الرقاب ، والإطعام فى زمن المسغبة .

وأين يقع صبر الفقير من فرحة الملهوف المُضطر المشرف على الهلاك إذا أعانه الغنيُّ ونصره على فقره ومخمصته ؟

وأين يقع صبره من نفع الغني بماله فى نصرة دين الله وإعلاء كلمته وكسر أعدائه ؟

وأين صبر أبي ذر على فقره إلى شكر الصدّيق ربّه وشرائه المعذّبين فى الله وإعتاقهم ، وإنفاقه على نصرة الإسلام حين قال النبي ﷺ : " **ما نفعني مالُ أحدٍ ما نفعني مالُ أبي بكر** " (١) .

وأين يقع صبر أهل الصُّفَّة من إنفاق عثمان بن عفان تلك النفقات العظيمة التى قال له رسول الله ﷺ – فى بعضها – : " **ما ضرَّ عثمانُ ما فعل بعد اليوم** " (٢) .

---

١ **صحيح .**

أخرجه أحمد (٢/٢٥٣) ، الترمذى (٣٦٦١) وقال : حديث حسن غريب ابن ماجة (٩٤) ، النسائي فى " الكبرى " (٨١١٠) ، ابن أبي شيبة فى" مصنفه " (٦/١٢ – ٧) ، ابن حبان كما فى " الإحسان " (٦٨٥٨) ، ابن أبي عاصم فى " السنة " (١٢٢٩) ، الطحاوى فى " مشكل الآثار" (١٥٩٩) ، " شرح معانى الآثار " (٤/١٥٨) ، كلهم من طرق عن أبي معاوية عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة .

٢ **حسن بمجوع طرقه .**

أخرجه أحمد (٥/٦٣) ، الترمذى (٣٧٠١) ، وقال : هذا حديث غريب ، الطبرانى فى " الأوسط " (٩٢٢٦) ، الفسوي فى " تاريخه " (١/٢٨٣) ، وعبد الله بن أحمد فى" فضائل الصحابة " (٧٣٨) ، ابن أبي عاصم فى" الجهاد " (٨٢) ، وفى" السنة " (١٢٧٩) ، الحاكم (٥/٢٠٥) ، أبو نعيم فى "حلية الأولياء" (١/٥٩) البيهقى فى " دلائل النبوة " (٥/٢٠٥) ، الآجرى فى " الشريعة " (٣/١٣٧) ، كلهم من طرق عن كثير مولى عبد الرحمن بن سمرة عن عبد الرحمن ابن سمرة .

قلت : وفى إسناده كثير مولى عبد الرحمن بن سمرة وثقه ابن حبان والعجلي وروى عنه جماعة من الثقات وقال الحافظ بن حجر مقبول . =

ثم قال : " **غفر الله لك يا عثمان ما أسررت ، وما أعلنت ، وما أخفيت ، وما أبديت** " أو كما قال .

وإذا تأملتم القرآن ، وجدتم الثناء فيه على المنفقين أضعاف الثناء على الفقراء الصابرين .

وقد شهد رسول الله ﷺ بأن اليد العليا خير من اليد السفلى ، وفسر اليد العليا بالمُعطية ، والسُّفلى بالسائلة [٣] ، وقد عدّد الله سبحانه على رسوله ﷺ من نعمه أن أغناه بعد فقره ، وكان غناه هو الحالة التى نقله إليها ، وفقره الحالة التى نقله منها ، وهو سبحانه كان ينقُله من الشيء إلى ما هو خيرٌ منه .

وقد قيل فى قوله تعالى : ﴿ **وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى** ﴾ [الضحى : ٤] ، إن المراد به الحالتان ، أى : كل حالة خير لك مما قبلها ، ولهذا أعقبه بقوله : ﴿ **وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى** ﴾ [الضحى : ٥] ، فهذا يدخل فيه عطاؤه فى الدنيا والآخرة .

= وله شاهد من حديث عبد الرحمن بن خباب كما عند الترمذى (٣٧٠٠) ، عبد الله بن أحمد فى " زوائد المسند " (٧٥/٤) ، ابن سعد فى " طبقاته " (٧٨/٧) أبو داود الطيالسي فى " مسنده " (١١٨٩) ويعقوب بن سفيان فى " التاريخ " (٢٨٩/١) ، وابن أبي عاصم فى" الجهاد " (٧٧) ، وفى " السنة " (١٢٨٠) ، أبو نعيم فى " حلية الأولياء " (٥٩/١ – ٦٠) ، من طرق عن الوليد بن أبي هشام عن فرقد أبي طلحة عن عبد الرحمن بن خباب .

قلت : فى إسناده فرقد أبي طلحة مجهول .

٣ أخرجه البخارى فى " صحيحه " (كتاب" الزكاة " (١٤٢٩) ، مسلم فى " صحيحه " كتاب " الزكاة " (١٠٣٣) .

قالوا : والغنى مع الشكر زيادة فضل ورحمة : ﴿ **وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ** ﴾ [البقرة : ١٠٥] .

قالوا : والأغنياء الشاكرون سبب لطاعة الفقراء الصابرين ، لتقويتهم إياهم بالصدقة عليهم ، والإحسان إليهم ، وإعانتهم على طاعتهم ، فلهم نصيبٌ وافر من أجور الفقراء ، زيادة إلى نصيبهم من أجر الإنفاق وطاعتهم التى تخصهم ، كما فى " صحيح ابن خزيمة " من رواية سلمان الفارسي ﷺ عن النبي ﷺ وذكر شهر رمضان ؛ فقال " **من فطَّر فيه صائماً كان مغفرة لذنوبه وعتْقَ رقبته من النار ، وكان له مثلُ أجره من غير أن ينقص من أجره شيء** " [٤] . فقد حاز الغنيُّ الشاكر أجر صيامه ، ومثل أجر الفقير الذى فطَّره .

قالوا : ولو لم يكن للغنى الشاكر إلا فضل الصدقة التى لمّا تفاخرت الأعمالُ كان الفخرُ لها عليهن ، كما ذكر النضر بن شميل عن قرة بن سعيد بن المسيب أنه حدث عن عمر بن الخطاب قال : ذكر أن الأعمال الصالحة تتباهى ، فتقول الصدقة : أنا أفضلكم .

قالوا : والصدقة وقاية بين العبد وبين النار ، والمخلص المُسرُّ بها مستظل بها يوم القيامة فى ظل العرش .

---

٤ **ضعيف** .

أخرجه ابن خزيمة فى " صحيحه " (١٨٨٧) ، وقال إن صح الخبر ، ابن أبي الدنيا فى " فضائل رمضان " (٤١) ، المحاملى فى أمالية (٢٩٣) ، البيهقى فى " فضائل الأوقات " (٣٧ ، ٣٨) كلهم من طريق علي بن زيد بن جدعان عن سعيد بن المسيب عن سلمان .

قلت : وفى إسناده على بن زيد بن جدعان ضعيف .

وقد روى عمرو بن الحارث عن يزيد بن أبي حبيب عن أبي الخير عن عقبة بن عامر ﷺ عن رسول الله ﷺ قال : " **إن الصدقة لتطفئ على أهلها حرَّ القبور ، وإنما يستظلُّ المؤمنُ يوم القيامة فى ظلِّ صدقته** " (٥) .

وقال يزيد بن أبي حبيب عن أبي الخير عن عقبة يرفعه : " **كل امرئ فى ظل صدقته حتى يُقضى بين الناس** " (٦) .

قال يزيد : وكان أبو الخير لا يأتى عليه يوم إلا تصدَّق فيه ولو بكعكة أو بصلة .

---

٥ **ضعيف .**

أخرجه الطبرانى فى " الكبير" (٢٤٨/١٧) من طريق رشدين بن سعد حدثنى عمرو بن الحارث وابن لهيعة ، الحسن بن ثوبان عن يزيد بن أبي حبيب عن أبي الخير عن عقبة بن عامر .

قلت : فى إسناده رشدين بن سعد ضعيف .

٦ **صحيح .**

أخرجه أحمد (١٤٨/٤) ، ابن المبارك فى " الزهد " (٦٤٥) ، ابن خزيمة فى " صحيحه " (٢٤٣١) ، أبو يعلي فى" مسنده "(١٧٦٦) ، الطبرانى فى " الكبير" (٢٤٤/١٧) ، ابن حبان كما فى " الإحسان " (٣٣١٠) ، أبو نعيم فى " حلية الأولياء " (١٨١/٨) ، الحاكم (٤١٦/١) ، وقال صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي ، البيهقى فى " السنن الكبير" (١٧٧/٤) ، القضاعى فى " مسند الشهاب " (١٠٣ ، ١٣٧) ، البغوى فى " شرح السنة " للبعوى (١٦٣٧) ، الطحاوى فى" شرح مشكل الآثار" (٣٨٣٦) كلهم من طرق عن حرملة ابن عمران أنه سمع يزيد بن أبي حبيب يحدث أن أبا الخير حدثه أنه سمع عقبة ابن عامر .

وفى حديث معاذ عن النبي ﷺ : " **والصَّدق تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماءُ النارَ** " (٧) .

وروى البيهقى من حديث أبي يوسف القاضى عن المختار بن فلفل عن أنس يرفعه : " **باكروا بالصدقة ، فإن البلاء لا يتخطى الصدقة** " (٨).

وفى " الصحيحين " من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : " **إذا تصدَّق العبدُ من كسبِ طيب ، ولا يقبل الله إلا طيباً ، أخذها الله**

---

٧ **صحيح بمجموع طرقه .**

أخرجه أحمد (٢٣٠/٥ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧) ، الترمذى (٢٦١٦٠) ، ابن ماجة (٣٩٧٣) ، عبد الرزاق فى مصنفه (٢٠٣٠٣) ، النسائي فى" الكبرى " (٤٢٨/٦) ابن أبي شيبة فى " الإيمان " (١ ، ٢) ، أبو اود الطيالسي فى" مسنده " (٥٦٠) ، هناد بن السرى فى " الزهد " (١٠٩٠) ، ابن حبان كما فى " الإحسان " (٢١٤) ، الطبرانى فى " الكبير" (٢٠٠/٢٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٤ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥) ، الحاكم (٤١٢/٢ – ٤١٣) كلهم من طرق عن معاذ بن جبل ولا تخلو هذه الطرق من مقال .

٨ **موضوع .**

أخرجه ابن الجوزى فى " الموضوعات " (١٥٣/٢) ، الطبرانى فى " الأوسط " (٥٦٤٣) ، البيهقى فى " السنن الكبير" (١٨٩/٤) ، وفى " شعب الإيمان "(٣٠٨٢ ، ٣٠٨٣) ، ابن عدي فى " الكامل " (٤٤٨/٢) ، الخطيب البغدادى فى " تاريخ بغداد " (٣٤٠/٩) .

قلت : فى إسناده عيسى بن عبد الله متهم بالوضع .

بيمينه ، فيربيها لأحدكم كما يُربي أحدُكم فُلُوه أو فصيله حتى تكون مثل الجبل العظيم " (٩) .

وفى لفظ للبيهقى فى هذا الحديث " **حتى إن التَّمرة أو اللُّقمة لتكون أعظم من أُحد** " (١٠) .

وقال محمد بن المنكدر : " من موجبات المغفرة إطعامُ المسلم السّغبان " . وقد روى مرفوعاً من غير وجه . (١١)

وإذا كان الله سبحانه قد غفر لمن سقى كلباً على شدة ظمئه (١٢) فكيف بمن سقى العِطاش ، وأشبع الجياع ، وكسا العراة من المسلمين ؟ وقد قال رسول الله ﷺ : " **اتقوا النار ولو بشق تمرة ، فإن لم تجدوا فبكلمة طيبة** " (١٣) . فجعل الكلم الطيب عوضاً عن الصدقة لمن لا يقدر عليها.

---

٩ أخرجه البخارى فى كتاب " الاعتصام بالسنة " (٧٤٣٠) ، مسلم فى كتاب " الزكاة " (١٠١٤٥) .

١٠ **إسناده صحيح .**

أخرجه ابن خزيمة فى كتاب " التوحيد " (١٤٨/١) من حديث أبي هريرة وإسناده صحيح ، البيهقى فى " شعب الإيمان " (٣٢٠١) .

١١ أخرجه أبو نعيم فى " حلية الأولياء " (٩٠/٧) .

١٢ أخرجه البخارى فى كتاب " الأدب " (٦٠٠٩) ، مسلم فى كتاب " السلام " (٢٢٤٤) من حديث أبي هريرة ﷺ .

١٣ أخرجه البخارى فى كتاب " الدعوات " (٦٥٦٣) ، مسلم فى كتاب " الزكاة " (١٠١٦) .

قالوا : وأين لذة الصدقة والإحسان ، وتفريحهما القلب ، وتقويتهما إياه ، وما يُلقي الله سبحانه للمُتصدقين من المحبة والتعظيم فى قلوب عباده والدعاء لهم والثناء عليهم ، وإدخال المسرات عليهم ، من أجل الصبر على الفقر ؟ نعم ؛ إن له لأجراً عظيماً لكن الأجر درجات عند الله .

قالوا : وأيضاً ؛ فالصدقة والإحسان والإعطاء وصفُ الربِّ تعالى وأحبُّ عباده إليه من اتصف بذلك كما قال النبي ﷺ : " **الخلقُ عيالُ الله فأحب الخلق إليه أنفعهم لعياله** " (١٤) .

قالوا : وقد ذكر الله سبحانه أصناف السعداء ، فبدأ بالمتصدقين أولهم ، فقال تعالى : ﴿ **إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ (١٨) وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ** ﴾ [الحديد : ١٨، ١٩] ، فهؤلاء أصناف السعداء ومقدموهم المصدقين والمصدقات .

---

١٤ **ضعيف جداً .**

أخرجه ابن أبي الدنيا فى " قضاء الحوائج " (٢٤) ، البزار كما فى " كشف الأستار " (١٩٤٩) ، أبو يعلي فى " مسنده " (٣٣٧٠ ، ٣٣٧٨) ، البيهقى فى " شعب الإيمان " (٧٤٤٧) ، من طريق يوسف بن عطية عن ثابت بن أسلم البنانى عن أنس بن مالك .

وفى إسناده يوسف بن عطية بن ثابت الصفار قال البخارى منكر الحديث ، وقال النسائي والدولابي : متروك الحديث .

قالوا : وفى الصدقة فوائد ومنافع لا يحصيها إلا الله ، فمنها : أنها تقي مصارع السوء ، وتدفع البلاء حتى أنها لتدفع عن الظالم . قال إبراهيم النخعي : " وكانوا يرون أن الصدقة تدفع عن الرجل الظلوم وتطفئ الخطيئة ، وتحفظ المال ، وتجلب الرزق ، وتفرح القلب ، وتوجب الثقة بالله وحسن الظن به ، كما أن البخل يوجب سوء الظن بالله ، وترغِمُ الشيطان – يعنى الصدقة – وتزكي النفس وتنميها ، وتحبب العبد إلى الله وإلى خلقه ، وتستر عليه كل عيب ، كما أن البخل يغطي عليه كل حسنة ، وتزيد فى العمر ، وتستجلب أدعية الناس ومحبتهم ، وتدفع عن صاحبها عذاب القبر ، وتكون عليه ظلاً يوم القيامة ، وتشفع له عند الله وتهون عليه شدائد الدنيا والآخرة ، وتدعوه إلى سائر أعمال البر فلا تستعصي عليه " . وفوائدها ومنافعها أضعاف ذلك .

قالوا : ولو لم يكن فى النفع والإحسان إلا أنه صفة الله وهو سبحانه يُحب من اتصف بموجب صفاته وآثارها ، فيحب العليم والجواد والحييَّ والسِّتير ، والمؤمنُ القويُّ أحب إليه من المؤمن الضعيف ، ويحبُّ العدل والعفو والرّحيم والشّكور والبَرَّ والكريم ، فصفته الغنى والجود ، ويحب الغني الجواد .

قالوا : ويكفى فى فضل النفع المتعدي بالمال أن الجزاء عليه من جنس العمل ؛ فمن كسا مؤمناً كساه الله من حُلل الجنة ، ومن أشبع جائعاً أشبعه الله من ثمار الجنة ، ومن سقى ظمآناً سقاه الله من شراب الجنة ، ومن أعتق رقبة أعتق الله بكل عضو منه عضواً من النار حتى فرجه بفرجه ، ومن يَسّر على معسر يَسّر الله عليه فى الدنيا والآخرة ،

ومن نَفّس عن مؤمن كُربة من كُرب الدنيا نَفّس الله عنه كُربة من كُرب يوم القيامة ، والله فى عون العبد ما دام العبد فى عون أخيه .

قالوا : ونحن لا ننكرُ فضيلة الصبر على الفقر ، ولكن أين تقع من هذه الفضائل ؟ وقد جعل الله لكل شيء قَدْراً .

قالوا : وقد جعل رسول الله ﷺ : " **الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر** " [١٥] ، ومعلوم أنه إذا تعدى شكره إلى الإحسان إلى الغير ازداد درجة أخرى ، فإن الشكر يتضاعف إلى ما لا نهاية له بخلاف الصبر فإن له حداً يقف عليه . وهذا دليل مستقل فى المسألة . يوضحه أن الشاكر أفضل من الراضي الذى هو أعلى من الصابر ، فإن كان الشاكر أفضل من الراضي الذى هو أفضل من الصابر كان أفضل من الصابر فى درجتين .

قالوا : وفى "الصحيحين " من حديث الزهرى عن سالم عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ : " **لا حسد إلا فى اثنتين : رجلٌ أتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل والنهار ، ورجلٌ أتاه الله مالاً فهو ينفقُه آناء الليل والنهار** " [١٦] ، فجعل الغنى مع الإنفاق بمنزلة القرآن مع القيام به .

قالوا : وقد صرح فى حديث ابي كبشة الأنماري [١٧] : أن صاحب المال إذا عمل فى ماله بعلمه ، واتقى فيه ربه ، ووصل به رحمه ،

---

١٥ انظر بداية الباب العشرون .

١٦ أخرجه البخارى فى كتاب " الطب " (٥٧٢٩) ، مسلم فى كتاب " صلاة المسافرين وقصرها " .

١٧ تقدم فى نهاية الباب الثالث والعشرون .

وأخرج منه حق الله فهو فى أعلى المنازل عند الله ، وهذا تصريحٌ فى تفضيله ، وجعل الفقير الصادق إذا نوى أن يعمل بعمله ، وقال ذلك بلسانه ثانياً ، وأنه بنيته وقوله وأجرهما سواء ، فإن كلاً منهما نوى خيراً وعمل ما يقدر عليه ، فالغني نواه ونفذه بعمله ، والفقير العالم نواه ونفذه بلسانه ، فاستويا فى الأجر من هذه الجهة ، ولا يلزم من استوائهما فى أصل الأجر استواؤهما فى كيفيته وتفاصيله ، فإن الأجر على العمل والنيّة له مزية على الأجر على مجرد النية التى قارنها القول ، ومن نوى الحج ولم يكن له مال يحُجُّ به وإن أثيب على ذلك ، فإن ثواب من باشر أعمال الحج مع النية له مزية عليه .

وإذا أردت فهم هذا ، فتأمل قول النبي ﷺ : " **من سأل الله الشهادة صادقاً من قلبه بلَّغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه** " [١٨] ولا ريب أن ماحصل للمقتول فى سبيل الله من ثواب الشهادة تزيد كيفيته وصفاته على ماحصل لناوي ذلك إذا مات على فراشه وإن بلغ منزلة الشهيد ، فهاهنا أجران : أجرٌ وقُربٌ فإن استويا فى أصل الأجر لكن الأعمال التى قام بها العاملُ تقتضى أثراً زائداً وقُرباً خاصاً ، وهو فضلُ الله يؤتيه من يشاء .

وقد قال ﷺ : " **إذا تواجه المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول فى النار** " . قالوا : هذا القاتلُ فما بال المقتول ؟ قال : " **إنه أراد قتل صاحبه** " [١٩] . فاستويا فى دخول النار ، ولا يلزم استواؤهما فى

---

١٨ أخرجه مسلم فى " صحيحه " كتاب" الإمارة " (١٩٠٩) .

١٩ أخرجه البخارى فى كتاب " الإيمان " (٣١) ، مسلم فى كتاب " الفتن وأشراط الساعة " (٢٨٨٨) .

الدرجة ومقدار العذاب ، فأعط ألفاظ رسول الله ﷺ حقها ، ونزّلها منازلها يتبين لك المرادُ .

يوضح هذا : أن فقراء المهاجرين شكوا إلى رسول الله ﷺ وقالوا : يا رسول الله ذهب أهلُ الدّثور بالأجور ، يصلُّون كما نُصلي ، ويصومون كما نصوم ، ولهم فضول أموال يحجون بها ، ويعتمرون ، ويجاهدون ، ويتصدقون قال : " **أفلا أعلِّمكم شيئاً تدركون به من سبقكم وتسبقون به من بعدكم ، ولا يكون أحد أفضل منكم إلا من صنع مثل ما صنعتم** ؟ " قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : " **تسبِّحون ، وتحمدون ، وتكبرون دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين** " ؛ فرجع فقراءُ المهاجرين إلى رسول الله ﷺ فقالوا : سمع أخواننا أهل الأموال بما فعلناه ففعلوا مثله ، فقال رسول الله ﷺ : ﴿ **ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ** ﴾ (٢٠) [الحديد : ٢١] ، فلو كانوا يلحقون بهم فى مقدار الأجر بمجرد النية ، لقال لهم : انووا أن تفعلوا مثل فعلهم فتنالوا مثل أجرهم فلما أعاضهم عما فاتهم من ثواب الصدقة والعتق والحج والاعتمار بما يحصل نظيره بالذكر علم أن الأغنياء قد فضلوهم بالإنفاق ، فلما شاركوهم فى الذكر بقيت مزية الإنفاق ، فشكوا إلى رسول الله ﷺ أن الامتياز لم يزل ، وأنهم قد ساوونا فى الذكر كما ساوونا فى الصوم والصلاة ، فأخبرهم : أن ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، فلو كان لهم سبيل إلى مساواتهم من كل وجه بالنية والقول لدلَّهم عليها .

قالت الفقراء : هذا الحديث حُجة لنا إذا فُهم على الحقيقة ، وذلك أن معناه : أنهم وإن كانوا قد ساووكم فى الإيمان والإسلام والصلاة

---

٢٠ تقدم الكلام عليه فى بداية الباب الحادى والعشرون .

والصيام ، ثم فضلوكم فى الإنفاق ففى التكبير والتسبيح والتهليل ما يُلحقكم بدرجتهم ، وقد ساويتموهم أيضاً بحسن النية إذ لو أمكنكم لأنفقتم مثلهم .

وفى بعض ألفاظ هذا الحديث : " **إن أخذتم به سبقتم من قبلكم ، ولم يلحقكم من بعدكم** " ، وهذا يدل على أن الأغنياء لا يلحقونهم وإن قالوا مثل قولهم .

وقوله ﷺ : ﴿ **ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ** ﴾معناه : أن فضل الله ليس مقصوراً عليكم دونهم ، فكما آتاكم الله من فضله بالذكر كذلك يؤتيهم إياه إذا عملوا مثلكم أيضاً ، فأنتم فهمتم من الفضل التخصيص فوضعتموه فى غير موضعه ، وإنما معناه العموم الشمول ، وإن فضله عام شامل للأغنياء والفقراء فلا تذهبون به دونهم ، فأين فى هذا الحديث التفضيل لكم علينا ؟

قالوا : ويحتمل قوله : " **ذلك فضل الله** " ثلاثة أمور :

أحدها : سبقهم لكم بالإنفـــاق . **والثاني** : مساواتكم لهم فى فضيلة الذكر فلم تختصـــوا به دونهم . **والثالث** : سبقكم لهم على الجنة بنصف يوم .

وهذا وإن كان لا ذكر له فى هذه الرواية فهو مذكور فى بعض طُرقه .

قال البزار فى " مسنده " : حدثنا الوليد بن عمرو حدثنا محمد بن الزبرقان حدثنا موسى بن عبيدة عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر قال : اشتكى فقراء المهاجرين إلى رسول الله ﷺ ما فضل به أغنياؤهم فقالوا : يا رسول الله إخواننا صدقوا تصديقنا ، وآمنوا إيماننا ،

وصاموا صيامنا ، ولهم أموال يتصدقون منها ، ويصلون منها الرحم ، وينفقونها فى سبيل الله ، ونحن مساكين لا نقدر على ذلك ، فقال : " **ألا أخبركم بشي إذا أنتم فعلتموه أدركتم مثل فضلهم ، قولوا : الله أكبر فى كل صلاة إحدى عشرة مرة ، والحمدُ لله مثل ذلك ، ولا إله إلا الله مثل ذلك ، وسبحان الله مثل ذلك ، تدركون مثل فضلهم** " ففعلوا ، فذكروا ذلك للأغنياء ففعلوا مثل ذلك ، فرجع الفقراء إلى رسول الله ﷺ فذكروا ذلك له ، فقالوا : هؤلاء إخواننا مثل ما نقول ، فقال : " **ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، يا معشر الفقراء ألا أبشركم أن فقراء المسلمين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بنصف يوم وهو خمسمائة عام**" وتلا موسى بن عبيدة ﴿ **وَإِنَّ يَوْماً عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ** ﴾ [الحج : ٤٧] (٢١).

قالوا : فهذا خبر واحد ، وكلام متصل ، ذكره بشارة لهم عندما ذكروا مساواة الأغنياء لهم فى القول المذكور ، فأشبه أن يرجع الفضل إلى سبق الفقراء للأغنياء ، وأنهم بهذه البشارة مخصصون ، فكان السبق لهم دون غيرهم ، وإن ساووهم فى القول ، وساووهم فى الإنفاق بالنية ، كما فى حديث أبي كبشة المتقدم (٢٢) ، وحصلت لهم مزية الفقر

قالت الأغنياء : لقد بالغتم فى صرف الحديث عن مقصوده إلى جهتكم وهو صريح فى تفضيل هذا الحديث لمن أنصف ، فإن قوله :

---

٢١ **ضعيف** .

أخرجه البزار كما فى " كشف الأستار " (٣٠٩٤) ، وفى إسناده موسى ابن عبيدة الربذى ضعيف .

٢٢ تقدم فى نهاية الباب الثالث والعشرون .

" **ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء** " خرج جواباً للفقراء عن قولهم : إن أهل الدثور قد ساووهم فى الذكر كما ساووهم فى الصلاة والصوم والإيمان ، وبقيت مزية الإنفاق ، ولم يحصل لهم ما يلحقهم فيها ، وما علمتنا من الذكر قد لحقونا فيه ، فقال لهم حينئذ : " **ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء** " وهذا صريح جداً فى مقصوده ، فلما انكسر القوم بتحقق السبق بالإنفاق الذى عجزوا عنه أخبرهم بالبشارة بالسبق إلى دخول الجنة بنصف يوم ، وأن هذا السبق فى مقابلة ما فاتكم من فضيلة الغنى والإنفاق ، ولكن لا يلزم من ذلك رفعتهم عليهم فى المنزلة والدرجة ، فهؤلاء السبعون ألف الذين يدخلون الجنة بغير حساب من الموقوفين للحساب من هو أفضلُ من أكثرهم وأعلى منهم درجة .

قالوا : وقد سمى الله سبحانه المال خيراً فى غير موضع من كتابه كقوله تعالى ﴿ **كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْراً الْوَصِيَّةُ** ﴾ [البقرة : ١٨٠] ، وقوله : ﴿ **وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ** ﴾ [العاديات : ٨] ، وأخبر رسول الله ﷺ : " **إن الخير لا يأتي إلا بالخير** " كما تقدم [٢٣] ، وإنما يأتي بالشر معصية الله فى الخير لا نفسه ، وأعلم الله سبحانه أنه جعل المال قواماً للأنفس ، وأمر فحفظهما ، ونهى أن يؤتى السفهاء من النساء والأولاد وغيرهم ، ومدحه النبي ﷺ بقوله : " **نعم المالُ الصالحُ مع المرء الصالح** " [٢٤] .

---

٢٣ انظر ما قبله .

٢٤ **صحيح** .

وقال سعيد بن المسيب : " لا خير فيمن لا يريد جمع المال من حِلّه يكف به وجهه عن الناس ، ويصل به رحمه ، ويعطي حقه " [٢٥] .

وقال أبو إسحاق السبيعي : " كانوا يرون السعة عوناً على الدين " [٢٦] .

وقال محمد بن المنكدر : " نعم العون على التُّقى الغنى " [٢٧] .

وقال سفيان الثوري : " المالُ فى زماننا هذا سلاح المؤمن " [٢٨] .

= أخرجه أحمد (٤/١٩٧ ، ٢٠٢) ، ابن حبان كما فى " الإحسان " (٣٢١٠ ، ٣٢١١) ، الحاكم (٢/٢ ، ٢٣٦) وقال صحيح على شرط مسلم ، الطحاوى فى " شرح مشكل الآثار " (٦٠٥٦ ، ٦٠٥٧) ، البغوى فى " شرح السنة " (٢٤٩٥) القضاعى فى " مسند الشهاب " (١٣١٥) كلهم من طرق عن موسى بن علي عن أبيه قال : سمعت عمرو بن العاص .

٢٥ أخرجه ابن أبي الدنيا فى " إصلاح المال " (٥٥) ، أبو نعيم فى " حلية الأولياء " (٢/١٧٣) من طريق عبد الرحمن بن زياد بن أنعم حدثنى يحيى ابن سعيد قال : سمعت سعيد بن المسيب يقول :

قلت : فى إسناده عبد الرحمن بن زياد بن أنعم ضعيف .

٢٦ أخرجه أبو نعيم فى " حلية الأولياء " (٤/٣٤٠) من طريق عبد الجبار ثنا سفيان قال : سمعت أبا إسحاق يقول : وإسناده ضعيف .

٢٧ أخرجه ابن أبي الدنيا فى " إصلاح المال " (٥٨) من طريق .

٢٨ أخرجه أبو نعيم فى " حلية الأولياء " (٦/٣١٨) ، من طريق داود ابن الجراح قال : سمعت سفيان الثوري .

قلت : فى إسناده داود بن الجراح لم أقف له على ترجمة .

وقال يوسف بن أسباط : " ما كان المالُ فى زمان منذ خلقت الدنيا أنفع منه فى هذا الزمان ، والخيرُ كالخيل لرجلٍ أجرُ ، ولرجل سِتْرٌ ، وعلى رجل وزرٌ " .

قالوا : وقد جعل الله سبحانه المال سبباً لحفظ البدن ، وحفظه سببٌ لحفظ النفس التى هي محل معرفة الله والإيمان به وتصديق رسله ومحبته والإنابة إليه ، فهو سبب عمارة الدنيا والآخرة ، وإنما يُذَّمُّ منه ما استخرج من غير وجهه وصُرف فى غير حقه ، واستعبد صاحبه وملك قلبه وشغله عن الله والدار الآخرة ، فَيُذَمُّ منه ما يتوسل به صاحبه على المقاصد الفاسدة أو شغله عن المقاصد المحمودة ، فالذمُّ للجاعل لا للمجعول .

قال النبي ﷺ : " **تعس عبدُ الدينار ، تعس عبد الدرهم** " [٢٩] ، فذَمَّ عبدهما دونهما .

قال الإمام أحمد : حدثنا أبو المغيرة حدثنا صفوان عن يزيد بن ميسرة قال : " كان رجلٌ ممن مضى جمع مالاً ، فأوعى ، ثم أقبل على نفسه وهو فى أهله ، فقال : أنعم سنين ، فأتاه ملكُ الموت ، فقرع الباب فى صورة مسكين فخرجوا إليه ، فقال : ادعوا لي صاحب الدار فقالوا : يخرج سيدنا إلى مثلك ؟ ثم مكث قليلاً ، ثم عاد فقرع الدار وصنع مثل ذلك وقال : أخبروه أني ملك الموت ، فلما سمع سيدهم قعد فزعاً وقال : لينوا له الكلام . قالوا : ما تريد غير سيدنا بارك الله فيك قال : لا ، فدخل عليه ، فقال : قُم فأوص ما كنت موصياً ، فإني

---

٢٩ تقدم فى الباب الثالث والعشرون .

قابضُ نفسك قبل أن أخرج . قال : فَصَرَخ أهلُه وبكوا ثم قال : افتحوا الصناديق وافتحوا أوعية المال ففتحوها جميعاً فأقبل على المال يلعنه ويسبه ، يقول : لُعنت من مالٍ ، أنت الذى أنسيتنى ربي وشغلتنى عن العمل لآخرتي حتى بلغني أجلي ، فتكلم المال فقال : لا تسُبنِّي ، ألم تكن وضيعاً فى أعين الناس فرفعتك ؟ ألم ير عليك من أثري وكنت تحضر سدد الملوك والسادة فتدخل ، ويحضر عبادُ الله الصالحون فلا يدخلون ؟ ألم تكن تخطب بنات الملوك والسادة فتنكح ، ويخطب عباد الله الصالحون فلا ينكحون ؟ ألم تكن تنفقني فى سبيل الخُبث فلا أتعاصى ولو أنفقتني فى سبيل الله لم أتعاص عليك وأنت ألوم مني ؟ إنما خُلقت أنا وأنتم يا بني آدم من تراب ، فمُنطلق ببرٍّ ومنطلقٌ بإثم ، فهكذا يقول المال فاحذروا " (٣٠) .

وفى الأثر : " **يقول الله تبارك وتعالى : أموالنا رجعت إلينا ، سعد بها من سعد ، وشقي بها من شقي** " .

قالوا : ومن فوائد المال : أنه قوامُ العبادات والطاعات ، وبه قام سوق بر الحج والجهاد ، وبه حصل الإنفاق الواجب والمستحب ، وبه حصلت قربات العتق والوقف وبناء المساجد والقناطر وغيرها ، وبه يتوصل إلى النكاح الذى هو أفضل من التخلي لنوافل العبادة ، وعليه قام سوق المروءة ، وبه ظهرت صفة الجود والسّخاء ، وبه وُقيت الأعراض ، وبه اكتسب الإخوان والأصدقاء ، وبه توصل الأبرار إلى

---

٣٠ أخرجه أبو نعيم فى " حلية الأولياء " (٥/٢٤٠ ، ٢٤١) من طريق بقية ابن الوليد عن صفوان بن عمرو عن شريح بن عبيد عن يزيد بن ميسره . وإسناده ضعيف ففيه بقية مدلس .

الدرجات العلا ومرافقة الذين أنعم الله عليهم ، فهو مرقاة يُصعدُ بها إلى أعلى غرف الجنة ، ويُهبط منها إلى أسفل سافلين ، وهو مقيمُ مجد الماجد ، كما أن بعض السلف يقول : " لا مَجْدَ إلا بِفعال ، ولا فعال إلا بمالٍ " .

وكان بعضهم يقول : " اللهم إني من عبادك الذين لا يصلحهم إلا الغنى " .

وهو من أسباب رضى الله عن العبد ، كما كان من أسباب سخطه عليه ، وهؤلاء الثلاثة الذين ابتلاهم الله به : الأبرص ، والأقرع ، والأعمى نال به الأعمى رضى ربه ، ونالا به سخطه [٣١] ، والجهاد ذروة سنام العمل ، وتارة يكون بالنفس ، وتارة يكون المال ، وربما كان الجهاد بالمال أنكى وأنفع ، وبأي شيء فُضّل عثمان على علي ، وعليٌّ أكثر جهاداً بنفسه وأسبق إسلاماً من عثمان ؟ وهذا الزبير وعبد الرحمن بن عوف أضل من جمهور الصحابة مع الغنى الوافر وتأثيرهما فى الدين أعظم من تأثير أهل الصُفّة ، وقد نهى رسول الله ﷺ عن إضاعته [٣٢] ، وأخبر أن ترك الرجل ورثته أغنياء خير له من تركهم فقراء . وأخبر أن صاحب المال ما ينفق نفقة يبتغي بها وجه الله إلا ازداد بها درجة ورفعة [٣٣] .

---

٣١ أخرجه البخارى فى كتاب " أحاديث الأنبياء " (٣٤٦٤) ، مسلم فى كتاب " الفتن وأشراط الساعة " (٢٩٦٤) ، من حديث أبي هريرة ﷺ .

٣٢ أخرجه مسلم فى " صحيحه " كتاب " الأقضية " (١٧١٥) .

٣٣ أخرجه البخارى فى " صحيحه " كتاب " الوصايا " (٢٧٤٣) ، مسلم فى كتاب " الوصية " (١٦٢٨) .

وقد استعاذ رسول الله ﷺ من الفقر وقرنه بالكفر فقال : " **اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر** " (٣٤) ، فإن الخير نوعان : خير الآخرة والكفر مضاده ، وخير الدنيا والفقر مضاده ، فالفقر سبب عذاب الدنيا والكفر سبب عذاب الآخرة ، والله سبحانه جعل إعطاء الزكاة وظيفة الأغنياء ، وأخذها وظيفة الفقراء ، وفرقّ بين اليدين شرعاً وقدراً ، وجعل يد المعطي أعلى من يد الآخذ ، وجعل الزكاة أوساخ المال ، ولذلك حرَّمها على أطيب خلقه وعلى آله صيانة لهم وتشريفاً ورفعاً لأقدارهم .

ونحن لا ننكر أن رسول الله ﷺ كان فقيراً ثم أغناه الله ، والله فتح عليه وخوّله ووسّع عليه ، وكان يدّخر لأهله قوت سنة ، ويعطى العطايا التى لم يعطها أحدّ غيره ، وكان يعطى عطاء من لا يخاف الفقر ، ومات عن فدك والنضير وأموالٍ خصّه الله بها ، وقال تعالى

(٣٤ حسن لشواهده .

أخرجه أحمد (٤٢/٥) ، أبو داود (٥٠٩٠) ، النسائى فى " الصغرى " (٧٤/٣) ، وفى " عمل اليوم والليلة " (٢٢ ، ٥٧٢) ، الطيالسي فى " مسنده " (٩٠٩) ، البخارى فى " الأدب المفرد " (٧٠١) ، ابن أبي شيبة فى " مصنفه " (١٩٦/١٠ – ٢٠٥ – ٢٠٦) ، ابن حبان كمافى " الإحسان " (١٠٢٨) ، ابن السنى فى " عمل اليوم والليلة " (٩٦) ، الحاكم (٣٥/١) وقال : صحيح على شرط مسلم وأقره الذهبي كلهم من طرق عن جعفر بن ميمون حدثنى عبد الرحمن بن أبي بكرة أنه قال لأبيه أبي بكرة . وفى إسناده جعفر بن ميمون ضعيف .

وله شواهد كثيرة من حديث أبو هريرة ، وأنس بن مالك ، وعائشة رضى الله عنهم بأسانيد صحيحه .

﴿ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ ﴾ [الحشر : ٧] ، فنزهه ربه سبحانه عن الفقر الذى يُسوِّغ أخذ الصدقة ، وعوضه عما نزهه عنه بأشرف المال وأحلِّه وأفضله وهو ما أخذه بظل رمحه وقائم سيفه من أعداء الله الذين كان مال الله بأيديهم ظلماً وعدواناً ، فإنه خلق المال ليستعان به على طاعته وهو بأيدي الكفار والفجار ظلماً وعدواناً فإذا رجع إلى أوليائه وأهل طاعته فاء إليهم ما خُلق لهم ، ولكن لم يكن غنى رسول الله ﷺ وملكه من جنس غنى بني الدنيا وأملاكهم ، فإن غناهم بالشيء ، وغناه ﷺ عن الشيء وهو الغني العالي ، وملكهم ملك يتصرفون بحسب إرادتهم ، وهو ﷺ إنما يتصرف فى ملكه تصرّف العبد الذى لا يتصرف إلا بأمر سيِّده .

وقد اختلف الفقهاء فى الفيء هل كان ملكاً للنبي ﷺ ؟ على قولين : هما روايتان عن أحمد .

التحقيق : أن ملكه له كان نوعاً آخر من الملك ، وهو مُلك يتصرف فيه بالأمر كما قال ﷺ : " **والله لا أعطي أحداً ولا أمنع أحداً إنما أنا قاسمٌ أضع حيث أُمرت** " [٣٥] ذلك من كمال مرتبة عبوديته ، ولأجل ذلك لم يورِّث فإنه عبدٌ محض من كل وجه لربه عز وجل ، والعد لا مال له فيُورث عنه ، فجمع الله له سبحانه بين أعلى أنواع الغنى وأشرف أنواع الفقر فكَمَّل له مراتب الكمال ، فليست إحدىَ الطائفتين بأحق به من الأخرى ، فكان ﷺ فى فقره أصبر خلق الله وأشكرهم ، وكذلك فى غناه ، والله تعالى جعله قدوة للأغنياء والفقراء

---

٣٥ أخرجه البخارى فى " صحيحه " كتاب " فرض الخمس " (٣١١٧) ، من حديث أبي هريرة ﷺ .

وأى غنى أعظم من غنى من عُرضت عليه مفاتيح كنوز الأرض ؟[٣٦] وعُرض عليه أن يُجعل له الصفا ذهباً [٣٧] ، وخُيِّر بين أن يكون ملكاً نبياً وبين أن يكون عبداً نبياً ، فاختار أن يكون عبداً نبياً [٣٨] ، ومع هذا فجُبيت إليه أموال جزيرة العرب واليمن ، فأنفقها كلها ولم يستأثر منها بشيء ، بل تحمل عيال المسلمين ودَيْنهم ، فقال : " **من ترك مالاً**

---

٣٦ انظره فى أول الباب العشرون .

٣٧ **صحيح .**

أخرجه أحمد (١/٢٤٢ ، ٢٤٥) ، عبد بن حميد فى " مسنده " (٦٩٩) ، البزار كما فى " كشف الأستار " (٢٢٢٥) ، النسائى فى " الكبرى " (١١٢٩٠) ، الحاكم (٢/٣٦٢) ، الطبرانى فى " الكبير" (١٢٧٣٦) ، البيهقى فى " السنن الكبير " (٢/٢٧٢) ، وفى " دلائل النبوة " (٢/٢٧١) كلهم من طرق عن جرير عن الأعمش عن جعفر بن إياس عن سعيد بن جبير . وهذ إسناد صحيح على شرط الشيخين .

٣٨ **إسناده صحيح .**

أخرجه أحمد (٢/٢٣١) ، أبو يعلي فى " مسنده " (٦١٠٥) ، البزار كما فى " كشف الأستار " (٢٤٦٢) ، ابن حبان كما فى " الإحسان " (٦٣٦٥) ، ابن أبي الدنيا فى " التواضع والخمول " (١٢٥) ، كلهم من طرق عن عمارة عن أبي زرعة قال : ولا أعلمه إلا عن أبي هريرة .

قلت : وله طرق من حديث ابن عمر كما عند الطبرانى فى" الكبير" (١٣٣٠٩) ، وإسناده ضعيف ، ومن حديث عبد الله بن عباس كما عند النسائي فى " الكبرى " (٦٧٤٣) ، ابن المبارك فى " الزهد " (٧٦٦) ، الطبرانى فى " الكبير" (١٠٦٨٦) وإسناده منقطع .

فلورثته ، ومن ترك كلاً فإلي وعليَّ " [٣٩] فرفع الله سبحانه وتعالى قدره أن يكون من جُملة الفقراء الذين تحل لهم الصدقة ، كما نزهه أن يكون من جملة الأغنياء الذين أغناهم بالأموال الموروثة ، بل أغناه عن سواه ، وأغنى قلبه كلَّ الغنى ، ووسَّع عليه غاية السَّعة ، فأنفق غاية الإنفاق ، وأعطى أجلَّ العطايا ، ولا استأثر بالمال ، ولا اتخذ منه عقاراً ولا أرضاً ولا ترك شاة ولا بعيراً ولا عبداً ولا أَمَةً ولا ديناراً ولا درهما ، فإن احتج الغنيُّ الشاكر بحاله ﷺ لم يمكنه ذلك إلا بعد أن يفعل فعله ، كما أن الفقير الصابر إذا احتج بحاله ﷺ لم يمكنه ذلك إلا بعد أن يصبر صبره ويترُك الدنيا اختياراً لا اضطراراً ، فرسول الله ﷺ وفّى كلَّ مرتبة من مرتبتي الفقر والغنى حقها وعبوديتها ، وأيضاً ؛ فإن الله سبحانه أغنى به الفقراء فما نالت أُمّته الغنى إلا به ، وأغنى الناس من صار غيره به غنياً .

قال عُلَيٌّ بن أبي رباح اللخمي : كنت عند مسلمة بن مخلد الأنصاري وهو يومئذ على مصر وعبد الله بن عمرو بن العاص

---

٣٩ إسناده حسن .

أخرجه أحمد (١٣١/٤ ، ١٣٣) ، أبو داود (٨٩٩ ، ٢٩٠٠) ، ابن ماجة (٢٧٣٨) ، أبو داود الطيالسي فى "مسنده " (١٢٤٦) ، ابن حبان كما فى " الإحسان " (١٢٢٥) ، الحاكم (٣٤٤/٤) ، الدارقطنى فى" سننه " (٨٥/٤ -٨٦) البيهقى فى " السنن الكبير" (٢١٥/٦) ، الطحاوى فى " شرح المشكل" (٢٧٤٨) ، الطبرانى فى " الكبير " (٢٦٥/٢٠ ، ٢٦٦) كلهم من طرق عن يحيى بن أبي طلحة يحدث عن راشد بن سعد عن أبي عامر الهوزنى عن المقدام . وفى إسناده علي بن أبي طلحة صدوق .

جالس معه ، فتمثل مسلمة ببيت من شعر أبي طالب فقال : لو أن أبا طالب رأى ما نحن فيه اليوم من نعمة الله وكرامته لعلم أن ابن أخيه سيدٌ قد جاء بخير كثير ، فقال عبد الله بن عمرو : ويومئذ قد كان سيداً كريماً قد جاء بخير كثير ، فقال مسلمة : ألم يقل الله تعالى ﴿ **أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى (٦) وَوَجَدَكَ ضَالاً فَهَدَى (٧) وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى (٨)** ﴾ [الضحى : ٦ – ٨] فقال عبد الله بن عمرو : أما اليتيم فقد كان يتيماً من أبويه ، وأما العَيْلَة فكل ما كان بأيدى العرب إلى القِلَّة ، يقول : إن العرب كانت كلها مُقلَّة حتى فتح الله عليه وعلى العرب الذين أسلموا ودخلوا فى دين الله أفواجاً ، ثم توفاه الله قبل أن يَتَلَبَّس منها بشيء ، ومضى وتركها ، وحذَّر نمها ومن فتنتها قال : وذلك معنى قوله : ﴿ **عَائِلاً فَأَغْنَى** ﴾ وأما قوله ﴿ **وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى** ﴾ [الضحى : ٥] فلم تكن الدنيا لترضيه وهو لا يرضاها كلها لأمته وهو يحذِّرُ منها ، وتُعرض عليه فيأباها ، وأنما هو ما يعطيه من الثواب وما يفتح علي وعلى أمته من مُلك كسرى وقيصر ، ودخول الناس فى الإسلام ، وظهور الدين إذا كان ذلك محبته ورضاه صلوات الله وسلامه عليه[٤٠]

وروى صفيان الثوري عن الأوزاعي عن إسماعيل بن عبيد الله عن علي بن عبد الله عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال : " **رأيت ما هو مفتوح بعدى كَفْراً كَفْراً ، فسرّنى ذلك ، فنزلت** ﴿ **وَالضُّحَى (١) وَاللَّيْلِ** ﴾ إلى قوله ﴿ **وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى** ﴾ [الضحى : ١ – ٥] .

---

٤٠ أخرجه البيهقى فى " دلائل النبوة " (٦٢/٧) من قول عبد الله بن عمرو .

قال : " أعطانى ألف قصر من لؤلؤ ترابُها المسكُ فى كل قصر ما ينبغي له " [٤١] .

قالوا : وما ذكرتم من الزهد فى الدنيا والتقلل منها ، فالزهد فيها لا ينافى الغنى ، بل زهد الغني أكمل من زُهد الفقير ، فإن الغني زهد عن قدرة ، والفقير عن عجز ، وبينهما بُعد بعيد ، وقد كان رسول الله ﷺ فى حال غناه أزهد الخلق ، وكذلك الخليل إبراهيم الخليل كان كثير المال وهو أزهدُ الناس فى الدنيا .

وقد روى الترمذى فى " جامعه " من حديث أبي ذر عن النبي ﷺ قال : **" الزهادة فى الدنيا ليست بتحريم الحلال ، ولا إضاعته ، ولكن الزهادة فى الدنيا أن لا تكون بما فى يديك أوثق بما فى يد الله ، وان تكونَ فى ثواب المصيبة إذا أنت أصبت بها أرغب فى ثوابها لو أنها بقيت لك "** [٤٢] .

وسئل الإمام أحمد عن الرجل يكون معه ألف دينار وهل يكون زاهداً ؟

قال : نعم بشرط أن لا يفرح إذا زادت ، ولا يحزن إذا نقصت .

---

٤١ أخرجه البيهقى فى " دلائل النبوة " (٧/٦١ -٦٢) وإسناده صحيح .

٤٢ **ضعيف جداً .**

أخرجه الترمذى (٢٣٤٠) وقال : غريب ، ابن ماجة (٤١٠٠) ، البيهقى فى " شعب الإيمان " (١٠٧٧٥) ، كلهم من طرق عن عمرو بن واقد ثنا يونس ابن ميسرة عن أبي إدريس الخولانى عن أبي ذر الغفارى . وفى إسناده عمرو ابن واقد القرشي منكر الحديث .

وقال بعض السلف : الزاهدُ من لا يغلُب الحلالُ شُكره ، ولا الحرامُ صبره .

وهذا من أحسن الحدود : حقيقة مركبة من الصبر والشكر فلا يستحق اسم الزاهد من لا يتصف بهما ، فمن غلب شكره لما وسع عليه من الحلال وصبرُه لما عرض لها من الحرام ، فهو الزاهد على الحقيقة بخلاف من غلب الحلالُ شكره والحرام صبره فكان شكره وصبره مغلوبين ، فإن هذا ليس بزاهد .

وسمعت شيخ الإسلام يقول : الزّهدُ تركُك ما لا ينفعك ، والورعُ تركُك ما يَضُرك .

فالزهدُ فراغ القلب من الدنيا لا فراغ اليدين منها ، ويقابله الشُّحُ والحِرْصُ **وهو ثلاثة أقسام** : زهد فى الحرام . وزهد فى الشُبهات والمكروهات . وزهد فى الفَضَلات .

فالأول : فرضٌ .

والثاني : فَضْلٌ .

والثالث : متوسط بينهما بحسب درجة الشُّبهة ، وإن قويت التحق بالأول وإلا فبالثالث ، وقد يكون الثالث واجباً بمعنى : أنه لابد منه ، وذلك لمن شمر على الله والدار الآخرة ، فزهد الفضيلة يكون ضرورة فإن إرادة الدنيا قادحة فى إرادة الآخرة ، ولا يصحُ للعبد مقامُ الإرادة حتى يفرد طلبه وإرادته ومطلوبه ، فلا يتقسَّم المطلوبُ ولا الطلب .

أما توحيد المطلــوب : أن لا يتعلق طلبــه وإرادتــه بغــير الله وما يقرِّبُ إليه ويدني منه .

وأما توحيده فى الطلب : أن يستأصل الطلبُ والإرادة نوازع الشهوات وجواذب الهوى ، وتسكن الإرادة فى أقطار النفس ، فتملأها فلا يدع فيها فضلاً لغير الانجذاب إلى جانب الحق جل جلاله ، فتتمحض الإرادة له ، ومتى تمحضت كان الزهد لصاحبها ضرورة ، فإنه يفرغُه لعمارة وقته وجمع قلبه على ما هو بصدده وقطع موارد طمعه اللاتى هى من أفسد شيء للقلب ، بل أصل المعاصي والفساد والفجور كله من الطمع ، فالزهد يقطع موادَّه ، ويفرغُ البال ، ويملأ القلب ، ويستحث الجوارح ، ويُذهب الوحشة التى بين العبد وبين ربه ويجلب الأنس به ، ويقوي الرغبة فى ثوابه إن ضعف عن الرغبة فى قُربه والدنو منه وذوق حلاوة معرفته ومحبته .

فالزاهدُ أروحُ الناس بدناً وقلباً ، فإن كان زهده وفراغه من الدنيا قبوله فى إرادة الله والدار الآخرة ، بحيث فرّغ قلبه لله ، وجعل حرصه على التقرُّب إليه ، وشُحَّه على وقته أن يضيع منه شيء فى غير ما هو أرضى لله وأحب إليه ، كان من أنعم الناس عيشاً ، وأقَرَّهم عيناً ، وأطيبهم نفساً ، وأفرحهم قلباً ، فإن الرغبة فى الدنيا تُشتت القلب وتُبدد الشمل ، وتطيل الهمَّ والغمَّ والحَزَن ، فهى عذابٌ حاضرٌ يؤدى إلى عذاب منتظر أشد منه ، وتفوت على العبد من النِّعم أضعاف ما يروم تحصيله بالرغبة فى الدنيا .

قال الإمام أحمد : حدثنا الهيثم بن جميل حدثنا محمد يعنى ابن مسلم عن إبراهيم يعنى ابن ميسرة عن طاوس قال : قال رسول الله ﷺ

" إن الزُهدَ فى الدنيا يريحُ القلبَ والبدنَ ، وإن الرغبةَ فى الدنيا تُطيلُ الهَمَّ والحزَنَ " (٤٣) .

وإنما تحصلُ الهمومُ والغمومُ والأحزانُ من جهتين :

إحداهما : الرغبةُ فى الدنيا والحرصُ عليها .

والثاني : التقصيرُ فى أعمال البرِّ والطاعة .

قال عبد الله بن أحمد : حدثنى بيان بن الحكم حدثنا محمد بن حاتم عن بشر بن الحارث قا حدثنا أبو بكر بن عياش عن ليث بن الحكم قال : قال رسول الله : " **إذا قَصَّر العبدُ بالعمل ابتلاه الله عز وجل بالهَمِّ** " (٤٣) .

وكما أن الرغبة فى الدنيا أصلُ المعاصى الظاهرة ، فهى أصلُ معاصى القلب ، من التَّسخط ، والحسد ، والكبر ، والفخر ، والخُيلاء والتكاثر ، وهذا كله من امتلاء القلب بها لا من كونها فى اليد ، وامتلاء القلب بها ينافي الشكر ، ورأس الشكر تفريغ القلب منها ، وبالله التوفيق .

---

٤٣ أخرجه أحمد فى " الزهد " (صـ١٦) ، ابن أبي الدنيا فى " ذم الدنيا " (١٣١) كلاهما من طريق الهيثم بن جميل حدثنا محمد يعنى ابن مسلم عن إبراهيم يعنى ابن ميسرة عن طاوس قال : قال رسول الله ﷺ .

قلت : وهذا مرسل ضعيف .

٤٣ **ضعيف جداً** .

أخرجه أحمد فى " الزهد " (صـ١٦) ، من طريق بشر بن الحارث أنبأنا أبو بكر بن عياش عن ليث عن الحكم قال : قال رسول الله ﷺ . وهذا إسناد معضل ومسلسل بالضعفاء .

وامتداد المال كامتداد العمر والجاه ، فخيركم فى الدنيا من طال عمره وحسن عمله ، فهكذا من امتدَّ ماله وكثر به خيره ، فنعم المرءُ ومالهُ وجاههُ ، إما أن يرفعه درجات ، وإما أن يضعه درجات .

وسرُّ المسألة : أن طريق الفقر والتقلل طريق سلامةٍ مع الصبر ، وطريق الغنى والسعة فى الغالب طريق عطب ، فإن اتقى الله فى ماله ووصل به رحمه ، وأخرج منه حق الله ، وليس مقصوراً على الزكاة بل من حقه إشباعُ الجائع ، وكسوةُ العري ، وإغاثةُ الملهوف ، وإعانةُ المحتاج والمضطر ، فطريقه طريق غنيمة وهى فوق السلامة ، فمثل صاحب الفقر كمثل مريض قد حُبس بمرضه عن أغراضه ، فهو يُثاب على حُسن صبره على حبسه ، وأما الغني فخطره عظيم فى جمعه وكسبه وصرفه ، فإذا سلم كَسْبُه وحَسُن أَخْذُه من وجهه وصَرَفَه فى حقه كان أنفع له ، فالفقير المتعبد المنقطع عن الناس ، والغني المنفق فى وجوه الخير كالمُعين والمُعلم والمُجاهد ، ولهذا جعله النبي ﷺ قرين الذى آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ، ويُعلمها ، فهو أحدُ المحسودين الذين لا ثالث لهما .

والجهلة يغبطون المُنقطع المُتخلى المقصور النفع على نفسه ، ويجعلونه أولى بالحسد من الغني المنفق والعالم المُعلم .

فإن قيل : فأيهما أفضل من يختار الغنى والتصدق والإنفاق فى وجوه البر ؟ أم من يختار الفقر والتقلل ، ليبعد عن الفتنة ويسلم من الآفة ، ويرفه قلبه على الاستعداد للآخرة فلا يشغله بالدنيا ؟ أم من لا يختار لا هذا ولا ذاك بل يختار ما اختاره الله له فلا يعين باختياره واحداً من الأمرين ؟

قيل : هذا موضع اختلف فيه حال السلف الصالح :

فمنهم من اختار المال للجهاد به ، والإنفاق ، وصرفه في وجوه البر ، كعبد الرحمن بن عوف وغيره من مياسير الصحابة ، وكان قيس بن سعد يقول : " اللهم إنّي من عبادك الذين لا يصلحهم إلا الغنى " .

ومنهم : من اختار الفقر والتقلل كأبي ذر وجماعة من الصحابة معه ، وهؤلاء نظروا على آفات الدنيا ، وخشوا الفتنة بها ، وأولئك نظروا إلى مصالح الإنفاق وثمراته العاجلة والآجلة .

والفرقة الثالثة لم تختر شيئاً بل كان اختيارُها ما اختاره الله لها .

وكذلك اختيار طول البقاء في الدنيا لإقامة دين الله وعبادته : فطائفة اختارته وتمنته ، وطائفة أحبت الموت ولقاء الله ، والراحة من الدنيا . وطائفة ثالثة لم تختر هذا ولا ذاك ، بل اختارت ما يختاره الله لها ، وكان اختيارهم مُعلقاً بما يُريده الله دون مراد معين منهم ، وهي حال الصديق ﷺ فإنهم قالوا له في مرض موته : ألا ندعو لك الطبيب ؟ فقال : " قد رآني " ، قالوا : فما قال لك ؟ قال : " قال لي : إني فعال لما أريد " [٤٤] .

والأولى : حال موسى عليه السلام ، فإنه لما جاءه ملك الموت لطمه ، ففقأ عينه ، ولم يكن ذلك حباً منه للدنيا والعيش فيها ، ولكن ليُنفذ أوامر ربه ، ويقيم دينه ، ويجاهد أعداءه فكأنه قال لملك الموت : أنت عبدٌ مأمور ، وأنا عبدٌ مأمور ، وأنا في تنفيذ أوامر ربي وإقامة

---

٤٤ تقدم في بداية الباب السابع عشر .

دينه ، فلما عُرضت عليه الحياة الطويلة وعلم أن الموت بعدها اختار ما اختاره الله له " (٤٥) .

وأما نبينا صلوات الله وسلامه عليه ، فإن ربه أرسل إليه يخبره وكان أعلم الخلق بالله ، فعلم أن ربه تبارك وتعالى يُحبُّ لقاءه ويختاره له فاختار لقاء الله ، ولو علم أن ربه يحبُّ له البقاء فى الدنيا لتنفيذ أوامره وإقامة دينه لما اختار غير ذلك ، فكان اختياره تابعاً لاختيار ربه عز وجل ، فكما أنه لما خيَّره ربُّه عز وجل بين أن يكون ملكاً نبياً وبين أن يكون عبداً نبياً اختار ما اختاره الله له ، فكان اختياره فى جميع أموره تابعاً لاختيار الله له .

ولهذا يوم الحديبية احتمل ما احتمل من تلك الحال فى ذاك الوقت ، ووفّى هذا المقام حقه ، ولم يثبت عليه من كل وجه إلا الصدّيق ، فلم يكن له اختيار سوى ما اختاره الله له ولأصحابه من تلك الحال التى تقرر الأمر عليها ، فكان راضياً بها مختاراً لها مشاهداً اختيار ربه لها وهذا غاية العبودية ، فشكر الله له ذلك ، وجعل شكرانه ما بَشَّرَه به فى أول سورة الفتح حتى هنَّأه الصحابةُ به ، وقالوا : هنيئاً لك يا رسول الله ، وحُقَّ له أن يُهَنَّأ بأعظم ما هُنئَ به بشر صلوات الله وسلامه عليه .

ومما ينبغي أن يُعلم : أن كُل خَصلةٍ من خصال الفَضْل قد أَحَلّ اللهُ رسوله ﷺ فى أعلاها ، وخصه بذروة سنامها ، فإذا احتجت بحاله فرقةٌ

٤٥ أخرجه البخارى فى كتاب " أحاديث الأنبياء " (٣٤٠٧) ، مسلم فى كتاب " الفضائل " (٢٣٧٢) .

من فرق الأمة التى تعرّفت تلك الخصال وتقاسمتها على فضلها على غيرها أمكن الفرقة الأخرى أن تحتج به على فضلها أيضاً :

فإذا احتج به الغزاةُ والمجاهدون على أنهم أفضل الطوائف ، احتج به العلماء والفقهاء على مثل ما احتج به أولئك .

وإذا ما احتج له الزهاد والمتخلفون عن الدنيا على فضلهم ، احتج به الداخلون فى الدنيا والولاية وسياسة الرّعية لإقامة دين الله ، وتنفيذ أمره .

وإذا احتج به الفقير الصابرُ احتج به الغنيُّ الشاكر .

وإذا احتج به أهل العبادة على فضل نوافل العبادة وترجيحها ، احتج به العارفون على فضل المعرفة .

وإذا احتج به أرباب التواضع والحلم احتج به أرباب العز وقهر بالمبطلين والغلظة عليهم والبطش بهم .

وإذ احتج به أرباب الوقار والهيبة والرزانة ، احتج به أرباب لخلق الحسن والمزاح المباح الذى لا يخرج عن الحق وحسن العشرة للأهل والأصحاب .

وإذ احتج به أصحاب الصدع بالحق والقول به فى المشهد والمغيب احتج به أصحاب المداراة والحياء والكرام أن يبادروا الرجل بما يكرهه فى وجهه .

وإذا احتـــج به المتورعــون على الورع المحمــود ، احتـــج به الميسرون المسهلون الذين لا يخرجون عن سعة شريعته ويسرها وسهولتها .

وإذا احتج به من صرف عنايته إلى إصلاح دينه وقلبه ، احتج به من راعى إصلاح بدنه ومعيشته ودنياه ، فإنه ﷺ بُعث لصلاح الدنيا والدين .

وإذا احتج به من لم يعلق قلبه بالأسباب ولا ركن إليها ، احتج به من قام بالأسباب ووضعها مواضعها وأعطاها حقها .

وإذا احتج به من جاع وصبر على الجوع ، احتج به من شبع وشكر ربه على الشبع .

وإذا احتج به من أخذ بالعفو والصفح والاحتمال ، احتج به من انتقم عن مواضع الانتقام .

وإذا احتج به من أعطى لله ووالى لله ، احتج به من منع لله وعادى لله .

وإذا احتج به من لم يدخر شيئاً لغد ، احتج به من ادخر لأهله قوت سنة .

وإذا احتج به من يأكل الخشن من القوت والأدم كخبز الشعير والماء والخل ، احتج به من يأكل اللذيذ الطيب كالشوي والحلوى والفاكهة والبطيخ ونحوه .

وإذا احتج به من سرد الصوم ، احتج به من لم يسرد الفطر ، فكان يصوم حتى يُقال لا يفطر ، ويفطر حتى يُقال لا يصوم .

وإذا احتج به من رغب عن الطيبات والمشتهيات ، احتج به من أحب أطيب ما فى الدنيا وهو النساء والطيب .

وإذا احتج به من ألان جانبه وخفض جناحه لنسائه ، احتج به من أدبهن وآلمهن وطلق وهجر وخيَّرهن .

وإذا احتج به من ترك أسباب المعيشة بنفسه ، احتج به من باشرها بنفسه فآجر واستأجر ، وباع واشترى ، واستسلف ، وأدان ورهن .

وإذا احتج به من يجتنب النساء بالكلية فى الحيض والصيام ، احتج به من يُباشر امرأته وهو حائض بغير الوطء ، ومن يُقَبِّل امرأته وهو صائم .

وإذا احتج به من رحم أهل المعاصي بالقَدَر ، احتج به من أقام عليهم حدود الله ، فقطع يد السارق ، ورجم الزاني ، وجلد الشارب .

وإذا احتج به من أرباب الحُكم بالظاهر ، احتج به أرباب السياسة الأدلة المبنية على القرائن الظاهرة ، فإنه حَبَس فى تهمة ، وعاقب فى تهمة ، وأخر عن نبي الله سليمان أنه عليه السلام حَكَم بالولد للمرأة بالقرينة الظاهرة مع اعترافها لصاحبتها به ، فلم يحكم بالاعتراف الذى ظهر له بطلانُه بالقرينة [٤٦] .

وترجم أبو عبد الرحمن على الحديث ترجمتين :

إحداهما : قال : التوسعة للحاكم أن يقول للشيء الذى لا يفعله : افعله ليستبين به الحق .

---

٤٦ أخرجه البخارى معلقاً فى كتاب " أحاديث الأنبياء " (٣٤٢٧) ووصله فى كتاب " كفارات الإيمان " (٦٧٦٩) ، مسلم فى كتاب" اللقطة " (١٧٢٠) من حديث أبي هريرة ﷺ .

ثم قال الحكم بخلاف ما يعترف به المحكوم عليه ، إذا تبين للحاكم أن الحقّ غير ما اعترف به .

وكذلك الصحابة عملوا بالقرائن في حياته وبعده .

فقال علي ﷺ للمرأة التي حَمَلت كتاب حاطب : " لَتُخرجن الكتاب أو لأُجرِّدنَّك " (٤٧) .

وحدَّ عمر ﷺ في الزنى بالحبل ، وفي الخمر بالرائحة .

وحكى الله سبحانه عن شاهد يوسف حكاية مقرر غير منكر أنه حكم بقرينة شق القميص من دبر على براءته .

وقال ﷺ لابن أبي الحقيق وقد زعم أن النفقة أذهبت كنز حيي بن أخطب : " **العهد قريب والمال أكثر من ذلك** " (٤٨) ، فاعتبر قرينتين دالتين على بقاء المال وعاقبه حتى أقر به .

وجوز لأولياء القتيل أن يحلفوا على رجل أنه قتله ، يقتلونه به بناء على القرائن المرجحة صدقهم .

---

٤٧ أخرجه البخاري في " صحيحه " كتاب " المغازي " (٤٢٧٤) ، من حديث علي بن أبي طالب .

٤٨ **إسناده صحيح** .

أخرجه ابن حبان كما في " الإحسان " (٥١٩٩) ، البيهقي في " السنن الكبير" (١٣٧/٩) ، وفي " دلائل النبوة " (٢٢٩/٤ –٢٣١) من حديث عبد الله بن عمر .

قلت : وأصل الحديث أخرجه الشيخان في " صحيحيهما " في البخاري (٢٣٢٨) ، مسلم (١٥٥١) .

وشرع الله سبحانه رجم المرأة إذا شهد عليها زوجها في اللعان ، وأبت أن تلاعن للقرينة الظاهرة على صدقه .

وشريعته ﷺ طافحة بذلك لمن تأملها ، فالحكم بالقرائن الظاهرة من نفس شريعته ، وما جاء به فهو حجة لقضاة الحق وولاة العدل ، كما أنه حجة على قضاة السوء وولاة الجور ، والله المستعان .

والمقصود بهذا الفصل : أنه ليس الفقراء الصابرون بأحق به ﷺ من الأغنياء الشاكرين ، وأحق الناس به أعلمهم بسنته ، وأتبعهم لها ، وبالله التوفيق .



الفصل الخامس والعشرون

فى بيان الأمور المضادة للصبر والنافية له والقادحة فيه

لما كان الصبر حبس اللسان عن الشكوى إلى غير الله ، والقلب عن التسخط ، والجوارح عن اللطم وشق الثياب ونحوها ، كان ما يضاده واقعاً على هذه الجملة .

فمنه : الشكوى إلى المخلوق ، فإذا شكا العبد ربه إلى مخلوق مثله فقد شكا من يرحمه على من لا يرحمه ، ولا تضاده الشكوى إلى الله كما تقدم فى شكاية يعقوب إلى الله مع قوله : ﴿ **فَصَبْرٌ جَمِيلٌ** ﴾ [يوسف : ١٨ ، ٨٣]

وأما إخبار المخلوق بالحال ، فإن كان للاستعانة بإرشاده أو معاونته والتوصل على زوال ضرورة لم يقدح ذلك فى الصبر ، كإخبار المريض للطبيب بشكايته ، وإخبار المظلوم لمن ينتصر به بحاله ، وإخبار المبتلى ببلائه لمن كان يرجو أن يكون فرجه على يديه .

وقد كان البني ﷺ إذا دخل على المريض يسأله عن حاله ويقول : " **كيف تجدك** " [١] ، وهذا استخبار منه واستعلام بحاله .

---

١ إسناده فيه كلام .

وأما الأنين فهل يقدح فى الصبر : فيه روايتان عن الإمام أحمد .

قال أبو حسين : أصحهما الكراهة ، لما روى عن طاوس : أنه كان يكره الأنين فى المرض . وقال مجاهد : كل شيء يكتب على ابن آدم مما يتكلم حتى أنينه فى مرضه . قال هؤلاء : وإن الأنين شكوى بلسان الحال ينافي الصبر .

وقال عبد الله بن الإمام أحمد : قال لي أبي فى مرضه الذى توفي فيه : اخرج إليَّ كتاب عبد الله بن إدريس فأخرجت الكتاب ، فقال : أخرج أحاديث ليث بن أبي سليم فأخرجت أحاديث ليث ، فقال : اقرأ عليّ أحاديث ليث . قال : قلت لطلحة : إن طاوس : كان يكره الأنين فى المرض ، فما سُمع له أنين حتى مات ، فما سمعت أبي أنّ فى مرضه ذلك إلى أن تُوفي .

والرواية الثانية : أنه لا يكره ، ولا يقدح فى الصبر ، قال بكر بن محمد عن أبي : سُئل أحمد عن المريض يشكو ما يجد من الوجع ؟ فقال : تعرف فيه شيئاً عن رسول الله ﷺ ؟ قال : نعم حديث عائشة " **وا رأساه** " [٢] وجعل يستحسنه .

= أخرجه الترمذى (٩٨٣) وقال : هذا حديث حسن غريب ، ابن ماجة (٤٢٦١) النسائي فى " عمل اليوم والليلة " (١٠٦٢) ، ابن أبي الدنيا فى" حسن الظن بالله " (٣١) من طرق عن جعفر بن سليمان عن ثابت عن أنس .

قلت : وهذا إسناد ظاهره السلامة لكن رواية جعفر بن سليمان عن ثابت البنانى فيها كلام .

٢ أخرجه البخارى فى كتاب " المرض " (٥٦٦٦) من حديث عائشة رضى الله عنها .

وقال المروذى : دخلت على أبي عبد الله وهو مريض ، فسألته فتغرغرت عينه ، وجعل يخبرنى ما مر به فى ليلته من العلة .

والتحقيق : أن الأنين على قسمين . أنين شكوى فيُكره ، وأنين استراحة وتفريج فلا يُكره ، والله أعلم .

وقد روى فى أثر : " أن المريض إذا بدأ بحمد الله ثم أخبر بحاله لم يكن شكوى " .

وقال شقيق البلخي : " من شكى من مصيبة نزلت به إلى غير الله لم يجد فى قلبه حلاوة لطاعة الله أبداً " .

والشكوى نوعان : شكوى بلسان القال . وشكوى بلسان الحال ولعلها أعظمها . ولهذا أمر النبي ﷺ من أُنعم عليه أن يظهر نعمة الله عليه ، وأعظم من ذلك من يشتكى ربه وهو بخير ، فهذا أمقت الخلق عند ربه . قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الله بن يزيد حدثنا كهمس عن عبد الله بن شقيق قال : قال كعب الأحبار : " إن من حسن العمل سبحة الحديث ، ومن شر العمل التحذيف " قيل لعبد الله : ما سبحة الحديث ؟ قال : سبحان الله وبحمده فى خلالِ الحديث . قيل : فما التحذيف ؟ قال : يصبح الناس بخير فيسألون فيزعمون أنهم بِشَرٍّ .

ومما ينافى الصبر : شق الثياب عن المصيبة ، ولطم الوجه ، والضرب بإحدى اليدين على الأخرى ، وحلق الشعر ، والدعاء بالويل ولهذا برئ النبي ﷺ ممن سلق وحلق وخرق . سلق : رفع صوته عند المصيبة ، وحلق رأسه وشق ثيابه ، ولا ينافيه البكاء والحزن .

قال الله تعالى عن يعقوب : **﴿ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴾** [يوسف : ٨٤] .

قال قتادة : " كظيم على الحزن ، فلم يقل إلا خيراً " [٣] .

وقال حماد بن سلمة عن علي بن يزيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال : " **ما كان من العين ومن القلب فمن الله والرحمة ، وما كان من اليد واللسان فمن الشيطان** " [٤] .

وقال هشيم عن عبد الرحمن بن يحيى عن حبان بن أبي جبلة قال : قال رسول الله ﷺ : " **من بث لم يصبر** " [٥] .

وقال خالد بن أبي عثمان مات ابن لي فرآني سعيد بن جبير متقنعاً فقال : " إياك والتقنيع ، فإنه من الاستكانة " .

وقال بكر بن عبد الله المزنى : " كان يقال من الاستكانة الجلوس فى البيت بعد المصيبة " .

وقال عُبيد بن عُمير : " ليس الجزع أن تدمع العين ويحزن القلب ، ولكن الجزع القول السَّيِّء والظنُّ السَّيِّئ " .

وسئل القاسم بن محمد عن الجزع ؟ فقال " القول السيء والظن السيئ " ومات ابنٌ لبعض قضاة البصرة ، فاجتمع إليه العلماء والفقهاء فتذاكروا ما يتبين به جزع الرجل من صبره ، فأجمعوا : أنه إذا ترك شيئا مما كان يصنعه ، فقد جزع .

---

٣ أورده صاحب " كنز العمال " برقم (٤٢٤٥) وعزاه إلى أبي نعيم فى " حلية الأولياء " .

٤ تقدم الكلام عليه فى الباب السابع عشر .

٥ انظر ما قبله .

وقال الحسن بن عبد العزيز الجروي : مات ابن لي نفيسٌ ، فقلت لأمه أتَّقِ الله واحتسبيه ، واصبري . فقالت : مصيبتي به أعظمُ من أن أفسدها بالجزع .

وقال عبد الله بن المبارك : أتى رجل يزيد بن يزيد وهو يصلي وابنه في الموت ، فقال : ابنك يقضي وأنت تصلي ؟ فقال : إن الرجُلَ إذا كان له عملٌ يعمله ، فتركه يوماً واحداً كان ذلك خللاً في عمله .

وقال ثابت : أصيب عبد الله بن مُطرِّف بمصيبة فرأيته أحسن شيء شارة وأطيبه ريحاً ، فذكرت له ما رأيت ، فقال : تأمرني يا أبا محمد أن أستكين للشيطان ، وأريه أنه قد أصابني سوء ، والله يا أبا محمد : لو كانت لي الدنيا كلها ، ثم أخذها مني ، ثم سقاني شربة يوم القيامة ما رأيتها ثمناً لتلك الشربة .

وقال الحسن بن الصباح في " مسنده " : حدثنا خلف بن تميم حدثنا زافر بن سليمان عن عبد العزيز بن أبي داود عن نافع عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : " **من البِّر كتمانُ المصائب والأمراض والصدقة ، وذكر أنه من بث فلم يصبر** " [٦] .

وروى من وجه آخر عن الحسن يرفعه: " من البر كتمان المصائب وما صبر من بث " .

ولما نزل في إحدى عيني عطاء الماءُ مكث عشرين سنة لا يُعلمُ به أهله حتى جاء ابنه يوماً من قبَل عينيه ، فَعَلم أن الشيخ قد أُصيب .

---

٦ انظر رقم (٤) .

ودخل رجلٌ على داود الطائي في فراشه فرآه يرجُف ، فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، فقال : لا تُعْلِم بهذا أحدٌ ، وقد أُقعد قبل ذلك أربعة أشهر لا يعلم بذلك أحداً .

وقال مغيرة : شكى الأحنفُ إلى عمّه وجعَ ضرسه ، فكرر ذلك عليه ، فقال : ما تكرر علي ، لقد ذهبت عيني منذ أربعين سنة فما شكوتها إلى أحد .

ويضاد الصبر الهَلَعُ ، وهو : الجَزَعُ عند ورود المصيبة ، والمنعُ عند ورود النّعمة قال تعالى ﴿ **إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً (١٩) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً (٢٠) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً (٢١)** ﴾ [المعارج : ١٩ - ٢٠] .

وهذا تفسير الهلوع : قال الجوهري : الهلع : أفحشُ الجَزع ، وقد هَلِع بالكسر ، فهو هَلِعٌ وهَلوع ، وفي الحديث : " شر ما في العبد شُحٌّ هالع ، وَجُبْنٌ خالع " (٧) .

قلتُ : **هنا أمران : أمرٌ لفظي ، وأمرٌ معنوي .**

فأما اللفظي : فإنه وصف الشُحَّ بكونه هالعاً والهالعُ صاحبُه ، وأكثر ما يسمى هلوعاً ، ولا يقال هالِعٌ له ؛ فإنه لا يتعدى ، ففيه وجهان : **أحدهما** : أنه على النسب ، كقولهم : ليلٌ نائمٌ ، وسرٌّ كاتمٌ ،

---

٧ **إسناده صحيح .**

أخرجه أحمد (٣٠٢/٢ ، ٣٢٠) ، أبو داود (٢٥١١) ، ابن أبي شيبة في " مصنفه " (٩٨/٩) ، ابن حبان كما في " الإحسان " (٣٢٥٠) ، أبو نعيم في " حلية الأولياء " (٥٠/٩) ، البخاري في " التاريخ الكبير" (٨/٦ -٩) ، إسحاق ابن راهوية في " مسنده " (٣٤٢) .

ونهارٌ صائمٌ ، ونومٌ عاصفٌ ، كلُّه عند سيبويه على النَسب ، أي : ذو كذا كما قالوا : نامرٌ ، ولابنٌ .

والثاني : أن اللفظـــة غُيِّرت عن بابهـــا للازدواج مع خالع ، وله نظير .

وأما المعنوي : فإن الشح والجبن أردى صفتين فى العبد ، ولا سيما إذا كان شُحُّه هالعاً ؛ أى مُلقٍ له فىالهَلَع ، وجبنه خالعاً ، أى : قد خلع قلبه من مكانه ، فلا سماحة ، ولا شجاعة ، ولا نفعَ بماله ولا ببدنه ، كما يقال : لا طعنة ولا جفنة ، ولا يطرُدَ ولا يَشْرُدُ ، بل قد قمعه وصغَّره ودسّاه الشُّحُّ والخوفُ والطمعُ والفزعُ .

وإذ أردت معرفة الهلوع ، فهو الذى إذا أصابه الجوعُ مثلاً أظهر الاستجاعة وأسرع بها ، وإذا أصابه الألمُ أسرع إلى الشكاية وأظهرها وإذا أصابه القهر أظهر الاستطامة والاستكانة وباء بها سريعاً . وإذا أصابه الجوع أسرع الانطراح على جنبه ، وأظهر الشكاية . وإذا بدا له مأخذُ الطمع طار إليه سريعاً . وإذا ظفر به أهله من نفسه محلَّ الروح فلا احتمال ولا إفضال ، وهذا كله من صِغَرِ النَّفس ودنائتها ، وتدسيسها فى البدن وإخفائها وتحقيرها . والله المستعان .

❁ ❁ ❁

الباب السادس والعشرون

فى بيان دخول الصبر والشكر فى صفات الرب جل جلاله
وتسميته بالصبور والشكور
ولو لم يكن الصبر والشكر من الفضيلة إلا ذلك لكفى به

أما الصبر فقد أطلقه عليه أعرفُ الخلق به وأعظمهم تنزيهاً له بصيغة المبالغة ، ففى " الصحيحين " من حديث الأعمش عن سعيد بن جبير عن أبي عبد الرحمن السلمي عن أبي موسى عن النبي ﷺ قال : " **ما أحدٌ أصبرُ على أذى سَمعه من الله عز وجل ، يدعون له ولداً وهو يعافيهم ويرزقهم** "[1] .

وفى أسمائه الحسنى الصبور ، وهو من أمثلة المبالغة ، أبلغ من الصابر والصبَّار ، وصبره تعالى يفارق صبر المخلوق ولا يُماثله من وجوه متعددة : منها : أنه عن قدرة تامة . ومنها أنه لا يخاف الغوث ، والعبدُ إنما يستعملُ الخوف بالغوث . ومنها : أنهلا يلحقه ألمٌ ولا حزّن ولا نقص بوجه ما .

وظهور أكثر هذا الاسم فى العالم مشهور بالعيان كظهور اسمع الحليم . والفرق بين الصبر والحلم : أن الصبر ثمرة الحلم وموجبة ، فعلى قدر حلم العبد يكون صبره ، فالحلم فى صفات الرب تعالى أوسع من الصبر ، ولهذا جاء اسمه الحليم فى القرآن فى غير موضع ،

---

١ أخرجه البخارى فى باب " الاعتصام بالسنة " (٧٣٧٨) ، مسلم فى كتاب " صفات المنافقين وأحكامهم " (٢٨٠٤) .

ولسعته يقرنه سبحانه باسم العليم ، كقوله تعالى : ﴿ **وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَلِيماً** ﴾ [الأحزاب : ٥١] ، ﴿ **وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ** ﴾ [النساء : ١٢] .

وفى أثر : " أن حملة العرش أربعة : اثنان يقولان سبحانك اللهم وبحمدك ، لك الحمد على حلمك بعد علمك ، واثنان يقولان : سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك " .

فإن المخلوق يحلم عن جهل ، ويعفو عن عجز ، والربُّ تعالى يحلم مع كمال علمه ، ويعفو مع تمام قدرته ، وما أُضيف من شيء إلى شيء أزين من حلم إلى علم ، ومن عفو إلى اقتدار ، ولهذا كان فى دعاء الكرب وصف سبحانه بالحلم مع العظمة ، وكونه حليماً من لوازم ذاته سبحانه .

وأما صبره سبحانه فمتعلق بكفر العباد ، وشركهم ، ومسبتهم له سبحانه ، وأنواع معاصيهم وفجورهم ، فلا يزعجه ذلك كله إلى تعجيل العقوبة بل يصبر على كيده ، ويمهله ، ويستصلحه ، ويرفق به ، ويحلم عنه ، حتى إذا لم يبق فيه موضع للضيعة ، ولا يصلح على الإمهال والرفق والحلم ، ولا ينيب إلى ربه ويدخل عليه ، لا من باب الإحسان والنعم ، ولا من باب البلاء والنقم ، أخذه أخذ عزيز مقتدر ، بعد غاية الإعذار إليه ، وبذل النصيحة له ودعائه إليه من كل باب ، وهذا كله من موجبات صفة حلمه ، وهى صفة ذاتية له لا تزول .

وأما الصبر فإذا زال متعلقه كان كسائر الأفعال التى توجب وجود الحكمة وتزول بزوالها ، فتأمله ، فإنه فرق لطيف ما عثرت الحذاق بعشره ، وقل من تنبه له ونبه عليه ، وأشكل على كثير منهم هذا الاسم .

وقالوا : لم يأت فى القرآن فأعرضوا عن الاشتغال به صفحاً ، ثم اشتغلوا بالكلام فى صبر العبد وأقسامه ، ولو أنهم أعطوا هذا الاسم حقه لعلموا أن الربَّ أحقُ به من جميع الخلق كما هو أحقُ باسم العليم والرحيم ، والقدير ، والسميع ، والبصير ، والحيِّ ، وسائر أسمائه الحسنى من المخلوقين ، وأن التفاوت الذى بين صبره سبحانه وصبرهم كالتفاوت الذى بين حياته وحياتهم ، وعلمه وعلمهم ، وسمعه وأسماعهم ، وكذا سائرُ صفاته .

ولما علم ذلك أعرف خلقه به قال : " **لا أحد أصبرُ على أذى سمعه من الله** " (٢) .

فعلم أرباب البصائر بصبره سبحانه كعلمهم برحمته ، وعفوه ، وستره ، مع أنه صبرٌ مع كمال علم وقدرة وعظمة وعزّة ، وهو صبرٌ من أعظم مصبور عليه ، فإن مقابلة أعظم العظماء وملك الملوك وأكرم الأكرمين ومن إحسانه فوق كل إحسان بغاية القبح ، وأعظم الفجور ، وأفحش الفواحش ، ونسبته إلى كل ما لا يليق به ، والقدح فى كماله وأسمائه وصفاته ، والإلحاد فى آياته ، وتكذيب رسله عليهم السلام ، ومقابلتهم بالسب ، والشتم ، والأذى ، وتحريق أوليائه ، وقتلهم ، وإهانتهم ، أمر لا يصبر عليه إلا الصبور الذى لا أحد أصبر منه ، ولا نسبة لصبر جميع الخلق من أولهم إلى آخرهم إلى صبره سبحانه ، وإذا أردت معرفة صبر الربِّ تعالى وحلمه والفرق بينهما ، فتأمل قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً (٤١)** ﴾ [فاطر : ٤١]

---

٢ انظر ما قبله .

وقوله : ﴿ **وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَداً (٨٨) لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِدّاً (٨٩) تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدّاً (٩٠) أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَداً** ﴾ [مريم : ٨٨ – ٩١] ، وقوله : ﴿ **وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لَتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ** ﴾ [إبراهيم : ٤٦] على قراءة من فتح اللام .

فأخبر سبحانه أن حلمه ومغفرته يمنعان زوال السماوات والأرض فالحلم وإمساكهما أن تزولا هو الصبر فبحلمه صبر على معالجة أعدائه ، وفى الآية إشعار بأن السماوات والأرض تَهمُّ وتستأذنُ بالزّوال لعظم ما يأتى به العباد ، فيمسكها بحلمه ومغفرته وذلك حبس عقوبته عنهم ، وهو حقيقة صبره تعالى ، فالذى عنه الإمساك هو صفة الحلم ، والإمساك هو الصبر وهو حبسُ العقوبة ، ففرقٌ بين حبس العقوبة وبين ما صدر عنه حبسها ، فتأمله .

وفى " مسند " الإمام أحمد مرفوعاً : " **ما من يــوم إلا والبحــر يستأذن ربَّه أن يُغْرق بني آدم** " [٣] .

وهذا مقتضى الطبيعة ، لأن كُرَةَ الماء تعلو كُرةَ التُراب بالطبع ، ولكن الله يُمسكه بقدرته وحلمه وصبره ، وكذلك خرور الجبال وتفطيرُ السماوات الرَبُّ تعالى يحبسها عن ذلك بصبره وحلمه ، فإن ما يأتى

---

٣ **ضعيف** .

أخرجه أحمد (٤٣/١) ، إسحاق بن راهوية فى " مسنده " كما فى " المطالب العالية " (١٧٦/٢) ، ابن كثير فى " مسند الفاروق " (٦٠٧/٢ – ٦٠٨) من طريق يزيد أنبأنا العوام حدثني شيخ كان مرابط بالساحل قال : لقيت أبا صالح مولى عمر بن الخطاب ﷺ فقال : حدثنا عمر بن الخطاب .

قلت : وفى إسناده مجهول ، وهو الراوي عنه العوام بن حوشب .

به الكفار والمشركون والفجار فى مقابلة العظمة والجلال والإكرام ، يقتضى ذلك ، فجعل سبحانه فى مقابلة هذه الأسباب أسباباً يحبها ويرضاها ويفرح بها أكمل فرح وأتمه ، تقابل تلك الأسباب التى هى سبب زوال العالم وخرابه ، فدفعت تلك الأسباب وقاومتها ، وكان هذا من آثار مدافعة رحمته لغضبه ، وغلبتها له ، وسبقها إياه ، فغلب أثر الرحمة أثر الغضب كما غلبت الرحمة الغضب ، ولهذا استعاذ النبي ﷺ بصفة الرضا من صفة السخط ، وبفعل المعافاة من فعل العقوبة ، ثم جمع الأمرين فى الذات إذ هما قائمان بها ، فقال : " **أعوذ برضاك من سخطك ، وأعوذ بعفوك من عقوبتك ، وأعوذ بك منك** " [٤] ، فإن ما يستعاذُ به هو صادر عن مشيئته وخلقه بإذنه وقضائه فهو الذى أذن فى وقوع الأسباب التى يستعاذُ منها خلقاً وكوناً ، فمنه السبب والمسبب وهو الذى حرّك الأنفس والأبدان وأعطاها قوى التأثير ، وهو الذى أوجدها وأعدَّها ومدَّها وسلَّطها على ما شاء ، وهو الذى يمسكها إذا شاء ، ويحولُ بينها وبين قواها وتأثيرها .

فتأمل ما تحت قوله : " **أعوذ بك منك** " من محض التوحيد ، وقطع الالتفات إلى غيره ، وتكميل التوكل عليه تعالى ، والاستعانة به وحده وإفراده بالخوف والرَّجاء ، ودَفع الضُرِّ وجلب الخير ، وهو الذى يَمَسُّ بالضُرِّ بمشيئته ، وهو الذى يدفعه بمشيئته ، وهو المستعاذُ بمشيئته من مشيئته ، وهو المعيذُ من فعله بفعله ، وهو الذى سبحانه خلق ما يصبر عليه ، وما يرضى به ، فإذا أغضبه معاصى الخلق وكفرهم ،

---

٤ أخرجه مسلم فى " صحيحه " كتاب " الصلاة " (٤٨٦) من حديث عائشة رضى الله عنها.

وشركهم ، وظُلمهم أرضاه تسبيح ملائكته وعباده المؤمنين له ، وحمدهم إياه ، وطاعتُهم له ، فيعيذُ رضاه من غضبه .

قال عبد الله بن مسعود ﷺ : " ليس عند ربكم ليلٌ ولا نهارٌ ، نورُ السماوات والأرض من نور وجهه ، وإن مقدار يوم من أيامكم عنده اثنتا عشرة ساعة ، فتعرض عليه أعمالكم بالأمس أول النهار اليوم ، فينظر فيها ثلاث ساعات ، فيطَّلع منها على ما يكره فيُغضبه ذلك ، فأول ما يعلمُ بغضبه حملة العرش يجدونه يثقل عليهم ، فتسبحه حملة العرش وسرادقات العرش والملائكة المقربون وسائر الملائكة ، حتى ينفُخَ جبريل فى القرن فلا يبقى شيء إلا يسمع صوته ، فيسبحون الرحمن ثلاث ساعات حتى يمتلئ الرحمن رحمة ، فتلك ست ساعات ، قال ثم يؤتى بالأرحام فينظر فيها ثلاث ساعات ، فذلك قوله تعالى : ﴿ **هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ** ﴾ [آل عمران : ٦] ، و ﴿ **يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثاً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ (٤٩) أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَاناً وَإِنَاثاً وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيماً** ﴾ [الشورى : ٤٩ – ٥٠] فتلك تسعُ ساعات ثم يؤتى بالأرزاق فينظر فيها ثلاث ساعات فذلك قوله : ﴿ **يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ** ﴾ [الرعد : ٢٦] وقوله : ﴿ **كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ** ﴾ [الرحمن : ٢٩] هذا شأن ربكم " (٥) .

---

٥ **ضعيف .**

أخرجه الدارمى فى " الرد على المريسى " (٩١) ، وابن منده فى " الرد على الجهمية " (صـ٩٧) ، الطبرانى فى " الكبير" (٨٨٨٦) ، أبو نعيم فى " حلية الأولياء" (١٣٧/١) ، أبو الشيخ فى كتاب" العظمة " (٤٧٧/٢ – ٤٧٨) =

رواه أبو القاسم الطبراني فى " السنة " وعثمان بن سعيد الدارمي ، وشيخ الإسلام الأنصاري ، وابن منده وابن خزيمة ، وغيرهم .

ولما ذكر سبحانه فى سورة الأنعام أعداءَه وكفْرَهم وشركَهم وتكذيب رُسُله ، ذكر فى أثرَ ذلك : شأن خليله إبراهيم ، وما أراه من ملكوت السماوات والأرض ، وماحاجّ به قومه فى إظهار دين الله وتوحيده ، ثم ذكر الأنبياء من ذريته وأنه هداهم وآتاهم الكتاب والحُكم والنبوة ، ثم قال : ﴿ **فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْماً لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ** ﴾ [الأنعام : ٨٩] فأخبر أنه سبحانه كما جعل فى الأرض من يكفرُ به ، ويجحدُ توحيده ، ويكذِّب رسله كذلك جعل فيها من عباده من يؤمنُ بما كفر به أولئك ، ويصدقُ بما كذبوا به ، ويحفظُ من حرماته ما أضاعوه ، وبهذا تماسك العالمُ العلوي والسفلي ، وإلا فلو تَبع الحقُّ أهواء أعدائه لفسدت السماوات والأرض ومن فيهن ، ولخرب العالم ، ولهذا جعل سبحانه من أسباب خراب العالم رفع الأسباب المُمسكة له من الأرض ، وهى : كلامه ، وبيتُه ، ودينُه ، والقائمون به ، فلا يبقى لتلك الأسباب المقتضية لخراب العالم أسباب تقاومُها وتمانعُها .

ولما كان اسم الحليم أدخل فى الأوصاف ، واسم الصبور فى الأفعال ، كان الحلمُ أصل الصبر ، فوقع الاستغناءُ بذكره فى القرآن عن اسم الصبور ، والله أعلم .

= كلهم من طرق عن الزبير بن عبد السلام بن أيوب بن عبد الله بن كرز عن عبد الله بن مسعود .

وأورده الهيثمى فى " مجمع الزوائد " (٨٥/١) وقال : رواه الطبرانى فى " الكبير " وفيه أبو عبد السلام قال أبو حاتم مجهول . وهو كما قال .

وأما تسميته سبحانه بالشكور ، فهو فى حديث أبي هريرة [٦].

وفى القرآن تسميته شاكراً ، قال الله تعالى : ﴿ **وَكَانَ اللَّهُ شَاكِراً عَلِيماً** ﴾ [النساء : ١٤٧] .

وتسميته أيضاً شكوراً ، قال الله تعالى : ﴿ **وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ** ﴾ [التغابن : ١٧] ، وقال تعالى : ﴿ **إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُوراً** ﴾ [الإنسان : ٢٢] ، فجمع لهم سبحانه بين الأمرين : أن شكر سعيهم وأثابهم عليه ، والله تعالى يشكرُ عبده إذا أحسن طاعته ، ويغفرُ له إذا تاب إليه ، فيجمع للعبد بين شكره لإحسانه ومغفرته لإساءته إنه غفور شكور .

وقد تقدم فى الباب العشرين ذكرُ حقيقة الشكر للعبد ، وأسبابه ، ووجوهه .

وأما شكرُ الربِّ تعالى فله شأن آخر ، كشأن صبره ، فهو أولى بصفة الشكر من كل شكور ، بل هو الشكور على الحقيقة ، فإنه يعطى

---

٦ **ضعيف .**

أخرجه الترمذى (٣٥٠٧) وقال هذا حديث غريب ، ابن حبان كما فى " الإحسان " (٨٠٨) ، الطبرانى فى" الدعاء" (١١١) ، البغوى فى " شرح السنة " (١٢٥٠) ، ابن منده فى " التوحيد " (٢٣٢ ، ٢٤٥) ، البيهقى فى " السنن الكبير" (١٠/٢٧ – ٢٨) ، وفى " الأسماء والصفات " (٦) ، وفى " شعب الإيمان " (١٠٢) كلهم من طرق عن الوليد بن مسلم عن شعيب بن أبي حمزة عن أبي الأناد عن الأعرج عن أبي هريرة .

قلت : وفى إسناده الوليد بن مسلم مدلس تدليس التسوية ولم يصرح إلى نهاية السند .

العبد ويوفقه لما يشكره عليه ، ويشكر القليل من العمل والعطاء فلا يستقله أن يشكره ، ويشكر الحسنة بعشر أمثالها إلى أضعاف مضاعفة ويشكر عبده بقوله بأن يثني عليه بين ملائكته وفى ملئه الأعلى ، ويلقى له الشكر بين عباده ، ويشكره بفعله ، فإذا ترك شيئاً أعطاه أفضل منه ، وإذا بذل له شيئاً رده عليه أضعافاً مضاعفة ، وهو الذى وفقه للترك والبذل ، وشكره على هذا وذاك .

ولما عَقَرَ نبيُّه سليمان الخيلَ غضباً له إذ شغلته عن ذكره ، فأراد ألا تشغله مرة أخرى أعاضه عنها متنَ الرّيح .

ولما ترك الصحابةُ ديارهم وخرجوا منها فى مرضاته أعاضهم عنها أن ملَّكهم الدنيا ، وفتحها عليهم .

ولما احتمل يوسف الصديق ضيق السجن شكر له ذلك بأن مكّن له فى الأرض يتبوَّأ منها حيث يشاء .

ولما بذل الشهداء أبدانهم له حتى مزقتها أعداؤه شكر لهم ذلك بأن أعاضهم منها طيراً خُضراً أقرَّ أرواحهم فيها تَرِدُ أنهار الجنة وتأكل من ثمارها إلى يوم البعث ، فيردُّها عليهم أكمل ما تكون وأجمله وأبهاه

ولما بذل رُسُله أعراضهم فيه لأعدائهم ، فنالوا منهم ، وسبّوهم ، أعاضهم من ذلك بأن صلى عليهم هو وملائكته ، وجعل لهم أطيب الثناء فى سماواته وبين خلقه ، فأخلصهم بخالصة ذكرى الدار .

ومن شكره سبحانه : أنه يجازي عدوَّه بما يفعله من الخير والمعروف فى الدنيا ، ويخفف به عنه يوم القيامة فلا يُضيع عليه ما يَعمله من الإحسان وهو من أبغض خلقه إليه .

ومن شكره : أنه غفر للمرأة البغي بسقيها كلباً كان قد جهده العطش حتى أكل الثرى [٧] ، وغفر لآخر بتنحيته غُصن شوك عن طريق المسلمين [٨] ، فهو سبحانه يشكر العبد على إحسانه لنفسه ، والمخلوق إنما يشكُرُ من أحسن إليه .

وأبلغ من ذلك أنه سبحانه هو الذى أعطى العبدَ ما يُحسنُ به إلى نفسه وشكره على قليله بالأضعاف المضاعفة التى لا نسبة لإحسان العبد إليها ، فهو المحسن بإعطاء الإحسان وإعطاء الشُكر ، فمن أحقُّ باسم الشكور منه سبحانه ؟

وتأمل قوله تعالى : ﴿ **مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِراً عَلِيماً** ﴾ [النساء : ١٤٧] كيف تجد فى ضمن هذا الخطاب أن شكره تعلى يأبى تعذيب عباده سدى بغير جُرم كما يأبى إضاعة سعيهم باطلاً ، فالشكور لا يُضيعُ اجر مُحسن ولا يُعذبُ غير مسيء ، وفى هذا ردٌّ لقول من زعم : أنه سبحانه يُكلفه ما لا يطيقه ، ثم يعذبه على ما لا يدخُل تحت قدرته ، تعالى الله عن هذا الظن الكاذب والحسبان الباطل عُلواً كبيراً ، فشكره سبحانه اقتضى أن لا يعذب المؤمن الشكور ، ولا يضيع عمله وذلك من لوازم هذه الصفة ، فهو منزه عن خلاف ذلك كما يُنزه عن سائر العيوب والنقائص التى تُنافي كماله ، وغناه ، وحمده .

---

٧ أخرجه البخارى فى " صحيحه " كتاب" أحاديث الأنبياء " (٣٤٦٧) ، مسلم فى كتاب" (السلام " (٢٢٤٥) من حديث أبي هريرة .

٨ أخرجه البخارى فى " صحيحه " كتاب " المظالم " (٢٤٧٢) ، مسلم فى كتاب " فضائل الصحابة " (١٩١٤) من حديث أبي هريرة .

ومن شكره سبحانه : أنه يخرج العبد من النار بأدنى مثقال ذرة من خير ، ولا يضيع عليه هذا القدر .

ومن شكره سبحانه : أن العبد من عباده يقوم له مقاماً يرضيه بين الناس فيشكره له ، وينوه بذكره ، ويخبرُ به ملائكته ، وعباده المؤمنين كما شكر لمؤمن آل فرعون ذلك المقام ، وأثنى به عليه ، ونوَّه بذكره بين عباه ، وكذلك شكره لصاحب يس مقامه ودعوته إليه ، فلا يهلك عليه بين شكره ومغفرته إلا هالك ، فإنه سبحانه غفور شكور يغفر الكثير من الزَّلل ، ويشكر القليل من العمل .

ولما كان سبحانه هو الشكور على الحقيقة كان أحبَّ خلقه إليه من اتصف بصفة الشكر ، كما أن أبغض خلقه إليه من عَطَّلها ، واتصف بضدها ، وهذا شأن أسمائه الحسنى أحبُّ خلقه إليه من اتصف بموجبها وأبغضُهم إليه من اتصف بأضدادها ، ولهذا يُبغض الكَفورَ ، والظالمَ ، والجاهلَ ، والقاسي القلب ، والبخيل ، والجبان ، والمهيمن ، واللئيم ، وهو سبحانه جميلٌ يُحبُّ الجمال ، عليمٌ يحبُّ العلماء ، رَحيمٌ يحبُّ الرّاحمين ، مُحسنٌ يحبُّ المحسنين ، شكورٌ يحبُّ المحسنين ، شكورٌ يحب الشاكرين ، صبورٌ يحب الصابرين ، جوادٌ يحبُّ أهل الجود ، ستار يُحبُّ أهل السِّتر ، قادرٌ يلوم على العجز ، والمؤمن القوي أحبُّ إليه من المؤمن الضعيف ، عَفُو يُحبُّ العَفْوَ ، وترٌ يحبُّ الوِتْرَ ، وكل ما يحبه فهو من آثار أسمائه وصفاته وموجبها ، وكل ما يبغضه فهو ما يضادُّها وينافيها .



خاتمة

يا من عزم السفر إلى الله تعالى والدار الآخرة ، قد رُفع لك علمٌ فشمِّر إليه فقد أمكن التَّشمير ، واجعل سيرك بين مطالعة منَّته ومشاهدة عيب النفس والعمل والتقصير ، فما أبقى مشهدُ النعمة والذنب للعارف من حسنة يقول : هذه مُنجيتى من عذاب السعير ، ما المُعَوَّل إلا على عفوه ومغفرته فكل أحدٍ إليهما فقير ، أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي ، فاغفر لي ، أنا المذنبُ المسكينُ وأنت الرَّحيمُ الغفور .

ما تُساوي أعمالُك لو سَلمت مما يُبطلها أدنى نعمة من نعمه عليك وأنت مرتهن بشكرها من حين أرسل بها إليك ، فهل رعيتها بالله حق رعايتها وهى فى تصريفك وطوع يديك ؟ فَتَعَلَّق بحبل الرَّجاء وادخل من باب التوبة والعمل الصالح إنه غفور شكور .

نهج للعبد طريق النجاة وفتح له أبوابها ، وعرَّفه طُرق تحصيل السعادة وأعطاه أسبابها ، وحذَّره من وبال معصيته ، وأشهده على نفسه وعلى غيره شؤمها وعقابها ، وقال : إن أطعت فبفضلي وأنا أشكر ، وإن عصيت فبقضائي وأنا أغفر إن ربنا لغفور شكور .

وأزاح عن العبد العِلل ، وأمره أن يستعيذَ به من العجز والكسل ، ووعده أن يشكر له القليل من العمل ، ويغفر له الكثير من الزَّلل ، إن ربنا لغفور شكور .

أعطاه ما يشكر عليه ، ثم يشكره على إحسانه إلى نفسه لا على إحسانه إليه ، ووعده على إحسانه لنفسه أن يُحسن جزاءه ويقرِّبه لديه وأن يغفر له خطاياه إذا تاب منها ولا يفضحه بين يديه ، إن ربنا لغفور شكور .

وَثقتْ بعفْوه هفواتُ المذنبين فوسعتها ، وعكفت بكرمه آمال المحسنين فما قطع طمعها ، وخرقت السبع الطباق دعوات التائبين والسائلين فسمعها ، ووسع الخلائق عفوه ومغفرته ورزقه ، فما من دابة فى الأرض إلا الله رزقُها ، ويعلم مستقرَّها ومستودعها ، إن ربنا لغفور شكور .

يجودُ على عبيده بالنَّوال قبل السؤال ويعطى سائله ومؤمله فوق ما تَعلَّقت به منهم الآمال ، ويغفرُ لمن تاب ولو بلغت ذنوبُه عدد الأمواج والحصى والتراب والرمال ، إن ربنا لغفور شكور .

أرحمُ بعباده من الوالدة بولدها ، وأفرح بتوبة التائب من الفاقد لراحلته التى عليها طعامه وشرابه فى الأرض المهلكة إذا وجدها ، وأشكر للقليل من جميع خلقه ، فمن تقرَّب إليه بمثقال ذرة من الخير شكرها وحمدها ، إن ربنا لغفور شكور .

تَعَرَّف إلى عباده بأسمائه وأوصافه ، وتحبب إليهم بحلمه وآلائه ، ولم تمنعه معاصيهم بأن جاد عليهم بآلائه ، ووعد من تاب وأحسن طاعته بمغفرة ذنوبه يوم لقائه ، إن ربنا لغفور شكور .

السعادةُ كلُّها فى طاعته ، والأرباحُ كلُّها فى معاملته ، والمحن والبلايا كلُّها فى معصيته ومخالفته ، فليس للعبد أنفع من شكره وتوبته إن ربنا لغفور شكور .

أفاض على خلقه النعمة ، وكتب على نفسه الرحمة ، وضمن الكتاب الذى كتبه : " **إن رحمته تغلب غضبه** " [١] ، إن ربنا لغفور شكور .

يُطاعُ فَيُشكر وطاعتُه من توفيقه وفضله ، ويُعصى فَيَحلم ، ومعصية العبد من ظُلمه وجهله ، ويتوب إليه فاعلُ القبيح فيغفرُ له ، حتى كأنه لم يكن قطُّ من أهله ، إن ربنا لغفور شكور .

الحسنةُ عنده بعشر أمثالها أو يضاعفها بلا عدد ولا حسبان ، والسيئة عنده بواحدة ومصيرُها إلى العفو والغُفران ، وبابُ التوبة مفتوح لديه منذ خلق السماوات والأرض إلى آخر الزمان ، إن ربنا لغفور شكور .

بابُه الكريمُ مُناخُ الآمال ومحطُّ الأوزار ، وسماء عطاياه لا تقلع ، الغيث بل هى مِدرار ، ويمينه ملأى لا تغيضها نفقه سحاء الليل والنهار ، إن ربنا لغفور شكور .

---

١ أخرجه البخارى فى كتاب " الجزية والموادعة " (٣١٦٤) ، مسلم فى كتاب " التوبة " من حديث أبي هريرة .

لا يلقى وصاياه إلا الصابرون ، ولا يفوزُ بعطاياه إلا الشاكرون ، ولا يهلك عليه الهالكون ، ولا يشقى بعذابه إلا المتمرِّدون ، إن ربنا لغفور شكور .

فإيّاك أيها المُتمرد أن يأخذك على غِرّة فإنه غيور ، وإذا أقمت على معصيته وهو يَمُدُّك بنعمته فاحذر فإنه لم يمهلك لكنه صبور ، وبُشراك أيها التائبُ بمغفرته ورحمته إنه غفورٌ شكورٌ .

من علم أن الرَّبَّ شكور تنوَّع في معاملته ، ومن عَلم أنّه واسعُ المغفرة تعلَّق بأذيال مغفرته ، ومن علم أن رحمته سبقت غضبه لم ييأس من رحمته ، إن ربنا لغفور شكور .

من تعلق بصفةٍ من صفاته أخذته بيده حتى تدخله الجنة ، ومن سار إليه بأسمائه الحسنى وصل إليه ، ومن أحبه أحبَّ أسماءه وصفاته وكانت آثر شيء لديه .

حياةُ القلوب في معرفته ومحبته ، وكمالُ الجوارح في التقرب إليه بطاعته ، والقيامُ بخدمته ، والألسنة بذكره والثناء عليه بأوصاف مدْحه . فأهل شكره أهلُ زيادته ، وأهل ذكره أهل مجالسته ، وأهل طاعته أهل كرامته ، وأهل معصيته لا يقنطهم من رحمته ، إن تابوا فهو حبيبهم ، وإن لم يتوبوا فهو طبيبهم ، يبتليهم بأنواع المصائب ، ليُكَفِّرَ عنهم الخطايا ويطهرهم من المعائب ، إنه غفور شكور .

والحمدُ لله رب العالمين ، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه ، كما يُحبُّ ربُّنا ويرضى ، وكما ينبغي لكرم وجهه وعزِّ جلاله ، حمداً يملأ

السماوات والأرض وما بينهما ، وما شاء ربُّنا من شيء بعد ، بمجامع حمده كلها ما علمنا منها وما لم نعلم ، على نعمه كلها ما علمنا منها وما لم نعلم ، عدد ما حمده الحامدون ، وغفل عن ذكره الغافلون ، وعدد ما جرى به قلمه ، وأحصاه كتابه ، وأحاط به علمُه .

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين ، وعلى سائر الأنبياء والمرسلين .

ورضي اللهُ عن التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين

ولا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم ، وحسبُنا الله ونعم الوكيلُ .



فهرس الآيات القرآنية

فهرس الأحاديث الشريفة

فهرس الآثار

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

كمبيوتر عاطف سعد عنتر
٠٤٠ / ٢٩٦٣٧٣٧

فهرس الموضوعات

صدر للمحقق

تحقيق ..

عدة كتب ورسائل لابن رجب الحنبلي

١) لطائف المعارف . الديلقان – السعودية
٢) كلمة الإخلاص . ابن رجب – مصر
٣) ذم قسوة القلب . الديلقان – السعودية
٤) البشارة العظمى . الديلقان – السعودية
٥) فضل صدقة السر . الديلقان – السعودية
٦) عُدّة الصابرين وذخيرة الشاكرين لابن القيم . ابن عباس – مصر

تأليف ..

الضياء اللامع فى وضع اليدين بعد قيام الراكع . ماجد عسيري – السعودية
منهج الإسلام فى إصلاح المال . الديلقان – السعودية
الاستعاذة فى الكتاب والسُّنة . الديلقان– السعودية
العواصم من فتنة النساء . الديلقان – السعودية
عقوبة النظر إلى المحرم . الديلقان – السعودية

سيصدر قريباً إن شاء الله ..

١) الإكليل فى ما زاد على كتب المراسيل .
٢) إثبات السماع مما عُدَّ فى المراسيل .
٣) هدي النبي ﷺ فى قراءته فى الصلوات . ابن عباس – مصر
٤) صفة النبي ﷺ .
٥) الزائر الأخير .

تحقيق ..

١) الصلاة للإمام أحمد .
٢) القضاء والقدر للإمام البيهقي .
٣) تهذيب تسهيل المقاصد لزوار المساجد . للحافظ المناوي
٤) ذم الخمر لابن رجب الحنبلي .
٥) تفسير سورة النصر لابن رجب الحنبلي .
٦) فضل شهر رمضان لابن شاهين .